الهيئة العامة للإستعلامات
كتب مترجمة (٨٠٣)

THE FALSE PROPHET



RABBI MEIR KAHANE

FROM FBI INFORMANT
TO KNESSET MEMBER

Robert I. Friedman

مُدّعى النبُوّة ..

الحاخام مئير كاهانا

من مخبر فى المباحث الفيدرالية الأميريكية ..
الى عضو فى الكنيسيت

روبرت إ. فريدمان .

الهيئة العامة للاستعلامات
الادارة المركزية للمعلومات والبحـــوث
الادارة العامة للترجمـــة

مدعى النبوة

تأليف : « روبرت فريدمان »

مقدمـــــة

« مدعـــى النبـــوة »

قابلت (الحاخام مائير كاهانا) لأول مرة فى ديسمبر عـام ١٩٧٩ ، فى مقـره بالقدس ، فى مكتب ضيق لا يدخله الهـواء فى حى الطبقة الراقية . وكان يطلق عليـه اسـم « متحف المحـرقة المحتملة » . وقد امتلأ هـذا « المتحف » ، بالأعلام النـازية والكتابات المناهضـة للسامية التى قصها من مطبوعات جماعة الكراهية الامريكية ولصقها على الواح للعرض . وكان (كاهانا) فى ذلك الوقت سياسيا منبوذا .وكان أتباعه فى اسرائيل لا يزيـد عددهم عن بضع عشرات من المراهقين الذين ينتمـون الى (رابطـة الدفاع اليهـودية) فى أمريكا .وقد قال لى كاهانا « ان العدد ليس بالأمـر الهام . فكم كان عدد (المكابيين) الذين حاربوا الاغريق ؟ » .

وفى الوقت الذى أقر فيه كاهانا بأن حركته فى اسرائيل كانت صغيرة ، قال : انهـا فى طور النمو ــ ولا سيما فى (كيريات اربـع) وهى مستوطنة يهـودية مغالية فى القومية وممتدة على الضفة الغربية حيث يحتفظ لنفسـه بمنزل آخـر ، وكذلك فى الأحيـاء (السفاردية) الفقـيرة بالقدس وتل أبيب ، حيث أصبح ــ بسرعـة ــ بطـلا شعبيا بالنسبة للشباب الذين انجـذبوا لآرائه التى يعتنقها بشـدة والمناهضة للحكومة ، وكذلك لكراهيته الشـديدة للعـرب .

وقد أدهشنى فى أول لقاء لى مع كاهانا أننى وجـدته رجـلا تتسـلط عليه فكرة الجنس والعنف .فقد كان يتحـدث بشكل متواصل عن الرجـال العرب الذين يعاشرون اليهوديات . وزعم ، على سبيل المثال ، أن الرجـال العرب الذين يتحـدثون الانجليزية حاولوا مرارا انتحـال شخصية اليهـود امـام اليهـوديات الأمريكيات الغـافلات اللاتى تدرسن فى الجامعة العبرية بالقدس . وقال لى انه أمضى يوما كاملا فى وضـع ملصقات ونشرات على جدران (كافيتريا) الجامعـة ومبنى مدينة الطلبة ، تحـذر الطالبات وتطلب منهن التأكد من تواريخ بطـاقات هؤلاء الرجـال الشخصية قبـل ممارسـة الجنس معهم .

ويرى (كاهانا) أن أى يهودى فى اسرائيل سـواء كان رجـلا أو امرأة أو طفـلا لا يستطيع العيش فى أمان طالما ان هنـاك عربيا واحـدا فى البلاد . وذكر لى أنه فى هذا الصباح فقط ، قرأ تحقيقا نشرته الصحف العبرية حـول قيـام عصابة من العرب فى الضفة الغربية بانتزاع أحـد اليهود من احـدى

سيارات الأجرة ، وضربه . وقد تعهد كاهانا بأنه سيقوم « بعملية انتقامية » فى قرية الجناة العرب فى اليوم التالى . ودعانى للذهاب معه .

وكانت هذه « العملية » تضم عشرة من أتباع كاهانا — ثلاثة منهم اسرائيليون من أصل مغربى ، واثنان من المهاجرين الروس الجدد ، وخمسة من الامريكيين ، وكان معظمهم فى نهاية سن التاسعة عشرة أو أوائل العشرينات . وقال أحدهم ، ويدعى (حاييم شيمون) ، وهو من مواليد (بروكلين) ويبلغ الثامنة والعشرين من عمره ، بينما كان كاهانا يقود سيارته (الفورد) الصفراء مخترقا شوارع القدس : « اننا ذاهبون للانتقام من العرب الذين ضربوا أحد اليهود هنا أمس » . واستطرد قائلا : « ان العرب كثيرا ما يهاجمون اليهود فى اسرائيل ، ولكن اليهود يخافون من الانتقام منهم . ان (السوبرمان) الاسرائيلى اسطورة دعائية . وان بلادنا فى حاجة الينا لندافع عنها » .

وتوقفت السيارة أمام أحد حواجز الشرطة الاسرائيلية خارج بيت صفافة ، وهى ضاحية عربية مزدهرة بالقرب من القدس الشرقية . وكان واضحا أن الشرطة الاسرائيلية لديها معلومات عن خطة كاهانا .

وأصدر كاهانا أوامره الى مجموعة الشباب التى كانت تستقل السيارة معه قائلا « نفذوا الأوامر » ، ثم قفز من كرسى القيادة وقال « سوف أتفاهم مع رجال الشرطة » .

وسار كاهانا بخطى واسعة متجها الى رجال الشرطة مرتديا زيه العسكرى وفى عينيه تصميم واضح على أن يواجه قدره . وكان كاهانا — وهو يرتدى السترة العسكرية ذات اللون الأخضر الفاتح والقفازات الرمادية وحذاء القتال والقلنسوة اليهودية المثبتة على شعره الأسود الناعم — يبدو كصورة حديثة للقسيس المحارب المستعد لخوض المعركة . وبينما كان كاهانا يشغل رجال الشرطة فى حديث صاخب ، كان « صبيانه » يخترقون الضاحية بالسيارة بحثا عن فريسة من العرب .

وبعد برهة ، لمح السائق الضخم ، مغربى الأصل ، أحد العرب واقفا بمفرده . وكان هذا العربى يبلغ من العمر قرابة الخمسين عاما . وكانت بشرته المجعدة قد اكتسبت لونا نحاسيا من تأثير الشمس . وبسرعة خاطفة انقض عليه هؤلاء الشباب ، وأخذوا يلكمونه بسرعة مذهلة لدرجة أن عينيه السوداويين ظلتا ساكنتين دون حراك فى حالة ذهول ، ثم طرحوه أرضا . وبسرعة أيضا استقل هؤلاء الشباب سيارتهم وانطلقوا بها .

وفى طريق عودتنا ، كان شيمون يقول ساخرا « لقد حققت المراد » وعاد شيمون ، الذى كان ملتحيا ومرتديا قلنسوة يهودية بذهنه الى الوراء ، وتذكر

حينما كان يركب دراجته عبر حديقة (بروسبكت) فى (بروكلين) ، منذ عدة سنوات ، وهاجمته عصابة من الشباب السود . وقال انه هوجم لمجرد انه يهودى . وبعد هذا الحادث بأيام قليلة انضم شيمون الى رابطة الدفاع اليهودية .

وقال لى : « لقد كنت أريد أن أشعر بالفخر وعدم الخوف . وقد سمعت عن الحاخام كاهانا ، وقرأت بعض أعماله . وقررت الانضمام الى رابطة الدفاع اليهودية — مثل « من يحمل بندقية » فى المناطق المجاورة التى يغلب عليها السود لحماية اليهود المسنين الباقين . الا أن معاداة السامية فى أمريكا قد زادت بشكل كبير . وقد جئت الى اسرائيل لأكون مع الحاخام وانفذ تعاليم التوراة » .

وبينما كانت السيارة تأخذ طريقها ، انحرفت فى المنحنى . ورغم أننا كنا فى فصل الشتاء ، كانت الشمس تنشر أشعتها الدافئة . وقام السائق بانزال زجاج نافذة السيارة ونادى على مجموعة من العمال العرب متوسطى العمر المتكئين على حائط مقهى مطلى بالطلاء الابيض .

وصاح باللغة العربية قائلا : « محمد .. أنا ظمآن .. أين بنات الهوى العرب ؟ » . وعندئذ انطلقت الضحكات داخل السيارة .

وقال شيمون « ان العرب يحاولون معاشرة اليهوديات كلما استطاعوا » . كما قال (الدريدج كليفر) فى كتابه « روح فوق الجليد » : « أن معاشرة سيدة بيضاء هو ذروة العمل الثورى » .

وانطلقت السيارة بسرعة . وكان كاهانا لا يزال عند الحاجز يحاور رجال الشرطة . ثم توقفنا . وركب الحاخام ، الذى كان يبلغ حينذاك السابعة والاربعين من عمره ، وكان صغير الحجم ، نحيل الجسم ، ذا وجه أسمر وسيما ، وجلس فى المقعد الامامى مثل تمثال من الحجر . وبينما كنا نجتاز الطريق السريع فى عودتنا الى القدس ، كان الصوت الوحيد الذى نسمعه ونحن فى السيارة هو صوت المحرك .

وقد قمت بزيارة كاهانا مرة أخرى فى اليوم التالى ، تواقا لمعرفة ما اذا كان قد قرأ التحقيق الذى نشرته الصحف الصباحية والذى يقول ان اليهودى الذى تم انزاله من سيارة الأجرة وضربه ضربا مبرحا ، والذى شنوا من أجله هجومهم الأخير ، لم يهاجمه العرب ، كما نشر سابقا ، ولكنه كان ضحية هجوم من جانب عصابة يهودية .

وارتعشت عينا كاهانا . واستطاع بصعوبة السيطرة على رعشة العينين التى كان يعانى منها بصورة خطيرة منذ طفولته .

وتمتم قائلا : « لقـــــد أبلغتهم أن يظلوا فى السيارة وأن يبتعدوا عن المشاكل . ولكن بعضهم حمقى ، بالرغم من أنه من الاهمية بمكان أن يكون هناك هناك حمقى فى اية حركة جماعية . انهم يفعلون أى شىء من أجلك ولا سيما اذا كنت أول من يخترق المتـــاريس » .

وأوضحت قائلا : « ولكن العرب أبرياء من هذا الحادث » .

لم يؤثر هذا الحديث فى الحاخام . وقال متذمرا : « هذه المرة لم يتورط العرب ، ولكن هناك المئات من الحوادث التى لا تنشر عن تحرش العـــرب باليهود ، وممارستهم الجنس مع اليهوديات . فمن تعتقد أنهم يزرعون القنابل هنا ــ هل هم فتيان الكشافة الامريكيون ؟ . اننى لا أريد العيش فى بلد أشعر فيه بالخوف من أن أنسف فى مؤخرة احدى الحافلات » . واستطرد الحاخام قائلا بانفعال : « اننى لا ألوم العرب على كراهيتهم لنا ، فهذه الارض كانت أرضهم ذات يوم ، ولا عليك مما يقوله اليسار الاسرائيلى ، فأنت لا تستطيع أن تشترى حب العرب فى مقابل توفير دورات المياه الداخلية والرعاية الصحية الطبية . ان العرب الاسرائيليين وعرب الضفة الغربية يتعاطفون مع منظمة التحـــرير الفلسطينية ، وهم يتكاثرون مثل الأرانب . ومع معدلات هذه الزيادة ســـوف يستولون على الكنيست خلال خمسة وعشرين عاما . اننى مستعد لان أضحى بالصهيونية فى مقابل الديمقراطية . وهناك حل واحد فقط هو : أن يتـــرك العـــرب اسرائيـــل » .

وتململت فى مقعدى ...

وقال : « ليس هذا بالطبع أمرا طيبا . هل قلت أنه أمر طيب ؟ . هل هو أمر طيب أن تقوم اسرائيل بضرب منظمة التحرير الفلسطينية بالقنابل فى لبنان ، وأن تقتل النساء والاطفال ؟ ان لدينا قنابل عنيفة ، وليست قنابل رقيقة » .

وتساءلت : « كيف كنت ستنفذ مثل هذه الأفكار لو كنت رئيســـا لوزراء اسرائيـــل ؟ » .

أجاب قائلا « كنت سأذهب الى العرب وأطلب منهم أن يرحلوا ، وسأعرض عليهم تعويضا سخيا . واذا رفضوا ، فاننى سأقوم بطردهم بالقوة » .

وتساءلت « كيف كنت ستفعل ذلك ؟ هل كنت ستقوم بترحيلهم فى منتصف الليل فى سيارات الماشية ؟ » . أجاب قائلا : « نعم » .

هكذا كان يتحــدث مائير كاهانا ــ الحاخام الــذى اعتنق فكرة الصبى اليهودى الطيب ثم قلبهـــا رأسا على عقب .

وحتى عندما كان مائير كاهانا شـــابا يهـــوديا يعيش فى نيويورك ، كان يمينيا متطرفا ، رغم من أنه كان يحـــاول جاهدا الظهـــور بمظهر المنتمى الى

الطبقة المتوسطة العادية — وفى لوريلتون بكوينز ، كان كاهانا يبدو مجرد حاخام متدين وغامض فى منتصف الستينيات ، يقوم باعطاء دروس فى اللغة العبرية . وكان جيرانه يعتبرونه مدرسا متواضعا يتعامل بروح طيبة مع الأطفال . ولكن باعتراف منه ، وبتأكيد من مصادر وزارة العدل ، قضى معظم تلك السنوات وهو يحيا حياة مزدوجة ، فقد كان يتجسس على جماعات الطلبة اليساريين لصالح مكتب التحقيقات الفيدرالى ، وفى نفس الوقت كان يساند موقف الولايات المتحدة الأمريكية من حرب فيتنام ، وذلك داخل الطائفة اليهودية المتدينة لصالح وكالة المخابرات المركزية .

وبعد ذلك ، وفى صيف عام ١٩٦٨ العاصف ، اشترك كاهانا فى تأسيس رابطة الدفاع اليهودى ، معلنا أنها ستقوم بحماية اليهود من المعادين للسامية . وقد انبثقت هذه الرابطة نتيجة للتوترات العرقية التى تولدت عن الاضراب الذى قام به مدرسو مدينة نيويورك خلال عام ١٩٦٨ ، والذى أثار اتحاد المدرسين الذى يسيطر عليه اليهود ضد السود المناضلين الذين كانوا يسعون لتحقيق سيطرة أكبر على المدارس المجاورة . وقد أدى هذا الاضراب — الى جانب مطالب السود بأن يكون لهم نصيب فى وظائف الخدمة المدنية والسماح لهم بالالتحاق بجامعات المدينة ، وبأن يكون لهم حق فى الاسكان الى اجتذاب الآلاف من اليهود المتدينين ويهود الطبقة العاملة خارج نيويورك ، والى اجتذابهم الى رابطة الدفاع اليهودى ، التى كانت تتصدر حركة البيض الرجعية . وقام كاهانا — الذى كان يشغل فى ذلك الحين أيضا منصب نائب رئيس تحرير جريدة « الجويش بريس » اليهودية الدينية التى كانت تصدر أسبوعيا فى بروكلين — بملء هذه الصحيفة الصغيرة بالقصص المثيرة عن أعمال العنف المناهضة للسامية التى يقوم بها السود والبورتوريكيون (أهالى بورتوريكو) ضد كبار السن والفقراء من اليهود الذين لا يستطيعون ترك المدن الامريكية القديمة . وقد أثارت هذه الروايات المزيد من التوترات العرقية ، فى الوقت الذى اتخذ منها كاهانا ذريعة لارسال فرق مسلحة من العسكريين التابعين لرابطة الدفاع اليهودى « لحراسة » المناطق المجاورة التى يقطنها اليهود والسود معا . وخلال أشهر قليلة ، استطاعت هذه الرابطة استقطاب مدينة نيويورك بصورة تكاد تستعصى على الاصلاح .

وأصبحت رابطة الدفاع اليهودى تشتهر بأنها جماعة احتجاج مناهضة للسود . ولكنها اكتسبت شهرتها العالمية عندما ركز كاهانا على قضية كثيرا ما تجاهلتها المؤسسة اليهودية الامريكية — وهى محنة اليهود السوفييت . ومع حلول عام ١٩٧٠ ؛ أصبحت العمليات التى كانت تقوم بها رابطة الدفاع اليهودى بضرب وشن الهجمات ضد السفارات السوفيتية فى الولايات المتحدة

الامريكية وأوروبا ــ أصبحت هذه العمليات من الكثرة بحيث أثارت قلق الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون ومخاوفه من أن يتسبب كاهانا في فشل محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية . وأسفرت أعمال العنف التي كانت تقوم بها الرابطة على ارغام المؤسسة اليهودية الامريكية ، وبالتالي الحكومة الامريكية ، على اعطاء حرية هجرة اليهود السوفييت الاولوية القصوى . وكان ذلك هــو قمة انجازات كاهانا . فقد اكتسب بذلك تأييد ومساندة زعمــاء العمال البــارزين والسياسيين ، والخيرين من الاثرياء اليهود . ولم يكن هؤلاء يعلمون بأن حرب العصابات التي تشنها هــذه الرابطة ضد الاتحاد السوفيتي يقــوم بتنسيقهــا ضباط الجناح اليميني للموساد بقيادة اسحق شامير الذي صــار رئيس وزراء اسرائيل الحالي .

ولم يكن مثيرا للدهشة أن يخول كاهانا بهذه المهمة الحساسة اذا ماوضعنا خليفته في الاعتبار . فقد كان والده من كبار حاخامات بروكلين المحترمين ، وكان صهيونيا متحمسا ، وعضوا في الحركة التحريفيــة اليمينية التي يتزعمها زئيف جابوتنســكي ، الذي نزل ــ ذات مرة ــ ضيفا على كاهانا في منزله بفلاتبوش عندما كان مائير طفلا . وعندما أصبح كاهانا شابا انضم الى عضوية حــركة بيطار ، وهي جناح الشباب في الحركة التحريفيــة . وكان كاهانا يقوم مــع رفاقه من الشباب يجمع الاسلحة في حــوض السفن بهوبوكين بنيوجــيرسي ، لتهريبها الى جماعة الارجــون اليهودية اليمينية السرية أثنــاء حــرب استقلال اسرائيــل .

وفي سبتمبر عــام ١٩٧١ ، انتقــل كاهانا الى اسرائيل ، وذلــك قبيل اتهامه على المستوى الفيدرالي بمسئوليته عن أنشطة رابطة الدفاع اليهودي . وقد احتفت بــه وسائل الاعلام الاسرائيليــة ، وتشاجرت الاحزاب السياسية من أجله ، بطريقة تذكرنا بنوع الاهتمام الذي حظي بــه ناتان شارانسكي عندما وصل الى اسرائيل قادما من روسيا . وبالرغم من دعوة كاهانا للانضمام الى حزب حيروت اليميني برئاسة مناحم بيجين ، والحزب الوطني الديني برئاســة يوسف بورج ، برغم ذلك رفض الدعوتين ، مفضــلا أن يبدأ حركته الخاصــة بــه . ولكنه أخذ يتخبط ويتعثر وهــو بمفرده . فقد جعل اندفاعه المتســم بجنون العظمة ، وتعثره نتيجة لنوبات الاكتئاب المتكرر ــ جعل من المستحيل عليه تماما أن يعمل من خــلال هيكل حزبي بيروقراطي منظم تنظيما صــارما . وكان ، وهــو في أمريكا ، معتادا على أن يحيط نفسه بكادر من الشــخصيات الموهوبة والمنضبطة ، القادرة على ادارة رابطة الدفاع اليهودي عنــدما كان يعجز هو عن ذلك . أما في اسرائيل ، فقد كان يقوم بالعمــل بمفرده ، بابعاده المحيطين به . وخــلال سنوات قليلة ، أصبح كاهانا شخصية منسية . وكان حزبه ، الذي يطلق عليــه اسم كاخ (هــذا هو الطريق) ، يتكون من بضــع عشرات من الشباب اليهودي الامريكي الساخط والمتخصص في ارهاب العرب .

ولكن فى أوائل الثمانينيات ، عندما اتجهت الدولة اليهودية الى اليمين ، ظهر كاهانا وخرج من الدائرة الهامشية للسياسة الاسرائيلية ليرأس حركة جماهيرية تقوم أساسا على فكرة واحدة ، هى الدعوة الى طرد عرب اسرائيل . وقد أدى هذا المطلب الى فتح ينابيع التأييد له داخل الدولة اليهودية ، حيث ظل الطرد يحتل دائما وضعا محوريا — وان لم يكن علنيا — فى فكر الصهيونية الرئيسية . وفى عام ١٩٨٤ ، تم ايتخاب كاهانا عضوا بالكنيست . وقد أصاب انتصاره الأمة الاسرائيلية بحالة من الذهول .

وفى عام ١٩٨٨ ، قام كاهانا بانتهاكات غير عادية للسياسات الاسرائيلية وذلك بالمزج بين الفكرة القديمة المتمثلة فى الخوف من الاجانب وكرهم والتى تقوم عليها القومية اليهودية اليمينية ، وبين الفكرة الدينية العالمية التى تقول ان اليهود قد اختيروا ليقودوا البشرية — الى عصر الخلاص . وفى أمريكا كان التأييد الذى يحظى به كاهانا بين اليهود مثيرا بنفس الدرجة . ووفقا لعملية المسح التى قام بها البروفيسور ستيفن م. كوهين للجنة اليهودية الامريكية عام ١٩٨٦ ، بلغت نسبة اليهود الامريكيين المتعاطفين بقوة مع كاهانا ١٤٪ ، وارتفعت هذه النسبة الى ٣٠٪ بين أعضاء الجالية المتدينة القوية وقوامها ٥٠٠ر٠٠٠ عضو . وعشية انتخابات الكنيست فى عام ١٩٨٨ ، تكهن مستطلعو الرأى الاسرائيليون بأن كاهانا ، الذى زادت شعبيته ردا على الانتفاضة الفلسطينية ، يستطيع أن يفوز بحوالى ستة مقاعد من ١٢٠ مقعدا فى الكنيست ، مما يجعله زعيما لثالث أكبر حزب فى اسرائيل . وخوفا من هذا التطور تضافرت جهود الاحزاب اليمينية واليسارية وأصدرت قانونا ، وافقت عليه المحكمة العليا فيما بعد ، بمنع كاهانا من دخول الانتخابات على أساس أن حركته عنصرية ومناهضة للديمقراطية . وبالرغم من أن شامير وغيره من الشخصيات السياسية اليمينية البارزة فى اسرائيل كانوا — هم — المسئولين الى حد كبير فى أوائل السبعينيات عن تحويل كاهانا الى ظاهرة سياسية مؤثرة — بالرغم من ذلك لم يكونوا فى أواخر الثمانينيات يريدون أكثر من القضاء على نشاطه السياسى والتخلص من عشرات الآلاف من مؤيديه .

وبالرغم من أن كاهانا أصبح لا يستطيع الان ممارسة أية سلطة سياسية بالرغم من ذلك تشير الاستطلاعات الاسرائيلية الى أن حركته مازالت تواصل نموها وازدهارها ، تغذيها ، بلا شك ، المشاعر التى أطلقتها الانتفاضة الفلسطينية . وربما يكون كاهانا قد كسر المحظور بمناداته علانية بطرد عرب اسرائيل ، ولكن الانتفاضة أعطت هذه الفكرة الثابتة نوعا من الالحاح الشديد . ويوصى السياسيون البارزون من « اليمين المحترم » بدءا من الليكود الى الحزب الدينى الوطنى (بالترحيل) وهو التعبير فى اسرائيل عن الطرد الجماعى) ، باعتباره الحل لمشكلة السرائيل السكانية .

لقد كان نشاط كاهانا يشبه ركوب عربة قطار الملاهى التى تبدو بعيدة من اعلى ، ففى الماضى ، عندما كان يبدو أن نشاط الحاخام قد أرتطم بالارض ، كان يعاود الظهور مثل طائرة العنقاء من خلال التوترات الناجمة عن الاضطرابات الاجتماعية والسياسية . وقد قال لى كاهانا ذات مرة « كلما ازداد الامر سوءا بالنسبة لاسرائيل ، كان ذلك أفضل بالنسبة لى » .

ومن بين العلامات التى كانت تشير الى طريق مستقبل كاهانا ، ارتباطه الواضح باحدى الجماعات السرية الارهابية فى اسرائيل التى بدأت تشن هجماتها ضد اليهود الاسرائيليين الذين ينادون باجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية . وقد أطلقت هذه الجماعة على نفسها اسم السيكاريم تشبها بطائفة من القتلة اليهود الذين كانوا يقومون باغتيال الرومان و « اليهود الهيلينين » خلال عصر « المعبد الثانى » . وقد زعمت هذه الجماعة أنها هى المسئولة عن منازل عدد من الشخصيات اليسارية البارزة خلال عام ١٩٨٨ ومن بينهم يائير تزابان ، زعيم حزب المبام الاشتراكى ، ودان مار جوليت ، الصحفى بالتليفزيون . وخلال المحادثات التليفونية مع مؤسسات الانباء الاسرائيلية ، كان الاشخاص الذين يتحدثون باسم السيكاريم يزعمون أنهم أعضاء فى حركة كاخ التابعة للحاخام كاهانا .

وقد ظهرت جماعة السكاريم الاصلية خلال القرن الاول الميلادى ، عندما كان مدعو النبوة ومدعو الخلاص يجذبون العديد من الاتباع المتعصبين بادعائهم أنهم قادرون على التخلص من الرومان وادعائهم بدء عصر الخلاص . ان ظهور مدعى النبوة ظاهرة تبدو متكررة عبر التاريخ اليهودى حينما يشعر المجتمع بأنه معرض للخطر . وهناك فى اسرائيل اليوم حركة أصولية يهودية سريعة النمو يساندها السياسيون اليمينيون الاقوياء ، تنادى بضم الاراضى المحتلة كمقدمة لما قضت به التوراة من نهاية الزمان وخلاص البشرية .

وفى اقصى طرف هذه الحركة السلفية ، يسير كاهانا على سياسة الخلاص التى يقول انها ستسرع بتخليص اسرائيل من العرب . وكما جاء فى أحد بياناته الرسمية العديدة والمناهضة للعرب التى نشرها فى « أشواك فى عينيك » كتب يقول : « ان وجود العرب فى اسرائيل تدنيس لاسم الرب . وان رفضهم قبول سيادة اليهود على أرض اسرائيل رفض لسيادة اله اسرائيل وسيادة مملكته . وابعادهم عن هذه الارض أمر يفوق الامور السياسية . انه أمر دينى ، والتزام دينى بمحو تدنيس أسم الرب . وبدلا من القلق من ردود فعل غير اليهود اذا ما قمنا باى اجراء ، ينبغى علينا أن نرتعد خوفا من التفكير فى غضب الرب اذا لم نتخذ اى اجراء ، ان الكارثة ستحل بنا اذا لم نبعد العرب من أرضنا حيث يمكن أن يأتى الخلاص بشكل

جلاله فى الحال اذا ما قمنا بما أمرنا به الرب . . . فلنطـــرد العـــرب من اسرائيل ونسرع بتحقيق الخلاص » .

وقد يكون من المحزن ادراك ان كاهانا أصبح قوة سياسية لا يستهان بهـــا فى اسرائيل ، فانه رغـــم ذلك يميل العديد من الزعماء اليهود الامريكيين الى أن تظل ظاهرة التأييد واسع الانتشار لآراء الحاخام بين اليهود الامريكيين — فى طى الكتمان . ان الانكار لا يجنب آثار سياسة كاهانا . فحياة الحاخام مائير كاهانا وعصره مرآة للجانب المظلم من روح اسرائيـــل . والكاهانية مثلها مثل أى نوع من التعصب الأعمى — لا يمكن فهمها أو مواجهتها اذا ما ظلت محاطـــة بالغموض حيث تتمتع بالنمو والازدهار .

الفصـــــل الاول

السنوات الاولى

كان مائير كاهانا يبالغ الخامسة عشرة من عمره عندما ألقى القبض عليـــه للمرة الاولى . ففى عام ١٩٤٧ ، قاد هجوما على ايرنست بيفن وزير خارجيـــة بريطانيا ، الذى كان يعيد سفن اللاجئين اليهود لمنعهم من دخول فلسطين . وعندما وصل بيفين على ظهر السفينة كوين مارى ليلقى كلمة امام الامم المتحدة ، وهبطت سيارته المعبر عند رصيف ٨٤ ، قام كاهانا ومجموعة من أصدقائه فى حـــركة بيكار ، الجناح الشبابى للحركة التحريفية ، بقذفها بالبيض والطماطم . وقام رجال الشرطة بمطاردة هؤلاء الشـــباب اليهود ، ولم يتمكن كاهانا الذى كان يتباهى كثيرا بسرعته الفائقة فى الجرى فى فريق سباق المدرسة العليا ، من الهرب ، اذ استطاع أحد رجال الشرطة الامساك به من الخلف . وفى اليوم التالى ظهرت صورته فى صحيفة النيويورك ديلى نيوز ، ورجل الشرطة ممسك به .

وقد أصاب تشارلز كاهانا الذهول عندما وجد ابنه مقبوضا عليه ، بالرغم من انه كان هو شخصيا يدعو ، فى كثير من الأحيان ، اليهود فى فلسطين لحمـــل السلاح ضد البريطانيين . وقد صرح كاهانا بعد ذلك بعدة سنوات قائلا : « لقد صرخ والدى فى وجهى عندما جاء ليطلق سراحى بكفالة . ولكننى قلت له انهـــا غلطتك أنت يابى .. لقد علمتنى كل هذا .. وكانت هذه هى آخر مرة يصرخ فيها ابى فى وجهى » .

وحتى عندما كان كاهانا فى هذه السن الصغيرة ، كانت اسرته تسلم بمـــا هو عليه . فقد قال خاله ، الحاخام اسحق ترينين الذى تقاعد مؤخرا من منصب مدير الجمعية الخيرية اليهودية فى نيويورك«ان مائير كان ثوريا منذ نعومة أظافره» وقال ترينين ان ابن أخته عندما كان طفلا ، كانت لديه « عقدة الخلاص » وهو شعور بأنه مقدر عليه أن يلعب دورا تاريخيا فى احياء روح الشعب اليهودى . « اننى أذكر بعد تكليفه الدينى (بار ميتزفاه) ، اننى سمعت والدى يقـــــول لوالدتى : « سوف ترين ، ياحنا ، أنه سيسبب لنا ذات يوم الكثير من المتاعب » » .

غير أن طفولة كاهانا بدأت مسالمة للغاية باعتباره ابنا لأحـــد الحاخامات المحترمين . وقد قال لى كهانا ذات مرة « ان الناس يسألوننى فى كثير من الاحيان عن سبب تكوين رابطة الدفاع اليهودى ــ هل يرجع ذلك الى صدمة شخصية ؟ كلا ، ان حياتى كانت حياة سعيدة » .

ولد مارتن ديفيد كاهانا بعملية قيصرية فى الاول من أغسطس عام ١٩٣٢ . وعاش والداه ، تشارلز وسونيا ، فى أحد احياء الطبقة المتوسطة فى منزل يضم أسرتين مبنى من الطوب الأحمر فى فلاتبوش ببروكلين .

وفى الثلاثينيات كان هذا الحى يضم خليطا من المهاجرين الايطاليين واليهود الاوروبيين الشرقيين ، الذين فروا حديثا هربا من جرائم وصخب اقصى شرق مانهاتن عبر النهر الشرقى . وحتى اذا كان بعض كبار الأطفال يحملون شفرات الحلاقة فى محافظهم « لمواجهة أية ظروف » ، فان جرائم الشوارع لم تكن معروفة تقريبا فى هذا العالم المنعزل والمتعصب . واذا كان كاهانا قد تسلطت عليه فيما بعد فكرة معاداة السامية ، فانها لم تكن تزيد عن كونها ظاهرة مجردة خلال فترة طفولته . وقال آلان مالينبوم ، أحد اصدقاء طفولة كاهانا : « لقد اعتاد الناس أن يجلسوا على الشرفات والمقاعد طوال ساعات النهار والليل . ولم يكن أحد يخشى من وقوع الجريمة . فلم تكن ترى أى وجه أسود . وكانت اللغة الوحيدة التى تسمعها فى الشوارع — الى جانب الانجليزية — هى الايطالية واحدى اللهجات الالمانية (البيديه) . اننى اتذكر وانا فى طريقى الى المدرسة بالشارع الاول ، أن الرجال الايطاليين من كبار السن كانوا يخرجون من منازلهم ويعطوننا الحلوى » .

وكان مارتن — الذى اتفق فيما بعد اسمه العبرى مائير — طفلا فطنا منذ نعومة أظافره وان كان عليل الجسم . ففى سن الرابعة من عمره ، اجريت له عملية جراحية بسبب التهاب العظم الناتىء خلف اذنه بعد النزيف الذى حدث له نتيجة لعملية غير دقيقة لاستئصال اللوزتين — وكان هذا الأمر خطيرا قبل ظهور البنسلين . وتقول والدته سونيا لقد ظلت زيارته ممنوعة فى الايام الثلاثة او الاربعة الاولى التى تلت العملية . وكانت والدته تتحدث معى فى شقتها الصغيرة المفروشة بأثاث انيق بالقدس والتى تعيش فيها عام ١٩٧١ . وتضيف « اننا كنا ننظر اليه من خلال زجاج نافذة حجرته . وكان دائما يرفع الضمادات من فوق راسه . وذات يوم ، أحضرت اليه ممرضته الخاصة صحيفة الديلى نيوز ليطلع على الفكاهات فيها . ولكنه القى بالجريدة قائلا : « اننى طفل ذكى . . ولا أقرأ هذه الاشياء التافهة . اننى اريد صحيفة « النيويورك تايمز » . . وتذكر والدته بكبرياء الأم الفخورة بأبنها « أن الأطباء لم يستطيعوا اقناعه . فرغم أنه لم يكن قادرا على القراءة . كان قادرا على التمييز » .

وظل الصغير كاهانا فى المستشفى لمدة أسبوعين للنقاهة ، الا أنه بمجرد خروجه منها عائدا الى بيته أصيب بسعال شديد انتهى الى نوبات من السعال التشنجى المتقطع . وخشى طبيبه أن تؤثر هذه النوبات على التهاب الغشاء الذى سبق أن أصيب به من قبل ، وظل الطفل كاهانا يعالج بتجفيف ارتشاح الجرح الموجود خلف أذنه اليمنى ثلاث مرات فى الاسبوع لمدة عام .

وكان كاهانا يفزع من رؤية الابرة . وتقول والدته سونيا « لقد كان أخى اسحق يمسكه فى حجره اثناء قيام الطبيب بتجفيف الصديد بأبرة كبيرة

وكان كاهانا يصرخ قائلا : سوف اكون ولدا طيبا ، سوف اكون ولدا طيبا وكان يعتقد أننا نعاقبه لأنه ولد مزعج » .

وكانت والدته تلبسه ، وهو طفل صغير ، ملابس تتكون من بنطلون قصير واسع وحذاء برقبة وقميص منقوش بالزهور ، وكانت تصحبه فى نزهات طويلة فى أوشان باركواى . وتقول سونيا ان المارة كانوا يظنونه بنتا بسبب شعره الطويل المسترسل على كتفيه فى تموجات جميلة ، ورموشه الطويلة المرتفعة الى أعلى .

وعندما شب كاهانا عن الطوق ، كان يقضى ساعات طويلة يلعب مباريات كرة المضرب ، كما كان يقضى طوال فترة بعد الظهر أيام السبت فى محل للحلوى حيث كانت تحتدم المناقشات بينه وبين أصدقائه حول بطلهم المفضل فى لعبة البيسبول . وكان تشارلز يشجع ابناءه على أن يختبروا الحياة خارج نطاق الأفكار اليهودية الدينية الضيقة . وقال نحمان شقيق كاهانا الصغير ، الذى اصبح اليوم أحد الحاخامات المتدينين فى القدس : « لقد عرف أبى الحياة الى الحد الذى جعله يدرك أن عليه أن يتوصل دائما الى حلول وسط لقد تركنا نشب وننمو كأمريكيين مائة فى المائة » ..

ويذكر كاهانا تلك السنين بحنين يقرب من الحب . فقد قال لى كاهانا ذات يوم وهو مستغرق فى ذكرياته « لقد كنت أحب الحى الذى أعيش فيه وأصدقائى اليهود والايطاليين . وكنت أقضى الساعات أجوب الشوارع والطرقات وأقف عند المنعطفات ، والعب المباريات . لقد كنت لاعبا كبيرا للبيسبول . وكنت أذهب الى ملعب ايبتس لأشاهد ديكس ووكر الذى اعتاد أن يوجه تلك الضربات العنيفة تجاه الحائط الايمن للملعب ، وكانت ضرباته هائلة » .

ونظرا لان تشارلز كاهانا حاخاما له دخل كبير نسبيا ، وله جمهوره الواسع ، لم يشعر مائير على الاطلاق بالحرمان فى فترة الكساد الاقتصادى . ورغم أن جمهور تشارلز لم يكن من الطبقة الغنية ، كان معبد شعارى تفئيلاه الذى يقع غرب الشارع الاول ، كان من اكثر المعابد الملفتة للنظر فى الحى بما فيه من الأسقف المرتفعة الجميلة ، والثريات المصنوعة من الذهب ، والمقاعد الخشبية المنقوشة بمهارة ودقة . وفى عيد الغفران كانت ساحته تكتظ بالمصلين الذين يتجاوزون الالفين من اليهود الاشكنازيين (اليهود الأوروبيين) الذين كانوا يؤدون صلواتهم فى الطابق العلوى ، واليهود السفارديين الشرقيين الذين كانوا يؤدون صلواتهم فى الطابق الأول من المعبد .

وكما هو مألوف بين معظم الأسر المتدينة ، كان اهم حدث فى الاسبوع هو الاحتفال بيوم السبت . وكانت الاستعدادات تبدأ فى الساعة الثالثة من بعد

يوم جمعة ، عندما يستدعى تشارلز ولديه مائير ونحمان من الشارع حيث اعتادا أن يلعبا الكرة . وكان الصبيان يصعدان الى المنزل فيستحمان ويرتديان ملابسهما ويرافقان والدهما الى المعبد سيرا على الاقدام . وبعد أن يؤدى الصبيان واجباتهما الدينية متابعين فى ذلك والدهما ، كانا يعودان الى المنزل لأداء الصلاة وتناول الطعام . وكان المنزل الذى يقع غرب الشارع الثانى ممتلئا دائما بالضيوف . وكانت المناقشات تدور عادة وبصورة ثابتة حول مصير اليهود فى اوروبا وفلسطين . ويقول نحمان : « لقد كان منزلا مقدسا ، جميلا ودافئا . كان منزل التوراة الذى نتلقى فيه تعاليم يوم السبت المقدس » ومنذ عدة سنوات ، عاد نحمان الى هذا المنزل الذى نشأ وتربى فيه ، وقال نحمان : « كنت أريد أن أراه مرة أخرى . ان به ثمانى درجات تؤدى الى الشرفة . وقد صعدت درجات السلم ، ولكننى كنت أعرف أننى سأجد صليبا على الباب حيث كان يوجد شعارنا اليهودى . وعندئذ عدت من حيث أتيت » .

وحتى وهو طفل ، يذكر نحمان أن الشارع الذى كانوا يسكنون فيه ، كان يضاء بالانوار الملونة فى احتفالات أعياد الميلاد . وقال لى « كانت توجد شجرة عيد الميلاد أمام كل بيت ميسور الحال يسكنه الايطاليون من الطبقة المتوسطة . وكنا — كيهود — نشعر أثناء الاحتفالات بأعياد الميلاد وكأننا أغراب » .

ولكن اذا كانت أسرة كاهانا تشعر فى بعض الأحيان بالضيق والسأم خلال ايام العطلات المسيحية ، فانها كانت تجد فى هذا المسكن فى فلاتبوش ، نوعا من السلام الذى كانت سونيا وتشارلز ينشدانه قبل أن يذهبا الى أمريكا . ذلك أن والدى مائير كاهانا نشأ على بعد آلاف الاميال من بروكلين ، فى ظروف اقسى من ظروف ابنهما الأكبر الموهوب الغامض .

ولد تشارلز كاهانا فى قرية صفد بفلسطين — بالقرب من الحدود اللبنانية فى عام ١٩٠٥ ، بعد أن هاجرت أسرته الى هناك من جاليشيا فى عام ١٨٧٣ . وكان جده — باروخ ديفيد كاهانا قد رحل الى فلسطين — وكانت حينئذ منطقة منعزلة فقيرة تنتشر بها الملاريا اثناء حكم الامبراطورية العثمانية — وكان رحيله بناء على وصية حاخام سانزار ، وهو كبير أسرة ورعة ذات نفوذ ومعروفة بحماسها الدينى . وقد تلقى باروخ ديفيد — الذى كان هو شخصيا سليل أسرة ورعة مشهورة — تلقى التعليمات بالاشتراك فى اعادة بناء (صفد) التى كان قد دمرها الزلزال . كما خولت له مهمة توزيع الاموال والملابس على علماء الدين المعوزين . وكان معظم اليهود فى فلسطين رجال ورع وتقوى ، يعيشون على المنح والعطايا التى يقدمها لهم يهود الشتات . غير أن وصول باروخ ديفيد الى صفد أثار استياء بعض كبار الجالية اليهودية ، الذين أشاعوا أنه يحتفظ لنفسه بأموال الاغاثة ، ودفعوه الى تقديم استقالته . ولكن حاخام سانزار ، كتب اليه يقول : « لا تعبأ بهذا الهراء . فأجر من يرعون مصالح شعب اسرائيل عظيم ، كما جاء فى تفسير كلمات الحكماء . ومن ثم ينبغى عليك الا تدير ظهرك لما ميزتك به السماء » .

ولم تكن صفد هى المدينة الوحيدة من المدن اليهودية الأربع المقدسة فحسب ، ولكنها كانت أيضا « مركزا » للتصوف والعلم اليهودى منذ القرن الخامس عشر — وملجأ لكل يهودى يسعى الى كشف الحقائق المقدسة عن طريق المدونات والصيغ السرية الموجودة فى المعتقدات الصوفية عند أحبار اليهود ، والتى لو فهمت فهمـا كاملا لكان من المفروض أن تعجل بقدوم المخلص . وقد أصبح باروخ ديفيد وابنه نحمان من المؤمنين بهذه المعتقدات الصوفية الدينية ، وكانا يقضيان الساعات الطوال فى دراسات خاصة مع المتصوفين اليهود .

وقد جمع باروخ ديفيد بين هذا التصوف الدينى وحبه الشديد لصهيون . وقبل نشأة الصهيونية الحديثة بزمن طويل ، كتب باروخ كتابا أطلق عليه اسم « حب الارض » . وقد عبر فيه عن أهمية العودة الى اسرائيل أرض الشـعب اليهودى القديمة — وهى العودة التى يعتبرها اليهود المتدينون أمرا مقدسـا . ولم يذكر الكتاب أن فلسطين يقطنها عدد كبير من الشعب العـربى المعـادى لليهود ، الذين يعتبرونها بمثابة وطن لهم .

وخلال الحرب العالمية الاولى ، هدم الاتراك العثمانيون المحتلون أو أغلقوا العديد من مجامع التلمود الكبيرة فى فلسطين أثناء تقهقرهم أمام تقـديم الجيش البريطانى . وعندما ازدادت الحرب اشتعالا ، بعث نحمان بأبنه تشارلز ، الذى كان يبلغ من العمر حينذاك ثلاثـة عشر عاما الى أوروبا ، وألحقـه بمدرسة لدراسة التلمود (وهى مدرسة يتلقى فيها اليهود المتدينون علوم التلمـود) فى مدينة أوسويزيم و— بالقرب من معسكر أوشويتز النازى الذى قتل فيه العديد من اليهود فيما بعد ، والذى فقدت عائلة كاهانا معظم أفراد فرعهـا فى أوروبا الشرقية . وبعد ذلك بعدة سـنوات ، قبل تشارلز فى مدرسة أخرى أعلى مستوى لدراسة التلمود فى برسبيرج ببراتسلافا على الحدود المجرية البولندية .

وكان تشارلز — مثله كثير من طلبـة اليشيفا (مدارس لدراسـة التلمـود) ، الذين كانوا يملأون المجامع التى تدرس علوم التلمود فى أوروبا الشرقية فى الفترة ما بين الحربين العالميتين — كان مفلسا ، يعيش على الاعانات التى تقدمها الطائفة اليهودية . وقال نحمان شقيق مائير الأصغر « لقد كانت فترة عصيبة بالنسبة لوالدى . فقد اعتاد طلبة اليشيفا أن يأكلوا فى منـازل اليهود الأغنياء . ولكن والدى نشأ فى اسرة عريقة ، ومن ثم لم يكن يسـتطيع الجلوس على مائدة اسرة اقل عراقة من أسرته » . ولذلك ، كما قال نحمان ، كان والده يأكل فتات المطاعم وينام على مقاعد المعابد اليهودية .

واضاف قائلا : ان هذه الحياة جعلته عنيفا قاسيا ، مستقلا ، لا يعتمد على أحد . وبعد أربع سنوات من الدراسة تسلم تشارلز « رسامة » الكهنوت الحاخامى ، وفى عـام ١٩٢٢ ، وفى سن السابعة عشرة ، سافر بمفرده الى أمـريكا .

واذا كان تشارلز — والد كاهانا — متصلب الرأى ، فقد كانت والدته ، سـونيا ترينين ، مصنوعة من قالب من حـديد . وربما اكتسب مائير من أسرة والده الشـعور بأنه متميز وبأنه أعلى قدرا من قرنائه من اليهود . ولكنه اكتسب من أسرة والدته الحماقة والطيش فى تحديه للقوانين المعمول بها . فقد اكتسب مائير جزءا كبيرا من طبيعته المتقلبة من أسرة ترينين ، التى ورث عنها الحساسية البالغة . وكانت أسرة ترينين غير مستقرة وقلقة دائما . وكانت والدته سونيا مفرطة فى القلق والتردد حتى بالنسبة لأبسط الأمور مثل ذهابها الى احد المحال لشراء ثوب لها ، وكأن كارثة ستقع .

ومن المؤكد أن سونيا نشأت فى أوقات عصيبة . فقد ولدت فى عام ١٩٠٩ فى مدينة سيزيرين الروسية ، على بعد ٢٠٠٠ ميل تقريبا شرقى موسكو على نهر الفولجا . وكان جدها لأمها تاجرا كبيرا من تجـار الحبوب ، وكان يمد بها جيش القيصر . وكانت والدة سونيا ، وهى امرأة مثيرة للفتن والقلاقل وتتحدث ست لغات ، قد اعتقلت وحكم عليها بالاعدام بسبب تورطها فى السياسة مع الطلبة اليساريين خلال ثورة عام ١٩٠٥ التى تم احباطها الا أن جدها اسـتطاع أن يطلق سراحها بعد أن دفع رشوة كبيرة . ويقول اسحق ، الأخ الأصغر لسونيا « ان والدتنا كانت مدافعة حقيقية عن تحرير المرأة » .

وأصبحت سيزيرين أرضا للمعارك خلال الثورة الروسية ، تتبـادل السيطرة عليها الجيوش الحمراء والبيضاء . وفى عـام ١٩١٨ ، ألقى الجنود القبض على والدة سونيا أثناء قيامها بشراء اللبن من السوق السوداء . وعندما أخذوها بعيدا ، جرت وراءها سونيا ، تبكى وتتوسل الى الجنود ليطلقوا سراح أمها ، حتى تركوها . ولكن موجة من المذابح المنظمة ونقص الغذاء المسـتمر اضطر الاسرة الى الاتجاه ناحية الغرب . وقالت لى سونيا « لقـد سرنا على الاقدام مسافة عشرين ميلا قبل أن نجد زورقا يقلنا الى سمرقند » . وبعـد ذلك استقلوا قطارا الى سانت بيتسبرج حيث تم وضعهم فى الحجر الصحى لمدة ستة أسابيع فى ونتربالاس مع الآلاف غيرهم من اللاجئين . وقد مات عدد كبير منهم تحت وطأة التعذيب والجوع . وتقول سونيـا « كانت أمى تذهب الى الميدان الأحمر لتشترى البطاطس وتقوم بطهيها هناك تحت الجليد » .

واضطرت الاسرة فى النهاية الى الانتقال الى دفيسنيك فى لاتفيا ، مسقط رأس والدى سونيا . والتحقت سونيا بمدرسة ثانوية ألمانية ، ودرست اللغتين الالمانيـة واللاتينية . وكانت طاقتها الكبيرة ، وافتقارها الى الاهتمام بأخلاق مجتمعها ، تزعج أخاها الأصغر المشاكس بطبيعته . وفى ذلك الوقت ، كان معظم الرجال من اليهود فى أوروبا الشرقية يرتدون معاطف سوداء طويلة ، ويطلقون لحاهم بطريقة مهملة ، ويلبسون الثياب التى كان يرتديها الرجال فى العصـور الوسطى . وكانت النساء محافظات أيضـا . ولكن سونيا كانت يهودية متحررة

ــ مثلها مثل عدد متزايد من المحافظات على التقاليد فى أوروبا الشرقية اللاتى تأثرن بالتحولات الراديكالية التى اتت بها الثورة الفرنسية ، وعصر نابليون والعصر الصناعى . ويقول اسحق ترينين « كانت سونيا تذهب الى المراقص ، ولا تهتم كثيرا بدراستها وكانت تنتقل من شاب الى آخر . وكان سلوكها يثير اشمئزاز جيراننا ــ وكانوا من المتدينين الورعين » .

ويذكر اسحق أن السنوات الاولى فى لاتفيا كانت « سنوات شقاء » . ويقول « كانت العلاقة بين والدى مفزعة ، فقد كانا دائمى الخلاف والشجار . وكان الضحية هم كل الاطفال » . وزاد الطين بلة ، عندما أضاع والده معظم ميراثه الضخم على مشاريع فاشلة ، مما أغرق الاسرة فى الديون . وتقول سونيا « ان حاخامنا نصحنا بأنه ليس هناك بديل عن الرحيل الى أمريكا لنبدأ فيها حياة جديدة » . وفى عام ١٩٢٢ ، سافر والدها ، باروخ شالوم ، بمفرده الى أمريكا ، حيث أصبح بعد عدة سنوات فى كليفلاند حاخاما فى معبد بلينفيلد الصغير فى نيوجيرسى .

الا أن والد سونيا كانت لديه طموحات أكبر من ذلك . فبعد وصوله الى أمريكا بفترة قصيرة ، كون مجموعة صغيرة من الحاخامات المتزمتين المناهضين للقوانين المعمول بها ، تحدت زعامة اتحاد الحاخامات المتزمتين فى أمريكا ــ وهو أكبر هيئة للحاخامات فى البلاد تنظم كل شىء ابتداء من الطعام المباح فى الشريعة اليهودية حتى الزواج والطلاق ــ وفى ذلك الوقت ، كانت اليهودية الدينية فى أمريكا تمزقها الخلافات الصغيرة والصراعات الشخصية .وكانت بعض الحاخامات المتزمتين منفتحين على الحياة فى أمريكا ، بينما كان البعض الآخر متمسكا بالتقاليد الاوروبية الشرقية المتزمتة . وقد حضر اسحق ترينين ــ وهو صبى ــ مؤتمرا عقده اتحاد الحاخامات المتزمتين حيث شاهد رئيس الاتحاد ــ يصف احد الحاخامات بأنه شخص « جاهل » وذلك أمام الاعضاء الآخرين .

وكانت اكثر الصراعات والفضائح خطورة ــ تدور حول صناعة الطعام المباح فى الشريعة اليهودية ، والتى كانت استثماراتها فى العشرينيات تصل الى نصف بليون دولار سنويا . وكان الحاخامات المتزمتون يقومون بالاشراف على شعائر ذبح واعداد اللحوم والطيور الخاصة بهذا الطعام ، وكذلك على صناعة منتجاته الغذائية . وقد تفشى الفساد ، وكان الصراع على انتاج هذا النوع من الطعام والاشراف عليه ينتهى عادة الى اراقة الدماء . وخلال هذه الفترة ، اتهمت مجموعة ترينين شركة مانيشويتز ــ وهى اكبر شركة لتصنيع هذا النوع من الطعام ــ بانتهاك القوانين الغذائية الخاصة بصناعته ، وذلك وفقا لما ذكره احد ابناء عمومة تشارلز كاهانا ، وكان حاخاما مشهورا فى نيويورك ــ وكان تأثير هذا الاتهام بمثابة هزة عنيفة . وحتى يمكن

وضـــع حـــد لهذا الصراع ، منحـــت الشركة ، ترينين وظيفة مريحـــة ، وهى الاشراف على انتاج هذا الطعام خـــلال عيد الفصح عند اليهـــود . وبعد ذلك بفترة وجيزة ، تم اختطـــاف الحاخام يعقوب اسكولسكى ــ أحـــد زعمـــاء مجموعة حاخامات ترينين المتمـــردين ــ من منزله وقتله على أيـــدى منافسيه فى صناعة هذا النوع من الطعام ، على ما يبـــدو . وكانت هذه هى ذروة الفضيحة التى استمرت عشر سنوات والتى اضطرت بسببها ولاية نيويورك الى تشـــديد قوانينها على هذه الصناعة .

وفى عام ١٩٢٨ ، استدعى باروخ شالوم اسرته من لاتفيـــا . وتقـــول سونيا وهى تستعيد ذكرياتها « وصلنا الى ميناء نيويورك عشية عيد رأس السنة العبرية فى ٤ أكتوبر الساعة الثالثة مساء . وكان اليوم قصيرا ولكننـــا وصلنا الى منزلنا قبل يوم السبت » .

وعلى أية حـــال ، كانت هذه هى المـــرة الاولى التى تقابل فيها ســـونيا زوج المستقبل بطريق الصـــدفة . فقد جاء تشارلز كاهانا ــ الـــذى يكبرها بخمس سنوات ــ الى رصيف السفن مع بعض أصدقائه من الصهاينة اليمينيين ، للتظاهر أمام رئيس وزراء بريطانيا رمزى ماكدونالد ، الذى تصـــادف وصـــوله على نفس الســـفينة التى كانت تقـــل سونيا وأسرتها الى نيويورك . وكان الصهاينة يقومون بالضغط على البريطانيين للسماح بزيادة الهجـــرة اليهـــودية الى فلســـطين . وتذكر سونيا بعد أكثر من ستين عاما من هـــذا الحـــدث : « لقد رآنى تشارلز وســـط الزحام . وكنت أرتدى بدلة البحـــارة الزرقاء ذات الياقة البيضـــاء وقبعة صغيرة حمراء . وتوجـــه تشارلز الى أبى وسأله عما اذا كان فى حاجة لأية مساعدة فى حمـــل الحقائب . ورد عليه أبى باللغـــة اليدية (الالمانيـــة) قائلا : « من طلـــب منك هـــذا » ؟ . ولكننى لـــم أكـــد ألمحـــه . فقد كنت فى حالة ارتباك شـــديد . وكنت أريد العودة الى (لاتفيا) ولم أكن أفهم هذه اللغـــة . فقـــد كنت أتحـــدث باللغتين الروســـية واليدية (الالمانية) فقط . ولذلك تســـاءلت ماذا سأفعل هنـــا ؟ واضربت عن الطعـــام لمـــدة ثلاثة أيـــام » .

بيد أن تشـــارلز كان قد تكيف بسرعة مع الحيـــاة فى المنطقة الشرقيـــة من (مانهاتن) وهى منطقة مكتظة بالسكان ، شوارعها ضيقة وقذرة ، وتحدها من الجانبين منازل كثيرة الشقق آهلة بالسكان ولاسيما اليهـــود الذين وصلوا حديثا من أحياء اليهـــود فى أوروبا الشرقية . وكان أول شىء فعله تشـــارلز عند وصوله الى أمريكا هو قيامه بقص شعره الطويل ولحيته . ووضع قصاصات الشعر فى مظروف وبعث بها الى والده ، الذى كان يعيش فى فيينـــا . وكتب اليه يقـــول « لا أجـــد أحـــدا غيرك يحتفظ لى بها » . ثم ارتدى حلة أمريكية الصنع واتجـــه ليبحث له عن وظيفة .

وتقابل تشارلز مع بيرنارد برجمان الذى كان يبلغ من العمر ستة عشر عاما ، وذلك أثناء بحثه عن مكان يسكن فيه . وفى وقت قصير ، كما تذكر سونيا، أصبحا « صديقين حميمين » . وكان برجمان ، ذو اللحية الشعثاء والشعر الطويل المموج والسترة السوداء الطويلة التى يرتديها المتدينون المتطرفون ، قد نزح من المجر فى العشرينيات . وكان يعمل مع والده فى انتاج وبيع المسكرات على نحو غير شرعى عندما قابل تشارلز أول مرة . وبالرغم من أنه كان يبدو عليه الذكاء بشكل واضح لم يذهب الى المدرسة ولم يكن يتحدث اللغة الانجليزية . وسأل تشارلز صديقه الجديد باللغة البيدية : « ألا تتعلم ؟ ألا تتلقى أى نوع من التعليم ؟ » . اننى لم يمض على وجودى فى هذه البلاد سوى شهرين ، وقد اجتزت أربعة فصول فى المدرسة العامة » . وقد سر والد برجمان — وهو حاخام — من تشجيع تشارلز لابنه على دراسة اللغة الانجليزية ، وأعطاه سريرا صغيرا فى الدور السفلى من مسكن الاسرة الواقع بجوار محل تقطير الويسكى .

وقد أصبح برنارد برجمان فيما بعد من أغنى وأقوى اليهود المتعصبين فى العالم ، واصبحت له علاقات وثيقة مع الحزب الدينى الوطنى فى اسرائيل . وقد جمع ثروته من خلال انشاء مجموعة متنوعة من دور الرعاية الصحية التى كان يترك فيها المرضى العاجزين بلا رعاية غارقين فى بولهم . وقد وصفت صحيفة النيويورك ديلى نيوز تلك الدور بأنها عبارة عن مستودعات يلقى فيها كبار السن حتى يلقوا حتفهم . ولاشك ان برجمان قد تعلم أخلاقا تجارية من والديه ، اللذين لم يكونا يتاجران فى السلع المحرمة فحسب ، بل انهما أدينا فى عام ١٩٤١ بتهريب ثمانية كيلو جرامات من الهيروين من فرنسا فى اغلفة الكتب الخاصة بالصلوات العبرية . وتقول سونيا « ان برنارد برجمان كان يتاجر فى جميع أنواع التجارة القذرة » . وتضيف « انه كان يترك جثث الموتى فى الثلاجات الموجودة فى دور التمريض ليحصل على دفعات الضمان الاجتماعى الخاصة بهم . وعندئذ ، وبعد أن اتهم (فى عام ١٩٧٤ بالاحتيال) ، وقف أمام كاميرات التليفزيون وقال « الله شاهد على ، اننى برىء » . وقد أدين برجمان فيما بعد بالاحتيال والرشوة وقضى عاما فى السجن فى ريكرزايلاند .

ولكن فى فترة العشرينيات ، عندما بدأ والدا برجمان عملهما غير المشروع ، كانت تجارة المحرمات تجارة رائجة . فقد كانت الحانات وبيوت الدعارة عبارة عن علب ليل أمريكية فريدة فى نوعها ، حيث كان عالم الرذيلة الذى تسيطر عليه العصابات الاجرامية اليهودية والايطالية خلال وقبل سنوات الحرب — يجمع بين الصفوة من رجال الصناعة والبنوك وبين الشخصيات التى تنشد المتعة والتسلية . واصبح تجار المحرمات اليهود اكثر احتراما بتحويل أرباحهم الى الاعمال المشروعة والعقارات والمعابد اليهودية ، ثم بعد ذلك

الى اسرائيل . واستطاعوا ايضا السيطرة على اتحادات العمال وشراء رجال السياسة ورجال الشرطة وأصحاب الصحف .

وقد نصح تشارلز صديقه بأن تجارة المواد المحرمة لا يمكن أن تشترى احترام الناس ، ورغم هذا كان مخطئا فى ذلك ، فبعد مرور عدة سنوات ، كما تذكر سونيا ، استطاع برنارد برجمان أن يشترى شهادة الحاخامية من جامعة اليبشيفا .

وبعد انتقال تشارلز للسكن فى الدور الاسفل من منزل برجمان بفترة وجيزة ، وقعت عينه على سونيا وهى تدرس فى المكتبة العامة فى نيويورك . وتذكرها ، تذكر تلك الفتاة الجذابة الحائرة التى شاهدها فى الميناء . ولكنه لم يستطع الاقتراب منها أو التحدث اليها بسبب خجله .
وبدلا من ذلك استطاع أن يعرف اسمها من أحد الاصدقاء . ويقول اسحق ترينين « فى اليوم التالى جاء تشارلز مستقلا سيارة أجرة ووقف أمام منزلنا الواقع فى بلينفيلد » . وكما تذكر سونيا « توجه تشارلز الى منزلنا وشاهد أبى جالسا فى حجرة المكتب ممسكا فى يده الجيموراه (كتاب عن الصلاة اليهودية) . ودمدم والدى قائلا « انك الشخص المزعج عند السفينة » . وخلال عام واحد كنا قد تزوجنا » .

وعندما انتقل تشارلز وسونيا للسكن فى فلاتبوش كان تشارلز قد أصبح رجلا قصير القامة ممتلىء الجسم ، يتحدث اللغة الانجليزية بطريقة تدل على أنه قد بذل جهدا كبيرا لتتغلب على ما لديه من لكنة . وبالرغم من أنه لم يكن من كبار المثقفين أو العلماء ، كان لديه غرور وطموحات المثقفين . فقد بذل جهدا كبيرا فى ترجمة « كتب موسى الخمسة » من اللغة العبرية الى اللغة الانجليزية ، مما وضعه فى مستوى يفوق قليلا مستوى الحاخام العادى ، حتى أن صحيفة النيويورك تايمز نشرت مقالا عن هذا الانجاز . ولكن ذلك لم يكن هو كل ما يطمح اليه تشارلز . فقد اشترى شهادة دكتوراه فى الفلسفة من كلية للدراسات بالمراسلة ، وقال لأصدقائه انه حصل عليها من جامعة كولومبيا ، وزعم أنه كان يدرس فيها ثلاثة أيام فى الاسبوع منذ عدة سنوات ، وفقا لما قاله اسحق ترينين . وقال أيضا لأصدقائه انه حصل على شهادة جامعية فى علم الغابات ، رغم أن معرفته الحقيقية بالطبيعة لم يكن يحصل عليها الا من خلال جولاته الطويلة فى بروسبكت بارك ببروكلين التى كان يلجأ اليها هربا من ضغوط الحياة الاسرية . وتقول سونيا « كانت الطبيعة تهدىء من أعصابه . وعندما كان يشاهد عالم الحيوان فى التليفزيون فى ليالى الاحد ، فاننا لم نكن نستطيع التحدث معه » .

ومن ناحية اخرى ، كانت سونيا لا تستطيع الاسترخاء . وكانت معروفة بين جيرانها بأنها دائمة الصراخ ، وانها امرأة عصبية المزاج ، دائمة

الانفعال ، تتمتع بطاقة لا حدود لها وبصوت يسمعه الاطفال الذين يلعبون على مسافة بعيدة من المنزل . وتقول انها : « نظرا لذكائها وطموحاتها تم قبولها فى البرنامج التمهيدى لدراسة الطب فى جامعة نيويورك ، بالرغم من أن والدها لم يكن ليسمح لها بحضور هذا البرنامج لان رسوم التعليم فيه كانت باهظة للغاية . ولكنها استطاعت فيما بعد أن تكون من بين أوائل النساء اليهوديات المتعصبات فى بروكلين اللائى تعلمن قيادة السيارات . وكانت سيارتها البلايموث الخضراء موديل ٣٨ — التى كانت تقوم بغسلها وتلميعها هى وشقيقها نحمان بعناية فائقة فى نهاية كل أسبوع حتى أتلف مائير تروسها هى مصدر قوتها على تشارلز ، الذى فشل عشرات المرات فى اجتياز اختبارات القيادة ، ولم يحصل على الاطلاق على رخصة قيادة . وتقول احدى قريباتها « ان سونيا كانت زوجة فاشلة ، فقد كانت ترغب فى الالتحاق بمدرسة الطب . أما تشارلز ، الذى كان يعتقد أنه متفوق عليها ، فانه لم يكن يستطيع حتى القيادة . وقد اعتادت سونيا أن تلعب بمفاتيح السيارة أمامه لاغاظته » .

وكانت أشغال الابرة التى تقوم بها سونيا تثير غضب تشارلز ، وكان ينفس عن غضبه بتوبيخ ابنه الاكبر . ولاشك أن التوترات داخل الاسرة تركت اثرها على مائير . فقد كان يعانى وهو فى المدرسة الابتدائية من مشكلة حادة هى الفأفأة . وقد حاولت سونيا وتشارلز اظهار الشعور بالدفء الاسرى أمام مائير ، لكن « زواجهما كان زواجا فظيعا مثل زواج أبى وأمى » ، وفقا لما قاله اسحق ترينين . « لقد كان تشارلز يصرخ دائما ويهين مائير بصفة مستمرة . وكان دائم الغضب والانفعال . واننى أتذكر أن تشارلز صفع أخى الصغير الذى كان يبلغ من العمر عشر سنوات حينذاك على وجهه لمجرد انه أخذ بعض الحلوى . وكان دائما يفزع مائير وسونيا . لقد كان تشارلز طاغية » .

وربما يرجع قدر كبير من الغضب الذى كان يصبه تشارلز على مائير الى القواعد الصارمة التى وضعها تشارلز لابنه . فحتى قبل أن يستطيع مائير الكلام ، كان تشارلز يشعر بأن هناك شيئا غير عادى بالنسبة لهذا الطفل الخجول الحساس — وأن الله قد أتى به الى هذه الدنيا لينقذ الشعب اليهودى . وربما يفسر ذلك الى حد كبير سبب تشجيع تشارلز لابنه على انتهاج طريق التشدد ، وسبب خلط مائير ، فيما بعد ، بين مصير اسرائيل ومصيره . وقد صرح تشارلز لمراسل صحيفة النيويورك تايمز ذات مرة « بأنه ربما ارسله القدر ليأتى بالخلاص لشعبه المعذب فى جميع أنحاء العالم . فليساعده الرب فى تحقيق هذا الهدف » . فاذا ظهر — كما كان يبدو كثيرا — أن مائير الصغير قدتخلف عن الموعدالمحدد فى أن يصبح المنقذ لشعبه ، فقد كان والده يسخر منه بكل قسوة .

وربما كان مائير كاهانا لا يريد أن ينشأ تحت هذا الضغط العاطفى ، ولكن من المؤكد أنه كان يميل للشعور بأن العالم يدور حوله . ويذكر

الان مالينبوم ، صديق طفـولة مائير الذى كان يتردد على منزل كاهانا بصـفة دائمة « بالنسبة لسونيا ، لم يكن من الممكن أن يخطىء مائيرا أبدا . وكان تشارلز أيضا يتطلع اليه باعجاب . فقد كان حقيقة مبعث فخرا أبيه ومصدر بهجته . وليس معنى ذلك أنهما كانا لا يكنان الحب لنحمان ، ولكن نحمان نفسه كان يتطلع لأن يكون مثل مارتى » . والمثير للسخرية أنه عندما تمرد مائير فى نهاية الأمر ، لم يكن تمرده على سيطرة والده بقدر ما كان على ما يراه أنه اخفاق منه فى ممارسة الدين . وعنـدما التحق مائير بالمدرسة ، كان يتمتع بالصفـاء الدينى والروح العملية الثائرة . وعلى خلاف تشارلز الذى كان يحاول مجاملـة جمهوره الذى كان يسعى جاهدا لأن يصبح أمريكيا مائة فى المائة ، لم يكن مائير يقبل أية حلول وسط إزاء اتبـاع التقاليد . وكان مائير يحس بالاحباط عندما يجد أن معبد والده ليست به (مهيتزا) ، وهى الستارة التى تفصل الرجال عن النساء أثناء الصلاة كما هى الحال فى المعابد الدينية الأخرى . وعندما كان شابا فى سن المراهقة ، تم طرده بالفعل من حركة بناى أكيفا ، وهى حركة دينية تضم الشباب اليهود بسبب محاولته منع الرجال من الرقص مع النساء . ومع نمـو شعوره بأهميته ، أصبح أكثر حرجا بوالـده الذى كان ، بالرغم من شـهرته فى بروكلين ، لا يزال مجرد حاخام فى حى من الاحياء . ويقول أحد أصدقاء الأسرة « كان مائير يعطينى الانطباع بأنه لا يريد أن يكون مجرد حاخام دينى صغير . فقد كانت لديه طموحات واسـعة » .

وثمـار طموحات مائير كاهانا موجـودة الآن فى شقة والدته المتواضعة فى القدس . وفى الحديث الصحفى الذى أجريته فى نوفمبر عام ١٩٨٧ — وهو واحد من الاحاديث القليلة التى أدلت بها خلال العشرين سنة الماضية — قالت لى سونيا كاهانا ، التى تبلغ من العمر الآن سبعة وسبعين عاما ، أن ابنها الكبير كان صبيا عاديا شأنه شأن أى صبى يهودى ذكى نشأ فى فلاتبوش خلال الحرب العالمية الثانية . وكنا نتحدث فى شقتها الصغيرة الكئيبة ، تحيط بنـا عشرات الكتب التى كتبها ابنها ، والتى تحمل عناوين تنم عن الغضب والتحدى مثل : « يجب أن يذهبوا » ، « اشواك فى عينيك » ، « لن يحدث مرة أخرى أبدا » . وفى حجرة الطعام وأعلى المائدة توجد صورة كبيرة لمائير مرسومة بالزيت ، واضعا يده على خده ، يومىء بعينيه البنيتين ، وخلفه علم اسرائيل منشورا . وقالت سونيا باصرار « ان مائير كان طفلا طبيعيا صحيح الجسم » — قالت ذلك واشعة شمس للغروب تتخلل زجاج النافذة المفتوحة وقد توهـج وجهها الذى تملؤه التجاعيد . واضافت قائلة « ان ابنى كان خبيرا فى لعبة تنس الطاولة . وكان يلعب كرة السلة . وقد اعتدت ان العب معه كرة اليـد حتى انحنى ظهرى . وكان يتمتع بصوت جميل . وكان أساتذته يصحبونه معهم الى دور المسـنين لتسليتهم . ان ابنى طبيعى ، ونقاده هم المجانون .

الفصـــل الثـــانى

الصـــحوة السياسية

فى صباح يوم مائل للبرودة من أيام شهر مارس عـــام ١٩٣٨ ، اختبأ ثلاثة من العرب الفلسطينيين فى حفرة تمتـــد بمحاذاة الطريق بين حيفا وصفد ، ينتظرون فى صبر وصول سيارة تقل بعض اليهود . وقبيل الســـاعة الثالثـــة من بعد ظهر نفس اليوم ، مرت سيارة أجرة تقل عشرة من اليهود العـــائدين من حفل زفاف فى تل ابيب ، بمكان قريب من قرية ساجور العربية ، بين مجـــد الكروم وراما . وعندما كان السائق يحاول تفـــادى صـــخرة موضوعـــة فى الطريق ، انطلق العرب من مخبئهم ، وأخذوا يطلقون بوحشية نيران بنادقهم الانفيلد الاوتوماتيكية بريطانية الصـــنع صوب السيارة .

ولم تستغرق هـــذه المذبحـــة وقتـــا طويلا . وأصيبت زيبورا كاهانا ، زوجة شقيق تشارلز كاهانا التى كانت تبلغ من العمر حينـــذاك سبعة وثلاثين عاما ، بطلقتين فى صدرها وتوفيت على الفور . وأصيبت والدتهـــا التى كانت تبلغ من العمر واحـــدا وسبعين عاما بثـــلاثة أعيرة نارية فى رأسها مباشرة . وبلغ مجموع من لقوا حتفهم ستة أشخاص ، من بينهم سيدة شابة كانت لا تزال على قيد الحيـــاة بعد اصابتها ولكن تـــم سحبها الى منحـــدر مـــن الصـــخور واغتصابها حتى الموت . أمـــا ابنة زيبورا ، وتدعى ريبيكا وكانت تبلغ مـــن العمر عاما واحـــدا ، فقـــد عثر عليها رجال الشرطة مدفونة حية تحت جثـــة أمها المضرجة بالدماء .

وكانت المذبحة التى وقعت بالقرب من قرية ساجور ، والتى أســـفرت عن مقتل خمســـة من أسرة تشارلز كاهانا ، تعتبر من أسوأ حوادث العنف فى الصراع الدموى المتزايد بين العرب واليهود فى اسرائيل . وفى ساعة متأخرة من نفس اليوم ، تم العثور على قنابل لم تنفجـــر بعد فى الاحيـــاء اليهودية من القدس وحيفا ، كما تم العثور على اثنين من شباب اليهود الالمـــان مقتولين بالقرب من جبل المكبر .

واغـــلق الحى اليهودى فى صفد ، حيث كان يعيش ضحايا الذبحـــة ، وخرج الآلاف ، من بينهم رئيس الحاخامات فى فلسطين ، ليشتركوا فى الجنازة . وتم دفن من لقوا مصرعهم من أسرة كاهانا فى مقبرة مجاورة لمقابر اليهود الذيـــن قتلوا على أيدى العرب فى المذابح المنظمة المناهضة للصهيونية والتى وقعت خلال عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٦ .

وطوال عـــدة أيام عقب مذبحة سيارة الاجرة ، خرجت الصحف العبرية تحمل صورا مروعة للقتلى اليهود ، لاثارة غضب اليهود . أما الصحف الفلسطينية فقد أضفت الشهرة على القتـــلة دون أدنى تعليق أو تنديد . وقـــد ظل العرب واليهود فى فلســـطين يقتل بعضهم بعضا طـــوال عشرات الســـنين ــ وكان البريطانيون ــ الذين كانوا يحكمون فلسطين منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ــ يبدون عاجزين عن ايقافهم . وكان الصهاينة ، الذين بدأوا يصلون بأعـــداد كبـــيرة من أوروبا الشرقية فى أوائل القرن العشرين ، يسعون الى اقامة دولة يهودية تكون ملجأ لهم بعد قرابة الفى عـــام من الاضطهاد . أما العرب ، الذين كانوا يعيشون فى فلسطين لاجيال عديدة ولديهم طموحاتهم فى تقرير المصير ، فقد كانوا يسعون لايقافهم . وفى عام ١٩٣٦ ، وفى أعقاب زيادة الهجرة اليهودية من ألمـــانيا النازية ، ثار العرب الفلسطينيون ضـــد نظام الانتداب البريطانى . واخذت القوات البريطانية ولمدة ثلاث سنوات تخوض معارك ضارية مع رجال حرب العصابات من العرب ، مما أسفر عن وقوع خسائر فادحة . وفى الوقت الذى تم فيه سحق هذه الثـــورة ، كان المجتمع الفلسطينى وقد أصـــبح من الضعف بحيث لم يعـــد قادرا على تحدى المطلب الصـــــهيونى باقامة دولة يهودية .

وقد أبدت المنظمات الصهيونية الرئيسية فى ذلك الحين ، قدرا كبـــيرا من ضبط النفس فى مواجهـــــة الهجمـــات الارهابية المتزايدة التى كان يشنها الفلسطينيون . وانتهجت قوات الهاجاناه ، وهى قوات يهـــــودية شبه سرية للدفاع عن النفس تابعـــــة للوكالة اليهودية ــ وهى الحكومة اليهودية المؤقتة فى فلسطين برئاسة ديفيـــد بن جوريون ــ انتهجت هذه القوات ســـــياسة لضبط النفس أطلقت عليها اسم الحافلاجا . غير أن منظمة الارجون الصـــغيرة ، وهى الجنـــاح المتشدد فى حركة زئيف جابوتنسكى التحريفية ، كانت تقـــوم بأعمـــال ارهابية عشـــوائية ضد المدنيين العرب ، مثل وضع القنـــــابل فى الاســـــواق والحافلات العربية .

وعقب مذبحة سيارة الاجرة ، قام ثلاثة من الشباب اليهود باحدى القرى القريبة من صـــفد ، بنصب كمين لاحدى حافلات المدنيين العرب ، وأطلقوا عليها المدافع الرشـــاشة والقنـــابل اليدوية . وبالرغم من أن جميع الركاب قد نجوا بمعجزة ، فقد ألقت السلطات البريطانية القبض على الشبان الثلاثة ، وكانوا جميعا أعضاء فى حركة بيطار ، وهى الجناح الشبابى للحركة التحريفية ولكى تظهر للعـــرب عدم التســـامح مع عمليات الارهاب اليهودية ، أصدرت احدى المحاكم البريطانية حكما بشنق بن يوسف قائد المجموعة الارهابية باعتبـــــاره ارهابيا مذنبا . وفى طريقه الى المشنقة أخذ هذا اليهودى القادم من بولندا والبالغ من العمر ثمانية عشر عاما يردد « أغنية بيطار » :

من حفرة العفن والتراب ،

من خلال الدم والعرق

سوف ينشأ جيل منسا ،

جيل العزة والكرامة والقوة

وقد أثار شنق بن يوسف غضب الطائفة اليهودية فى فلسطين ، مما فجر سلسلة من الاحداث التى أدت الى تطرف السياسة الصهيونية . فقد شنت جماعة الارجون غارات محمومة دون تمييز ضد المدنيين العرب ، اعتقادا منها بأن البديل الوحيد للقبضة الحديدية هو التهدمة والاسترضاء الذى سيؤدى ، كما جاء فى تصريحات أحد زعمائها ، مناحم بيجين ، الى « سلام المقبرة » . وبدأت جماعة الهاجاناه ، التى تخلت عن سياسة ضبط النفس ، تنتقم من العرب الذين كانوا يشنون الهجمات ضد الاهداف اليهودية .

وفى الوقت نفسه ، انشقت مجموعة كبيرة من أسرة كاهانا فى فلسطين الى جناحين : جناح موال للارجون ، والآخر موال للهاجاناه . وانضم موشى كاهانا ، الذى لقيت والدته مصرعها خلال مذبحة سيارة الاجرة ، الى جماعة الارجون وأصبح ضابطا فى المخابرات فى القدس برتبة عالية ، حيث ساعد فيما بعد فى وضع الخطة الارهابية لضرب مقر البريطانيين فى فندق الملك داوود بالقنابل فى عام ١٩٤٦ ، حيث لقى حوالى ٩١ شخصا مصرعهم وأصيب ٤٥ آخرون .

وسافر موردخاى كاهانا ، الذى كان فى تل أبيب عندما لقيت زوجته زيبورا مصرعها فى مذبحة سيارة الاجرة ، الى نيويورك . وانتقل الى منزل أسرة كاهانا فى فلاتبوش ، حيث عاش فيه عدة سنوات متفرغا لجمع الاموال للمؤسسات اليهودية ، وظل حادث مقتل زوجته يؤرقه حتى مماته .

ولا شك أن تلك المذبحة التى وقعت فى فلسطين ظلت بمثابة الجرح الذى لا يندمل بالنسبة لاسرة كاهانا فى بروكلين . وقد قالت لى سونيا « أعتقد أنه منذ تلك اللحظة بدأت كراهية مائير للعرب » . وليس ذلك بالامر الذى يدعو للدهشة ، فقد كان موردخاى وتشارلز يتحدثان كثيرا عن المذبحة على مائدة يوم السبت . وكان الرجلان يعلنان أن العلاج الوحيد للارهاب العربى هو الارهاب اليهودى المضاد . وبالرغم من أن مائير كان لا يزال فى ذلك الوقت طفلا صغيرا ، كانت تشده القصص التى كان يرويها والده عن البطولة اليهودية والقسوة العربية فى فلسطين . ويقول موشى ، شقيق موردخاى ، والذى كان ضابطا سابقا فى مخابرات الارجون ، وغادر اسرائيل فى عام ١٩٥١ ليعمل حاخاما فى السويد ثم أصبح حاليا حاخاما فى هيوستن بتكساس — قال « ان تشارلز أشرب مائير فكرة الكبرياء اليهودية بكل معانيه . وعلم أبناءه القوة الروحية لليهود ، وكذلك شجاعتهم المادية، وذلك من خلال القصص التى كان يرويها من التوراة . كما علمهم القصاص الذى ورد فى العهد القديم « العين بالعين » .

ولا شك ان كاهانا الصغير كان مبهورا بتاريخ اليهود فى التوراة ــ ولا سيما حياة الملك داوود ، الذى نظم المزامير وقاد شعبه الى الحرب . وعندما بلغ مائير الخامسة عشرة من عمره ، شجعه والده على الانضمام الى حركة بيطار . وقد تطور الانصهار بين الصهيونية السياسية اليمينية والقومية اليهودية والشعور الفطرى لدى مائير بمصير الخلاص ، الى جانب حب الاستطلاع رجل الشارع الشديد لديه لما يحدث فى العالم الخارجى ــ تطور الانصهار بين كل هذا ، الى رؤية اكثر قتامة فيما بعد .

وقد انضم تشارلز نفسه الى الحركة التحريفية اليمينية فى اوائل العشرينيات وكانت نيويورك حينذاك تشبه المستنبت الفكرى الكبير الذى تتصارع فيه الايديولوجيات المتنافسة لاستقطاب شباب اليهود . واستطاعت الثورتان الشيوعية والاشتراكية جذب ولاء الكثيرين ببذل الوعود بتحقيق العدالة للمضطهدين ولا سيما للأقلية اليهودية الموجودة فى روسيا .

وفى الوقت نفسه ، كان الحلم الصهيونى قد اختمر وانقسم الى الرؤى المتنافسة لكل من جابوتنسكى وبن جوريون . واختار الكثيرون من المهاجرين اليهود الجدد الذين أغراهم سحر أمريكا ، قصر طرق المقاومة ، المتمثل فى الاندماج وكان العديد من تلك التيارات تتنافس وتتصادم فيما بينها خلال الحلقات الدراسية التى كانت تعقد فى نيويورك بجامعة البيشيفا ، التى التحق بها تشارلز بعد وصوله الى الولايات المتحدة الامريكية . وكانت البيشيفا متعصبة للغاية ، لانها كانت تعقد اجتماعات للطلبة لمناقشة الايديولوجيات السياسية والدينية المتنافسة . واصبح تشارلز رئيسا لجماعة البيشيفا التحريفية ، التى كانت تلى من حيث الحجم حزب مزراحى ــ وهو الحزب الصهيونى الدينى .

ويقول نحمان « لقد كان والدى رجلا غير عادى . فمن ناحية المظهر الخارجى كان نموذجا للوقار الفكرى والمودة والسكينة . أما من الداخل فقد كان متطرفا . وربما كان هناك نوع ما من التقسيم الوراثى ، حيث يقول الناس أننى وأخى قد ورث كل منا أحد جوانب والدنا » .

وفى منتصف الثلاثينيات ، أصبح تشارلز واحدا من الاعضاء المؤثرين فى جماعة الأرجون بالولايات المتحدة ، حيث كان يقوم بجمع الاموال لشراء الاسلحة ويساعد فى تهريبها الى فلسطين . ويقول نحمان « لقد كانت لوالدى علاقات واسعة بالجماعات السرية فى فلسطين ، مما كان له أثر قوى على حياتنا الاسرية » . ومن ثم لم يكن مستغربا أن يجد عدد كبير من الاشخاص البارزين من الصهاينة اليمينيين طريقهم الى مائدة العشاء التى كان يقيمها تشارلز فى منزله كل يوم سبت . وكان يوسف بورج ، الذى أصبح فيما بعد رئيسا للحزب الدينى الوطنى القوى فى اسرائيل ، ضيفا دائما على والدى .

كما كان هناك ضيف آخر ، ضئيل الجسم غير جذاب ، كان يتولى توجيه حرب الارهاب التى كانت تشنها الارجون ضد البريطانيين والعرب الفلسطينيين — هو مناحم بيجين . وتذكر سونيا « ان تشارلز وبرنارد برجمان هما اللذان أنشآ النادى الاسرائيلى فى بروكلين ، وعندما كان يحضر بيجين الى المدينة فى اى وقت ، كانا يقيمان له حفل استقبال كبيرا .

وعندما كان مائير فى حوالى الرابعة من عمره ، ظهر فى حياته لاول مرة زئيف فلاديمير جابوتنسكى ، الذى يعتبر أكثر الشخصيات الصهيونية اثارة للجدل وربما أكثرها جاذبية . ففى مارس عام ١٩٤٠ ، زار منزل كاهانا بعد يوم واحد من القاء خطابه المثير أمام حشد كبير من الجماهير فى قلب مانهاتن ، حيث دعا الى انشاء جيش يهودى فى فلسطين يحارب الى جانب الحلفاء . وتذكر سونيا « انه فى اليوم التالى ، حضر جابوتنسكى الى منزلنا . وعندما دخل المنزل ، اتجه الى زوجى ودار بينهما حديث هادىء . وسمعت زوجى يقول له « لا تقلق ، سوف أحرص على النقود » . وقد نزل جابوتنسكى ضيفا فى منزل كاهانا فترة قصيرة .

وبالرغم من ان جابوتنسكى كان رجلا مهذبا الى حد كبير ، وبورجوازيا مثقفا ومتحررا ، كان الكثير من اليهود يعتبرونه فاشستيا ، واطلق عليه بن جوريون اسم « فلاديمير هتلر » . ففى أوائل عام ١٩٠٦ ، أنشأ جابوتنسكى فيلقا يهوديا للدفاع عن النفس فى أوديسا . وخلال أعمال الشغب التى قام بها العرب فى عام ١٩٢٠ ، كون جابوتنسكى لواءا يهوديا للدفاع عن النفس فى القدس . وفى عام ١٩٢٣ ، كون فى ريجا ، بلاتفيا ، حركة بيطار ، وهى شبابية دولية شبه عسكرية . بل انه أنشأ أيضا أكاديمية بحرية يهودية فى جنوب ايطاليا . وكان جابوتنسكى يحظى بتأييد كبير بين يهود أوروبا الشرقية الذين كانوا يعانون الاضطهاد والمذابح الجماعية ، ويؤيدون دعوته لتشكيل وحدات عسكرية وبوليسية يهودية محلية للدفاع عن النفس . وكان لابد أن تجتذب حركته ذات الطابع العسكرى عددا لا بأس به من المتعصبين المتحمسين ، الذين كان يميل بعضهم لموسولينى ، ويعارض معظمهم روح الديمقراطية الليبرالية التى كانوا يشعرون بأنها قد شوهت الصهيونية .

وفى حين أن عددا كبيرا من صهاينة العمل كانوا من المثاليين الاشتراكيين الذين يؤمنون بأن العمل البدنى على أرض اسرائيل يمكن أن يحيى ويرفع من الروح اليهودية على طريق تحقيق نوع من التحرر الدينى العلمانى ، فى حين ، كان اتباع جابوتنسكى الذين جاءوا من بين صفوف صغار التجار ، يؤمنون بأن القوتين السياسية والعسكرية تستطيعان وحدهما وضع نهاية للمحن التى نجمت عن الشتات . وفى الوقت الذى كان يقوم فيه صهاينة العمل بنزح المستنقعات

وبناء المستوطنات ، وانشاء مؤسسات الدولة — كان التحريفيون لا يقومـون الا بوضع أيديولوجية ترتكز على أساس مبدأ « أما النصر أو الموت » .

بيد أن جابوتنسكى كان يرى بوضوح أكثر من غيره من الزعماء الصهاينة الاخرين فى عصره ، احتمال حدوث الابادة الجماعية . فقد أعلن فى خطاب القاه أمام مجلس اللوردات فى لندن فى ١١ فبراير عام ١٩٣٧ : « اننا نواجه كارثة كبرى » ، مؤكدا أن اقامة دولة يهودية فى فلسطين على الفور يمكن وحدها أن تنقذ الشعب اليهودى المعرض للخطر . وبمعارضته للوكالة اليهودية التى يسيطر عليها الاشتراكيون فى فلسطين حول العديد من القضايا — ابتداء من سياسات الهجرة وانتهاء بالعلاقات مع العرب المحليين — وعدم رضائه التام عن دبلوماسيتهم البطيئة المتمثلة فى « فدان تلو فدان ، وعنزة تلو عنزة » ، بهدف اقامة وطن يهودى — بمعارضته وبعدم رضاه ، انفصل جابوتنسكى عن الحركة الصهيونية الدولية الرئيسية وكون منظمة صهيونية مستقلة تعرف باسم الحركة التحريفية ، فى ابريل عام ١٩٣٥ .

وبالرغم من اعجاب عشرات الآلاف من اتباعه به ، كانت حركته تعانى من نقص دائم فى الاموال ، وكان جابوتنسكى نفسه يعيش فى فنادق الدرجة الثالثة وكان عليه أن يبحث دائما عن المال . وكانت اكثر المساعدات المالية التى يحصل عليها تأتى من الطوائف اليهودية المقيمة فى بولندا ونيويورك . وبالرغم من اعتراضه على روح الديانة اليهودية المتعصبة المناهضة للديمقراطية — أدخل جابوتنسكى ما أطلق عليه أحد المؤرخين « بندا رئيسيا شبه دينى » فى دستور الحركة التحريفية عام ١٩٣٥ من أجل جمع الاموال من الطائفة الدينية . وتقول سونيا أن تشارلز جمع لجابوتنسكى مبلغ ٣٠٠٠ دولار خلال الزيارة التى قام بها فى مارس عام ١٩٤٠ ، وتضيف سونيا قائلة : « انه لم يكن يملك ١٥ سنتا لشراء علبة سجائر عندما جاء الى منزلنا ، ولكننى أذكر أنه كان يدخن سجائر موارد ، وهى أغلى أنواع السجائر فى ذلك الحين » . وبالرغم من أنه كان موهوبا فى اللغات ويتحدث باثنتى عشرة لغة — كانت لغته البولندية ضعيفة . وتقول سونيا « أنه كان يجلس الساعات الطوال فى مكتبنا يدرس اللغة البولندية . وأذكر قوله طالما أننى فى طريقى الى بولندا . فانه كان يجب أن اتحدث اللغة البولندية بطلاقة » . وتذكر سونيا أن مائير كان يرهب هذا الضيف المشهور . « وكان يتبعه من حجرة الى حجرة . وفى يوم من الايام كان مائير يجلس عند قدميه وكان جابوتنسكى يقول له « مائير ، تتبع خطواتى » . وأقول لك أنه كان ينوم هذا الطفل تنويما مغناطيسيا » .

وكانت حياة مائير الاسرية المتسمة بالنقاء الروحى والزاخرة بالاساطير الصهيونية والتى كان أعضاء الاسرة فى فلسطين يمرون عبرها بطبيعة الحال

تجعله على صلة بالتطورات الرئيسية فى الحياة اليهودية ـ مثـــل الابادة الجماعية واقامة دولة اسرائيل . وقد أعطته مقابلته لجابوتنسكى مثالا يحتذى للبطل المناضل . وعلمته معرفته بمذبحة اقربائه على ايدى العرب الفلسطينيين واتصالات والده الخفية بالحركات السرية الارهابية اليهــودية أن استخدام الاسلحة بطريقة بطولية خارقة والجراة فى الدفاع عن الشعب اليهودى ليس أمرا ضروريا فحسب وانما هى أيضا واجب مقدس . ولكن الاهم من كل ذلك ، أن الدعوة الى تحقيق الوعد القديم باستيطان وبنـــاء أرض اسرائيل كانت تسيطر على تفكيره منذ الصغر . وقد ذكر لى نحمان ونحن فى معبـــده الصغير المتقشف الذى يقع فى حى المسلمين بمدينة القدس القديمة المحاطة بالاسوار « لتعلم أن أرض اسرائيل لم تكن شيئا مجردا بالنسبة لنا لقـــد كنا مرتبطين بفلسطين بأقوى الروابط الطبيعية . وكنا نعلم دائمـــا أننـــا سنعود اليها ولم يكن الامر الا مسألة وقت فقط .» .

ومثله مثل الكثيرين من الصبية اليهود الذين شبوا خلال سنوات الحرب كانت تسيطر على مائير هواجس الابادة الجماعية . وقد صرح كاهانا لصحيفــة الواشنطن بوست فى عام ١٩٨٤ بقوله « لقد كنت أعرف كل شىء عن الابادة الجماعية عندما كنت طفلا فى العاشرة . وعندما قال زعماء اليهود : « اننـــا لم نكن نعلم ذلك ، لم يكن هذا الا هراء . اننى أتذكر أننى سمعت عنها » . والواقع أنه بدأت عبارة معسكرات الموت النازية تتردد فى أوساط الطـــائفة اليهودية فى نيويورك ، كان الشاب مائير يرى وهو يقود الشباب من اليهود فى زى الكشافة ويتدربون تدريبات عسكرية وهمية فى شـــوارع فلاتبوش الهادئة التى تحف بها الاشجار على الجانبين . ويقول أحد أصدقاء طفولته « كان مارنى يتحدث دائما عن الابادة الجماعية ويقول انها لن تحدث مرة أخرى وان اليهود الامريكيين سيكونون مختلفين » .

ويذكر مارشيا جرينوولد ، الذى كان يجلس خلف مائير فى مدرســـة البيشيفا الابتدائية فى فلاتبوش على مدى ثلاث ســنوات ، يذكــر اليــوم السابق لعيد الفصح (عند اليهود) عام ١٩٤٣ ، عندما كان مائير،وهو يومئذ فى العاشرة من عمره ، يرسم خريطة توضيحية لخطوط السكك الحـــديدية المتجهة الى أوشفيتز على السبورة ، ويخرج قائلا « لماذا لايعطى روزفلت أمرا بقصف خطوط السكك الحديدية ؟ ألا يعلم أن هناك غرفا للغاز ؟ان الحلفـاء اذا قصفوا خطوط السكك الحديدية ، فلن يستطيعوا قتل اليهود بالغاز » .

واذا كان روزفلت سيتجاهل محنة اليهود العزل ، فان كاهانا ســوف، يخلق شخصية خيالية من شأنها انقاذ شعبه من فظائع الابادة الجماعية . ويذكر جرينوولد أن مائير ، وهو فى الصف السابع الابتدائى ، الف مسلسلا هزليا أطلق عليه اسم « مغامرات بيجلمان » ، حول رجل غامض مضى يلبس رداء

(السوبرمان) ويقـوم بانقاذ اليهود من الالمان النازيين . وكتب ساخرا من المقدمة المشهورة لسوبرمان يقول « انظر ، اعلى فى السماء ، انه رغيف خبز عيد الفصح ، انه رغيف خبز ، كلا أنه « بيجلمان » أى الرجل الذى يشبه قرص العيش » . ويقول جرينوولد : « كان مائير صبيا عاطفيا . وسواء كان يغنى منفردا فى اجتماع عام او لتسلية نفسه ، كان يغنى بحماس بالغ » .

وقد اخذ كاهانا دوره كمدافع عن الشعب اليهودى بجدية بالغة ، على الاقل فيما يتعلق بأسرته . وبعد اختراعه لشخصية بيجلمان بفترة قصيرة ، قام كاهانا بتقليد بطل مسلسله الهزلى وانقاذ شقيقه الذى كان يبلغ من العمر حينذاك اثنى عشر عاما ، من المتربصين به من جيرانه . فقد كان نحمان ، الصبى القصير السمين والخجول ، يلعب كرة السلة فى الحديقة العامة مع أحدأصدقائه عندما التف حولهما عشرون صبيا ايطاليا وبدأ فى ضربهما . ويتذكر نحمانفيقول « لقد هرب صديقى ، ولكن هؤلاء الصبية ضربونى على رأسى بشدة ، واخذ الدم يسيل منى من كل جانب . وتصورت أننى سأموت . واغلقت عينى واخذت أعد من واحد الى ثلاثة ، وبما تصورت أنه ربما يكون آخر نفس لى ، جريت الى كوخ خادم الحديقة وحبست نفسى فيه » . والتف مهاجمو نحمان حول الكوخ وأخذوا يصرخون « افتح الباب ، اننا نريد قتل اليبدى » . وفى تلك اللحظة دخل مائير الحديقة راكبا دراجته ولكن على خلاف بيجلمان ، الذى كان بمقدوره سحق الاعداء بضربة واحدة ، جاء كاهانا وبصحبته سيارتان من سيارات الشرطة . وظل نحمان ملازما الفراش لمدة ثلاثة أسابيع عقب هذا الحادث ، يعانى من ارتجاج فى المخ .

وفى سبتمبر عام ١٩٤٥ ، التحق كاهانا بمدرسة بروكلين التلمودية ، ليبدا الدراسة فى الصف التاسع . وبمجرد دخوله باب المدرسة بدأ يعانى من المتاعب . اذ يبـدو أنه لم يكن ذلك « الشخص المدهش » الذى كان أبواه يتباهيان به . فقد كان منهج الدراسة فى تلك المدرسة مثقلا بدراسة التلمود ، وكان كاهانا — الذى وضع — فيما بعد — برنامج حزبه السياسى المناهض بشدة للعرب على أساس الهالاخا (القانون الدينى لليهود) كان كاهانا طالبا ضعيفا فى التلمود .

ويقول الحاخام ابراهام زوروف ، المدير السابق لمدرسة بروكلين التلمودية ، وهو رجل قصير ، قوى ممتلىء الجسم ومهذب ، يعيش حاليا فى اسرائيل : « كان هناك عدد من الطلبة — ومن بينهم مائير كاهانا يجدون صعوبة فى التكيف مع دراسة التلمود المستفيضة . ولكن فى حالة كاهانا ، كان هناك عامل اضافى آخر . ففى اللغـة اليبدية هناك تعبير معناه عدم القدرة على الجلوس . وكان كاهانا طفلا عصبيا للغاية ، ولا يستطيع ان يجلس هادئا . وأعتقد أن هذه العصبية موروثة عنده . فلم يكن بأية حال يستطيع أن يدرس التلمود لمدة ثلاث ساعات يوميا . لقد كان يتمتع بالكفاءة ، ولكن نظرا لعصبيته لم يكن على مستوى

الدراسة . وكانت هناك فجوة بين ادائه وتحصيله الدراسى . وكانت تقديراته دائما متوسطة » .

وفى الفصل ، كان كاهانا مصدرا دائما للازعاج والأذى . وكان يدفعه الى ذلك رغبته الدائمة فى أن تسلط عليه الاضواء ، وطاقته المكبوتة غير المحدودة ، ومن ثم كان من الصعب جعله يحافظ على النظام . ويقول زوروف « لقد كان دائم الكلام والجدل . ولا يجلس هادئا على الاطلاق . وكان مصدرا للازعاج بالنسبة لكثير من مدرسيه . وكان أيضا مصدرا للازعاج بالنسبة لوالده ، الذى كانت تستدعيه المدرسة بصفة دورية لتبحث معه أداءه الضعيف فى دراسته . ويقول زوروف « كنت تلاحظ التوتر بين الاب وابنه . فقد كان تشارلز يريد وضع حد لهذا العبث الصبيانى » .

وكان تشارلز كاهانا قلقا بالمثل ، لان ابنه لم يكن يستطيع أن يلحق بالطلبة الآخرين فى دراسة التلمود ، وكثيرا ما كان يقوم بتدريس التلمود له فى المنزل ويقول زوروف « ان والد كاهانا كان حاخاما من مدينة صفد ، ومن ثم يعرف جيدا ما تعنيه دراسة التلمود بشكل مكثف » .

وكان مائير كاهانا يميل الى الحديث عن الذهاب الى فلسطين ومحاربة العرب أكثر من ميله للدراسة ، وبالرغم من أنه لم يتطوع على الاطلاق . وفى الوقت نفسه أحاط بعدد من الاتباع من صغار اليهود غير المدركين من الطبقة العاملة فى حركة بيطار ، ممن يؤمنون مثله ، بأن قدره هو القيام بدور حاسم فى النضال من أجل بقاء اليهود ويقول آلان مالينبوم ، أحد أصدقائه فى حركة بيطار ، والذى أصبح فيما بعد أول مدير تنفيذى لرابطة الدفاع اليهودى : « لقد اعتدنا أن نسخر من مارتى ونقول له أنه سيصبح فى نهاية الأمر رئيسا لوزراء الدولة اليهودية . ووراء هذه الدعاية والسخرية ، كنا نعتقد جميعا أن هذا هو اتجاهه . فقد كان يشعر بان لديه مواهب الهية ، واعتقد أننا كنا نشعر بذلك أيضا »

ولم يكن يشاركه فى هذه المشاعر قرناؤه من الطلبة فى مدرسة بروكلين التلمودية . فبرغم دراستهم الدينية ــ مثلهم فى ذلك مثل الصبية فى « المختارون » لبرنارد ملامود ــ كان يبدو عليهم أنهم أكثر ميلا الى (البيسبول) من ميلهم الى (بيجين) . وكانوا أيضا متناقضين فى موقفهم تجاه الصهيونية ، وهو موقف كان يشترك فيه اليهود المتدينون قبل انشاء دولة اسرائيل . ويقول نورمان داخ الذى التحق بمدرسة بروكلين التلمودية مع كاهانا « لم يكن من السائد بيننا نحن الصبية الذى يلعبون الكرة طوال اليوم ، أن نهتم بالصهيونية . وكان هو يتحدث عن جابوتنسكى وجوزيف ترومبلدور(١) . ولم اكن حتى أعرف من هما

---

(١) كان (جوزيف ترومبلدور) رائدا صهيونيا اسطوريا ، قتل فى عام ١٩٢٠ ، وهو يدافع عن (تل حى) ضد المعتدين العرب .

وكنت أظن أنهما يلعبان فى فريق الاشبال فى شيكاغو . وكانت هذه هى الحقيقة بالنسبة لمعظمنا . فقد كنا مهتمين بمصير اسرائيل ، ولكن ليس مثل اهتمام كاهانا الشديد والعميق به » .

ويقول ايرفنج (بيتز) جرينبيرج(١) زميل كاهانا فى مدرسة بروكلين التلمودية لمدة أربع سنوات « ان المزج بين الخيال الجامح والغرور » كانا من سمات شخصية كاهانا . ويضيف جرينبيرج فيقول « كان كاهانا ، بوجه عام ، يرى أن الحياة اليومية محبطة للغاية . ولم يكن يستطيع انجاز أعماله اليومية مثل القيام بأداء واجباته المدرسية ، ولكنه كان قادرا على أن يتخيل وأن يحلم ، وكان يحب دائما القصص الخيالية التى يكون هو البطل فيها . ويقول جرينبيرج أن كاهانا كان يتحدث باستمرار عن اقتدائه بالهه المزيف : زئيف جابوتنسكى . « لقد كان جابوتنسكى بمثابة ضالته المنشودة ، والحلم الذى لا يقدره أحد حق قدره ، والذى يطوف العالم محذرا اليهود من الابادة الجماعية الوشيكة . وكان الشىء المحبب اليه هو الحركة المثيرة العنيفة المتمثلة فى الضربة الواحدة التى يمكن أن تدمر العدو . وكان يسعد كثيرا عندما يقرأ أن منظمة الأرجون قد وضعت قنبلة فى احدى أسواق العرب . ولم يكن مهتما أو لديه الصبر على أن يتحدث عن كيفية بناء الدولة اليهودية ــ وكان ذلك بمثابة صفعة على وجه من لا تحبهم ومن يعارضونك أو لا يتفقون معك .

وعندما التحق كاهانا بالمدرسة العليا ، اشتهر بأسلوبه الساخر فى التهكم وعلى خلاف ما هو معروف عن اليهود من روح السخرية بالنفس كان كاهانا يبدو وكأنه نبى من أنبياء العهد القديم تجسد من جديد فى صورة كوميدية ساخرة من صور (انبورشت بيلت) . فقد كانت كل ملاحظاته تنتهى بكلمة : « كم هو مغفل » . ويقول ايرووين فيلمنجر ، وهو فنان من نيويورك وصديق لكاهانا فى المدرسة العليا : « كان كاهانا يحتقر غيره من اليهود احتقارا تاما . فقد اعتاد أن يقف على سلم معبد والده صباح كل يوم سبت يحملق فى اليهود العاديين الذين يمثلون الطبقة المتوسطة ويرتدون أفضل ما لديهم من ثياب عند زيارتهم للمعبد ، ويسخر قائلا « انظر الى يهود الطبقة المتوسطة ، فى ملابس الطبقة المتوسطة ، وبعقول الطبقة المتوسطة . انهم جميعا يجهلون الديانة اليهودية . كم هم مغفلون » .

---

(١) يشغل جرينبيرج حاليا منصب رئيس المركز اليهودى القومى للتعليم والقيادة وهو منظمة دينية فى نيويورك تركز على بناء الجسور بين فروع الديانة اليهودية الرئيسية .

ومن ناحية ، كان فليمنجر ، المنطوى على نفسه ، معجبا بالعفوية التى كان يتمتع بها كاهانا . فتطاول شاب فى سن المراهقة على كبار السن يمثل جراءة كبيرة . غير أنه بالنسبة لفليمنجر ، كانت تعليقات كاهانا الساخرة الموجهة لرواد معبد والده بمثابة اساءة بالغة للديانة اليهودية . ويقول فليمنجر ، الذى كان لا يزال عابسا « أذكر أننى قرات فى التلمود نصيحة تقول انه لا ينبغى على اليهودى أن يحط من قدر يهودى آخرا بسبب معتقداته الدينية . وكان مارتى يتجاهل تلك النصيحة » .

وقد كان غرور كاهانا يجعله يتجاهل الواقع نفسه فى بعض الأحيان . ففى أحد الايام ، عندما كان كاهانا فى سن السادسة عشرة من عمره ، توجه مسرعا الى منزل مالينبوم ، مزهوا بحمل مقالة كتبها . ويقول فيكتور شقيق مالينبوم الاصغر ، أن كاهانا كان يدور فى حجرة النوم وهو يقرأ مقالته ، وكان يتوقف أحيانا مزهوا بروعتها . ويقول فيكتور معقبا « انها كانت مقالة جيدة ، ولكن كانت المشكلة الوحيدة هى موضوعها — فقد كانت حول ما يعتقده كاهانا من انه المخلص اليهودى المنتظر . وعند هذه النقطة ، اصبحت اعتقد انه ليس سوى شخص أحمق » .

وفى الوقت الذى كان فيه كاهانا يعيش أوهام العظمة ، كان يشحذ قواه لاثارة الجماهير . وبالرغم من مشكلة الفأفأة فى الكلام ، فقد كان كاهانا محاورا جيدا . ويقول « بيتز » جرينبيرج ، الذى كان مع كاهانا فى جماعة المناظرات فى مدرسة بروكلين التلمودية . « ان كاهانا لم يكن لديه الصبر على الاطلاق لاعداد ما يقوله اعدادا جيدا . فقد كان يريد دائما حلولا سريعة وردودا سريعة ايضا . وكان ذلك هو نمط سلوكه طوال سنوات الدراسة . وكان يتمتع بموهبة عظيمة فى معالجة اية مشكلة يستجيب بسرعة لرد فعل الجمهور . وحتى عندما كان يمزح فى الفصل ، كان يتمتع بتلك الموهبة . وقد اعتاد أن يأتى بمثل تلك الملاحظات العفوية الساخرة فى حصة اللغة الانجليزية ، وكانت مسلية للغاية . واستطيع القول أن قوته كانت تكمن فى المعيته الى جانب قدرته على حشد الجمهور لسماع ما يثيره » .

وفى بداية السنة الدراسية النهائية ، قرر كاهانا أن يكون له جمهور اكثر تجاوبا من بين يهود الطبقة العاملة العلمانية ، الذين يدرسون فى المدارس العامة . فقد حصل على قدر كاف من الدراسات التلمودية والديانة اليهودية المتعصبة ، وفق مذاهب الحاخامات . وكان يستمع سرا بالفعل الى الاذاعة يوم السبت ، وكانت هناك متع كثيرة ممنوعة يامل فى ان يتمتع بها . وفى سبتمبر عام ١٩٤٩ ، التحق بمدرسة ابراهام لنكولن العليا فى بروكلين . وكان والداه يبديان تخوفهما على مستقبله . وبالرغم من أن كاهانا زعم فيما بعد أن والده

تشجعه على مواجهة العالم خارج مدارس اليشيفا ، فان تشارلز كان غاضبا عندما ترك كاهانا مدرسة بروكلين التلمودية . ولكن مائير لم تكن لديه اية نيـة فى ان يصبح حاخاما صغيرا فى الحى الذى يسكنه مثل والده . ويقول احـد اصدقائه « لقد قال لى كاهانا أن والده لم يكن محترما بين افراد طائفته ، وانه لم يكن عالما محترما » .

وقد ولدت بعض الخرافات المحيطة بكاهانا خلال فترة التحاقه بمدرسـة ابراهام لنكولن . فقد كان يزعـم فيما بعـد لاعضاء رابطة الدفاع اليهودى المعجبين به ، أنـه كان نجم سباق مسافة ۱۰٫۰۰۰ متر هناك ، وأنه كان يجيد التصويب بيده اليمنى وهو يلعب فى فريق كرة السلة ، وأنه كان يتفوق على نجم فريق البيسبول ، الذى يسمى ساندى كوفاكس ، والذى أصبح لاعبا مشهورا فى منتخب فريق لوس انجلوس . وحقيقة الامر ، ورغم أنه كان سريعا وقـويا ، لا يتذكر أحدا من أصدقاء الدراسـة أنه كان يقوم بأى نشاط رياضى سوى اشتراكه فى فريق الاناشيد بالمدرسة . واذا كان كاهانا قـد تمتع بالابتعاد عن الحدود الضيقة لحياة اليشيفا ، فانه كان يعانى أيضا من الحيرة والصراع حول (هويته) . ويقول واحد من أعضاء حركة بيطار العديدين الذين التحقوا أيضا بمدرسة ابراهام لنكولن : « كان كاهـانا يعانى من أزمـة . فلم يكن يتمتع بالشعبية داخل مدرسة بروكلين التلمودية ، وكانت مشكلة الفأفأة التى كان يعانى منها تزداد سوءا . وكان يفكر فى ترك الديانة اليهودية المتعصبة ، ولكن ذاك كان يسبب له ألما شديدا » .

وقد كان الصراع الداخلى الذى يعانى منه بين مناهج الحيـاة الدنيوية وبين القيود المتعصبة المتشددة ، يدفعه الى تقـديم مبررات مفصلة ، واحيانا سخيفة لتصرفاته . ونظرا لأنه لم يعد يرتدى القلنسـوة اليهودية ، كان يجلس تحت شجرة فى فناء المدرسـة ليتناول غداءه . وكان يقول لزملائه ، انه بهـذه الطريقة لا يكسر قوانين نظام الغذاء اليهودى (الكوشر) لان فـروع الشجرة تغطى رأسه . وعندما أدرك كاهانا الى أى حد أصبح ضالا تائها ، عـاد الى مدرسة بروكلين التلمودية لينهى الفصل الأخير من دراسته النهـائية ويقـول أحـد أصدقائه « لقد كان يتألم بسبب ابتعاده عن الدين المتزمت . تلك كانت كلماته التى يرددها » .

والكتاب السنوى لتخرجه ، « الالشـانيت » ، الذى صدر فى عام ١٩٤٩ ، لا يكشف عن النظرة التى كان ينظر بها اليه زملاء المدرسة فحسب ، بل يلقى أيضا الضـوء على الطموحات التى كانت تسـتحوذ عليه فى أن يصبح منقذا لشعبه . وفى استطلاع أجرى على زملاء فصله البالغ عددهم ثلاثة وعشرين طالبا ، لم يتم اختيـار كاهانا كأذكاهم أو اكثرهم جـدارة بالثقـة أو أكثرهم توقعا للنجـاح — أو حتى أكثرهم تعصبا للصهيونية . وبدلا من ذلك ، تـم

اختيـــاره صحفى الفصل . وتقـــول لمحة عن حياته الدراسية . « ان مارتن كاهانا حسن المظهر (كما يقول) وذكى وذو شخصية عظيمة . (واذا كنت لا تصدق ذلك ، فأسأل الشخص الذى يعرف وهو مارتن كاهانا نفســـه) . ان هذا الطفل يعد للانتقال الى اسرائيل . وفى الوقت نفســـه ، يعمل صحفيا لمجرد قتل الوقت . وقد انضم لحركة حيروت ليترك المدرسة » .

ولـــم يحقق كاهانا المستوى الدراسى المتفوق الذى كان يتـم تحقيقه على اساس التفوق الاكاديمى والمشاركة فى الانشـــطة الزائدة على المناهج الدراسية . ووفقا لمـــا جاء فى الكتاب السنوى ، كان كاهانا يشـــترك فى جماعة المناظرات بالمدرسة وكان يغنى مع فريق الاناشـــيد ، وكان ســـكرتيرا للنادى العبرى . بيد انه باعتبـــاره محـــررا أدبيـــا مســـاعدا فى الكتـــاب المدرسى السنوى كان كاهانا يملأ « الالشـــانيت » بقصـــائده الغنائيـــة عن الصهيونية ، التى تكشف ، كما يلاحظ مدير المدرســـة الحاخام زوروف ، عن « البذور التى سيخرج منها » .

وفى احدى قصائده ، بعنوان « الارض » ، كتـــب كاهانا يقـــول ان من الافضل أن يموت الانسان فى نضـــاله من أجل اسرائيل :

يا أرض تقديس الحـــاضر ، يا أرض تقديس الماضى ، يا ارض تقديس المستقبل ، أيتهـــا الارض ، رغم اننا نموت ،

أيتهـــا الارض ، ســـنظل نصرخ ،
من الافضل أن نموت من أجل أمتنا العظيمة ...
أيتها الارض التى اختـــيرت للســـيادة ، أيتهـــا الارض التى اختيرت للألم ،
أيتها الارض ، متى اناديك ثانية ارضى ؟

أيتها الارض ، ان الطريق طويل .... ،

والعـــدو قـــوى ،

ولكننا سنهزم ابن قابيل هذا .

وفى قصة قصيرة من خمس صفحات كتبها فى « الالشـانيت » تحت عنوان « المحاكمة » صور كاهانا مشهدا ـ للمحكمة الالهية بين لورد موين ، الوزير البريطانى الذى تم اغتياله فى القاهرة فى نوفمبر عام ١٩٤٤ على أيدى عصابة شيترن وبين جوزيف هاين ، أحد قتلته من الشباب اليهودى ، وقد تمت محاكمته واعدامه على أيدى البريطانيين ـ وفى هذه القصة يطالب كاهانا بضرورة أن يحرر اليهود انفسهم من القيـــود الخلقية اذا كانوا يريدون فعـــلا تحـــرير أنفسهم من الذين يعذبونهم . واذا كان هاين تدينه المحكمة الالهيـــة وتحـــكم عليه بالقائه فى جهنم ، فان ذلك يحـــدث فقط حتى لا ينقذه احـــد فى آخـــر لحظة ســـوى الرب الذى ينزل على الحشد المجتمع ليعلن انه رغم خطيئة هاين سيغفر له لانه قام بالدفاع عن التوراة وعن أرض اسرائيل : « ان القنـــابل

التى يلقونها ، والدماء التى يريقونها ليست سوى شواهد على يأسهم فى المنفى . لذلك رأيت دموعهم وسامحتهم . ولسوف أعيدهم فى القريب الى وطنهم المقدس ، اسرائيل ، والى موطن سكناى ، القدس . وستكون حدودهم ممتدة من البرية ولبنان ، وحتى النهر العظيم ، نهر الفرات ، وكل أراضى الحيثيين ، وحتى البحر العظيم ، الذى يشمل ضفتى نهر الاردن . وهذا الطفل الماثل أمامى للمحاكمة هو حلمى الغالى . لقد بقيت ألفى عام أنتظر قدوم هذا الجيل ... » .

وفى المشهد الأخير ، يزداد عدد المنشدين وتفتح أبواب السماء . وبينما يسير بطله عبر الضباب والسحب لتتلقاه أحضان الملائكة : يستطيع المرء أنه يتصور كاهانا نفسه وهو يعرج الى السماء ليتلقى ترحيب البطل . وبكل القوة يتماثل كاهانا مع هاين فى أنه بعد عدة سنوات ، وباسم اسرائيل والتوراة ، سوف يقوم بتكوين منظمته الارهابية السرية .

وربما كان كاهانا يذرف الدموع من عينيه ، ولكن زملاءه فى الفصل كانوا يجدون فى عواطفه الصهيونية الجياشة مادة غنية للفكاهة . وفى نبؤة شريرة تتسم بالسخرية ، صور الكتاب السنوى الدراسى « الالشانيت » صحيفة وهمية تحت اسم « ستارجيزر » (المحملق فى النجوم) جاءت فى صدر صفحتها الاولى صرخة تقول « كاهانا يطالب بآسيا » . ويبدأ الخبر على النحو التالى : « أنهى مارتن كاهانا ، المرشح لرئاسة (اسرائيل) ، اليوم حملته باعادة تأكيد شعار حزبه : « اعادة ضم آسيا واعادة احتلال أوروبا » . كما أعلن ثانية عن برنامج حزبه الذى يتضمن : اقامة دولة يهودية على ضفتى المحيط الباسفيكى . وباعتباره مرشحا من قبل حزب حيروت (الحرية) التوسعى « المعتدل » .. أكد السيد كاهانا من جديد تصميمه على شراء بتاجونيا « أراضى » شيلى والارجنتين بأمريكا الجنوبية فى مقابل ٧٫٢٠٠٫٠٠٠ دولار ، بالرغم من أن بعض النقاد يسمونها « فكرة بيجين الحمقاء » .

الفصل الثالث

بيطـــار طريق النضـــال

وجـــد مائير كاهانا أخـــيرا طريقا لنضـــاله فى حـــركة بيطـــار ، وهى الجناح الشبابى للحـــركة التحريفية ، التى انضـــم اليهـــا بعد تكليفه الدينى (بار ميتنرغاه) بوقت قصـــير فى عام ١٩٤٦ . وقد أصبحت حركة بيطـــار ، التى كانت تؤيد قيام المظاهرات العنيفة فى الشوارع ، واقامة معســـكرات التدريب شبه العسكرى ، وتنظيم مواكب المشاعل ، واحياء أساطير ابطـــال العهـــد القديم ، هى المثل لرابطة الدفاع اليهودى .

وكان زئيف جابوتنسكى قد أسس حركة بيطار فى ريجـــا بلاتفيا فى عـــام ١٩٢٣ ، ردا على انتشـــار الحركات القومية الاوروبية المناهضـــة للســـامية . وكان هدفها المزدوج يتمثل فى تدريب الشباب اليهودى على الدفاع عن النفس واعداده للنضـــال الدموى الذى من شأنه تحـــويل فلسطين الى دولة يهودية .

وقد تأسست حركة شباب بيطار فى أمريكا يوم ١٠ يونيو عام ١٩٤٠ ، فى مدينة نيويورك . وفى نفس العـــام قامـــت بافتتاح معسكر للتدريب شـــبه العسكرى فى جبال كاتسكيل بالقرب من هنتر بنيويورك ، وذلك فى فندق متوقف عن العمل ، منحه لها أحد مؤيديها . وقـــد توفى جابوتنسكى فى ٣ اغسطس خلال زيارته للمعسكر بعد افتتاحه بفترة قصيرة . وفى أوائل الاربعينيات ، ضمت حركة بيطـــار عدة مئات من الأعضـــاء فى منطقة نيويورك . وكان من أوائل زعمائها فى الولايات المتحدة الامريكية موشى ارينز الذى اصبح فى الثمانينيات ســـفيرا لاسرائيل فى أمريكا ووزيرا لخارجية اسرائيل . وكان أكثر انشـــطة حركة بيطار الحاحا هو تهريب الاسلحة الى جماعة الأرجون . ففى الاربعينيات ، كان مناحم بيجين زعيم الأرجون يرســـل العديد من نوابه الى أمريكا للحصـــول على الاسلحة . وكان ايلى تافين ، رئيس مخابرات الأرجـــون فى الخـــارج ، يقـــوم بالاشراف على هذه العملية ، مستغلا فى ذلك مركزه كمدير تعليمى للمنظمة الصهيونية العالمية كغطاء يتخفى تحته . وقد أقام تافين عـــدة شـــبكات فى ثلاث وعشرين دولة للحصـــول على الاسلحة ، كما أقام عددا من وحدات الدفاع عن النفس ، واحـــدة منها فى شنغهاى لحماية اليهود المقيمين فى معسكرات النازحين الصينية عقب الحرب العالمية الثانية . وكان تافين هو العقل المدبر للحملة الارهابية للأرجون ضد البريطانيين فى أوروبا . ففى ٢١ من اكتوبر عام ١٩٤٦ مثلا ، قام بتدبير حادث ضرب السفارة البريطانية فى روما بالقنـــابل .

وكان تافين يحصـــل على لاسلحة فى الولايات المتحـــدة الامريكية من الجنود الامريكيين (الفليق اليهودى) العـــائد من الحـــرب العالمية الثانية ،

وكذلك من المافيا . وتذكر سيلفيا زوييــون ، التى كانت تمتلك هى وزوجهــا مخــزنا سريا للاســلحة فى (شرق نيويورك) الــذى اصبح فيما بعــد من الأحيــاء التى يســودها اليهود فى بروكلين ، حيث كانا يقــومان بتخــزين الاسلحة ، تذكــر سيلفيا زوييــون : « أن قدامى المحاربين من اليهود كانوا يأتون بكتل ملفوفة بأوراق الصحف ويقولون : لقــد سمعنا أننا نستطيع أن نعطيكم هذه لارسالها لاسرائيل » . وتضيف زوييون ، التى كانت عضوا فى بولندا قبل أن تذهب الى أمريكا « عندما تكدست لدينا الاسلحة ، كان علينا أن نستأجر مخــزنا آخــر » .

وكان العمال الاسرائيليون يقومون بنقل الاسلحة بالشاحنات الى ارصفة المينــاء فى نيويورك ونيوجيرسى ، تحــت اشراف رئيس العمــال تشــارلز « لاكى » لوسيانو ، أحــد مساعدى مائير لانسكى المقربين ــ وهــو من الصهاينة اليمينيين المتحمسين . وكان يقــوم هو وغيره من رجــال العصابات اليهودية الأخرى مثل ميكى كوهين فى لوس أنجلوس بتقديم مبالغ مالية كبــيرة للأرجون . كما كان اتحاد عمال الشحن الذى يسيطر عليه العمــال يســاعد التحريفيين فى تدمير شحنات الاسلحة التى كانت فى طريقها من الموانى الامريكية الى الدول العربية أيضــا .

وكان تشــارلز كاهانا ، الذى كان منهمكا تمــاما فى عمليات تهــريب الاسلحة ، يشجع ولديه على الانضمام الى حركة بيطــار . ويقــول مائــير كاهانا « كانت حركة بيطار هى نوع الأيديولوجية التى كان أبى يؤمن بهــا ، وكان من الطبيعى أن انجــذب نحوها أيضا » . وكان مائير يذهب الى أرصــفة هوبوكن فى منتصف الليل للاشتراك فى اعداد الاسلحة للشحن الى الأرجــون فى اسرائيل . ولم يكن قيامه بهذا العمل بعيدا عن الخطــر . ففى عام ١٩٤٧ ، تم اعتقــال اثنين من أصدقاء مائير بالطابق العلوى لأحــد مخازن الفــراء بمانهاتن ومعهما ١٤٤ مدفعا رشاشا و ٢٠٣ بنــادق و ٢٦٨ مســدسا . وقــد تم اطلاق سراح هذين الشابين بعــد مرور شــهر على اعتقالهما بفضل جهود محاميهما بول أودوير . وبالرغم من هذه النكسة ، وفى الفترة ما بين شــهرى فبراير ومارس عام ١٩٤٨ فقط ، استطاع تافين تهريب ٤٣ شحنة أسلحة من نيويورك الى تل ابيب .

وكان مائير ونحمان يقومان ايضا بجمــع الأموال للمنظمــات السرية . وكان الشقيقان يجوبان شارع بتكين ببروكلين فى شاحنة تابعة لحركة بيطار ، مزودة بمكبر للصوت تنطلق منه الاغانى العبرية الحماسية والخطب التى كان يلقيها جابوتنسكى لجمع المعونات والتبرعات . ويقول نحمان « كان ينزل من الشاحنة عشرة من اليهود الكبار فى السن ويقومون بوضع العــلم الاسرائيلى على أرض الشارع . وسرعان ما كان يتقدم الناس ويضعون فيه مبالغ نقدية .

وكانوا يتسابقون فى وضع هذه النقود . وأعتقد أن هذا المشهد لن يتكرر مرة أخرى الى أن يظهر المخلص » .

ويستطرد نحمان فيقول : « اننى أتذكر أيضا اللحظات العصبية ، مثل تلك اللحظات التى اكتشف فيها رجال الشرطة مخبأ أسلحة تابعا للارجون على سطح معبد حاباد (فى بروكلين) . وعندما حدث ذلك ، كان منزلنا يشبه تيشا بآف (ذكرى تدمير المعبد الثانى) . كذلك قام رواد معبد والدى « شعارى تفيلا » بجمع الأموال لنجدة هؤلاء الذين قيل أنهم غرقوا فى الألتالينا (وهى سفينة أسلحة تابعة للارجون أغرقتها الهاجاناه) ، بالرغم من أننى لم أتاكد من هذا الحادث » .

(وكانت الهاجاناه تقوم خلال الأربعينيات بعملية تهريب الأسلحة بصورة مستقلة ومنافسة فى أمريكا . وكان يدير هذه العملية تيدى كوليك من فندق ماك البين بمانهاتن الذى يقع بالقرب من متجر ماس بميدان هيرالد ، وكان من بين المنفذين الرئيسيين لهذه العملية ، هانك جرينسبان ، صاحب جريدة لاس فيجاس ضد الراحل ، والشويمر ، تاجر الأسلحة الاسرائيلى الذى تورط فيما بعد فى مفاوضات الأسلحة مقابل الرهائن الخاصة بايران والكونترا) .

وبعد قيام اسرائيل فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ ، ظهرت حركة بيطار فى أمريكا فى صورة جماعة من الشباب المتطرفين الموالين لاسرائيل ، الذين يقومون كثيرا بمظاهرات احتجاج صاخبة أمام البعثات بالأمم المتحدة فى مانهاتن . ووفقا لتصريحات أحد كبار المسئولين فى وزارة العدل ، كان موشى ريفلين يقوم بتنسيق هذه الأنشطة ، وكان يشغل حينذاك منصب نائب قنصل اسرائيل فى نيويورك . وعندما طلب منه التعليق على ماكان يحدث ، قال ريفلين انه لا يستطيع أن يتذكر انه قد تورط فى تلك المظاهرات .

وكان كاهانا يقف دائما فى المقدمة بالنسبة للاعمال النضالية التى كانت تقوم بها حركة بيطار . وقد صرح شقيق آلان ، فيكتور مالينبوم ، وهو يعمل حاليا طبيبا نفسيا فى كارولينا الشمالية ، وكان من أهم أصدقاء طفولة كاهانا : « كان كاهانا من مثيرى الشغب : وكان أكثر تطرفا فى حركة بيطار منى أنا شخصيا . فقد كان دائما على استعداد للقيام بالعمليات المتطرفة . وفى احدى المرات أراد أن يفجر مخزنا للكتب فى مانهاتن كان يبيع مطبوعات مؤيدة للنازية » .

وفى عام ١٩٤٧ ، اكتسب كاهانا سمعة سيئة بعد هجومه على ايرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا المناهض للصهيونية . ويقول ايروين فليمنجر توجه آلان وفكتور مالينبوم الى احدى الاسواق واشتريا قفصا من الخضروات . واننى اتذكر قسمات وجه بيفن عندما تذفناه بها . لقد كان فى حالة من الذهول » .

وبعد القاء القبض على كاهانا ، وجهت اليه تهمة شن هذا الهجوم . ولكن حكم عليه القاضى موريس روثنبيرج بحكم مع وقف التنفيذ وكان هذا الحكم هو البداية لسلسلة متصلة وطويلة من الاحكام المخففة أو المؤقتة التى كان يحكم بها عليه القضاة اليهود المتعاطفون معه فى الولايات المتحدة الامريكية وفى اسرائيل . وقد صرح لى كاهانا فيما بعد « بأن القاضى كان معاديا للبريطانيين ومتعاطفا مع حركة بيطار » . ولم يعوق ذلك ان والد كاهانا كان يشغل منصب الرئيس السياسى لمجلس ادارة الحاخامات فى فلاتبوش ، أو أن القاضى روثنبيرج كان رئيسا للصندوق القومى اليهودى فى أمريكا ، وأنه كان يمتلك مستوطنة زراعية فى فلسطين أطلق اسمه عليها تكريما له ، وانه هاجم بيغن بعنف فى عام ١٩٤٧ — فى نفس العام الذى مثل كاهانا أمامه للمحاكمة — وذلك فى خطاب القاه أمام المؤتمر الوطنى الصهيونى .

بيد أن كاهانا كان يختار مواجهاته بعناية فائقة ، وكان يبدو أكثر جرأة بشكل ملحوظ عندما يكون وسط جمع من الناس . وفى أحد ايام صيف عام ١٩٤٩ ، حدثت مشادة بين كاهانا وابن عمه ابراهام كاهانا الذى كان يبلغ من العمر خمسة عشر عاما ، وبين اثنين من المراهقين أثناء دخولهما محطة مترو الانفاق بالقرب من بروسبكت بارك فى بروكلين . ويقول ابراهام كاهانا « كنا فى طريقنا الى نفق المترو عندما سمعنا ضحكات بعض الصبية من خلفنا يستهزئون من القلنسوة اليهودية التى نرتديها . وتحدثت مع مارتن بالعبرية وقلت له : أن لك قبضة قوية ، فلنستدر اليهم ونفاجئهم بضرباتك القوية . وكنت من أهالى القدس . وقلت لمائير لو أن أى عربى فعل ذلك لحطمته . وكنت حينئذ صبيا . ولكنها كانت غطرستى الاسرائيلية . وضحك مائير قائلا على أية حال ، فى أمريكا لا تستطيع أن تفعل ذلك . وبالرغم من أنه كان من أعضاء حركة بيطار ، لم يكن كاهانا يريد التشاحن مع الصبية الذين كانوا يضحكون علينا

وتتناقض حكاية ابراهام كاهانا مع الصورة التى ظل مائير يرسخها بعناية بأنه مناضل يهودى شجاع من أجل الحرية . ففى عام ١٩٨٤ ، صرح مائير كاهانا لصحيفة الواشنطن بوست قائلا « عندما كنت شابا ، كنت ادخل فى معارك عديدة (مع غير اليهود) بسبب قلنسوتى ، وبعدها كنت أتناول معهم البيرة » . وسأله الصحفى ، الذى ظهرت صورته المعجبة بالحاخام فى باب « الابداع » المشهور فى الصحيفة ، عما اذا كانت تلك المعارك تسفر عن جروح او ما شابه ذلك . فرد كاهانا قائلا « كلا ، فلم تكن تلك المعارك تقع فى كل يوم واذا حدثت مرتين أو ثلاثا أو أربعا ، وسالت منك الدماء ، ورددت باسالة الدماء ، فان الأمريكيين على ما يرام . وليساعد الله الصبى الذى يدخل فى تلك المعارك . فعندما تبدأ ، فانها عندئذ لا تنتهى » .

ومنذ اللحظة الاولى التى فيها انضم كاهانا الى حـركة بيطـار ، اخـذ يخطط للسيطرة عليها . فقد جمـع حوله عددا من الاتباع من شبـاب الطبقة العـاملة المعجبين باخلاصه الشديد لاسرائيل وتكريس حياته لها وقد سـاعد العـديد من هؤلاء الشـباب فيما بعد ، فى تكوين رابطة الدفاع اليهـودى . ويذكر ايروين فليمنجر ، وهو يهودى علمانى جنـده كاهانا فى حركـة بيطـار عام ١٩٤٧ ، أول انطبـاع قوى تركه فيه كاهانا الطموح فيقول « تحدثنا معا فى معبد والده حول حركة بيطار وكان لحديثه وقـع كبير على نفسى . وقال لى كاهانا انهم يتدربون على الجـودو والتصويب بالبنادق فى الجانب الشرقى الأدنى . واعجبت كثيرا بنضاله . واعربت له عن استعدادى للانضـمام فى الحـال » .

وقد انجذب فليمنجر فى بداية الامـر الى حركة بيطار بسبب شـعوره بالعجز والغضب . ويقول « أعتقد أن الصبية اليهود فى ذلك الوقت كانـوا مصدومين بسبب المذابح التى كان يتعرض لها اليهود الاوربيون ، وكانـوا يبحثون عن الطريقة التى يردون بها » . ويضيف ان كاهانا كان يقـدم تعبيرا نوريا عن هـذا الغضب . « وكان كاهانا بمثابة المدخل لفهم الشىء الـذى كنت اشعر تجاهه بالحيرة الشديدة — وهـو (هويتى) اليهودية . فقـد نشأت فى بيت يهـودى مندمج ليبرالى ، مولـع بالفنـون . وكانت معرفتى بكاهانا هى الطريق الى معرفة العالم اليهودى المتعصب المناضل الذى ظللت طويلا بمنأى عنه ومرفوضا منه الى حد ما » .

بيد انه بعد مرور اشهر قليلة ، اكتشف فليمنجر أن الانضمام الى حركة بيطـار كانت غلطة كبيرة . ويقـول « لقـد ضقت ذرعـا بالنظـام . فلـم يكن هنـاك مانع من أن نلعب دور الجنـود ، ولكنهم جعلونا نرتدى أزيـاء الجنود ذات البنطلونات الزرقاء والقمصان البنيه . وكان أمرا غـير عـادى يدعو الى الشؤم أن نسير ونحن نرتدى القمصان البنيه بعـد الحرب العالميـة الثانية . وكان هناك صبى من مقر القيادة الوطنية — وهـو يهودى المانى اسمه زيفى رينتل — كان يدعـوه بعضنا مازحا « بالنـازى » . وقد اعتاد أن يمشى مرتديا زيـه وواضعا سبابته فى حزامه ، بصورة تنم عن الغطرسـة كما اعتاد خلال اجتماعاتنا ، أن يهـاجم صهاينة العمـل وينتقدهم نقـدا لاذعا ، ولاسيما بن جوريون » .

وبالرغـم من أن رينتـل كان يراس مجموعتهم ، فقد قال فليمنجـر ان كاهانا كان كثيرا ما يدير الاجتمـاعات . ويقـول فليمنجر : « لقـد كان مارتى يتمتع بصوت جميل ويعلمنا الاغانى . ولكن فى حين كان رينتل يلقـى علينـا المحاضرات السياسية ، كان كاهانا يتحـدث عن الدين . وكنـت اشعر بأن هنـاك صراعا بين الزعمـاء العلمانيين مثل رينتل وبين مارتى ، الذى كان يحـاول أن يجعل من حركة بيطـار منظمة دينية » .

وفى احد هذه الاجتماعات ، وقف كاهانا أمام المنصـــة فى زيه بنى اللون ، مزدريا ، غاضبا ، متنمرا ، مختالا . ويقول فليمنجر « اننى أذكره عندما وقف فى هذا الاجتماع ووضع احد قدميه على الكرسى ومال على ركبته ، واضعا رأسه بين يديه . وكان يتمايل كلما كانت هناك مناقشة . وبدأ يتحدث بصوت عال عنيف عن تحويل اسرائيل الى دولة دينية ، وأنه وحده يستطيع انقاذ الشعب اليهودى . وانتابنى شعور باننى فى اجتماع فاشيستى » .

ولكن كاهانا يتمتع أيضا بصوت معتدل النغمة . فقد كان أعضاء حركـــة بيطار يجتمعون بانتظام فى معبد تشارلز كل يوم سبت ، حيث كان مائير يقودهم فى ترديد الاغانى الوطنية الصهيونية . ويقول مورتون دولينسكى ، الذى كان يرأس مجموعة حركة بيطـــار فى مانهاتن : « كان كاهانا يتمتع بصوت جميل . وقد اعتاد أن يكتب القصائد الغنائية الرائعة المناهضة للبريطانيين مثل : « سوف ينتشر اليهود فى جميع انحاء المنحدرات الصخرية البيضاء فى دوفر ، وعليك أن تنتظر لترى ذلك » . وكانت هذه القصـــائد تثير جنون الفتيـــات فى مجموعتنا . وكانت لكاهانا حواجب كثيفة وأهداب طويلة تحبها بعض النساء » .

وكان كاهانا يدرك تماما مدى تأثيره على النساء . ويقول فليمنذر « كانت النساء تنجذب اليه . ولم تكن كل تلك الجاذبية لتضيع بين الرجال . وكان ذلك شيئا رائعا بالنسبة لى لاننى كنت التقط الفتات » . وكان كاهانا سيىء السمعة بالفعل بسبب خيلائه وغروره . فقد كان يقضى الساعات الطويلة أمام المرآة ، يمشط شعره الاسود الكثيف . ويقول نورمان داخ الذى كان زميلا لكاهانا فى مدرسة بروكلين التلمودية « كان لكاهانا شعر كثيف مسترسل يرفعه الى أعلى جبهته . وكان الحاخامات يثورون عليه لأنهم كانوا يعتقدون أن شعره يعوقه عن ارتداء التيفلين » وهى الطاقية السوداء التى يرتديها اليهود المتزمتون فوق رءوسهم قبل الصـــلاة » .

وبالرغم من أن كاهانا كان قد بدأ بالفعل فى اظهار ومضات من تعصبـــه الجنسى التى تتسم به حركته فى اسرائيل اليوم ــ بالرغم من ذلك فان سنوات مراهقته مليئـــة بلعب البوكـــر وبالرقص وبتجاربه المتعثرة الاولى مع الجنس الآخر . ويقول الدكتور فكتور مالينبوم فى ذلك « فى الاربعينيات والخمسينيات ، كنت تستطيع أن تخرج مع الفتاة وتحاول أن تمارس معهـــا الجنس . وكن يعرفن انك ستحاول معهن ولكنهن كن لا يســــمحن لك بذلك . وكان ذلك يتم بطريقة ودية » . ويذكر برنارد بايبر صديق الطفولة ، ما كان من كاهانا عندما كان جالسا فى المقعد الخلفى من السيارة ويحاول فى هياج شديد أن يتغلب على خجله . ولم تسفر محاولاته الا عن توبيخ ساخر من الفتاة » . ويذكر بايبر أن الفتاة قالت له « اذا استطعت أن تستثيرنى فانك تستطيع أن تنالنى » . وبدأ

مارتن يداعب ثدييها ، ولكنه لم يصل الى شيء . وكل ما فعلته أنها سخرت بـه » .

ومثل الكثير من جماعات الشباب ، كانت حركة بيطار لديها فتاة مخصصة لمساعدة الشباب فيها على دخـول عالم الرجولة ، أى على تهدية هياجهم الجنسي (بمعنى أصح ممارسة الجنس معه) ، وكان كاهـانا يحاول أن يغتنم هذه الفرصة . ويقول الدكتور مالينبوم « كانت هناك ابنـة لأحد الحاخامات تمارس الجنس مع كل شخص فى حركة بيطار . وفى أحد الأيام ، وداخل معسكر حركة بيطار ، قرر مارتى ، الذى كان يبـلغ حينذاك سبعة عشر عاما ، أن ينالها . وكنت انا زميله المفضل ، ولذلك انتظرته خارج احدى حجرات المعسكر حتى ينتهى . وبعد دخوله الحجرة بخمس دقائق ، خرج وقال لى « لم أستطع أن افعل شيئا ، لقد جردتها من ملابسها ، ولكن الامر كان مقززا . ومعلوماتى أن مارتى لم يمارس الجنس حتى تزوج — وهذا على الاقل ما قاله لى حينذاك » .

ويقول فليمنجر ، الذى تزوج فيما بعد من احدى محبوبات كاهانا فى فترة الدراسة ان كاهانا — رغم أنه كانت لديه صديقات كثيرات فى المدرسة العليـا وفى الكلية — « كان يتحدث عن النساء باحتقار شديد وبطريقة لا يصدقها عقل . قد كان الاحتقار سمة بارزة فى شخصيته . وكانت النساء اللاتى ترتبطن بـه يصبن بخيبة الأمل ، ما لم تكن منحرفات جنسيا (ماسوشيات) . وكان يعامل النساء وكأنهن غير موجودات كبشر ، أو كأنهن مجرد مجموعة أعضاء جسدية — لا يحبها مجتمعه » .

وخلاصة القول أن كاهـانا كانت مهارته فى المراهنـات على مباريات البيسبول وكرة السلة مع وكيل مراهنات الحى سيىء السمعة ، اشد من مهارته فى معرفة النساء . وفى مباريات البوكر التى كانت تقيمها حركة بيطار كل اسبوع، اكتسب كاهانا سمعة الفائز الفظ والخاسر البغيض . ويقول بايبر : « كنـا نتراهن على الفول السودانى . ولكن كاهانا كان يأخذ الأمور بطريقة جدية . وكان يكره أن يكون خاسرا . وكان من المفروض على الفائزين ان يقدموا شيئا يؤكل لكل فرد بعد انتهاء المباراة وكان كاهانا لا يعبأ بذلك . فقد كان يحب دائما أن يحتفظ بالنقود، ولكننا لم نكن ندعه يفلت بها » .

وخلال مباريات البوكر ، كما يقول بايبر ، كان كاهانا « يحاول دائما أن يكون مركز الاهتمام . فقد كان يتحدث دون توقف . وكان يستطيع أن يكـون لطيفا مع الشخصيات ذات النفوذ والسلطة ، وأن يكون فظا مع من هم اقل منه شأنا . وكان كيسا وساخرا للغاية » .

ولم تساعد كاهانا سخريته عندما هاجمه هو وآلان مالينبوم إشخاص من الخلف فجاة بعد انتهاء موعدهما مع فتاتين فى مانهاتن فى حوالى الثالثة من صباح

احد الايام . وكان مالينبوم قد أوقف سيارة والده تحت أحد الأنوار شرق الشارع رقم ١٥ « عندما تقدم شابان نحو النافذة وصوبا بندقية على وجهى » كما يذكر مالينبوم . واستولى الشابان المسلحان على ١٠٠ دولار منهما ، وأرغما كاهانا على الجلوس فى المقعد الخلفى وأمرا مالينبوم أن يقود السيارة داخل المدينة لعدة ساعات تحت تهديد السلاح ، وفى النهاية ، قام الشابان المسلحان بسرقة بطاقتيهما الشخصيتين وحذراهما : « اننا نعلم من أين نأتى بكما اذا أبلغتما الشرطة » . ويقول مالينبوم انه لم يجد وسيلة يقنع بها « زعيم المستقبل الجسور » لرابطة الدفاع اليهودى للتوجه الى المنطقة التى كنا فيها والبحث عن هؤلاء المجرمين . « فقد كان مقتنعا تماما بأنهم سينالون منا اذا حاولنا تعقبهم » .

ولكن ما كان ينقص كاهانا من الشجاعة ، كان يعوضه بالحيلة والمكر . نعندما كان فى السابعة عشرة من عمره ، كان هناك مركز قيادى شاغر فى فرع حركة بيطار بنيويورك . وتحرك كاهانا بسرعة لشغل هذا المركز . ولكن القيادة القومية اتفقت بالاجماع على أن كاهانا صغير السن وينقصه النضج الكافى . ويقول دولينسكى : « عندما رفضناه ، انقلب علينا » .

وانفصل مائير عن الحركة غاضبا ومهددا ، واعلن انه سوف يقوم بتكوين حزب صهيونى دينى خاص به يعمل فيه على دمج القومية اليهودية بأيديولوجية التوراة . ويقول شقيقه الأصغر نحمان « كان كاهانا يقول ان هدفه هو تحويل اسرائيل الى دولة دينية . وكان يطبع المنشورات والنشرات على آلة النسخ التى كان يمتلكها والدى فى معبده » .

وبعد أن ترك كاهانا حركة بيطار بفترة وجيزة ، لاحظ دولينسكى أن شيك الاعانة الشهرية وقيمته ١٠٠ دولار والذى كان يصل الى هذه الحركة الشبابية من المنظمة الصهيونية العالمية قد توقف ولم يعد يصل اليها . ويقول دولينسكى « بعد ثلاثة أشهر من انقطاع الاعانة ، توجهت الى مكتب المنظمة الصهيونية العالمية فى مانهاتن لمعرفة السبب . فأخبرونى أنمارتن كاهانا قد جاء اليهم وقال لهم انه أصبح الرئيس الجديد لحركة بيطار وينبغى أن يحصل على هذه الاعانة . وفى الوقت نفسه ، عمد كاهانا الى الحصول على قائمة البريد الخاص بالحركة . ويذكر دولينسكى : فجاة وصلت الى الآباء الذين كانوا يرسلون أطفالهم الى معسكر حركة بيطار ، رسالة جاء فيها « سجلوا ابناءكم الآن فى معسكر بيطار الصيفى برئاسة مائير كاهانا » . وقد حذرناه قائلين « مائير » ، توقف عن ذلك . واذا كنت تريد اقامة معسكر ، فأقمه ، ولكن لا تحاول ازعاجنا .

وعندما استمر فى ارسال المنشورات الخاصة بمعسكره ، قررت الادارة الوطنية لحركة بيطار أنه قد حان الوقت لتلقين كاهانا درسا . وفى ساعة متأخرة

من مساء أحد أيام السبت من عـــام ١٩٥٠ ، وأثناء خروج كاهانا من احــدى الحفلات فى بروكلين تم دفعه بعنف بعيدا عن الشارع ، وعصب عينيه ، وتقييده، ووضع رباط على فمه ، وألقائه فى المقعد الخلفى لسيارة بلايموث يركبها خمسة من أصدقائه السابقين فى حركة بيـــطار . ويقول سائق السيارة ، اسرائيل هيرمان ، الذى كان يشغل حينذاك منصب السكرتير الوطنى لحركة بيطار : « لقد كنت أخشى أن يأخذ فى العراك لأنـــه كان صبيا قويا للغـــاية . ولكنـــه لم يقاوم » .

ويضيف دولينسكى ، الذى ساعد فى تدبير عملية الاختطاف قائلا : « كان وجهه أبيض كالشبح . فقد كان يظن أننا سنقتله » .

وسارت السيارة فوق جسر جورج واشنطن ، وهـــدده مختطفوه بأنهم سيلقون به من قدميه فى النهر . ولاحظ هيرمان « أنه كان خائفا لدرجة أنه تقيد بالفعل فى السيارة . وكانت هذه السيارة هى سيارة والدتى الجديدة وتلقيت منها توبيخـــا شديدا فى اليوم التالى . ولـــم تنس لى والدتى ذلك مطلقا حتى توفيت » . وبعد ذلك قاد شباب حركة بيطار السيارة ووصلوا بكاهـــانا الى منطقة معزولة مليئة بالأشجار فى نيوجيرسى . وقالوا له ان هذه المنطقة هى التى تقتل فيها الأرجونه الخونة . ثم توجهوا الى منهاتن ، حيث وقف رجل الشرطة هيرمان بالقرب من جسر مانهاتن لأنه كان يســـير عكس الاتجـــاه فى شـــارع ذى اتجـــاه واحـــد .

وقال دولينسكى هاسا بعد ان نزع العصابة من فوق عينيه والرباط من فوق فمه وترك يديه مقيدتين « ماثير ، كلمة واحدة وتكون فى عداد الاموات » . وهمس كاهانا قائلا : « لن أفعل شيئا » .

واتجه هيرمان بعد ذلك نحو سيارة رجل الشرطة وشرح له أنه من كوينز وأنه لا يعرف شوارع مانهاتن . وحذره رجل الشرطة بأن يتوخى الحذر بعد ذلك، ثم استدار بسيارته تاركا المكان دون أن يلقى نظرة داخل سيارة هيرمان .

وبعد ذلك ، توجهوا بكاهانا الى منزل دولينسكى الذى يقع فوق مرتفعات واشنطن شمال مانهاتن . وكان والداه يقضيان أجازة فى فلوريدا وقام شـــباب حركة بيطار بتقييد كاهانا ، الذى كان فى حالة من الفزع الشديد ، فى أحد كراسى المطبخ وحاكموه كخائن . ويقول دولينسكى « لم يكن لديه ما يقوله للدفاع عن نفسه » . ويقول هيرمان « ذكرنا له أن التوراة تخول لنا جلده أربعين جلدة » . ولكن بدلا من ذلك ، أعطاه الصبية قليلا من النقود ليستقل مترو الانفاق وطلبوا منه أن يتوجه الى منزله . ويضيف هيرمان الذى يعمل حاليا مهندس ملاحة جوية فى اسرائيل ، قائلا : « كانت هذه هى آخر مرة أراه فيها » .

وفى الليلة التالية ، أمر ايدى سيلفر ، المحامى العام لمقاطعة بروكلين ، والمتعاطف شخصيا مع الصهيونية، والصديق الحميم لتشارلز كاهانا ، بالقبض على

كافة اعضاء القيادة الوطنية لحركة بيطار واحضارهم الى مكتبه . وصاح فيهم قائلا : « هل تعرفون الحماقة التى ارتكبتموها ؟ انكم مختطفون حمقى . هل تعرفون عقوبة الاختطاف ؟ ان عقوبتها الاعدام . انها عقوبة اجبارية . وليس امامى اى خيار الآن . الم تسمعوا عن قانون لنيدنبرج ؟ انكم ايها الأطفال الأغبياء سوف تحرقون .. واذا كنتم أيها الأطفال تريدون أن تفعلوا شيئا ، فلماذا لا تذهبون الى احدى مستوطنات الحدود فى اسرائيل وتحاربون العرب ؟ »

وفى النهاية ، أسقط تشارلز التهم الموجهة ضد شباب حركة بيطار ، وتخلى مائير عن خطته الخاصة بتخريبها . وبدلا من ذلك ، انضم الى جماعة بناى أكيفا، وهى جماعة من الشباب اليهودى المتعصب . وكاد يقود هذه المنظمة الى الحضيض بعد أن قام فيها بمحاولة انقلاب فاشلة .

ولم يستجب الا القليل من شباب حركة بيطار من الامريكيين لنداء سيلفر بالذهاب الى اسرائيل لمحاربة العرب . اما بالنسبة لكاهانا فقد كان دائما مشغولا تماما بصراعه مع رفاقه من اليهود . ويذكر فليمنجر « كنا نتحدث دائما فى حركة بيطار عن الذهاب الى اسرائيل للنضال مع الأرجون . ولا اذكر أن كاهانا قد اعلن ابدا عن رغبته فى الذهاب الى اسرائيل . وأعتقد انه من الاهمية بمكان انه بالرغم من أن كاهانا كان يحلم كمراهق بأن يحكم اسرائيل بالفعل ، لم يكن يتصور على الاطلاق أن يحارب من أجل الدولة اليهودية . فقد ظل مقيما فى أمريكا والتحق بالكلية وبمدرسة الحقوق . ومما يدعو الى السخرية أن من يهاجم اليوم فى اسرائيل هم الاشخاص الذين اقاموا دولة اسرائيل ، وحاربوا من اجلها ، ودافعوا عنها . ويزعم كاهانا انه تجسيد لاسرائيل ، ومع ذلك لم يفعل اى شىء ايجابى على الاطلاق من اجلها » .

الفصـــــل الرابــــع

« معــركة هوارد بيتش »

بعد أن ترك مائير كاهانا حركة بيطار ، أصبحت معاداة الســـــامية التى كان يخشاها ، والتى نادرا ما خاض تجربتها — أصبحت على مقربة شديدة منه . ففى عام ١٩٥٢ ، قام بعض المخربين برسم الصليب المعقوف (الشارة الدالة على الحزب النازى) على عدد من المعابد فى الحى الذى يعيش فيه . واجتمع والده ،الذى كان يشـــغل حينــذاك منصب رئيس مجلس ادارة الحاخامات فى فلاتبوش ، مع المسئولين فى المدينة وطلب منهم ضرورة زيادة دوريات الشرطة فى المناطق التى يعيش فيها اليهود . وعاد تشارلز الى منزله من احد الاجتماعات مصابا بخيبة الأمل والاحباط . وقد صرح لأحد الصحفيين بعد مرور عدة سنوات على هذا الحادث « لقد ذكرت ، بدون قصد ، انها ستكون فكرة طيبة لــو أن اليهود قاموا بتكوين منظمة سرية . وأخذ مائير هذا الكلام بجدية وقال لى « ان هذا هو الشىء الوحيد الذى يمكننا أن نفعله » .

وبالرغم من أن بذور فكرة اقامة رابطة الدفاع اليهودى ربما قام تشارلز بوضعها من خلال الملاحظة العابرة التى أبداها — لم يتمكن ابنه من تكوين هذه الحركة المناضلة شبه السرية الا بعد مرور خمسة عشر عاما . وفى غضـــون تلك الفترة ، كان يبحث فى كل الاتجـــاهات ، دون كلل أو ملل ، عن جمـــاعة أو قضية يمكن ان تدفع به الى دائرة الاضـــواء الوطنية . وفى عام ١٩٥٥ ، بدأ مكتب التحقيقات الفيدرالى أول تحقيق من التحقيقات الكثيرة حـــول انشطته الصهيونية المتطرفة . وأظهر التقرير السرى الرسمى أن كاهانا لديه « اتجاهات تخريبية داخلية » .

وقبل ان يصبح مخربا خطيرا الى الحد الذى يتهمه فيه كل من الرئيس الامريكى ريتشارد نيكســـون ووزير الخارجية هنرى كيسنجر بمحاولة تخريب سياسة الوفاق — كان كاهانا قد انتهى من تعليمه . فقد حصل على بكالوريوس العلوم السياسية من كلية بروكلين فى عام ١٩٥٤ ، وحصـــل على شهادة فى القانون من مدرسة الحقوق بنيويورك فىعام ١٩٥٧ ، وهو نفس العـــام الذى حصل فيه أيضا على درجة الماجستير فى الشئون الدولية من جامعة نيويورك ، وحصل على درجة الحاخامية من مدرسة الييشيفا مير الدينية فى بروكلين .

ومن بين جميع المدارس التى انتظـــم فيهـــا ، يبدو ان الييشـــيفا مير كان لهـــا أكبر الاثـــر على فكره الدينى والسياسى . فقـــد تأسست فى مير ببولندا فى عـــام ١٩١٧ ، وانتقل مدرسوها وطلابها جميعا الى شنغهاى عندما

نشبت الحرب العالمية الثانية قبل أن يصلوا الى بروكلين . وكان حاخامات مير لديهم مشاعر مختلطة عن الصهيونية مثلهم فى ذلك مثل الحاخامات فى كثير من الييشيفات المتعصبة الاخرى . فقد كانوا يؤمنون بأن اليهود سيعودون الى أرض اسرائيل كمقدمة للخلاص . ولكن كان يزعجهم قبول أن يكون ديفيد بن جوريون هو « الشخص المكرس » لتحقيق ذلك .

وكان كاهانا ضمن أول مجموعة من الطلبة اليهود الامريكيين الذين التحقوا بمدرسة الييشيفا مير . ولم تكن معرفته بالتلمود أكثر تقدما مما كانت عليه عندما كان بمدرسة بروكلين التلمودية . ويقول الحاخام مارسيل بليتز ، الذى التحق بمدرسة مير مع كاهانا والذى يعيش حاليا فى بليتمور ويعتبر مؤيدا قويا لحركة كاخ « كان كاهانا لا يعرف شيئا عن التلمود عندما جاء الى مدرسة مير ، وقد اعتاد المدرسون أن يصرخوا فى وجهه يلعنونه ويسبونه باللغة اليدية . وكانوا يطلقون عليه كلمة غبى أحمق » . وكان يتم تعنيف كاهانا بسبب جهله بالديانة اليهودية ، ولكنه استطاع أن يستوعب عقيدة مير المتعصبة المتطرفة ، واستغلها لتكون بمثابة حصن قوى للدفاع عن نفسه ضد ما كان يعتبره تأثيرا مفسدا للعالم الدنيوى ، الذى ظل رغم ذلك مغريا بالنسبة له . وفى الوقت نفسه ، قام بتغيير اسمه من مارتن الى مائير ، وبدأ ، على الاقل ظاهريا ، يلتزم بشدة بمفهوم السلوك المتعصب .

ولم يكن كاهانا فى دراسته للقانون أفضل منه فى دراسته للتلمود . فبعد تخرجه من مدرسة الحقوق فى عام ١٩٥٧ ، لم ينجح فى محاولته الوحيدة لاجتياز امتحان المحاماة فى ولاية نيويورك ، وزعم فيما بعد أنه لم يدخل ذلك الامتحان نظرا لان اهتمامه بالقانون كان خارج نطاق هدفه بأن يكون مناضلا نشطا وعالما يهوديا متفرغا .

ولم يخلق كاهانا أيضا انطباعا مرضيا فى جامعة نيويورك . ويقول جيرى جودمان ، الذى اشترك مع كاهانا فى دورة دراسية بعنوان « أفريقيا .. جنوب الصحراء » ، والذى كان يشغل منصب المدير التنفيذى السابق للمؤتمر الوطنى لليهود السوفييت « لم يكن كاهانا مؤثرا من الناحية الفكرية . فقد كان يبدو مهتما ــ باخلاص ــ بالطائفة اليهودية ، وكان يتمتع بكبرياء هائلى شديد ، ولكن اخلاصه كان يمتزج بالغوغائية . وقد قال لى فى احدى المرات أنه سيكون أول رئيس وزراء يهودى أمريكى لاسرائيل . لقد كان ملتزما ــ باخلاص ــ بمبادئه ، ولكنه كان شخصية غريبة » .

والشىء الذى كان يفتقده كاهانا فى القدرة على التحصيل الدراسى ، كان يعوضه بالتصميم والاصرار . فقد كان جدوله الدراسى قبل التخرج مشحونا ، فكانت سونيا تمر عليه بسيارتها فى مدرسة الييشيفا مير فى الساعة

الرابعة والنصف بعد الظهر ، لتوصيله الى كلية بروكلين ، وتذهب اليه بعد منتصف الليل لتعود به الى المنزل . وتقول سونيا « لم يكن وقته يتسع لعمل الواجبات ، فقد كان يقضى طوال اليوم فى اليشيفا ، ويذهب فى المساء الى الكلية » .

وكان كاهانا ، ذو الطبيعة الحادة والنشيطة مثل أمه ، يستطيع ، رغم جسمه النحيل وعصبيته الشديدة ، أن يظل طوال الخمس عشرة ساعة التى يقضيها فى الدراسة يوميا دون أن يتناول سوى ساندويتشين . وتقول سونيا : « وظللت أعد له ساندويتشين يوميا على مدى سبع سنوات ، احدهما بالجبن والمربى والآخر بالسالمون والطماطم . وقد أصبحت بعد سبع سنوات اشمئز من السالمون » .

ولم تكن سونيا وحدها هى المعجبة بنشاط مائير المحموم . وانما كانت هناك أيضا ليبى بلوم ، الطالبة فى المدرسة الدينية العليا ببروكلين والتى قابلت مائير عندما كانت فى السابعة عشر من عمرها ، وكان يكبرها بخمس سنوات . ويقول كاهانا « كنت رئيسها فى منظمة بناى اكيفا الشبابية الصهيونية . وكانت فتاة ذكية أنيقة رقيقة . وكانت صغيرة وساذجة » . وقد تزوجها كاهانا فى عام ١٩٥٦ ، بعد عام واحد من لقائه بها . وراس تشارلز كاهانا وعميد مدرسة اليشيفا ميرر ، مراسم الزواج . وقد حذرت سونيا ، ليبى من أنها قد تزوجت رجلا ثوريا ، ونصحتها بأن تحاول ابعاد مائير عن حياة النضال اليهودية . ولكن ليبى لم تكن لتستطيع أن تفعل سوى القليل . ومنذ اللحظة الأولى ، تكهن أقاربهما بأنه ستكون هناك متاعب بين كاهانا عصبى المزاج والأنانى ، وبين ليبى الخجولة السلبية . ويقول اسحق ترينين اليوم « كان مائير يعامل ليبى مثلما كان يعامل تشارلز سونيا . فقد كان يستخف بها ويعاملها بازدراء . وكانت ليبى رقيقة ، ضعيفة الشخصية » . وخلال سنوات قليلة ، تسببت خيانات كاهانا الزوجية فى خلق تصدع عميق ودائم بين أسرة كاهانا وبين والد ليبى ، يعقوب بلوم ، المحقق السابق فى وزارة الشئون الاجتماعية بولاية نيويورك . (وقد تقاعد بلوم مؤخرا وانتقل الى القدس ، حيث يعيش فى أحد الاحياء التى يسودها التعصب الدينى ، على بعد بيت واحد من بيت سونيا كاهانا . وقالت لى سونيا « ليست لى صلة به . انه شخص غريب للغاية » . ومن ناحيته أخبرنى بلوم بأن « المشاكل القلبية تمنعه من الحديث عن زوج ابنته سيىء السمعة » .

وفى عام ١٩٥٨ ، بدأ كاهانا يعمل حاخاما فى مركز هوارد بيتش اليهودى بمنطقة الطبقة العاملة فى كوينز . وكان قد أمضى السنة الاولى بعد الدراسة معتمدا على

منحة زوجته(١) ، دون أن يعلم الى أين سيأخذه الطريق . فقد فشل فى المحاماة ، وبالرغم من أن العمل الدينى لم يكن هو الشىء الذى يهتم به ويفضله ، فقد كان لديه طفل يبلغ من العمر عاما واحدا وكانت زوجته ليبى حاملا للمرة الثانية . وقد صرح كاهانا بعد ذلك بسنوات قائلا « انه ليس من الضرورى أن يدرس المرء علوم الدين ليكون حاخاما . اذ ينبغى على كل يهودى أن تكون لديه معارف الحاخام . وعندما تسألنى « متى قررت أن أكون عالما ؟ » . أقول لك اننى قررت ذلك دائما . وعندما تسألنى « متى قررت أن أكون حاخاما ؟ » أقول لك اننى لم أقرر ذلك على الاطلاق . لقد وجدت نفسى اغوص فى هذا المجال ، ولم أجد مطلقا الكثير من السعادة فيه » .

وكان مركز هوارد بيتش للطائفة اليهودية عبارة عن معبد صغير يقع فى حى يهودى — ايطالى مختلط ، يتجه سريعا الى أن يكون موطنا للفقراء السود ، والنازحين من أمريكا اللاتينية . وكان المعبد نفسه يقع فى منزل من طابقين مبنى على منحدر . وكان الهيكل يشغل الطابق العلوى ، أما المكاتب والفصول الدراسية فكانت تشغل الطابق السفلى . وكانت الصلاة الجماعية تمثل جزءا من الحركة اليهودية المحافظة التى تعتبر أقل تزمتا من الديانة اليهودية المتعصبة (٢) .

وقد أحب رئيس المعبد كاهانا ، بالرغم من انه كان متخوفا من قيام هذا الحاخام الصغير بمحاولة فرض آرائه الاكثر تعصبا على الرواد . لكن كاهانا ، الذى كان قد فقد الامل فى الحصول على وظيفة ، وعده بالالتزام بقيم الرواد السائدة . وبذلك بدأ كاهانا فى ممارسة عمله ، ومنحه مجلس ادارة المعبد راتبا صغيرا وشقة مجانا .

واستطاع كاهانا أن يكبح جماح تعصبه المفرط ، فى الوقت الذى كان يقيم فيه قاعدة المؤيدين له بين الرواد . وحظيت محاولاته الجادة فى جمع الاموال وفى جذب أعضاء جدد — بالترحيب الحار . ويقول بوب فولك ، أمين صندوق المعبد : « كان كاهانا يبعث صباح كل يوم احد بخمسة أو بستة أزواج للطرق على أبواب الجيران من اليهود ودعوتهم للانضمام الى عضوية المعبد . ولم يكن يفعل ذلك أى حاخام قبله » .

---

(١) كان طلبة مدرسة البيشيفا يتلقون عادة منحا ورواتب حتى يستطيعوا مواصلة دراساتهم .

(٢) فى عام ١٩٨٦ ، أصبح مركز هوارد بيتش محط انظار العالم عندما هاجمت عصابة من المراهقين البيض بوحشية ثلاثة من السود بعد خروجهم من محل لبيع البيتزا . وقد صدمت احدى السيارات واحدا من السود اثناء محاولته الهرب من مهاجميه وقتلته .

بيد أن الشيء الاكثر اهميـــة من ذلك ، هـــو أن كاهانا اكتشف فى معبد هوارد بيتش ما يعـــد بلا شك أعظم مواهبه ـــ وهى قدرته على سلب لب الاطفـــال . واذا كان كاهانا قـــد استطاع فى البداية أن يخضع ـــ بحرص ـــ المشاعر الدينية للكبار ، فانه كان يدفـــع بأفكاره المتعصبة فى نفوس أطفالهم بنجاح باهر . ويقول فولك « كان أولادى مجانين به . فقد اعتادت ابنتى ، وكانت حينذاك تبلغ من العمر ثمانى سنوات ، أن تســـير لمسافة ميل كل يوم سبت الى نادى السبت الذى أسسه كاهانا . وكانت المسافة طويلة بالنسبة لطفلة فى سنها . وبدأت تصطحب معهـــا جارتها غير اليهودية التى كانت تحبه أيضـــا . فقد كان هنـــاك شىء جذاب فى شخصيته . وكان يتمتع بصـــفات الزعامة . وكان يجعـــل الناس يقومون بأشياء كثيرة لا يمكن أن يقوموا بهـــا لأى شخص آخـــر » .

وقد اخذ عـــدد المنتظمين فى المدرسة العبرية التابعة للمعبـــد يزداد يوما بعد يوم . وكانت خطبه الحماسية التى يلقيهـــا تسخر من الحركات الاصلاحية والمحافظة لانها تقوض أسس وقواعـــد الديانة اليهودية نفسها . وكان كاهانا يردد أن اليهودية المتزمتة هى حيـــاة خاصة مستقلة قاسية ، تتعارض مـــع حياة اليهود الذين ينشدون الاختلاط ، والانتهازية ، والاستمتاع بالحياة دون التقيـــد بقوانين مزعجة ، وعبادة الرب فى مذابح المعابد التى تقـــدم شرائـــح الكبد ـــ على غرار ما يحدث فى حفل التكليف الدينى اليهودى الامريكى المنـــدمج فى الحيـــاة الامريكية ـــ وربمـــا لا يكون التزمت الدينى هـــو الطريق المفضل الذى ينشده اليهود الامريكيـــون ، كما يقول كاهانا ، ولكنـــه هـــو الطـــريق الحقيقى لليهود .

ويقول ديفيـــد كوهين ، الذى كان يبـــلغ الرابعة عشرة من عمره عندما التحق بفصل كاهانا فى المدرســـة العبرية : « لو أنك كنت صبيا فى الرابعـــة عشرة من عمرك فى عام ١٩٥٧ ، ومن أسرة يهودية مندمجة . واستمتعت الى كلام كاهانا ، لشـــعرت بأنك تبحر مـــع كريستوفر كولمبس ، وتكتشـــف معـــه عالمـــا جديدا . لقد كان الدين بالنسبة لـــه حقيقة واقعة وأصـــبح كـــذلك بالنسبة لنـــا أيضا . وكانت لديه فكرة واضـــحة عن الصواب والخطـــأ خط متعصب صارم . ويستطرد كوهين ، الذى يعمل الآن مدرســـا باحدى مدارس مدينة نيويورك ، قائلا « اما انك تنفذ كل ما جاء فى الكتاب أو انك لا تنفـــذ شيئا . لقد أعطانا الخيار . ولكن بعضنا لم يختر شيئا » .

بيـــد أن آخرين كانوا يعتنقون الافكار الدينية المتزمتة ، الامر الذى كان يصيب آباءهم أحيـــانا بالجنون . فقـــد كان أكثر من طالب من طلبـــة كاهانا يعودون الى منازلهم وهم يرتدون القلنسوة اليهودية ، ويرفضون تناول أنواع الطعام الاخرى ، غير طعام الكوشر الخاص باليهود ، التى يتناولها والدهم ،

ويتجولون فى منازلهم أيام السبت ليطفئوا الانوار والأدوات الكهربائية . وتشكو (بيل كير شينبوم) ، التى ما زالت متضايقة من ابنهـا بعد ثلاثين عاما قائلة : « ان ابنى آفى كان يطفىء حتى نور الثلاجة أيام السبت » ، كما بدأ أيضا بعض طلبة كاهانا يرددون الشعارات الوطنية اليهودية . ويقول كوهين « لقد علمنا كاهانا انه ينبغى علينا أن نقف الى جانب شعبنا . وكان يتحدث عن الوحدة بين اليهود ، وعن عدم ثقته الشديدة فى غير اليهود . وكان يبدو أنه يعيش فى أجواء الابادة الجماعية وعارها » .

وفى صباح يوم سبت توجه المتعبدون الى المعبد ، فوجدوا ستارة (مهيتزا) معلقة وسط الحرم المقدس وممتدة من الارض حتى السقف . وكانت هذه الستارة هى الحاجز الذى فشل كاهانا فى اقناع والده بتعليقها فى معبده منذ عشر سنوات . وأعلن كاهانا لهم انه لن يكون حاخاما لهم اذا ظل الرجال والنساء يجلسون معا أثناء الصلوات . وبالرغم من تزايد الاستياء بين الكبار من كاهانا ، تخطى اخيرا كل الحدود . ودعا أعضاء المعبد المصدومين الى عقد اجتماع عام لتقرير مستقبل حاخام الثائر المتمرد . وفى مساء احد أيام شهر مارس عام ١٩٦٠ ، وفى وسط عاصفة ثلجية عنيفة جعلت المرور فى الشوارع شبه مستحيل ، اتجه اكثر من ١٥٠ شخصا ، أى حوالى ٩٥٪ من الاعضاء الى المعبد .

وكانت أخطر تهمة وجهت الى كاهانا هى محاولته غسل مخ الاطفال . ويتذكر فولك فيقول : « لقد أخذ كاهانا على حين غرة وكان مضطربا للغاية . وقال انه لم يعلم الاطفال عدم احترام والديهم ، واذا كانوا قد اصبحوا أكثر يهودية ، فما هو العار فى ذلك ؟ » . ولكن آباء الاطفال اليهود « المولودين من جديد » كانوا على حافة الجنون . وتقول بيل كير شينبوم التى أصبح ابنها (آفى) يهوديا متعصبا « لقد أطلقت عليه اسم هتلر » . وبعدساعات من المناقشات الحامية التى تم تسجيلها تحسبا لاحتمال قيام كاهانا برفع دعوى قضائية ضدهم ، طلب من الحاخام الحاضر العودة الى منزله حتى يتمكن الاعضاء من التصويت . ويقول جوناثان بيركوفيتز ، أحد أعضاء المعبد الذى حضر الاجتماع « انه يتعين على الحاخام أن يلبى طلبات واحتياجات أعضاء المعبد ، ولكن كاهانا كان يصر على انه يمثل القانون . وكان الأمر كما لو كنت تصطدم بحائط من الصخر اننا اعضاء محافظون ولكن كاهانا حوله الى معبد متعصب » . وأخيرا وفى الساعة الثانية من صباح اليوم التالى ، صوتت الأغلبية بطرده .

وتقول استر فولك ، التى صوتت لصالح كاهانا ، بالرغم من أن زوجها صوت ضده : « ذهبت اليه فى منزله لأخبره بانه تم طرده . وكان مائير غاية فى الضيق » . وتضيف بمرارة « اننى كنت احبه ، وقد اعتدت أن أحتفظ له ببعض الاطعمة الخاصة عندما كان يأتى لزيارتنا . وقد زاد عضوية المعبد من ٤٠ أسرة

الى ١٢٥ اسرة ، وكانت هذه هى مكافأته .. لقد كان هذا اليوم يوما أسود فى هوارد بيتش » .

وفى اليوم التالى ، دعا تشارلز كاهانا العديد من أعضاء مجلس الادارة للدفاع عن بقاء ابنه ووظيفته ، ووعد بأن يكون مائير أكثر مرونة . وكان أعضاء المعبد كان قد سادهم الاستقطاب التام الى حد أن الكثيرين منهم لم يعودوا على وفاق فيما بينهم . وبعد أن ترك كاهانا المعبد ، قدم حوالى نصف اعضاء المعبد استقالاتهم منه . وتقول السيدة (كير شينبوم) « أن المعبد لم يستعد مكانته الاولى على الاطلاق » .

وسرعان ما انتشرت تفاصيل الحرب الاهلية داخل معبد هوارد بيتش بين جميع افراد الطائفة اليهودية المحلية . ووجهت صحيفة « بروكلين ديلى » ، وهى صحيفة علمانية يمتلكها أحد الحاخامات المتعصبين ، الدعوة الى كاهانا للحضور الى الصحيفة ووصف التجربة التى خاضها . وصرح كاهانا للصحفيين بأنه تم طرده لانه « حول ابن رئيس المعبد الى يهودى ملتزم » . وقال لهم انه فى حقيقة الأمر لا يعبأ بهذا الطرد . لأنه لم يكن يحب أن يكون حاخاما تقليديا ، وأنه كان يكره وجود اليهود حديثى العهد بالثراء بين رواده « الذين يعيشون فى منازل قيمتها ١٠٠,٠٠٠ دولار ، غير الأثاث » . وقد أعجب صاحب الجريدة بهذا الحاخام فصيح اللسان وطلب منه أن يكتب مقالا عن تجربته الشخصية . وقد تحدث المقال الذى أطلق عليه اسم « معجزة هوارد بيتش » عن كيف قام حاخام صغير بتعليم الدين للجهلة من اليهود المستوعبين . وحول المقال كاهانا الى بطل شعبى صغير بين الطائفة اليهودية المتعصبة الكبيرة فى نيويورك . وفى الوقت نفسه ، استغل كاهانا هذه الفرصة لاقامة علاقة أب بابنه مع الحاخام شلوم كلاس ، صاحب الجريدة اليومية . وخلال السنوات التالية ، ساعد كاهانا فى تحويل الجريدة ، التى كانت تتكون أساسا من الاعلانات القانونية ، الى صحيفة اسبوعية دينية يهودية قوية ، وأطلق عليها اسم « الجويش بريس » . ووصل توزيعها الى قرابة ٢٠٠,٠٠٠ نسخة ، وأصبحت مصدرا قويا للتأثير السياسى فى مدينة نيويورك وخارجها . كما أصبحت منبرا لكاهانا لاقامة رابطة الدفاع اليهودى وحركة كاخ بعد ذلك .

وكان تألق كاهانا فى صحيفة الجويش بريس ، بعد عدة سنوات من دخوله لاول مرة مكاتب صحيفة بروكلين ديلى المتهدمة الواقعة فى شارع سيرف فى كونى ايلاند . وبعد وصفه للظلم الذى عاناه فى هوارد بيتش ، قال كاهانا « بالمناسبة ، اننى ابحث عن عمل — هل لديكم اى عمل لى ؟ . اننى أعرف الكتابة .وأستطيع أن أكتب فى الرياضة . اننى فى حاجة فقط الى شىء يساعدنى فى التغلب على هذه المحنة حتى أجد منبرا أعبر منه عن أفكارى » .

وكانت « بروكلين ديلى » فى حاجة الى محرر رياضى . فوافق كلاس على أن يمنح كاهانا راتبا رمزيا ، وأعطاه تصريحا صحفيا يسمح له بدخول استاد اليانكى الرياضى . ويقول ارنولد فاين ، رئيس تحرير كاهانا « قام كاهانا بتغطية الجانب الرياضى لليانكى طوال موسم كامل وكان يكتب تحت اسم مستعار هو مارتن كينج ، وكانت تقاريره ممتازة » . ولذلك حصل على جائزة جرانتلاند رايس للكتابة الرياضية الصحفية .

وقد ذكر لى كاهانا ذات مرة أن العام الذى قام فيه بتغطية أخبار اليانكى ، كان أسعد سنوات حياته . ولكن فى عام ١٩٦٢ ، انتقل الكاتب الرياضى الحديث فجأة الى اسرائيل ، تاركا وراءه زوجته وأطفاله الاربعة مؤقتا فى كوينز . وكان هذا العمل يتسم بالتهور والاندفاع وليس له ما يبرره ، لدرجة أن كاهانا لا يحب أن يتحدث عنه حتى اليوم . فقد أخبر كاهانا أقاربه فى ذلك الوقت بأنه سيذهب الى اسرائيل ليصبح عضوا فى الحكومة الاسرائيلية . ويقول خاله الحاخام اسحق ترينين ، غاضبا ومتهكما أنه كان يعتقد أن بن جوريون سوف يستقبله على رصيف الميناء » .

ولكن لم تكن هناك فرقة للموسيقى النحاسية تنشد نشيد الهاتيكفا « الأمل » نشيد اسرائيل الوطنى ، عندما اجتاز كاهانا معبر سفينة الشحن الاسرائيلية الصغيرة الضيقة فى ميناء حيفا . وبالنسبة لرجل نشأ على الاحلام والاوهام فى أن يصبح فى يوم ما منقذ اسرائيل ، كانت الدولة اليهودية تبدو أنها تسير بدونه على خير ما يرام . وبالرغم من أن كاهانا ربما كان يعتقد أنه أصبح بطلا — بعد أن قذف بيفن بالطماطم — كان سلوكه الغريب فى حركة بيطار قليل الاهمية فى بلد كانت البطولة فيه شيئا مألوفا .

ورحل كاهانا الى بيشيفا كفر هروعه ، الواقعة فى قرية يمينية يهودية صغيرة بالقرب من الحاضرة ، لدراسة التلمود . وكان يتلعثم بصورة سيئة فى نطق اللغة العبرية ، وسرعان ما أصبح مادة للاحتقار والاستهزاء . وكان أبواه قد أرسلاه فى شبابه الى مدرسة خاصة باهظة التكاليف فى نيو انجلند لتعلم النطق الصحيح ، حيث تعلم فيها كيفية السيطرة على هذه الفأفأة ، ولكنه لم يستطع تطبيق أساليبها على العبرية المنطوقة . ثم انتقل بعد ذلك الى صعد ، وهى مستوطنة دينية تقع فى صحراء النقب بالقرب من الحدود المصرية ، حيث عمل مساعد حاخام . ولكن المستوطنين فى تلك المستوطنة كانوا يسخرون منه بسبب غطرسته . وبعد ثلاثة أشهر ، انتقل للاقامة مع بعض أبناء عمه فى تل أبيب ، وقد أصيب بصدمة ثقافية . ويقول ابن عمه موشى كاهانا ، الذى كان يقيم معه مائير فى شقته : « لم يكن كاهانا يتحدث مع أى شخص عن مشاعره أو عن مشاريعه . وفى أحد الايام قال انه سيرحل ، وسيعود الى اسرائيل مرة أخرى عندما يصبح شخصا ذا شأن » .

وقبل أن يغادر اسرائيل ، كتب كاهانا الى أبويه متباهيا بأنه قد « قـابل كبار حاخامات القدس وأنه اول حاخام أمريكى صغير السن يسمح له أن يكون بينهم » كما تقول سونيا . كما أخبر والديه أيضا بأنه دعى لانشاء قسم للقانون فى جامعة بار عيلان ، وأنه درس التلمود دراسة خاصة على يد اسحق هيرتزوج كبير حاخامات اسرائيل .

وبعد عودته الى زوجته وأولاده فى كوينز ، مفلسا وعاطلا ، اعتزل الناس حتى استعاد صـحته النفسية المحطمة . ولم يطلع أبويه على الاطـلاق على حقيقـة فشله الذريع فى اسرائيل . بالرغم من أنه كان واضـحا أن تلك المرحلة كانت أسـوأ مرحلة فى حياته . وعندما الح عليـه ليبرر سبب عـودته الى امريكا ، قال كاهانا ، ان ذلك يرجـع الى انزعاجـه من أن اسرائيـل « تمزقها الاحزاب المتناحرة » و « النزاع القائم بين السفارديين » .

ويذكر الحاخام مارسيل بليتز ، الذى درس مع كاهانا فى كليـة بروكلين وفى مدرسة الييشيفا ميرر ، كيف كان كاهانا يتبـاهى قبـل أن يسافر الى اسرائيل ويقول « أنه لن يعـود حتى يصبح رئيسا لوزرائها » وبعـد ذلك بسـنة ، قـال بليتز أنه حضر حفـل زفاف فى بروكلين ، حيث قابل أحـد أبناء عم كاهانا فسأله « ماذا يفعل كاهانا فى اسرائيل ؟ فرد عليه ابن عمه قائلا : « لقد عاد باسم مستعار وظل متخفيا ، خجلا لأنه فقد وظيفته فى اسرائيل بسبب مأمأته وهو يتكلم » .

الفصل الخامس

سنوات العمل السرى

عقب عودته الى حياته الطبيعية بعد فترة مؤقتة أقامها فى اسرائيل ، كان يأس مائير كاهانا من أن يجد عملا . وكان مع زوجته وأطفاله الاربعة فى لوريلتون بحى كوينز ، وهو حى يضم الطبقة العاملة ومكون من صف فى المنازل المبنية على النمط البدائى والمغطاة بألواح الخشب . وبالرغم من أنه كان يكتب بعض المقالات الصحفية للجـويش بريس ، وكان له فيها عمـود يومى باسم « صوت صغير » ، فقد كان فى حاجة الى دخل أكبر كثيرا . ولذلك طلب من ارنولد فاين ، رئيس تحـرير الجـويش بريس ، أن يسـاعده فى ايجاد عمل وعرفه فاين برجل يعيش فى منطقة لوريلتون ، لديه كشك لبيع الصحف معروض للبيع . واشترى كاهانا هذا الكشـك بآلاف قليلة من الدولارات بعد أن استدان المبلغ من أصدقائه ومن أفراد أسرته .

وأصبح الحاخام كاهانا وجها مألوفا للمبكرين صباحا فى لوريلتون . ويقول فريد هوروفيتز ــ وهو رجل أعمال فى كوينز ، هرب من المـانيا النازية وتوجه الى فلسطين فى عام ١٩٣٧ ، وكان يعمل (رقيب طيار) فى السلاح الجوى الملكى خلال الحرب العالمية الثانية ، وقدم فيما بعد الدعم المالى للعديد من مشاريع كاهانا ، يقول « لقد اعتدت أن أراه كل يوم فى الفجر ينقل الصحف من سيارته الاوستين الحمراء » . وكان كاهانا يثير شفقة وعطف هوروفيتز وغيره من المقيمين فى لوريلتون أكثر من أى شىء آخـر . وفى ليلة ممطرة ذهب كاهانا الى منزل هوروفيتز مبتلا تماما ومرتديا حذاء ممزقا . ويقول هوروفيتز « لقد تعطلت سيارته الاوستين القديمة مرة أخرى تحت الامطار » .

وقام كاهانا باعادة بناء الكشك بعد عناء شديد ، من خـلال توزيع الهدايا واقامة الاتصالات . وبالرغم من عنائه « كان كشك الصحف لا ينظـر اليـه بأنه أكثر الاعمـال احتراما » ، كما يقـول الياهورومينك ، حاخام معبد اسرائيل الفتاة فى لوريلتون حيث كانت تتعبد أسرة كاهانا . ويضيف قائلا « كانت الطائفة اليهودية تشعر بالأسف تجاهه . فقد كانت لديه أسرة . وما كان يتكسبه هـذا الرجل الذى يتمتع بمثل تلك القـدرات ليس بالكثير » .

وكان تشارلز كاهانا قلقـا هو الآخر وهو يرى ابنه الحاخام مصـدر كبريائه وبهجته ، والحاصـل على شهادة فى القانـون وعلى الماجسـتير

الشئون الدولية ـ مجرد بائع صحف . وكان تشارلز يقول لاصدقائه أن مائير يقوم بهذا العمل حتى يستطيع الانتهاء منه فى الساعة السادسة صباحا ويتفرغ لدراســـــة التوراة بقـــية اليـــوم . وفى الوقت نفســـــه كانت أسرة كاهانا وأصدقاؤه قلقين ، لان توزيع الصحف فى الاحياء الفقيرة التى يسكنها السود فى ساعة مبكرة من الصباح أمر محفوف بالمخاطر . ويذكــر فايـــــن : « أن كاهانا كان يرد دائما على ذلك بقوله « الله معى ، ولن يلحق بى الأذى لانه هو وحده الذى يعلم حقيقة عملى » .

وبالرغم من وظيفته المتدنية ، كان الكثير من سكان لوريلتون معجبــــين بالطريقة الرقيقة التى كان يتحدث بها كاهانا . ويقول الحاخام رومنيك « كانت سمات التقوى ترتسم على وجهه . وكان ذلك هو سبب حب الناس له » . وكان لا يزال يحتفظ بجاذبيته السحرية للاطفال . ويقول هوروفيتز « كان كثيرا ما يتوقف ليلعب الكرة مع الاطفال ، ورداؤه (التزيتز)(وهو الرداء ذو « الشراريب » الذى يرتديه اليهود الملتزمون يطير فى انهواء) . ويذكر الحاخام رومنيك أنه فى يوم توراة سمشاص ، « كان مائير يكاد يقفز الى عنان السماء بالتوراة . وكان الاطفال ينبهرون بما يفعله . فقد كان يقفز الى أعلى ثم الى أسفل ويظل يرقص بهـــــذه الصورة المحمومة » . وكان يرقص مع كل طفل فى المعبد عدا أطفاله الذين كانوا يقفون فى هدوء فى الصفوف الخلفية ، تملأ عيونهم نظرات الرفض لما يفعله ، مثــل والدتهم .

وكان كاهانا ، فى كل يوم سبت ، يقيم صلاة خاصة للاطفال فى المعبد . وكان يلقنهم ما جاء فى الكتاب المقدس ويعلمهم تعاليم الصهيونية ، بينما كان الحاخام رومنيك يؤدى وظيفته فى الطابق السفلى من المعبد . وكان كاهانا يشجع طلبتــه أيضا على الحضور الى منزله ليتلقوا دروسا فى العبرية والتلمود ، أو لمجــــرد الصـــــداقة .

وتقول ايديث هوروفيتز « كان شرفا » للطفل أن يدعى الى مائدته يوم السبت بيد أن ليبى ، زوجة كاهانا ، كانت مستاءة من الاهتمام الذى يبديه زوجها تجاه أطفال الآخرين . ويقول فريد هوروفيتز : « فى احدى المرات عندما كان ابنى اليوت فى المدرسة العليا ، واجهت احدى المشاكل وذهبت الى منزل كاهانا ، ولاحظت عينيها وكأنها تتكلم وتقول « لماذا لا تخرج أيها الاحمق من هنا ؟ ما الذى أتى بـــك الينا حاملا معك مشاكلك ؟ من يكون هو ؟ المنقذ ؟ ولكن كل شخص فى لوريلتون كان يهرع اليه وكنت تذهب اليه كثيرا لدرجة تحس معها انك مدين له ، ولذلك عندما جاء الينا بعد ذلك طلبا للمال ، كان من الصعب علينا أن نرفض طلبه » .

ولم يمض وقت طويل حتى استطاع موزع الصحف الورع ، أن يجد عمـــلا يتفق بصورة أفضل مع آماله وطموحاته . ففى وقت ما من عام ١٩٦٣ ، خلــــع كاهانا قلنسوته وشاله الذى يضعه الحاخامات على أكتافهم أو رءوسهم) وبــدأ

يحرج الى عالم العمل السرى . وبعد أن انتحل اسم مايكل كينج ، بدا يقـــوم بعمليات جمع المعلومات والبحث عنها ، مع جوزيف شوريا ، صديق طفولتـــه وزميله فى حركة بيطار . ولم يمض وقت طويل حتى كان كاهانا ــ سليل الثمانية والعشرين جيلا من الحاخامات ، كما كان يعلن هو شخصيا عن ذلك ــ قد انطلق يبحث عن المنحرفين فى حانات الجانب الشرقى ، ويطلب (المارتينى) ويخترق صفوف الجماعات المتطرفة المحلية لحساب مكتب التحقيقات الفيدرالى . وقــد صرح مصدر عليم بأعمال كاهانا الاولى : « بأنه كانت هناك بعض الاشياء الكريهة فى العالم الدنيوى يحبها كاهانا » . وكانت هناك جوانب كثيرة فى هذا العالم كادت تحطمـــــه .

ويعتقد اسحق ترينين بأنه لو استطاع أن يعثر على عمل لابن أخته عنـــدما عاد من اسرائيل ، فربما أنقذه بذلك من اندفاعاته المتهورة المدمرة . ويتذكـــر ترينين فيقول «لقد رتبت له مقابلة فى مدرسة هوثورن للاطفال المضطربين عاطفيا. وقد أحبوه وكان هو لطيفا مع الاطفال . ولكنهم لم يكونوا متزمتين ، ومن ثــم رفضوه . ومن يدرى ماذا ستكون ، لو أن مدرسة هوثورن قد عينته ؟ .

ومن يدرى ماذا سيكون مصير كاهانا لو لم يتعاون مع شوريا ، الطويل الهزيل ذى الشعر الاسود ؟ . ففى عام ١٩٦٣ كان شوريا ، الذى كان يعمل فى ذلك الحين فى تحضير رسالة الدكتوراه بجامعة كولومبيا ، قد وطد علاقتــه بالفعل مع وكالة المخابرات المركزية الامريكية والمخابرات الاسرائيلية ، وبذلك اتاح لكاهانا دخول ذلك العالم الغامض ، عالم المتخفين والمحاربين البارزين ذوى القلوب الميتة . وبالرغم من أن شوريا ظل يعمل حتى أصبح متخصصا فى شئون الشرق الاوسط لحساب مخابرات السلاح الجوى ، ومستشارا لرونالد ريجان للشئون الخارجية خلال حملة الرئاسة عام ١٩٨٠ ، وكبير المستشارين السياسيين لوكالة الحد من انتشار الاسلحة ونزع الســــلاح ، فانه ــ بالرغم من ذلك ــ لا يعرف الا القليل عن سنوات حياته الاولى . وقد ظل شوريا يعمل جاهــدا على أن يظل الامر على هذا النحو .

وقد ولد شوريا ، وكان واحدا من اثنى عشر طفلا ، فى ٢٣ مايو عام ١٩٣٣ فى فلاتبوش ببروكلين ، ونشأ وتربى فى منزل مكون من طابقين فى أوشان باركواى فى منطقة يسكنها اليهود القادمون من حلب بسوريا . ويعتبر اليهود السوريون اليوم من أغنى الطوائف اليهودية فى العالم وان كانوا اقلهم شهرة . وقد ســافر الكثير منهم الى أمريكا فى بداية القرن ، عندما اضطرتهم الاحداث الداخلية الى ترك بلادهم . وبسبب عدم قدرتهم على التعامل بسهولة مع اليهـــود الاوروبيين الشرقيين الذين ياكلون السالمون المدخن وخبز الباجل ، ويتحدثون اللغة اليدية ، فى الجانب الشرقى السفلى ، حيث استوطنوا فى بادىء الامر بسبب ذلك رحل اليهود السوريون الذين يتحدثون العربية الى ويليامز بيرج ثــم الى بينســـى

نهيرست ، وفى نهاية الامر الى فلاتبوش . وهناك قاموا بشراء منازل أنيقة يسع كل منها عائلتين على طول طريق الكينجز السريع واوشان باركاواى . وكانوا متماسكين ومتعصبين ضد الدخلاء ، مثلهم فى ذلك مثل معظم اليهود الاوروبيين المتزمتين . ففى عام ١٩٣٥ ، حظرت المحكمة الدينية يهود حلب حتى الزواج ممن يتحولون الى الديانة اليهودية .

وكانت أسرة شوربا فقيرة للغاية . وقد ماتت (أم يوسف) وكانت امرأة فقيرة منحنية ، تبدو دائما فى حالة رثة ، بعد معاناة طويلة من مرض السرطان عنـدما كان شوربا طفلا . وكان والده (رحاميم) الذى كان يعمل فى احـــد المعابد المحلية ، قد طرد من عضوية المعبد فى الخمسينيات ، بعد خلاف دينى مع كبار أعضاء الطائفة اليهودية الذين كان يتهمهم باعتناق قيم تقليدية متهاونة وبعد تحديه لسلطتهم وفقدانه لعمله ، لم تطأ قدماه أى معبد مرة أخرى . كما أنه لم يشغل أية وظيفة بعد ذلك على الاطــلاق . وقضى بقية حياته موصدا عليه باب حجرة مكتبه ، متنسكا ومستغرقا فى الاطلاع على العقيدة الدينية الخاصـــــة ــ تاركا الامور الدنيوية والبحث عن الرزق لاولاده الذين خرجوا سعيا وراء العمــل .

وشب يوسف شوربا غريبا ، وقد امتلأ قلبه بالاحتقار الشديد لهــؤلاء الذين طردوا والده . وفى كلمة كتبها فى احــدى الصحف المحلية ينعى فيهــا والده بعد وفاته فى نوفمبر عام ١٩٨٧ ، عنف شوربا الطائفة اليهـــودية الســـــورية فى نيــويورك ، التى لــم تقدم لوالده سوى « معتقل صــامت فى مقبرة مجهولة » . وكشف عن حماسه الدينى السلفى واحساسه بالغربة مثلما كشف عن حبه الشديد لوالده . وكتب شوربا يقــول : « لقد كان من طائفة حلب ولكنه لم يكن ينتمى اليها . انه سيظل وحــده الرجــل المؤمــن الوحيد ، لانه كان يؤمن بأن اى جيل ، مهما كان سيئا لا يمكنه أن يبطــل الوعد الالهى أو يمنع قدر الشعب اليهودى . وهذا الوعد ليس مشروطا ، مطلقا . وسيعود السفارديون الى تراثهم ان عاجلا أو آجلا . واذا لم يحقق هذا الجيل ذلك ، فان الجيل التالى سيحققه . أنها عملية رهيبة ، والصراع له أبعاده الكونية » .

وعندما كان شوربا طفلا ، كان يجد الملاذ فى منزل كاهانا ، حيث كان يتناول طعامه ويقضى ليله فى غالب الاحيان . كما كانت اسرة كاهانا تســاعد اسرة شوربا ماديا أيضا . وتتذكر سونيا فتقول « ذهبت ذات يوم الى مخزن الادوية لشراء بعض الكحول ، وقال البائع : « هل تعلمين يامسز كاهانا انك مدينة لى بـ ١٦٥ دولارا ؟ » . وعرفت سونيا ، التى لم تكن تشترى اى شىء بالاجــل

على الاطلاق ، أن مائير كان قد ابلغ البائع بأن يقيد ثمن دواء مسز شوربا على حساب اسرته . وتقول سونيا انه عندما سئل مائير عن الحساب رد قائلا « اننا يهود ياأمى وعلينا أن نساعد اليهود . فاذا مرض يهودى لا يملك شيئا ، فانه يجب علينا أن نساعده » .

وقد التحق يوسف شوربا ومائير كاهانا بنفس المدارس ، وانضما الى حركة بيطار ، وكانا يحضران معا المعسكر الصيفى الذى تقيمه الحركة فى كاتسكيلز ، ثم درسا فيما بعد معا فى مدرسة اليشيفا ميرر . بيد أن شوربا حصل فى النهاية على (رسامة) الحاخامية من احدى مدارس اليشيفا السفاردية فى القدس . وملفه العسكرى الامريكى السرى يصفه بأنه من المحللين اللامعين لشئون الشرق الاوسط ورغم ذلك كان رفاقه فى حركة بيطار يطلقون على صديقهم الأخرق الذى يبلغ طوله ستة اقدام اسم « العربى الابكم » . ويقول الدكتور فيكتور مالينبوم اليوم « كان علينا أن نكتب له كل ابحاثه الخاصة بالمدرسة العليا . وكنا نعتبره غبيا . وقد أصبنا بالذهول عندما سمعنا انه حصل على الدكتوراة فى العلوم السياسية من جامعة كولومبيا » .

وقد واصل شوربا ، مثل كاهانا ، نشاطه الصهيونى اليمينى المتطرف فى سن البلوغ . ففى عام ١٩٥٦ ، على سبيل المثال ، نظم شوربا عددا من مظاهرات الاحتجاج ضد مبيعات الاسلحة الغربية الى العالم العربى ، وذلك وفقا للمعلومات التى تم الحصول عليها من ملف شوربا السرى بمكتب التحقيقات الفيدرالى . وفى فبراير عام ١٩٥٦ ، تزعم شوربا مسيرة مؤيدة لاسرائيل أمام مقر البعثة البريطانية فى نيويورك . وبعد ذلك بشهرين ، قاد أعضاء حركة بيطار فى مظاهرة أمام مقر القنصلية المصرية .

وفى نفس العام ، وخلال حرب السويس ، وصل شوربا الى ميفو بيطار ، وهى مستوطنة تقع على بعد ٢٢ كيلو مترا جنوب غربى القدس ، وحوالى ٣٠٠ متر من الحدود الأردنية . وسلمه الاسرائيليون بندقية آلية ووضعوه فى خندق وفى الليلة الاولى ، ومع زيادة التوتر على طول الحدود بعد قيام طابور من المدرعات الاسرائيلية بمهاجمة المواقع المصرية فى سيناء ، ترك شوربا موقعه « باحثا عن مهرب له ولم يعد مرة اخرى » ، وفقا لما صرح به مورتونى دولينسكى ، زميله فى الخندق . ويقول اسرائيل هيرمان ، الذى كان معه أيضا فى الخندق « لقد تصورنا أن شوربا فقد أعصابه » .

ويشغل شوربا حاليا منصب رئيس مركز الامن الدولى ، وهو مركز فكرى يمينى متطرف فى واشنطن ، يموله الجناح السياسى للكاهن صن ميونج مون

باتحاد جمعيات توحيد المجتمعات فى أمريكا (١) . وقد رفض شوربا طلبات عديدة للحديث عن كاهانا أو عن نفسه .وليس صمته بالأمر الغريب اذا أخذنا فى الاعتبار علاقته الوثيقة بحكومتى ريجان وبوش . وعلى أية حال ، وفى الوقت الذى كان فيه كاهانا لايزال يقوم بتوزيع الصحف فى لوريلتون ، كان شوربا فى واشنطن يعمل نيابة عن العميل نجودين دييم ، الذى نصبته وكالة المخابرات المركزية الامريكية فى فيتنام الجنوبية ، وفقا لما ذكرته مصادر الحكومة الامريكية .

وفى أوائل عام ١٩٦٣ ، عرف شوربا صديقه كاهانا بحياة الليل فى واشنطن وبالشخصيات الهامة ، وبالعمل السرى . وقد أثارت امكانية التغلغل فى صفوف الجماعات المتطرفة فى الداخل وزيادة الحركة المناهضة للحرب التى ربما تساعد اسرائيل سرا ـ اثارت الحاخام الفاشل .

وقد كانت صورة شوربا وكاهانا معا غريبة ومتناقضة . فقد كان شوربا: اعزب ، طويل القامة ، أنيقا ، يهتم بمصاحبة الفتيات فى عربات الحنطور عبر الحديقة الرئيسية ويتناول الطعام فى المطاعم الفاخرة التى كان يعرف رؤساء الجرسونات فيها بالاسم . وفى الجانب الآخر من الصورة كان هناك كاهانا : الاسمر ، المتوتر ، الماكر ، الذى لايبالى بالطعام الفاخر ، والمتزوج فى الوقت نفسه . ويقول فريد هوروفيتز « بطريقة ما أصبح كاهانا وشوربا متلازمين دائما » . فقد كان شوربا لا يستطيع أن يكتب بطريقة جيدة ، وكان يحتاج الى شخص ما ، يستطيع نشر آرائه بين الناس . ولكن اذا كان هناك شخص يقود عملية اختراق عالمى المخابرات والدبلوماسية ، فقد كان شوربا هو الذى يقود

---

(١) اسسه بوهى باك ، العميل الكورى السابق لوكالة المخابرات المركزية الامريكية ، وكيم سان ان ، الرئيس الكورى السابق لفرع وكالة المخابرات المركزية الامريكية فى مكسيكوسيتى . وكان أول مدير تنفيذى لهذا الاتحاد هو وارين ريتشارد سون المستشار العام السابق لـ (لوبى) التحرر من معاداة السامية . ومن بين مستشارى مجلس ادارة هذا الاتحاد الجنرال جورج كيجان ، ودانيل جراهام ، نائب مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية السابق .

وفى عام ١٩٨٥ ، دخل مون السجن وامضى به ثلاثة عشر شهرا فى الولايات المتحدة الامريكية لتهربه من دفع ضريبة الدخل . ولم تثنه العقوبة عن ممارسة نفوذه فى عاصمة الدولة من خلال صحيفته « الواشنطن تايمز » ، وغيرها من المؤسسات . ورغم أنه مؤيد قوى لاسرائيل ، انتقده بعض الزعماء اليهود لجذبهم العديد من الشباب اليهود الى عقيدتهم التى تشبه عقيدة توحيد الكنيسة والتى تدعو الى تكوين مزيج عجيب من المسيحية والكونفوسيوسية ومناهضة الشيوعية .

كاهانا . فقد كان شوريا يستطيع أن يلعب كل الادوار . فكان يستطيع أن يلعب دور السفير والدبلوماسى ، وكان متفوقا فى ذلك . أما كاهانا فكان يشبه صبى الييشيفا النمطى ، القادم من فلاتبوش — مثل شخصية من شخصيات آلان وودى السينمائيـــة » .

ولكن كاهانا ، الذى ظهرت مهاراته ومواهبه الارتجالية بالفعل فى المدرسة العليـــا ، أصبح بسرعة ماهرا فى القيـــام بأى عـــدد من الادوار . ووفقـــا لروايته ، كان كاهانا يحيا معظم الســـنوات الاربع التالية حيـــاة مزدوجـــة . فقد كان يترك منزله فى لوريلتون يوم الاثنين فى طريقه الى واشنطن أو مانهاتن ويعـــود اليـــه يوم الجمعة لحضـــور صلوات يوم السبت . وقـــد لعب أدوارا شتى ، منها دور مراســـل أجنبى ، وأســـتاذ جامعى ، وأعزب ثرى . وأمضى أحـــد فصول الصيف فى هامبتون فى منزل شوريا . وقد صرحت احدى سيدات العلاقات العامة فى نيويورك لصحيفة النيويورك تايمز فى عـــام ١٩٧١ بأنهـــا تذكـــر أنها التقت بكاهانا فى احدى الحفلات التى أقيمت فى لونج أيلانـــد : « لقد عرفته باسم مايكل كينج . وقال لى انه يعمل مراسلا لاحـــدى مؤسسات الخدمات السلكية فى أفريقيا واذكر انه قال فى سياق حديثـــه انـــه كان مـــن كبـــار رجـــال الدين » .

وكان عمل كاهانا الأقرب على الاطلاق الى عمل المراســـل الاجنبى ، هو توزيع صحيفة النيويورك تايمز فى لوريلتون . بيـــد أن أسرته واصدقاءه كانوا مندهشين من الحالة الطيبة التى وصل اليها موزع الصحف الســـابق فى حياته الجـــديدة . ويقول الحاخام رومنيك « كنا نعرف أن كاهانا يقوم ببعض المشاريع للحكومة فى واشنطن ، ولكن لم يكن احـــد يعلم ماهية تلك المشاريع . لقد باع كشك الصحف الذى كان يمتلكه ، وفجأة أصبح فى واشنطن . وكان هناك غموض حول العمل الذى يقوم به » .

وقد بذل كاهانا وشـــوريا جهدا كبيرا لتعزيز سمعتهما . وكلمـــا اصبح لهما وضـــع خاص ، وكلما تباهيا وتفاخرا بالشخصيات الهامة التى عرفاها فى واشنطن ، كان ســـهلا عليهما جمع الامـــوال عن طريق بيع المســـاهمات المحدودة فى مركزهما الفكرى الجـــديد الذى أسساه فى واشنطن واطلقا عليـــه اسم معهد البحوث فى الشئون الخارجية . ولكن عائد الاستثمارات الضخم الذى كانا يعدان به ، كان وهما مثل معهدهما نفســـه . فقد كانا يزعمـــان أن مركزهما موجـــود فى جورج تاون ولكنه لم يرد اسمه فى دليـــل تليفونـــات واشنطن على الاطلاق ، ولا فى أى دليل آخـــر خاص بالمؤسسات أو المعاهـــد الموجـــودة بواشـــنطن .

وكان أول مشروع لهما هو توزيع نشرة أسبوعية — لم تـــدم طويلا — عن الاسرار الشخصية ، أطلقا عليها اسم « نايت أول » أو « بومة الليـــل » ، وكانت تتناول ظاهريا حيـــاة الليل فى السفارات فى واشنطن . وقـــد أعطاءها

فريد هوروفيتز مبلغ عشرة آلاف دولار ليبدآ فى اصدار هذه النشرة ، التى توقفت بعد صدور عددين منها فقط . وكان مشروع هذه النشرة مشروعا مضللا كاذبا مثل الكثير من مشاريعهما الأخرى . فقد كانا يأملان فى الحصول على الأموال من السفارات المختلفة ، لاختلاق القصص والمعلومات ، وفقـا لمـا ذكـره هوروفيتز ، الذى كان يريد شخصيا أن يصبح ناشرا ذائع الصيت فى واشنطن . ويقول هوروفيتز اليوم « كنت أعتقد أننى سأحصل على بطاقة صحفية ، وأننى سأستطيع أن أتعرف على عالم الحفـلات . لا تضحك . انظـر ، لقد كنت أثق فيهمـا . وكنت مستعدا لان أطمئن فيهما على حياتى » .

وبعد ذلك خاض شـوريا وكاهانا مجال كتابة التقارير للجان الكونجرس . وقد صرح لى كاهانا : « بأنهما فى احدى المرات كتبا تقريرا حول وجهة نظـر اليـونان ازاء الوضع فى قبرص لمكتب السيناتور جاكوب جافيتس فى نيويورك . وفى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات ، كان اعـداد الابحـاث للحكومة هو أفضل وسيلة لكسب المـال » .

ويقول كاهانا أنه فى وقت ما ، خلال عام ١٩٦٣ ، استفسر مكتب التحقيقات الفيدرالى عما اذا كان يستطيع هو وشوريا أن يتغلغلا داخل جمعية جون بيرش التى لم يكن معروفا عنها الا القليل حينذاك ، لمعرفة مصدر أموالها . وقد أسس هذه الجمعية السرية التى تضم المتطرفين اليمينيين ، روبرت ويلش فى عـام ١٩٥٨ ، وكان صاحب مصنع حلويات ناجح . وصرح لى كاهانا « فى أحـد الايـام جاءنا بعض رجـال مكتب التحقيقات الفيدرالى وشكوا من أن سمعتهم سيئة بسبب تحرياتهم عن اليساريين ، فهل فى امكاننا أن نتحـرى لهم عن جماعة بيرش ؟ وقال رجال المكتب أنه ليس لديهم الاشخاص المناسبون لهـذه المهمة ، ولذلك يريدون التعاقد معنـا للقيـام بهـا ، وهذا هـو ما يفعلونه فى بعض الاحيـان . ولكننـا لم نكن لنسـتطيع فى الحقيقة أن نقـوم بعمـل جيـد باستخدام أساليب البحث التقليدية . فقد كان فى استطاعتى أن أقـوم بقص المقـالات ، وأن أذهب الى الاجتمـاعات ، وأن اكتب التقـارير .. ولكن لم يكن ذلك فى الحقيقة هو ما يريده رجـال مكتب التحقيقات الفيدرالى . ولذلك قلت « سوف أخبركم بشىء . لمـاذا لا أنضم الى جماعة بيرش ؟ . فقالوا أن ذلك أمـر رائع ، نادر الحـدوث . واخبرونا أن هذا بالضبط هو ما نريد منكمـا أن تفعـلاه » . وهكذا بدأت أنشغل بعمق فى هذه المسألة » .

ويزعـم كاهانا أنه بدأ العمل السرى مستخدما اسما مستعارا ، هـو مايكل كينج لانه كما قال لى « كان طبيعيا الا يحقق مائير كاهانا وهـو يرتـدى القلنسوة اليهودية تقدما ملحوظا فقـد كان لزاما على دائما أن اقـدم أعذارا لعدم استطاعتى حضور اجتماعات أمسيات الجمعة » .ولعـدة أشهر بين عامى ١٩٦٣ و ١٩٦٥ ، كان يقول أنه يقوم برحلات عبر جنوبى كاليفورنيـا

والجنوب الغربى . ويقول انــه فى هــذا المعقل الحصين للمحافظين اليمينيين ، تعرض — لاول مرة — لقسوة معاداة السامية . فقد قابل افراد جماعة بيرشى من الطبقات المتوسطة وفوق المتوسطة ، الذين يعتقدون أن كل الامراض التى يعانى منها المجتمع الامريكى ، ابتــداءا من ســموم المخــدرات وحتى التفرقة العنصرية ، ناجمة عن مؤامرة يهودية دولية تستهدف تدمير الامة من الداخل حتى تســقط فى أحضان الشيوعية .

ويقول كاهانا أنه بعد عثوره على أفراد جماعة بيرش البــارزين ، كان يأتى دور مكتب التحقيقــات الفيدرالى ، فيهددهم بالكشف عن هويتهم — الامر الذى يزعم كاهانا أنه كان دائما يخفف من حماسهم لانهم لــم يكونوا يريدون المخاطرة بالتعرض للمتاعب على المــلأ . ويضيف كاهانا قائلا « لقــد كان عملا خطــيرا للغاية . وكنت أنقب عن اثرياء جماعة بيرش ، ثم يأتى دور مكتب التحقيقات الفيدرالى للتعامل معهم . وينبغى أن أقول انه يجب ارجاع الفضل لمكتب التحقيقات الفيدرالى . اننى لست من المعجبين بالمكتب ، ولكنه كان يقوم بعمله تجاه هؤلاء الاشخاص الاثرياء » .

وقد صرح أحــد المتحدثين باسم مكتب التحقيقات الفيدرالى فى نيويورك بأن كاهانا لم يعمل على الاطلاق مــع المكتب . ويقول كاهانا « اذا كان مكتب التحقيقات الفيدرالى يقــول أن الامر ليس كذلك ، فان لديه اسبابه » . ولكن أحــد المسئولين الكبار فى وزارة العدل اعترف بأن كاهانا ورجال مكتب التحقيقات الفيدرالى كانوا يعرفون بعضــهم بعضــا معرفة جيدة . وصرح لى هـــذا المسئول الذى استعرض ملف كاهانا فى مكتب التحقيقـــات الفيدرالى قبل مقابلتى فى نوفمبر عــام ١٩٨٧ بأن كاهانا كان يقــدم معلومات مفيدة حول شــئون الامن الداخلى « الى المكتب خلال الستينيات ، بالرغم مــن أنه رفض أن يؤكد مزاعم كاهانا بأنــه وشــوربا قــد أبرما عقــدا مع المكتب للتغلغل داخــل جماعة بيرش . وقال هــذا المسئول الذى طلب عدم الكشف عن شــخصيته « لقــد قــدم كاهانا بعض المعلومات حــول جماعة بيرش ولكنه لــم يحصل على أموال مقابل ذلك . فقد كان مواطنــا متعاونا ، وليس مخبرا منتظما . فحتى ذلك الحين كان هنــاك اعتقاد بأن لديه هــدفا شخصيا يســعى الى تحقيقه . كنــا نعتقــد أن هذا العمل يخدم أغراضه وهو تقديم معلومات عن منافسيه . فقد كان كاهانا صهيونيا ، وكان أفراد جماعة بيرش مناهضــين للكاثوليكية وللسود وللتحررية ولليهودية . وأى شــخص يعمل حقيقة لحساب مكتب التحقيقات الفيدرالى (فى سرية تامة) لا يستطيع أن يتباهى بذلك . انــه لا يستطيع أن يثبت ذلك ، ولا يمكنك أن تتوقع منى أن أزودك بما يثبت ذلك » .

وقــد صرح ديفيــد ريان ، الرئيس الســابق لشعبة المخابرات الداخلية سيئة السمعة ، أو الشعبة الخامسة — التى كانت راس الحربة فى الحمــلة

التى شنها جيه . ادجار هوفر مدير المكتب للقضاء على حركات الحقوق المدنية والحركات المناهضة للحرب خلال فترة الستينيات والسبعينيات ، صرح لى بأنه لا يعتقد أن كاهانا كان متورطا مع المكتب الى الحد الذى يجعله يحصل على القدر الكافى من المال الذى يعيش منه . لقد كان مواطنا صالحا . وكان يأتى ليعبر عما يقلقه ويثير اهتمامه . ان الرئيس الحالى رونالد ريجان كان يفعل ذلك . والحقيقة أن ممثل هوليوود رونالد ريجان كان يعمل فى أواخر الاربعينيات كمخبر لمكتب التحقيقات الفيدرالى حول التسلل الشيوعى المزعوم فى صناعة السينما ، وكشاهد صديق للجنة الانشطة غير الامريكية بالمجلس التشريعى .

وكانت فترة الستينيات لا تقل عن الاربعينيات والخمسينيات من حيث ملاءمتها للعمل كمخبر — متسلل محترف لصالح الحكومة . فقد كانت فترة يسودها جنون الشك والارتياب . ولذلك كان يتم ، فى الحقيقة ، التسلل الى المئات من المنظمات والتجمعات السياسية ، من جانب عملاء الحكومة لتخريبها . وفى الوقت نفسه ، كان عدد من المراكز الفكرية اليمينية يقوم بامداد وكالة المخابرات المركزية ، ومكتب التحقيقات الفيدرالى بمعلومات عن « المخربين » قد يمتنع على الحكومة الحصول عليها بغير ذلك ، بسبب القيود الدستورية والتشريعية .

ويقدر أحد دارسى تلك الحقبة الزمنية ، أنه كان هناك ما يربو على عشرة آلاف مخبر سياسى يعملون لحساب الحكومة . ويذكر فيكتور س . نافاسكى فى كتابه الذى صدر عام ١٩٨٠ تحت عنوان « تحديد الاسماء » ، أن المخبرين أصبحوا « عنصرا ثابتا فى الصورة .. وكان الاشخاص الذين يكشفون عن عمليات التجسس ، والشهود المتفرغون ، والمخبرون الموثوق بهم يشتركون فى النهاية فى أنهم متطوعون ، ومتحمسون للخيانة » .

وكان من الواضح أن ما يحد من حماس كاهانا وشوربا هو فقط قيمة الاموال التى يمكنهما جمعها . وفى فترة ما فى أوائل عام ١٩٦٥ ، كون كاهانا وشوربا مجموعة شكلية أخرى تسمى مجموعة الابحاث والاستشارات . وكان هدف هذه المجموعة الاول هو مساندة حرب فيتنام داخل الطائفة اليهودية الامريكية . كما واصلا عمليات التجسس لحساب الحكومة ، وخاصة على جماعات الطلبة اليساريين المعارضين للحرب . ثم اتجها مرة أخرى الى هوروفيتز لتمويلها . ويقول هوروفيتز انهما « كانا يريدان القيام بأنواع مختلفة من المشاريع . فكان شوربا يريد أن ينتج فيلما سينمائيا عن أهمية فيتنام . فقد اعتاد أن يذهب الى فيتنام وكان له « نفوذ » على السفير الفيتنامى فى واشنطن . ودفع هوروفيتز مبلغ عشرين الف دولار وأصبح رئيس مجموعة الابحاث والاستشارات . وقام رجل أعمال كوينز بالبحث عن محام ، ليضع

له صيغة عقـد المشاركة ، ولكن شوربا احتج على ذلك وادعى كـذبا بأنه محام دولى وأنه سيقوم بنفسـه بصياغة العقد . وأعرب هوروفيتز فيما بعد عن أسفه لقبوله طلب شوربا .

وفى مايو عام ١٩٦٥ ، قام شوربا وكاهانا باستئجار صندوق بريد ورقم تليفون تحت أسم مجموعة الابحـاث والاستشارات ، ٥٠٩ الشـارع الخامس بمانهاتن . كما قام باستئجار شقة رقم ٣٥١ شرقى الشارع رقم ٨٥ شـمالى الجانب الشرقى لنيويورك باسم مايكل كينج . وكان شـوربا وكاهانا يقيمـان فيها فى بعض الاحيان . ولم يبلغ الشبحان الطامحان هوروفيتز بشىء عن هـذه الشقة ، كما لم يخبر كاهانا أسرته عنها . وقد صرح كاهانا فيما بعد قائـلا « أن ما كنا نريده هو أن يكون لنا عنوان فى الجانب الشرقى نستطيع به أن نؤثر على عملائنا المرتقبين » .

ويكاد يكون من المؤكـد أن كاهانا لم يسـتخدم قط شقة الجانب الشرقى لاستقبال المستثمرين المرتقبين من طائفة اليهود المتعصبين فى نيويورك . وبدلا من ذلك ، كان يقوم ببعض الجولات على المعابد المتعصبة ، مستفيدا من علاقاته مع المسئولين فيها لجمع الامـوال . ويتذكر الحاخام رومنيـك فيقول « كانـا يجمعان المال من جميع أنحاء لوريلتون ، متباهين بالعمل الهام الذى يقومـان به للحكومة . وكان شوربا يستغل سمعة كاهانا الطيبة فى جمع المال . فلم يكن أحد قد سمع عن شوربا على الاطلاق . أما كاهانا ، فكانت له سمعة ممتازة بين الطائفة اليهودية نظرا لعلاقته الطيبة مع الاطفال » .

وخلال هذه الفترة ، بدأ كاهانا أيضا ، يكتب كثيرا للجويش بريس . وفى ١٩ مارس عام ١٩٦٥ ، كتبت الصحيفة المتعصبة لمحة حماسية عن حياة شوربا، ووصفته بأنه النجم السياسى الصاعد الذى سيصل فى يوم ما الى منصب كبير مثلما وصل الشقيقان دالاس اللذين ترأسـا وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية . وذكر المقال أن شوربا كان حاخاما متعصبا ، وأستاذا فى شـئون الحكم بجامعة اديلفى ، ومستشـارا كبيرا لوزارة الدفاع ووزارة الخارجيـة الامريكية ، وكان يسارع ، عند أى اشعار ، لمعالجة مشاكل الحكومة الضخمة . وكان شوربا يتباهى بعلاقاته الشخصية بكبار زعماء العالم الثالث مثل اليكس كويسون ساكى زعيم غانا ، ثم رئيس الجمعية العامة للامم المتحدة ، وتوم مبويا رئيس كينيا ، وجوزيف كازافوبو رئيس الكونغو . وقد صرح للصحيفة قائلا « اثناء محادثاتى مع هذه الشخصيات كنت أحـاول من جانبى التأثـير عليهم ليتفهموا الموقف الاسرائيلى ، بالرغم من أننى كنت أبدو ظاهريا أننى غير مهتـم بالنزاع العربى ـــ الاسرائيلى » .

وفى نهاية هذا الحديث الصحفى ، لخص مراسل صحيفة الجويش بريس انطباعاته عن هذا الحديث بقوله « كان شوربا داخليا يعيش فى عالمين ـــ عالم

التوراه وعالم الشئون الخارجية والمؤامرات المعقد . وأعود الى الذاكرة مرة اخرى فأتذكر مكتبه المكتظ بالصحف العالمية من كل الانواع ، وعلى راسها رسالة البابا كاما (احدى رسائل التلمود) . وكان كاتب المقال هو حاييم بيرو شالمى ، احد أسماء كاهانا العديدة المستعارة . ولا شك أن كاهانا كتب هذا المقال التمجيدى للتأثير على المستثمرين المرتقبين .

واصبح الرجلان اللذان يعملان فى الخفاء موثوقا فيهما تماما . وفى عام ١٩٦٥ ، دبرا خطة لزواج شوريا من فتاة من أسرة ثرية تعيش فى لونج أيلاند حتى يستطيعا الاستيلاء على ثروة والدها . وكانت الضحية المستهدفة هى لويز أوبن ، الفتاة الساذجة ذات التسعة عشر ربيعا والطالبة بكلية شتيرن ، وهى كلية جامعية متعصبة للنساء فى مانهاتن . وكان والدها يمتلك مخزنا للاسلحة البحرية ومغسلة كهربائية ، ومحلا للصرافة فى بيد فورد - ستايفيسنت ، وهو حى من احياء السود الفقيرة فى بروكلين حيث كان مشاركا ايضا فى احد النوادى الليلية واسمه تاون هول ، الذى كان يعمل فيه بعض كبار المغنين السود مثل شوبى شيكر ولينا هورن . وتتذكر لويز فتقول « لقد زلزل شوريا كيانى » ، مضيفة أن صديقا لكاهانا هو الذى قدم شوريا لاسرتها . « وكنت احب فكرة الرجال الكبار ، واحب فكرة الرجال الناجحين ، واحب فكرة القوة . وكانت النساء فى تلك الايام تستمد قوتهن ومكانتهن من أزواجهن . وكان شوريا يتمتع بالقوة والاتصالات الكثيرة فى واشنطن . وكان يصحبنى فى سيارة ليموزين يقودها سائق ، الى المطاعم الفخمة . وكان شابا أنيقا ينفق المال بلا حساب » .

وقد تمت خطبة شوريا ولويز بعد عدة مقابلات ، بالرغم من انه أصبح من الواضح تماما أنه كان مهتما بوالدتها اكثر منها . وتقول لويز وهى تسترجع ذكرياتها « كان شوريا معتادا على أن يدخل من الباب ويحتضن والدى ووالدتى ويتجاهلنى تماما » .

واقيم حفل الخطبة فى منزل اسرة شوريا الآيل للسقوط ، والذى يقع فى اوشان باركواى . وحضر حفل الخطبة اخوة شوريا التسعة . كما حضرته أيضا شقيقتاه اللتان كانتا تقومان بخدمة الضيوف بمفردهما مثل الخدم ، كما تذكر لويز . وقد راس حفل الخطبة والد شوريا الذى منع الرقص . وتقول لويز « قدم لى شوريا خاتما فى الحفل . واتذكر كم كان خاتما صغيرا قاتما ، لا يليق أن يقدمه شخص يدعى انه شخصية مرموقة » .

وبعد حفل الخطبة بأيام قليلة ، امضت لويز وشوريا بعد ظهر احد الايام وقتا معا فى احد الفنادق التى تقع فى الطريق رقم ٨ شارع رقم ٣٤ فى مانهاتن . وتقول لويز « لقد انتابنى خوف شديد . فقد كان شوريا قذرا للغاية . وهذا كل ما استطيع قوله » .

وفى اليوم التالى ، أصدر شوربا القانون التالى : « أولا ، اخبرنى انه سيتغيب كثيرا لانجاز بعض الاعمال الحكومية ، وامرنى الا أسأله عن هذه الاعمال على الاطلاق . ثانيا ، قال لى انه يريد مبلغ ستين ألف دولار من والدى لاعماله مع كاهانا » كما تقول لويز .

وكان والد لويز يحب شوربا ، ولكن طلبه كان مفاجأة له . وتتذكر لويز تقول « لقد قال والدى له حينئذ « انك تستطيع أن تتزوج ابنتى ولكنك لا تستطيع ان تأخذ مالى » . وبعد ذلك مباشرة دعا شوربا خطيبته لويز الى العشاء فى لونج تشامبس ، وسط مانهاتن . وبعد تناولهما الحلوى ، فسخ شوربا فجأة خطبته لها وتقول لويز « وضعنى فى سيارة أجرة ولم أشاهده بعد ذلك على الاطلاق . فقد كنت شيئا اضافيا لهذا الوضع برمته ، لانه كان مهتما فى الحقيقة بأن يتزوج حسابا فى البنك » .

وقد صرح شوربا لاديث هوروفيتز فيما بعد بأنه فسخ خطبته للويز لانها لم تكن تريد أسرة كبيرة وقال « ايدى ، انها فتاة بيضاء (من اليهود الاشكيناز) . وربما يتعين على أن اذهب الى تركيا لاتزوج من فتاة سمراء (من اليهود السفارديين) لا تقرأ ولا تكتب . فقد كان يؤمن بأن المرأة لا ينبغى ان يكون لها رأى فى أى شىء » .

وفى ربيع عام ١٩٦٥ ، كون شوربا وكاهانا حركة الرابع من يوليو . ووفقا لما ذكره كاهانا ، كان هذا التنظيم يعمل على تكوين خلايا فى الحرم الجامعى بالكليات الامريكية لتأييد حرب فيتنام ومنع انتشار الطلبة اليساريين الراديكاليين. وصرح لى كاهانا فيما بعد ، بأن حركتهما المؤيدة لحرب فيتنام تلقت « أموال التأسيس » من الحكومة ومن « مجموعات معينة داخل الحركة العمالية » ، تشمل اتحاد العمال الامريكى ــ مجلس المنظمات الصناعية ــ برئاسة جورج مينى . كما حصل شوربا وكاهانا ايضا على مساعدات من رجلى الحرب الباردة الاسطوريين، جاى لافستون ، وارفنج براون ، اللذين كانا من كبار المسئولين فى الحزب الشيوعى الامريكى خلال العشرينيات قبل تحولهما تحولا جذريا ، وأصبحا بعد ذلك يديران ادارة الشئون الدولية القوية باتحاد العمال الامريكى ــ مجلس المنظمات بتوجيه من وكالة المخابرات المركزية .

وقد كون لافستون وبراون ــ باستخدام رجال المافيا من كورسيكا وايطاليا فرق الموت اليمينية فى مارسيليا وغيرها من المدن الاوروبية الأخرى بعد الحرب العالمية الثانية لتدمير الحركة العمالية اليسارية الوليدة ، وذلك بتوجيهات من وكالة المخابرات المركزية . وفى مقال بعنوان « اننى سعيد بأعمال وكالة المخابرات المركزية غير الخلقية » ، ظهر فى جريدة ساترداى ايفنج بوست فى مايو عام ١٩٦٧ كتب توماس برادن ، الذى كان يرأس الخدمات السرية لوكالة المخابرات المركزية فى اوروبا الغربية فى أوائل الخمسينيات ، كتب يقول انه هو الذى فكر فى « اعطاء ايرفنج براون مبلغ خمسة عشر الف دولار . . لدفع حسابات فرق

العنف فى موانىء البحر الابيض المتوسط حتى يمكن انزال الشحنات الامريكية رغم اعتراض عمال الموانىء الشيوعيين »* . وقد ادى النجاح الذى حققه براون فى فرنسا الى شن حملات تخريبية مماثلة ، تمولها وكالة المخابرات المركزية ، ضد حركات الاتحادات العمالية فى أماكن أخرى من أوروبا والعالم الثالث . وكتب براون الذى كان حتى وقت قريب مضيفا مشاركا فى برنامج كروس فاير (النيران المتقاطعة) بشبكة الاخبار الكابلية ، ويقول « عندما نفذت أموال (اتحاد العمال الامريكى ومجلس المنظمات الصناعية) ، طلب من وكالة المخابرات المركزية ان تمده بالمال . وهكذا بدأت المعونات السرية لاتحادات العمال الحرة » .

وفى منتصف السنينيات ، كان اتحاد العمال الامريكى ــ مجلس المنظمات الصناعية ، مشغولا فى تدعيم حركة اتحاد عمال فيتنام الجنوبية كجزء من المجهود الحربى * . « وقد صرح لى ايرفنج براون قبيل وفاته فى باريس فى فبراير عام ١٩٨٩ ، قائلا « كنت أقوم كثيرا بزيارة فيتنام

---

* يرجع الفضل الى براون الذى استطاع باتصاله عام ١٩٥٣ ببيير فيريبيسين ، الذى كان حلقه الاتصال الرئيسية فى عالم الاجرام فى مرسيليا ، ان يسيطر على ميناء المدينة ، حيث أقام امبراطورية عالمية لتهريب الهيروين . ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى تقوم فيها المخابرات الامريكية بشراء خدمات المافيا . فقبل غزو الحلفاء لصقلية ، اثناء الحرب العالمية الثانية ، أقام مكتب الخدمات الاستراتيجية اتصالات مع مافيا صقلية عن طريق لاكى لوشيانو ، الذى كان يسمح لحركة بيطار بتهريب الاسلحة من هوبوكين الى الارجون فى فلسطين . وقد قدمت مافيا صقلية معلومات عن الالمان ، وبعد انتهاء الحرب ، قامت باغتيال مئات المناضلين السياسيين الايطاليين اليساريين . وقد تباهى عميل وكالة المخابرات المركزية فيما بعد بقوله « لولا المافيا وما قامت به من عمليات لكان الشيوعيون يسيطرون الآن على ايطاليا . واذا كان التأييد السرى لعمليات الاغتيال السياسية والتسامح مع تجار الهيروين قد أزعج ايرفنج براون ، فانه لم يكن يفشى الاسرار على الاطلاق . وقد صرح براون فى كلمة أدلى بها فى عام ١٩٧٧ بقوله : « لماذا لا تقبل الاعمال السرية خلال فترات السلام لمحاولة منع احتمالات وقوع الحرب ؟» .

* قامت وكالة المخابرات المركزية بتنفيذ هذه العملية من خلال براون الذى كان حينئذ يشغل منصب مدير الاتحاد الدولى لنقابات العمال ، وهى حركة نقابية دولية يسيطر عليها اتحاد العمال الامريكى ــ مجلس المنظمات الصناعية ووفقا لتصريحات فيليب آجى ، عميل وكالة المخابرات الامريكية السابق ، تجد الاتحاد الدولى لنقابات العمال « قد أنشأته وسيطرت عليه وكالة المخابرات المركزية » وكان « العميل الرئيسى لوكالة المخابرات المركزية والمسئول عن ادارة هذه الاتحاد » ، هو براون .

الجنوبية للعمل مع مسئولى اتحاد العمال » . وقال براون أنه هو ولافستون « كانا يساعدان حركة الرابع من يوليو » ، لاننا كنا معجبين بموقفهما من فيتنام » . ووفقا لتصريحات روبرت ، ابن ايرفنج براون ، الذى كان يعمل مع هذه الحركة ، قام والده بتقديم كاهانا وشوريا للمحافظين الاثرياء ، كما قدمهما لرؤساء اتحادات العمال المستقلة من أمثال : ميكى سامبسون ، رئيس اتحاد التعليم المحلى بنيويورك ، الذى ساهم بمبلغ خمسة آلاف دولار لحركة الرابع من يوليو من أموال الرشاوى السياسية بالاتحاد .

وكان روبرت براون يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما عندما التقى لاول مرة مع شوريا وكاهانا فى عام ١٩٦٥ فى مكتب والده ، حيث كشف الاثنان عن أهداف مجموعتهما . ويذكر روبرت أن كاهانا ، الذى كان معروفا باسم مايكل كينج ، « كان يبدو أقوى الاثنين — وكان عاديا ، وغير متكلف واكثر مهارة » . وقد تأثر روبرت ، مثل والده ، بمشروعهما الخاص بتكوين حركة طلابية داخل الحرم الجامعى ، لتأييد ومساندة حرب فيتنام . ويقول روبرت « كان عرضهما رائعا » . فقد كانت هناك حاجة ملحة لاقامة منظمة طلابية لتأييد الحرب . وكان ذلك فى ربيع عام ١٩٦٥ . وكانت أول وحدة بحرية تابعة للولايات المتحدة الامريكية قد وصلت الى دانانج ، وقام الرئيس الامريكى جونسون بطرح المشروع للمناقشة . وقد خلق كينج شعورا معينا بأهمية الامر وبالرغبة فى العمل ، أثار به اعجابنا . وأخيرا أبدى أحد اليمينيين رغبته فى أن يفعل شيئا » .

وقد كان شوريا وكاهانا محظوظين بالتأكيد ، لالتقائهما بايرفنج براون وجاى لافستون — فقد كان الاثنان يسيطران على سياسة ما بعد الحرب التى تنتهجها الحكومة ازاء الحركة العمالية الدولية . وكانا يمثلان جزءا من شبكة كبيرة من الشيوعيين السابقين الذين تحولوا الى عناصر يمينية متطرفة لوكالة المخابرات المركزية متفرغة لشن حرب لا هوادة فيها ضد العدوان السوفيتى . ويقول روبرت براون « ان والدى أنقذ أوروبا الغربية وكلما احتسيت النبيذ الفرنسى الجيد ، أشكر والدى . ولك أن تتصور ما كانت تعنيه مقابلة والدى لشوريا وكينج . لقد كانا يعتقدان ان هذه المقابلة سوف تساعدهما فى تحقيق هدفيهما » .

وقامت حركة الرابع من يوليو باستئجار مكتب بالقرب من ميدان الاتحاد بمانهاتن . وفى ٢٩ يوليو عام ١٩٦٥ ، ظهر اعلان على ربع صفحة فى صحيفة النيويورك هيرالد تريبيون عن تشكيل هذه المنظمة . وقد وقع على هذا الاعلان يوسف شوريا رئيسا ، ومايكل كينج مديرا . واصبح روبرت براون وصديق طفولته روى جودسون ، الذى كان حينذاك قد تخرج من جامعة كولومبيا فى العلوم السياسية ، مديرين لشئون الطلبة فى المجموعة

وكان جوزيف ، والد جودسون ، صديقا حميما لكل من ايرفنج براون وجاى لافستون . وكان يعمل ملحقا عماليا فى السفارة الامريكية فى لندن خلال الخمسينيات » * .

وبعد مرور عشرين عاما من مقابلته لكاهانا ، لفت روى جودسون — الذى كان قد أصبح فى ذلك الحين مستشارا للامن القومى وصديقا حميما لرئيس وكالة المخابرات المركزية الراحل ويليام كيسى — انتباه لجان الكونجرس ، التى كانت تقوم بالتحقيق فى فضيحة ايران — الكونترا ، لدوره كوسيط فى سلسلة من الصفقات المالية المعقدة لتمويل جماعات المعارضة فى نيكاراجوا بناء على طلب البيت الابيض فى ظل رئاسة ريجان . وفى اوائل عام ١٩٨٣ دعا السيناتور ادوارد زونيسكى عن نبراسكا الى اجراء تحقيق مع جودسون بتهمة استغلاله للمنظمات الشبابية والتبادل الدولى للطلبة فى جمع المعلومات السرية(*) .

وقد اتضحت بالفعل آراء روى جودسون المتشددة المناهضة للشيوعية ، وميله الشديد لاستخدام جماعات التمويه ، عندما انضم الى كاهانا وشوريا للعمل كفريق واحد . وصرح لى جودسون بأنه انضم الى حركة الرابع من يوليو للمساعدة فى اتخاذ اجراء مضاد للحركة الطلابية التى تسيطر عليها الشيوعية والمنتشرة حينذاك فى الحرم الجامعى »

---

* يرجع الفضل فى تعيين جودسون بوظيفته الى لافستون الذى كان رئيسا لقسم العمال الدولى باتحاد العمال الامريكى — مجلس المنظمات الصناعية ويقوم بنفسه باختيار كل من يشغل منصب الملحق العمالى فى السفارات الامريكية . وبعد اعتزال جوزيف جودسون من خدمة الحكومة الامريكية ، قام بانشاء مكاتب اللجنة العمالية لتفاهم عبر الاطلنطى فى لندن ، وانشاء مركز جامعة جورج تاون للدراسات الاستراتيجية والدولية .

* أصبح من الواضح تورط جودسون — الخبير المزيف فى جماعات التمويه على السوفييت وفى فنون المعلومات المزيفة — فى تمويل المنظمات اليمينية فى أوروبا وأمريكا . ووفقا لمذكرة اصدرتها الحكومة الامريكية خلال جلسات التحقيق فى فضيحة ايران — الكونترا أذاع « روى جودسون » أنه اجتمع فى اوائل هذا الاسبوع مع مجموعة من المتبرعين الذين أحضرهم شارلى ويك منذ شهرين . والتزمت المجموعة بدفع أول دفعة من التزامها وتصل الى أربعمائة الف دولار ، تشمل مساندة جماعة فريدم هاوس (بيت الحرية) — وهى جماعة موالية للاتحاد الدولى لمحبى الطبيعة فى هولندا — ومساندة « دقة وسائل الاعلام » (وهى مجموعة « كلاب الحراسة » الاعلامية اليمينية المتطرفة فى الولايات المتحدة الامريكية ومساندة برنامج عمالى فى أوروبا (ربما كان هو اللجنة العمالية للتفاهم عبر الاطلنطى التى كان والده الراحل يرأس مكتبها فى لندن) » .

وفى ٤ يوليو عام ١٩٦٥ ، نشرت صحيفة النيويورك جورنال ــ امريكان ، تحقيقا عن حركة الرابع من يوليو تتصدرها صورة للزعيمين . وأطلق التعليق الذى كتب تحت الصورة على الحاخام كاهانا اسم مايكل ــ كينج ــ وقال كينج « ان حركة الرابع من يوليو ستحاول ملء الفراغ فى الكليات وبين شباب مدننا حيث يبدو أنه ليس هناك صوت يرد على دعوات التهدئة التى تحركها الشيوعية ، وحملات» دعنا نخرج من فيتنام « الصليبية » . وقد ذكر كاهانا فيما بعد أنه شعر بشيء من القلق قبل أن يسمح بنشر صورته . وقال « ولكن المحرر الذى كتب التحقيق اقنعنى بأن اليهود لا يقرأون الجورنال ــ امريكان » .

ولم تلق الحركة مطلقا التأييد الطلابى العارم الذى كان يتوقعه كاهانا وشوربا . ويتذكر روبرت براون فيقــول « كنت الشخص الوحيــد فى جامعة نيويورك . وقد استطعت أن أجند القليلين . واستطاع روى أن يجند عددا قليلا فى كولومبيا . وزعم كاهانا فيما بعد أنه كون بعض المراكز فى فورد هام وفى جامعة ويسكونسين .

وكان من بين الانشطة القليلة التى قامت بها الحركة ، بخلاف تجنيد الطلبة ، وتقديم ميدالية تقديرية الى والدى جندى لقى مصرعه فى فيتنام ، وذلك فى مؤتمر صحفى حضره عدد قليل من الاشخاص . ويقول براون : « اننى اذكر لحظة تقديم الميدالية لوالد الجندى . لقد كان مذهولا تماما لما حدث لابنه . ولم يذكر الا بعض الكلمات القليلة . وظل واقفا منتصبا . ومازلت أتذكر عينيه . فقد صارتا ضيقتين خائفتين حزينتين عندما قدمت اليه الميدالية . والتقط مصور الجورنال ــ أمريكان بعض الصور ، وكان هذا هو كل ما حدث » .

ويستطرد براون قائلا « لقد فعلنا القليل من مثل تلك الأشــياء الجديرة بالاهتمام ، ولكن سرعان ما نفد ما كان معنا من مال . وأذكر أننا كنا ندعو الافراد محاولين وجمع الاموال ، لأننا لم نكن نستطيع دفع الايجار . وحاولت أنا و (روى) الحصول على مساعدات باللجوء الى مختلف الاتحادات مستغلين علاقات أبوينا واتصالاتهما » .

وفى الوقت نفسه ، اختلف جودسون وبراون مع سوربا وكاهانا حــول كيفية انفاق أموال الحركة الآخذه فى التضاؤل . ويقول روى جودسون « لقد تركز الخلاف حول انفاق الاموال على اعلانات الصحف أو على التنظيم الفعلى فى الحرم الجامعى » . واضاف قائلا ان كاهانا وشوربا كانا مهتمين بصورة أكبر بشراء اعلانات الصحف » . واخيرا ، وبعد مرور اقل من ثلاثة اشهر ، ترك جودسون وبراون الحركة . ولكن شوربا ، الذى كان يقيم فى هامبتون فى فترة الصيف ، قام بالاتصال تليفونيا ببراون وتوسل اليه الا يترك الحركة . ولكن بروان قال حينذاك أنه لم يعد مؤمنا تماما بالقيم التى يعتنقانها .

وبالرغم من أن حركة الرابع من يوليو لم يكن لديها أبدا المال الكافى لدفع فواتيرها المتواضعة — فان كاهانا وشوريا كان يبدو عليهما دائما ، أن لديهما اموالا نقدية كثيرة ينفقانها فى المطاعم وعلى شرب الخمر واللهو والنساء . وحقيقة الامر أن أغلب الاموال التى جمعاها خلال تعاونهما فى العمل معا كان من الواضح أنها تضيع فى أسلوب حياتهما المسرفة . ويقول براون ، الذى كان يرافقهما فى الكثير من جولاتهما الممتعة فى حانات العذاب المنشرة فى الجانب الشرقى الشمالى لمانهاتن . « كان كاهانا وشوريا ينطلقان فى الحانات . فقد كانا يحبان مصاحبة النساء الجميلات . وكان كاهانا يتحرق شوقا لمصاحبتهن . وكنا نسكر فى الحانات ونصطحب معنا الفتيات . وكنا جميعا نحب مضاجعتهن . وكان شوريا عنيفا الى حد ما فى معاملته للنساء ، ولكن كاهانا كان يتلهف عليهن بدرجة شديدة . فلم تكن مشكلة بالنسبة له أن يضاجع أية امرأة طالما كانت تتمتع بالجمال » .

ويذكر براون أن كاهانا كان على علاقة طيبة مع سيدة تمتلك فندقا كبيرا فى الجانب الشرقى ، كانت تزوده بمعلومات سرية عندما تأتى بعض النساء الجدد الى الفندق . وفى احدى زياراته المتكررة لها ، أبلغته أن اثنتين من المضيفات قد نزلتا فى شقة بالدور الرابع من الفندق . وبسرعة صعد كاهانا وبراون درجات السلم ودقا جرس الشقة . ويقول براون « عندئذ فتح الباب . واندفع كينج الى الداخل . وكان مضحكا للغاية ، وبدأ يطلق نكاته حول كونه مفتشا للصحة بالمدينة . وقبل ان أعلم ، كان كاهانا قد حدد موعدا مع الفتاتين . فقد كان له تأثير كبير على الفتيات اللآتى لا يعرفهن » .

وفى الليالى التى كان يقضيها فى مانهاتن ، كان كاهانا يقول لزوجته ليبى أنه كان فى واشنطن يقوم ببعض المهام السرية الخاصة بالحكومة . واذا كان الكذب يسبب له بعض الارتباك ، فان ذلك لم يكن يبدو عليه على الاطلاق . وكان دائم اللهو والمزاح . ولم يكتشف تأثير جاذبيته الجنسية الا فى وقت متأخر من حياته — فكان يعوض ما فاته .

وكان الجانب المرح من شخصية كاهانا يظهر ايضا بصورة خاصة على حساب شريكه الصارم . ويروى روبرت براون القصة التى كان يرويها كاهانا دائما وهو يحتسى الخمر فى حانته المفضلة فى الجانب الشرقى ، عن آلهة الثلج القادمة من السويد والتى حاول هو وشوريا اغراءها دون جدوى ، وأمطراها بوابل من الزهور والحلوى . وأخيرا قررت هذه المرأة ، التى كانت تسكن فى نفس المبنى ، أن تبادلهما المودة . وفى احدى الليالى طرقت بابهما ومعها طبق من كرات اللحم المطهو على الطريقة السويدية . وظنا منه بأن الطارق هو شوريا الذى كان قد خرج لشراء الصحف ، انزل الحاخام سرواله

وفتح الباب ملوحا باشارات خارجة . ويقول كاهانا مازحا ان ازالة آثار كرات اللحم من السقف استغرقت عدة أسابيع .

وفى يونيو عام ١٩٦٦ ، قابل الحاخام كاهانا ، اثنـــاء انتحاله شـــخصية مايكل كينج ، فتاة فى الحادية والعشرين من عمرها أسمها جلوريا جين دار جينيو فى حانة بالشارع الثانى . وكانت جلوريا ، التى كانت تعمل (موديلا) باســـم استيلادونا أيفانز ، أكثر من مجرد مغنية فى حانة . وسرعان ما وقع كاهانا فى غرامهـــا . .

وكانت استيلا قد انتقلت الى نيويورك عندما كانت فى الثامنـــة عشرة من عمرها ، سعيا وراء العمل كـــ (موديل) أو كمغنية . وكانت ، وهى الابنـــة المتبناه لزوجين من الطبقة العاملة المترابطة فى بريدج بورت ، بكونيكتيكت ، مثل غيرها من العديدات اللاتى نزحن بمفردهن الى نيويورك ســـعيا وراء عمـــل ساحر ـــ كانت تكاد لا تصل اليه على الاطلاق . وكانت بالنســـــبة لجميع من عرفوها فى ذلك الوقت ساحرة جذابة ذات بشرة ناعمة زيتونية اللون ، وشعر اسود طويل ، ووجه مستدير . وقـــــد أسرت نظراتها كاهانا ، فاســـــتغل ضـــعفها .

ولم يمض وقت طويل على لقائهما ، حتى عرض كاهانا عليها الزواج . وحدد الموعد فى الأول من اغسطس عام ١٩٦٦ ـــ الموافق يوم عيد ميلاده . ولم يخبرها مطلقا باسمه الحقيقى ، أو أنه حاخام وله زوجة واربعة اطفال يعيشـــون فى كوينز . وقام بزيارة منزلها فى بريدج بورت مرات عديدة ، وأخبر والديها بانـــه يعمل فى وظيفة حكومة سرية . وقبل موعد زفافهما بيومين ، أنهى كاهانا هذه العلاقة بخطاب بعثه اليها وبـــدأه بعبارة عزيزتى جين « واعترف فيه لها بأنه متزوج بالرغم من انه لم يكشف لها على الاطلاق عن شخصيته الحقيقية .

وفى حوالى الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم السبت الموافق ٣٠ يوليو ، كانت استيلادونا ايفانز ، التى كانت فى حالة من الاضطراب الشديد ، تسير على جسر كوينز بورو بالقرب من مانهاتن مع رفيقة حجرتها لورا وارنر . وقالت لها استيلا وهى تبكى بطريقة هستيرية ، كيف كانت بهذه الدرجـــة من الغباء . وخشيت لورا ان تنتحر استيلا ، فتركت صديقتها واسرعت نحو سيارة عابرة وأخذت تصيح « النجدة ، النجدة .. انها تريد أن تقفز » . وحينئذ أسرع قائد السيارة تجاه أسفل الجسر ونبه رجال الشرطة لما يحدث ، ولكن كان ذلك بعد أن قفزت استيلا بالفعل من فوق الجسر فى النهر الشرقى ، من ارتفاع يصل الى ١٣٥ قدما . ولكنها نجت بأعجوبة من الحادث ، وان كانت قـــد اصـــيبته باصابات خطيرة ، بعد أن قام اثنان من رجال الشرطة بانقاذها بعد ان غطسا تحت الماء من جانب النهر المواجه لمانهاتن .

تصدرت محاولة الانتحار الصفحة الاولى من صحيفة النيويورك ديلى نيوز ، التى تصدر يوم الاحد من كل اسبوع ، كما ظهرت صور رجال الشرطة وهم يحاولون اخراج راس استيلا من الماء . وجاء فى الرواية التى نشرتها الصحيفة « ان الآنسة ايفانز صرحت لرجال الشرطة بأنها كانت حزينة يائسة مكتئبة ، بعد أن تلقت رسالة من صديقها بانهاء قصة الحب التى كانت بينهما وقد عثر رجال الشرطة فى حقيبتها على ١٨٣ دولار وشيكا باسمها بمبلغ ١٣٧ دولارا . كما عثروا أيضا على رسالة من مايكل كينج بانهاء العلاقة بينهما .

وتم نقل استيلا دونا ايفانز الى مستشفى لينوكس هيل ، حيث اجريت لها عملية استغرقت ساعتين نتيجة بعض الاصابات الداخلية . وفى الساعة السادسة واربعين دقيقة من صباح الاول من اغسطس توفيت استيلا ، فى نفس يوم عيد ميلاد مائير كاهانا الرابع والثلاثين . وقد تأثر كاهانا لوفاتها تأثرا عميقا ، وحضر جنازتها حيث جثا أمام منزها وصاح : « آه ياحبيبتى ، ارجو ان تسامحينى » . وفى السنوات التى تلت وفاتها ، كان يذهب الى قبرها فى بعض الاحيان ليضع الزهور عليه .

وقد حكى كاهانا لبعض اصدقائه الذين كانوا يعلمون بقصته أن استيلا قد انتحرت بعد أن علمت بأنها مريضة بالسرطان وأنها تعيش أيامها الأخيرة . ووفقا لمصدر برابطة الدفاع اليهودية ، كان مقربا فى ذلك الحين لكاهانا ، لم تكن (استيلا) مصابة بالسرطان ولكنها كانت حاملا ، ربما فى ابن كاهانا .

وأقام كاهانا فيما بعد مؤسسة خيرية معفاة من الضرائب باسم استيلا دونا ايفانز . وبموافقته ، استطاعت المؤسسة أن تجمع ما يربو على مائتى الف دولار . وكان رئيس هذه المؤسسة هو (فريد) ونائبة الرئيس هى (ايديث هوروفيتز) . وزعم كاهانا ان أموال هذه المؤسسة تذهب الى فقراء اسرائيل ، بالرغم من انه لم تكن لديه أية سجلات أو وثائق تثبت كيفية انفاق هذه الاموال . بل انه أعلن فى الصحف اليهودية أن المؤسسة تتبنى اليتامى فى اسرائيل * .

وفى عام ١٩٧١ ، عهد الى مايكل كوفمان ، المحرر بصحيفة النيويورك تايمز ، كتابة تحقيق عن كاهانا الذى كان قد اصبح حينذاك الزعيم المثير للجدل لرابطة الدفاع اليهودى ، التى بدأت تشن حملة عنيفة ضد المسئولين السوفييت وعائلاتهم فى نيويورك . ولاحظ كوفمان ان مطبوعات رابطة الدفاع اليهودى

---

* ويقول ايرفنج كالدرون ، المسئول السابق فى رابطة الدفاع اليهودية « كان العمل الذى يقوم به هو عرض صورة طفل يتيم للتبنى » . والحقيقة انه كان يستغل هذه الاموال لتمويل رابطة الدفاع اليهودى التى انشأها فى عام ١٩٦٨ .

تحتوى على اعلانات * عن مؤسسة استيلا دونا ايفانز . وعنـدما سئل عن مصدر تمويل هذه المؤسسة ، رد كاهانا قائلا : انها كانت تعمل سكرتيرة فى احد مراكزه الفكرية ، وتوفيت فى ظروف ماساوية . وقال : ان والديها الاثرياء من ولاية كونيكتيكت ، قد انشآ صندوقا لتخليد ذكراها .

ولكن كوفمان ، بالاشتراك مع محرر آخر من التايمز واسمه ريتشـارد سيفيرو ، سرعان ما كشفا كذب كاهانا . فقد عرف سيفيرو ، أولا مكان والدى ايفانز ، اللذين تعرفا على صورة كاهانا وقالا أن اسـمه مايكل كينج ، خطيب ابنتهما السابق . وعثر كوفمان على لورا وارنر فى شقتها فى الجانب المغربى لمنهاتن . وأكدت زميلتها السابقة فى السكن ، أن الخطاب الذى يبـدأ بـ « عزيزتى جين » ، مكتوب بخط كاهانا . وبعد ذلك طار المحرران الى جامعة الطيران بالولايات المتحدة الامريكية فى قـاعدة ماكسويل للسـلاح الجوى فى مونتوجمرى بولاية الباما ، حيث كان شوربا يعمل فى مجـال تدريس المناهج الخاصة بالشرق الاوسط . ويتذكر كوفمان ، الذى يشغل الآن منصب مساعد رئيس تحرير التايمز للشئون الخارجية فيقول « لقد كان اليوم حارا ، وبدأ شوربا يتصبب عرقا . وأخذ يزداد العرق الذى كان يتصبب فى شـكل نصف دائرة من تحت أبطيه . وأكد شوربا أن كاهانا كانت بينه وبين ايفانز علاقة جنسية » .

وعرض كوفمان وسيفيرو على كاهانا الحقائق التى توصلا اليها فى احد استديوهـات التليفزيون بنيويورك ، حيث كان زعيم رابطة الدفاع اليهودى قد انتهى لتوه من تسجيل « استعراض ديفيد سسكند » . ويتذكر كوفمان فيقول « اتجه ثلاثتنا الى الدور العلوى وجلسنا فى احد المكاتب الصـغيرة وقلت لكاهانا : حدثنى عن دونا ايفانز . وتبسط كاهانا ووضع يده على ركبتى وقـال « كنت أحبها » . وبدأ كاهانا يفضى بمكنون نفسه للصـحفيين المذهولين . وأعترف لهما بأنه « عثر » على استيلا بطريق الصدفة فى احدى حانات الشارع الثانى حيث اعتاد الذهاب الى هناك لاصطحاب النساء ، تحت أسماء مستعارة مختلفة . كما اعترف بانه كان له مع (استيلا) عاطفة لم يعرف قط مثلها ، وأنه كان يعيش معها فى شقة فى الجانب الشرقى ، وأنها كانت فى طريقها الى اعتناق الديانة اليهودية ، وانه عرف ان انهاء هذه العلاقة قد انتهى بها الى الانتحار . وقال ايضا ، أن علاقته بزوجته ليبى كانت « غير مرضية » ، وانه كان يشـعر بأن علاقته الجنسية حبيسة قيود التعصب .

---

* جاء فى احد الاعلانات « انه فى جميع انحاء اسرائيل يوجـد اطفال محتاجون للمساعدة ، بعضهم يتامى والبعض الآخر مشردون .. وكل هـؤلاء الاطفال فى حاجة الى شيئين هامين : أحدهما الاموال لتحسين ظروف معيشتهم ومعيشة عائلاتهم ، وثانيهما الحب ومعرفة أن الآخرين يهتمون بهم » .

ويتذكر سيفيرو فيقول « خلال حديثنا ، ناشد كاهانا ، مايكل كيهودى الا يؤذى يهوديا آخر بعرض تفاصيل القصة كلها فى صحيفة التايمز . وقد اصبنا بالاشمئزاز مما جمعناه من معلومات متضاربة الى حد أننا قررنا التوجه الى منزل آرثر جيلب . وكان جيلب حينذاك محرر صفحة العاصمة فى التايمز . وعندما استمع الى ما توصل اليه المحرران ، أتصل تليفونيا بآبى روزنتال ، مدير تحرير التايمز ، الذى أنضم اليهم . وكان كوفمان قد كتب مقدمة تصف كاهانا فى حالة من الذهول وهو يضع باقة من الورود على قبر محبوبته . وطلب جيلب وروزنتال من كوفمان اعادة كتابة المقدمة وعدم الاشارة الى علاقة الحاخام المحرمة . ويقول سيفيرو أنهم قالوا ان تأكيدها « سوف يولد شعورا معاديا للسامية » . أما كوفمان فانه يذكر شيئا مختلفا ، ويقول أن المحررين قرروا أن ابراز مشهد المقبرة سوف ينتهك معايير موضوعية صحيفة التايمز .

وبعد عدة أيام ، وبينما كان كوفمان يقوم بتنقيح القصة قبل نشرها ، حضر كاهانا الى التايمز . ويتذكر كوفمان فيقول « ذكر لى كاهانا مقارنة بين الحاخام الكبير والحاخام الصغير . فالحاخام الصغير يقول انه يريد أن ينقذ جميع اليهود فى العالم . وعندما يتقدم فى السن فانه يقول أنه يريد انقاذ جميع اليهود فى بولندا ، ثم عندما يتقدم أكثر فى السن يقول انه يريد أن ينقذ نفسه . وقلت له أنت اليهودى الكبير ، فقال نعم . ثم حاول أن يعقد صفقة معى . ووعد بأنه سوف يختفى من الحياة العامة اذا لم أنشر ما عرفته عن حبيبته الراحلة . ولكننى قلت له أن ذلك ليس من اختصاصى . ولست هنا لمعاقبتك ولكن هناك سيف (ديموقليس) المسلط فوق رأسك . فأنت الذى قمت بنشر الاعلان الخاص بمؤسسة استيلادونا ايفانز فى صحيفة رابطة الدفاع اليهودى . فقال «نعم ، اننى أعلم ذلك ، ولكن والدتى مصابة بالسرطان ، وزوجتى بريئة ، ولدى اربعة أطفال » . وعندئذ ، أخذت من جانبى أراجع نفسى وأبحث الامر مع المحررين الآخرين » .

ورغم أن التايمز كشفت جوانب مثيرة عديدة من حياة كاهانا فى موضوع الصفحة الاولى فى ٢٤ يناير ١٩٧١ ، رغم ذلك لم تشر الا اشارة موجزة الى ايفانز . وذكرت التايمز أن كاهانا كان يعتبرها « شخصية غير عادية » وأنه اهتز تماما لانتحارها لدرجة أنه حضر جنازتها ، وأنه بعد مرور سنة على وفاتها كان يقوم أحيانا بوضع الزهور على قبرها . ولم تذكر الصحيفة حقيقة أنهما كانا عاشقين . ويعترف كوفمان فيقول : « لقد كتبت القصة بطريقة كنت أعرف أن كاهانا يستطيع بها أن يتلاعب بالحقيقة ويشرح لزوجته وأطفاله انه لا صحة للشائعات التى تتردد حوله هو وايفانز » .

وقد أخبرنى آرثر جيلب ، الذى اعتزل منصب مدير تحرير جريدة التايمز فى عام ١٩٩٠ ، أن الصحيفة كانت تعرف الكثير عن هفوات الرجال ذوى النفوذ

خلال فترة الستينيات ، ولكنها كانت فترة تتسم بالبراءة « عندما كانت الشائعات الكثيرة عن القصص الجنسية منتشرة فى كل مكان ولم تكن الصحيفة تكشف أى شىء عنها » . ويضيف جيلب قائلا « هل كان يجب أن تنشر الصحف أن الرئيس كيندى كانت له علاقات جنسية ؟ لقد كان الكثير من المحررين يعرفون ذلك ، ولكن لم ينشر عنها شىء على الاطلاق . أعتقد أن الحياة الجنسية لاى شخص كانت فى تلك الايام تعتبر ملكه الخاص » .

ولو أن الصحيفة العريقة كانت قد نشرت كل ما عرفته عن كاهانا ، ذلك الحاخام المتعصب الواثق من أخلاقه ، التزمت فيما يتعلق بالعلاقات الشخصية — لو أنها فعلت ذلك لكان قد تحطم هو ورابطة الدفاع اليهودى . ولكن تردد التايمز جنبه سيلا من النقد الذى كان لابد أن يواجهه . ويقول ريتشارد سيفيرو ، اليوم « لقد كان من الممكن أن نغير تاريخ اسرائيل » لو أننا نشرنا الفضيحة . « وانني لا تساءل كم عدد مؤيديه المتعصبين الذين كانوا سيواصلون اتباعه .. لو عرفوا أن الرجل دجال ؟ » .

وربما كان كاهانا يريد بطريقة ، لا شعور معها ، أن يتعرض لفضيحة خداعه واحتياله . ومن المؤكد أنه تصرف بطريقة أدت الى كشفه . ذلك أن اطلاق اسم حبيبته الراحلة على مؤسسة خيرية تابعة لرابطة الدفاع اليهودى فتح عليه باب التساؤلات الموجهة ضده حول حقيقة شخصيتها . وكان كاهانا محط أنظار الجميع ، ولابد انه قد تساءل عما سيفعله اذا ما عرف أحد الصحفيين المغامرين قصته . وربما كان شعوره بالذنب تجاه انتحار استيلا سيقوده الى المغامرة بمستقبله وبأسرته للتكفير عن ذنبه ، ولكن مما لا شك فيه أن أنانيته وأوهام العظمة لديه قد حمته من استيطان أفكاره ودوافعه ومشاعره المؤلمة . وعلى اية حال ، لم تكن تلك هى المرة الاخيرة التى يوقعه غروره فى فشل مهين .

وبعد وفاة ايفانز بفترة قصيرة ، طلب فريد هوروفيتز ، الذى كان قد أعطى كاهانا وشوربا مبلغ مائتى الف دولار لمجموعة الاستشارات والابحاث ، أن يطلع على كشف الحساب . واكتشف هوروفيتز انه قد خدع . فقد كانت معظم (الشيكات) الخاصة بمجموعة الاستشارات والابحاث ، قد حولها شوربا وكاهانا الى نقد لتغطية نفقاتهما الشخصية . ويقول هوروفيتز « استدعيت كليهما الى منزلى . وامسكت بتلابيبهما ، وطلبت منهما أن يعيدا الى ما أخذاه منى والا فسوف احطم راسيهما . ولم ينكرا ما فعلاه . ولم يقدما اعتذارهما » . واتفق شوربا أخيرا مع هوروفيتز على ان يسدد له مبلغ خمسة آلاف دولار أما بالنسبة لكاهانا فقد كان الامر اكثر صعوبة . ولم يسدد لى الا حوالى الفى دولار . وقام هوروفيتز فيما بعد بمقاضاة كاهانا ، وحكم لصالحه ، ولكنه عندما فشل فى الحصول على ماله ، تخلى عن المسألة كلها .

ولم يثنهما التهديد بالفضيحة أو برفع القضايا ضدها ، عن مواصلة تشجيع حرب فيتنام داخل الطائفة اليهودية المتعصبة . وكان الرئيس لندون جونسون ينتقد اليهود الامريكيين لمعارضتهم الشديدة للسياسة التى ينتهجها فى فيتنام . وفى مجالسه الخاصة ، كان يشكو من أن معظم زعماء الحركة الوليدة المناهضة لحرب فيتنام كانوا من اليهود . وقد حاول زعماء الطائفة اليهودية الامريكية اتخاذ موقف محايد من الحرب ، حتى لا تضار اسرائيل ، التى كانت معتمدة تماما على المساعدات الامريكية . ولم يكن مستغربا أن تكون أبرز زعيمة يهودية تؤيد جهود جونسون الخاصة بالحرب ، هى رئيسة وزراء اسرائيل جولدا مائير ، التى أعلنت أنها لا تستطيع أن تخون حليف الدولة اليهودية .

ويزعم كاهانا ان وكالة المخابرات المركزية كانت تمول سرا جهود (اللوبى) التى كان يقوم بها لدعم موقف الحكومة من حرب فيتنام داخل الطائفة اليهودية الامريكية المتعصبة وقوامها ٤٠٠,٠٠٠ نسمة . ويمكن تصديق هذا الزعم ، اذا وضعنا فى الاعتبار أن وكالة المخابرات المركزية طالما استغلت المنظمات الدينية ورجال الدين فى جمع المعلومات وفى العمليات السرية . فقد كشفت لجنة مجلس الشيوخ الخاصة بجمع المعلومات فى عام ١٩٧٦ ، أن وكالة المخابرات المركزية قد اخترقت العديد من المؤسسات الداخلية خلال حرب فيتنام ، ولاسيما اتحاد الطلبة الوطنى . ونظرا لان اليهود المتعصبين كانوا يتخذون فى العادة مواقف يمينية ازاء معظم القضايا السياسية والاجتماعية ، فقد كانوا يبدون وكأنهم يوفرون أرضا خصبة للآراء اليمينية للحكومة حول فيتنام .

وقد قام كاهانا وشوربا بجولات فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا لتأييد آراء الحكومة داخل حرم الجامعات والمعابد وقاعات الاجتماعات . وفى عام ١٩٦٧ ، دعت جمعية علماء اليهود المتعصبين كاهانا للحديث فى اجتماع منعقد فى منزل استاذ للرياضيات بجامعة هارفارد . وقد حاول جاهدا اقناع مستمعيه بأن مصير اسرائيل مرتبط، بشكل ما ، بمصير فيتنام، ولكنه لم يجد بينهم آذانا صاغية ،وفقا لما صرح به الاستاذ الذى رفض الكشف عن اسمه .

ومن الواضح أن كاهانا كان أكثر نجاحا فى كسب القراء الأقل ثقافة للجويش بريس . فقد كتب كاهانا الذى قد أصبح مساعدا لرئيس تحرير الصحيفة ، سلسلة من المقالات بعنوان « الرهان اليهودى فى فيتنام » . وقد تبدو فيتنام وكأنها موضوع غريب بالنسبة لصحيفة متعصبة تهتم أساسا باسرائيل وبالقانون الدينى ، ولكن كاهانا استغل الصحيفة بالفعل فى نشر سلسلة مكثفة متعددة الاجزاء من المقالات حول الشيوعيةالصينية والشيوعية السوفيتية.ومن وجهة نظر كاهانا الملتوية،كانت الشيوعية مرتبطة دائما بمقاومة العرب لاسرائيل ـــ وهى دولة محاصرة سوف تتعرض للمزيد من الخطر اذا ما تخلت الولايات المتحدة الامريكية عن فيتنام . وكتب

كاهانا فى الجويش بريس يوم ١٧ فبراير عام ١٩٦٧ ، يقول « ان الاتحاد الوثيق بين العرب والصينيين يبدو أنه قد تحقق واكتمل . وبالنسبة لاسرائيل ، يعتبر هذا الاتحاد نذيرا للمستقبل . فكلما زادت قوة ومكانة الشيوعيين الصينيين وحلفائهم ، زادت المخاطر التى تتعرض لها اسرائيل ، فلينتبه لذلك معارضو جهود الولايات المتحدة الامريكية فى فيتنام » .

وقد ظهرت أول مقالات كاهانا حول «الرهان اليهودى فى فيتنام » فى الجويش بريس فى شتاء عام ١٩٦٧ . وكتب كاهانا فى مقدمة هذه السلسلة التى ظهرت بحروف بارزة فى الصفحة الاولى من الصحيفة « ان كل الامريكيين شركاء فى هذه الحرب الشرسة ، ولكن اليهود لهم مصلحة خاصة فى تحقيق نتائج ناجحة فى هذا الصراع . واذا ما وصل الجهاز الشيوعى الى السلطة ، فان الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا يتم محوها فحسب ، بل ان الاضطهاد الروحى يصبح أمرا حتميا وتتم ممارسته بلارحمة . ومن ثم ، فقد كان من الضرورى أن يدرك اليهود المخاطر التى تتعرض لها حياتهم كبشر أحرار اذا ما انتصرت الشيوعية » .

كذلك استغل كاهانا منبره فى صحيفة الجويش بريس لشن هجوم عنيف ضد اليهود الليبراليين لعدم تأييدهم حرب فيتنام . وكانت حجته فى ذلك بسيطة للغاية : وهى أن اليهود الليبراليين الذين يعارضون الحرب سوف يبيعون اسرائيل كذلك . وكانت كراهية كاهانا الواضحة لليبراليين ، ولاسيما الليبراليون اليهود ، جزءا أساسيا من ذخيرته . ويتذكر روبرت براون فيقول : « اننى أذكر فى احدى المناقشات التى تناولنا فيها موضوع الليبراليين ، ان كاهانا قال عنهم انهم ــ أساسا ــ يستمتعون بكراهية أنفسهم ، ويملؤهم الشعور بالذنب تجاه كل ما هو عنصرى » . ولكن اذا كان الليبراليون اليهود يعذبهم الشعور بالذنب فان اليهود المتعصبين ، بالنسبة لكاهانا ، هم حاملو راية الديانة اليهودية الحقيقة ، ومن ثم يمكن الاعتماد عليهم فى الدفاع عن اسرائيل ، وتأييد الحرب ، ورفض الشيوعية . وكتب كاهانا فى مايو عام ١٩٧٦ يقول « ان الطائفة اليهودية المتعصبة هى التى تعبر عن شعوراليهود الامريكيين الحقيقى . وقد عبر الكثير من الجماعات والشخصيات اليهودية المتعصبة ، بصوت عال وبوضوح تام ، عن تأييد الجهود التى تبذلها الولايات المتحدة الامريكية فى الحرب وعن الاسباب التى دفعت بنا الى هناك » .

وقام كاهانا أيضا بعقد اجتماعات مع طلبة مدرسة ، يوم الاحد ، فى لوريلتون ، معلنا أن من واجبهم ، من وجهة نظر التوراة ، أن ينضموا الى صفوف الجيش ويحاربوا فى فيتنام . واطلق على حرب فيتنام اسم : الحربه المقدسة مثل حرب التحرير التى شنها المكابيون ضد اليونانيين ، والتى يحتفل بذكراها فى يوم عطلة (شانوكا) اليهودى .

وعندما أعلن العديد من طلبة كاهانا عن رغبتهم فى الانضمام الى صفوف الجيش ، حذر الحاخام رومنيك ، الذى تلقى نداءات من قبل آبـاء الشـبـاب الغاضبين ، حذر كاهانا من أن الطائفة اليهودية سوف تنقلب ضده اذا لم ينصح الشباب بالعدول عن ادراج اسمائهم فى الجيش . ويقول الحاخام رومنيك « أن ما أزعجنى ، هو أن كاهانا كان يكتب فى الجويش بريسرويظهر فى صورة الرجل المثالى ، ويخفى حقيقة انه وشوربا لهما مصلحة مالية فى فيتنـام . وباعتبـاره حاخاما ، كان يستغل الجويش بريس كمنبر لتبرير حرب فيتنـام . واذا كانت هنك وكالة حكومية ما تدفع لى للقيام بالدعاية بين رعايا المعهـد من فوق منبر الوعظ ، فما الذى سأجنيه من وراء ذلك ؟ » .

وفى عام ١٩٦٨ ، كتب كاهانا وشوربا كتابا تحت عنوان « الرهان اليهودى فى فيتنام » ، يقول انه اذا نكثت الولايات المتحـدة الامريكية بعهدها مع فيتنـام الجنوبية فانها سـتفعل نفس الشىء تجـاه اسرائيل ومن ثـم ، كـان من الضرورى بالنسبة لليهود الامريكيين أن يؤيدوا الحرب وذلك على الرغم من أن كاهانا وشوربا شخصيا لم يتطوعا على الاطلاق فى الخدمة العسكرية . وقـد نشرت هذا الكتاب دار كروس رودز للنشر التى تقع فى ٢ شارع ٢٣ غـرب ، بنيويورك . وقال لى كاهانا أن الحكومة كانت تمول دار كروس رودز للنشر لتقوم فقط بالترويج لآرائها المؤيدة لحرب فيتنام . ووضع الكتاب قائمة بأسـماء مؤلفيه وهم كاهانا وشوربا واسم كاهانا المستعار ، مايكل كينج . واهدوا الكتاب الى « يهود روسـيا المستعبدين ، داعين لهم بالخلاص » . وقال كاهانا أنـه تم بيع ثلاثة آلاف نسخة من الكتاب ، رغم أن هذا الزعم من المتعذر التحقق منه الآن * . وقد صرح لى كاهانا فيما بعد قائلا « اننى لم ادن حرب فيتنام » ، واضاف أنه كان يريد ان تظل امريكا قوية حتى تستطيع أن تحمى اسرائيل .

---

* ما هى احتمالات قيام وكالة المخابرات المركزية بنشر هذا الكتاب ؟ وفقا للتحقيقات الشاملة للجنة الكنيسة فى العمليات السريـة لوكالـة المخابرات المركزية ، كانت الوكـالة ترعى أو تقدم العون المادى لآلاف من الكتب والمجلات والمقالات الصحفية لتقوم بنشر الاكاذيب فى الداخل والخارج . وفى عام ١٩٦٧ فقط ، اصدرت وكالة المخابرات المركزية مائتى كتاب تنوعت موضوعاتها من رحلات السفارى والحياة البرية فى أفريقيا حتى ترجمة كتاب « الأمير لماكيافيللى » الى اللغة السواحيلية . وقد رفض مكتب التحقيقات الفيدرالى طلبى المسـتند الى قانون حرية المعلومات بالاطلاع على ملفات دار كروس رودز للنشر ، على أساس أن الكشف عنها سيشكل اعتـداء لا مبرر له على الاسرار الشخصـية ، « وسيكشف عن (هوية) مصدر سرى موثوق به » .

وبعد ظهور الكتاب ، أغرى شوريا كاهانا ، بوصفه مايكل كينج ، بمشروع اصدار كتاب آخر ، وفقا لما ذكرته النيويورك تايمز . وكان سيقوم بتمويل هذا الكتاب الجديد ، الذى يتناول أيضا الآراء المؤيدة ، لحرب فيتنام ، أصدقاء جاى لافستون وايرفنج براون . وكان المساندون المقترحون يضمون ديفيد آندريتش ، الذى كان والده يعمل سابقا فى الحقل الدبلوماسى الامريكى . وقد صرح آلدريتش للتايمز فى عام ١٩٧١ ، بأنه كان يعتقد أن شوريا يعمل فى جهاز المخابرات الامريكية وأن لديه مصادر واتصالات قوية . وقال أيضا أن شوريا قدم اليه كينج على أنه « خبير فى جماعات التمويل والتسلل » . الا أن فكرة اصدار هذا الكتاب الغيت بعد أن فشل شوريا فى أن يحصل على الموافقات التى وعد بها من جانب كبار المسئولين فى الحكومة .

وعند هذا الحد كان يبدو أن شوريا وكاهانا قد بدأ يسيران فى اتجاهين مختلفين . فقد انغمس كاهانا فى وظيفة تحرير صحيفة الجويش بريس ، واتجه شوريا الى العمل العاصف فى المخابرات الامريكية وبعد وقت قصير من تعيين شوريا بمخابرات السلاح الجوى للعمل لديها كمستشار خاص فى شئون الشرق الاوسط فى ديسمبر عام ١٩٧٢ ، أرسل مجهول خطابا الى وزارة العدل يتهم فيه شوريا بانه يشكل خطرا على الامن . وقام مكتب التحقيقات الفيدرالى بالتحقيق فى ذلك ، ولكنه لم يستطع أن يثبت أو يدحض تلك المزاعم ، وفقا لما ذكره أحد المسئولين فى الحكومة الامريكية رفض الافصاح عن اسمه . وفى ذلك الوقت ، كما يقول هذا المسئول ، كان شوريا يعتبر اكبر حلقة اتصال أمريكية مع المخابرات الاسرائيلية فى الولايات المتحدة الامريكية .

وفى أكتوبر عام ١٩٧٦ ، صرح شوريا لمراسل النيويورك تايمز بأن هناك « هجوما ضد اسرائيل داخل وزارة الدفاع » بعد ان اطلق الجنرال جورج اس براون ، الذى كان يشغل حينذاك منصب رئيس هيئة الاركان المشتركة الامريكية ، على اسرائيل بأنها « عبء » على أمريكا . كما سرب شوريا الى النيويورك تايمز بحثا كان قد كتبه ولم ينشره تحت عنوان « ما هى مصالح أمريكا الحيوية فى الشرق الاوسط ؟ » ، وافترض فيه أن اسرائيل هى الرصيد الاستراتيجى للولايات المتحدة الامريكية . وكانت هذه الفكره — التى وجهت السياسة الخارجية الامريكية فى الشرق الاوسط فى ظل ادارة ريجان — جديدة فى نوعها خلال تلك الفترة . وصرح شوريا للتايمز بأن من عرقلوا نشر بحثه هم المناهضون للسامية فى وزارة الدفاع الامريكية (البنتاجون) ، ووصف شوريا الملاحظات التى أبداها الجنرال براون حول اسرائيل « بأنها غير مسئولة بشكل خطير » . وهكذا فقد شوريا ترخيصه الامنى الخاص وقدم استقالته .

ومع ذلك لم يبتعد شوريا عن السياسة . ففى عام ١٩٧٧ ، جمع شوريا قائمة بأسماء البيروقراطيين « الموالين للعرب » فى وزارة الدفاع الامريكية

(البنتاجون) وفى مجلس الامن القومى ، الذين يعتقد شـوربا انه من الضرورى ابعادهم عن مناصبهم لأنهم لا « يتفهمون » احتياجات اسرائيل الامنية الخاصة ، وفقا لما صرح به مسئولون سابقون فى الحكومة . ورغم انه أعطى القائمة الى السيناتور الراحل ريتشارد ستون ، ممثل فلوريدا ، والذى كان فى ذلك الوقت عضوا فى لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ ورئيس اللجنة الفرعية لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا ، التى كانت لها السلطة التشريعية على شئون الشرق الاوسط ، وقام ستون باستدعاء العديد من كبار المسئولين الى مكتبه وسؤالهم عن رأيهم حول اسرائيل . ثم قام ستون ، الذى كان يهوديا ، بعد ذلك بتقديم القائمة الى مستشار الامن القومى ، زبجنيو بريزنيسكى . وصرح المتحدث باسم بريزنيسكى لصحيفة الواشنطن بوست بأن رئيسه قد اعتبر اجتماعه مع ستون « مثمرا » و « مفيدا » ، بالرغم من انه لم يتم طرد أية شخصية كان ستون يدعى أنها مستهدفة ، ووفقا لأحد المسئولين الذين تعرضوا لاستجواب قاس من قبل ستون ، كانت الحملة التى شنها ضد المنشقين ، لها تأثير فاتر على المسئولين فى الحكومة الذين كانت آراؤهم تتعارض مع (اللوبى) القوى الموالى لاسرائيل .

وفى عام ١٩٨٠ ، أصبح شوربا مستشارا للفريق الانتقالى للرئيس الامريكى المنتخب رونالد ريجان ، يقوم بكتابة أبحاث عن الاوضاع الخاصة بالشرق الاوسط والسياسة الدفاعية(*) . ولكنه فقد هذا المنصب بعد ما أعلن فى خطاب القاه فى جوهانسبرج انه يجب على الولايات المتحدة الامريكية

(*) لاحظ وليازم كوانت ، خبير شئون الشرق الاوسط بمؤسسة بروكينز ، أن المقال الذى كتبه ريجان تحت عنوان « الاعتراف بالرصيد الاسرائيلى » والذى ظهر فى الواشنطن بوست فى اغسطس عام ١٩٧٩ ، يشير الى تأثير يوسف شوربا ... الذى ربما كان هو الكاتب الحقيقى للمقال » . فالتشابه فى الاسلوب البلاغى فى الكتابة ، وطريقة المناقشة ، والفقره الرئيسية فى مقال ريجان واحدى الفقرات فى كتاب شوربا الصادر عام ١٩٧٧ تحت عنوان « سياسات الهزيمة : « افول نجم أمريكا فى الشرق الأوسط » ، كل هذا يشير الى أن المؤلف واحد أو أن أحدهما انتحل عمل الآخر ، كما يقول كوانت فى كتابه « الشرق الاوسط : عشرسنوات بعد كامب ديفيد » اذ يقول مقال ريجان « ان على الادارة الامريكية فى ظل حكم كارتر ان تدرك أن الصراع والتوتر فى هذه المنطقة مرضان مستوطنان ، وهو وضع يرجع أساسا الى الطبيعة الطائفية المزقة للمجتمع فى الشرق الاوسط » . ويتحدث شوربا فى كتابه عن « الصراع والتوتر المستوطنين فى منطقة (الشرق الاوسط) . وعن أن هذا الوضع يرجع أساسا الى الطبيعة الطائفية المزقة للمجتمع فى الشرق الاوسط » .

ان تساند نظام التميز العنصرى . وتم تعيينه بعد ذلك فى منصب كبير المستشارين السياسيين فى وكالة الحد من انتشار الاسلحة ونزع السلاح الامريكية ، وظل فيه حتى عام ١٩٨٢ . ثم اسس مركز الامن الدولى بتمويل من الكنيسة الموحدة ــ وهو مؤسسة تضم ضباط الجيش والمخابرات السابقين المتفرغين لنشر آرائهم المتشددة . وفى كتاب صدر فى عام ١٩٨٤ تحت عنوان « التراجع الامريكى » ، اتهم شوربا ريجان بالفشل فى بناء جهاز الدفاع الامريكى بالرغم من الميزانيات العسكرية الضخمة ، وبالتراجع عن تعهداته الانتخابية بتأييد اسرائيل التام ، وذلك بجعله السعودية حجر الزاوية فى سياسة الشرق الاوسط ، وبالتقليل من اهمية الحركة الماركسية فى أمريكا اللاتينية . وفى اكتوبر عام ١٩٨٦ . عقد مركز شوربا الفكرى مؤتمرا فى تل أبيب حول موضوع الارهاب . وتضمنت قائمة المشتركين فى المؤتمر بيتر جولدمان (مدير مجموعة الامريكيين اليمينيين المتطرفين الموالين للوبى الاسرائيلى والمنادين باسرائيل الآمنة فى ذلك الوقت ، والذى أصبح فيما بعد زعيما لحزب كاهانا « كاخ » فى أمريكا) ورافى ايتان (رئيس العمليات السابق فى الموساد ؛ والذى كان يدير حينذاك شبكة التجسس الاسرائيلية برئاسة جوناثان جاى بولارد) وضابط المخابرات البحرية الامريكية الذى حكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة فى عام ١٩٨٧ بتهمة نقل الاسرار العسكرية الامريكية (ومن بينها الشفرات السرية) الى اسرائيل .

وقد جلب الدور الذى اضطلع به شوربا ، وهو دور (ضمير أقصى اليمين المشاكس) ، الثروة والقوة اللتين كان يحلم بهما فقط عندما كان طفلا يتقاسم طبق الفاصوليا والارز مع أشقائه وشقيقاته الاثنى عشر ووالدته المريضة مرضا مزمنا ووالده القاسى المتقشف . ومن شقته الفاخرة التى تقع فوق قمة الكريستال جيتواى بواشنطن ، يتصل ذلك الاعزب المتوهج الذى يبلغ من العمر خمسة وخمسين عاما بأكثر الشخصيات اليمينية سيئة السمعة فى العالم ، أى مع الجميع باستثناء صديق طفولته ، مائير كاهانا . أو هكذا يقول .

ويزعم شوربا أنه ليست له علاقة بكاهانا منذ عام ١٩٦٨ . وقد صرح لى فى حديث تليفونى قصير عام ١٩٨٤ « بأنه يمثل خطرا على اسرائيل وعلى الشعب اليهودى » . ولكن وفقا لتصريحات العديد من كبار المسئولين السابقين فى رابطة الدفاع اليهودى ، كان شوربا عنصرا فعالا فى مساعدة كاهانا فى تاسيس رابطة الدفاع اليهودى ، وهى منظمة لم تكن تختلف فى البداية عن غيرها من جماعات التمويه الاخرى التى كونها كاهانا وشوربا معا . وعلاوة على ذلك ، ووفقا لتصريحات سونيا كاهانا وغيرها من المتعاطفين مع حزب كاخ فى اسرائيل ، لايزال شوربا يزور مائير كاهانا فى القدس حتى الآن .

وقد سألت الجنرال المتقاعد جورج كيجان ، الرئيس السابق لمخابرات السلاح الجوى ، عن السبب الذى جعله يعين شوريا فى مثل هذا العمل الحساس بعد السنوات التى قضاها مع كاهانا والتى لم يكن فيها شخصية متميزة . فقال كيجان انه استبعد كل ما قام به شوريا من اعمال طائشة مع كاهانا واعتبرها فترة من فترات طيش الشباب . وبعد اعادة التفكير ربط بين شوريا ورابطة الدفاع اليهودى ــ وهو ربط ينكره شوريا انكارا تاما . وقد صرح لى كيجان قائلا « لقد كنت أعرف أن (جو) كان مرتبطا برابطة الدفاع اليهودى . وقد كانت مرحلة اجتازها شوريا ، ودرستها بعناية فائقة قبل أن أطلب منه العمل معى » .

وبالرغم من أنه أجرى تحرياته المكثفة حول خلفية شوريا (وزعم انه قد توصل الى معرفة كل دقائق حياته اليومية) ــ يقول الجنرال : انه لم يعرف شيئا على الاطلاق عن حركة الرابع من يوليو التى كونها شوريا وكاهانا ، أو عن تسللهما المزعوم داخل جماعة بيرش ، أو عن كتابهما الخاص بفيتنام ، أو حتى عن الفضيحة التى نشرتها النيويورك تايمز عام ١٩٧١ . ويقول « لقد عينته لانه كان أفضل عالم فى شئون الشرق الاوسط صادفته فى هذه البلاد . اننى اعتبره من أكثر المدافعين المتبصرين غير العاديين عن عقيدة المجتمع الجمهورى . وقد أخذ فترة قصيرة حتى يكبر . وهو شخص عاطفى للغاية ، أو كان عاطفيا .

وينساق كاهانا أيضا وراء عواطفه وانفعالاته . وعندما سئل عن سبب عمله كمخبر ورجل دعاية للحكومة خلال الستينيات ، أعلن أنه قام بهذا العمل من أجل مصلحة رفاقه اليهود . وصرح لى فى عام ١٩٨٤ قائلا « ان اهتمامى بجماعة بيرش ،وبحركة الطلبة اليسارية كان دائما اهتماما باليهود . لقد وجدت، أن الامريكيين لديهم شعور متزايد بالعزلة عن الشئون الدولية . وليس فى مصلحة اليهود والابتعاد وعدم الاهتمام بالشئون الدولية . وبعد حرب فيتنام كنت أدرك أن أيام الطائفة اليهودية فى أمريكا معدودة . فقد كانت أمريكا حينذاك « نمرا من ورق » ، ولا يمكن أن تحارب مطلقا من أجل اسرائيل .

ولا يزال كاهانا يحب أن يتباهى بسنوات عمله السرى . ويستغل القصص التى تحكى عن مآثره وبطولاته ، عندما كان عميلا سريا ، للتأثير على أتباعه من الشباب . غير أنه لايزال هناك جانب واحد من تلك الفترة يحاول أن يخفيه ــ وهو قصته مع استيلا دونا ايفانز . ففى عام ١٩٨٤ ، صرح لصحيفة لونج أيلاند جويش وورلد بانه « لا أساس من الصحة للزعم بأنه كان وتلك المرأة عشيقين . « ان القاعدة التى أسير عليها ، هى عدم التقليل من شأن نفسى بالرد على مثل الاتهامات » . وفى عام ١٩٨٨ ،

صرح لصحيفة نيوزداى بأن ايفانز كانت سكرتيرته وأنهما استطاعا معـا أن يتسـللا داخـل جمـاعة بيرش لصـالح مكتب التحقيقات الفيدرالى . وقال : « لقد أعطونا هويات جـديدة » .

وبالرغم من أن كاهانا ظل يتعمد اخفاء ماضيه ـ فانه توجد حقيقة واحدة مؤكدة وهى : أنه فى الوقت الذى أسس فيه رابطة الدفاع اليهودى فى عـام ١٩٦٨ ، كان قد تحدد أسلوب حياته . فالحاخام المتعصب الذى يتخفى وراء واجهة من التقوى ، لن يتخلى ، على الاطلاق ، عن عالم المحرمات ، والجنس ، والمـال المتيسر بفائدة ضئيلة ، والعمل السرى . ولـو كان كاهانا قد اجتاز امتحان المحاماة بولاية نيويورك ، أو نجح فى أن يجعل معبـده المحـافظ فى هوارد بيتش أكثر تدينا ، أو احتضنته المؤسسة الدينية فى اسرائيـل خـلال زيارته الفاشلة لها ـ لكانت علاقتـه الجنسية المدمرة مـع ايفانز ومغامراته البوليسية ، وتأسيسه فى نهاية الامـر لرابطة الدفاع اليهودى الميالة للعنف ولحـزب كاخ المعادى للعرب ، قد حدثت بمنطق المأسـاة الاغريقيـة الذى لا يرحـم .

الفصـــل السادس

ســـلاح لـــكل يهودى

لـم يكن مصادفة أن أسس مائير كاهانا رابطة الدفاع اليهودية فى عام ١٩٦٨ ــ وهو العام المحورى فى ذلك العقـد الصعب . كان هـو العـام الذى اثار فيه الامريكيون السود الشغب فى ١٦٨ مدينة ، وتحولت فيه الجامعات الى بؤر ساخنة للاحتجاج الراديكالى ، وقام فيـه طلبة المدارس بأكثر مـن الفى تمرد فى الفصول الدراسية ، واغتيـل فيه بوبى كيندى ومارتن لوثركنج ، وقام فيه ادجار هوفر رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالى بعملية تجسس محلية شاملة ، خوفا من أن تكون أمريكا على حافة الثورة .

وقـد أدرك كاهانا أن الوقت مناسب للتخطيط لقضـية جديدة يمكنـه تحويلها الى حركة ذات شأن ترضى طبيعتـه العنيفة . وذهب الحاخام البالغ من العمر ٣٧ عاما ، بصـفته مايكل كينج ، الى أبعـد مدى . ولـم يتطلب الامر عبقرية لادراك أن التوتر العنصرى فى نيويورك كان يتصـاعد ، لا سيما فى مناطق الطبقـة العمالية البيضـاء المتعصـبة ، التى كانت تتحول الى مأوى لاعـداد متزايدة من الفقراء السود والنازحين من أمريكا اللاتينية . والى جانب مطالب الاقلية بالنسبة للوظائف ، والسكن المفتـوح والالتحاق الحر بجامعات المدينة ، كانت عمليـة الاستقطاب فى نيويورك حول مسألة العنصر ، عـلى حافة الانفجار الى العنف .

ومن بين هـذا الاضطراب العنصرى ، بنى كاهانا رابطة الدفاع اليهودى . وكانت مهمتها الظاهرية هى الحفاظ على النفوذ السياسى اليهودى وحمايـة اليهود الذين بلغوا من كبر السن والفقر حـدا لا يمكنهم من مغادرة مراكز المدن المتهالكة حيث كان يزعم كاهانا أنهم ضحايا لجرائم الشوارع من جانب السود ، والتى بلغت ذروتها فى الستينيات .

وقد أظهرت رابطة الدفاع اليهودى ــ وأن لم تكن قد فعلت غير ذلك ــ موهبة كاهانا الهـائلة فى التسويق . فبمواعظه عن الكبرياء اليهـودى والقوة اليهودية تمكن من أسر خيال آلاف اليهود ، وبصـفة خاصة بين أوساط الطبقة الوسطى الدنيا فى بروكلين وكويتز التى كانت قريبـة من أحيـاء السود . وكانت شعارته من قبيل « لن يحـدث مرة أخرى ابدا » و « سلاح لكل يهودى » . وانشأ كاهانا ــ وقد حمـل التوراة فى يد والبندقية فى اليد الاخـرى ــ معسكرا تدريبيا على الاسـلحة والفنون العسـكرية فى مرتفعات كاتسكيل فى ولايـة نيويورك ، على مسافة لا تبعد اكـثر من مرمى طلقة بندقية من فندق جروسنجرز

الشــهير الذى يملكه اليهود . وقد تــم تدريب حفنة من صفوة حراس كاهانا ، المعروفين باسم « التشايات » (وهى الترجمة العبرية لكلمة حيوانات) ، على أعداد الذخائر والتصويب الدقيق فى اسرائيل على يــد ضباط سابقين فى عصابتى الارجون وشتيرن . وسرعان ما انتقلت رابطة الدفاع اليهودى من مجابهة المناضلين السود الى ضرب السفارات الروسية والعربية بالقنابل ، وضرب الدبلوماسيين الروس والعرب فى أوروبا والولايات المتحدة والتحرش بهم . وبدا أن يهود مابعد المحرقة الهولوكوست قد عثروا أخيرا على من يتحدث ويدافع عن مصالحهم .

ومع ذلك ، وفى نهاية الامر ستصبح رابطة الدفاع اليهــودى أداة لجبــاية الاموال لكاهانا وليس أكثر من ذلك . وبعيــدا عن الدفاع عن أى أحد ، ســوف يستخدم كاهانا المنظمة لاستنزاف ملايين الدولارات من آلاف اليهــود المفعمين بالقلق .

ويقول الحاخام الياهو رومنييك : « صنعت المواجهة العنــاوين الصــحفية الرئيسية ، وجلبت هذه العنــاوين الدولارات والقــوة ولذلك خدمت المواجهة أغراض كاهانا . وســواء كانت المســألة مســألة الزنوج أو اليهود الروس ، فان كاهانا كان يسعى الى المواجهة من اجل دفع عمله الى الامام . وقد كان يقول انه الرجل الذى يطفىء النيران ، غير أنه الهب بالفعل نيران الكراهية والتدمير . وكان يقــول انه أتى لانقاذ المجتمع اليهــودى ، ولكنــه خلق بالفعل مشــكلات هذا المجتمع » .

وقد تم التفكير فى انشــاء رابطة الدفاع اليهــودى بعد ظهر احــد أيام السبت الملبدة بالغيــوم فى مايو ١٩٦٨ ، فى أعقــاب الصلوات الصباحية فى معبد « اسرائيل الفتــاة » فى لوريلتون . وكان الثلاثة المؤسسون للجمــاعة يمثلون أى شىء الا المحــاربين من أجــل الحــرية . وقد انضم الى كاهانا فى المعبد بيرترام زويبون ، وهو محــامى مواريث قصــير « وبدين » ومشــاكس ، كان والده زميلا لجاى لافستون فى الحــزب الشيوعى ، وكان عمــه شريكا فى تأسيس منظمة بيكار فى أمريكا . كما انضم اليــه مورتون دولينســكى ، وهو رجل علاقات عامة كثير الصخب ، ومن السخريات انه هــو الذى دبر اختطاف أعضــاء حركة بيكار لكاهانا قبــل ذلك بعقــدين .وكان هنــاك شىء واحــد مشــترك بين الثلاثة الى جانب ولائهم للصــهيونية اليمينية — وهو العــداوة الشديدة للسود . وقد ادى النضــال المتزايد بين الامريكيين السـود ومطالبتهم بالعمل الايجــابى والسيطرة على المجتمع — الى اصابة الرجال الثلاثة بالذعر . والاكثر من ذلك أنهم لم يكونوا يريدون أن يقفــوا مكتوفى الأيدى ، ومناطقهم الانيقة المشجرة التى يغلب عليها السكان اليهود ، يغمرها الســود من المناطق المجاورة الأقل ثراء . ويقــول دولينسكى مؤكدا « ان ملاك البيــوت فى لوريلتون لم يكونوا يرغبــون فى وجود الســود بينهم »

ويضيف « لقد كنا نعرف ما سيحدث للممتلكات الخاصة وبطبيعة الحال ، كانت مخاوف دولينسكى بشأن عملية الاندماج يشاركه فيها البيض فى أنحاء أمريكا على نطاق واسع » .

ويتعلم اليهود من السنة النبوية فى الدين اليهودى أن يحاربوا الظلم الاجتماعى . وبالنسبة للرجال الثلاثة ، كان اليهود هم الذين تساء معاملتهم على أيدى السود الذين كانوا ينتقلون الى مناطق سكناهم ، ويسيطرون على مدارسهم ، ويحولون شوارعهم الى مناطق لمعارك المخدرات والجريمة . وكان الثلاثة يؤكدون ان الحقوق المدنية اليهودية فى حاجة الى الدفاع عنها ! . ومع أواخر الستينيات ، بدأ كاهانا يكتب فى جريدة « الجويش بريس » عن عن احتمال حدوث (هولوكوست) وشيك ، وبمهارة وضع صور المناضلين السود المتباهين بقوتهم جنبا الى جنب مع النازيين المختالين فى مشيتهم . وقد أخبرنى كاهانا أن حجرة الاخبار فى الجويش بريس التى كان يعمل فيها كمساعد رئيس تحرير فى ١٩٦٧ و ١٩٦٨ ، كانت تغص بالموضوعات المزعجة عن الاعمال المناهضة للسامية فى أنحاء البلاد — وفى ذلك ، حسب قول كاهانا ، أعمال عنف وحشية عديدة يقوم بها السود والبورتوريكيون ضد اليهود ، وكتب كاهانا فى الجريدة أنه وراء كل اندلاع للفوضى فى المدن كانت توجد أيدى المناضلين السود الذين كانوا يحاولون « أن يسيطروا على مدننا ويؤسسوا منظمة عنصرية سوداء » .

ومن المتيقن أن جيلا متشددا من الزعماء الراديكاليين السود اختصوا الطائفة اليهودية بالانتقاد ، متجاهلين التحالف بين السود واليهود على مدى عدة عقود ، فى النضال من أجل الحقوق المدنية . وقد قال الزعيم المسلم الاسود مالكولم اكس متهما : « فى كل حى رئيسى من أحياء الاقليات (غيتو) يملك اليهود الاعمال الرئيسية ، وفى كل ليلة يعود أصحاب تلك الاعمال الى بيوتهم ومعهم نقود طائفة السود مما يساعد على بقاء الحى فقيرا » . وأدان ستوكلى كارمايكل الصهيونية ، وساوى بينها وبين العنصرية وأقسم على تصفيتها « حيثما وجدت سواء فى احياء الاقليات فى الولايات المتحدة أو فى الشرق الاوسط » . وسمى الشاعر الاسود لوروا جونز اليهودية بأنها « تراث جرثومى خطير » .

ويزعم كاهانا انه عندما اعرب عن القلق من تزايد معاداة السود للسامية لزعماء المنظمات اليهودية الرئيسية ، طلبوا منه ان يحجب هذه الاخبار لتحاشى تفاقم الموقف . وكتب كاهانا يقول « ان تعامى واهمال المؤسسة اليهودية يعد جريمة » . وقد خلق التجاهل الواضح لمصير اليهود المحصورين فى المناطق الانتقالية فراغا قرر كاهانا وصديقاه أن يملاءوه .

وقد جلس الرجال الثلاثة فى معبد لوريلتون يتناقشون حول الاسم الذى يطلقونه على منظمتهم وهم غير متأكدين من الشكل الذى ينبغى أن تأخذه منظمة مسلحة للدفاع اليهودى عن النفس . واقترح دولينسكى تسميتها « بروتوكولات حكماء صهيونى » ، بنفس أسم الكراسة الدعائية المخادعة التى طبعت لاول مرة بهذا الاسم فى روسيا فى عام ١٩٠٥ بواسطة البوليس القيصرى السرى وفهم منها انها خطة يهودية للهيمنة على العالم . وقال دولينسكى « ان كل مناهضة للسامية كان متأكدا من وجودها » . ويعيش دولينسكى الآن فى القدس حيث خدم لفترة قصيرة كرئيس للمكتب الصحفى للحكومة الاسرائيلية خلال حكم مناحم بيجين ، ويستطرد قائلا : « كان الاسم معترفا به . واذا كانت المؤسسة اليهودية لم تحبه ، فليكن ذلك : فقد أمضينا شبابنا كله فى منظمة بيكار نحارب المجتمع اليهودى المنظم — ومن ثم كان الوقوف ضد المؤسسة اليهودية امرا طبيعيا تماما » . وفى النهاية ، أختار كاهانا أسما أقل اثارة هو — فيلق الدفاع اليهودى ، الذى تغير فيما بعد ليصبح رابطة الدفاع اليهودى .

وفى ٢٤ مايو ١٩٦٨ ، نشر كاهانا اعلانا صغيرا فى الجويش بريس سعيا الى كسب اليهود المتهمين بالكبرياء اليهودى » — وكانت هذه هى الخطوة الاولى فى تنظيم رابطة الدفاع اليهودى وفى الاسابيع التى سبقت الاجتماع الافتتاحى للرابطة فى يونيو ، أطلق كاهانا سيلا متصلا من الروايات البغيضة فى الجويش بريس — نشر معظمها فى الصفحات الاولى للصحيفة .
— حول مناهضة السود للسامية فى نيويورك . وقد فعل كاهانا ذلك بمباركة من كبار محررى الصحيفة ومن ناشرها شولوم كلاس . وقام يهودا شوارتز ، مدير تحرير الصحيفة وصهر ناشرها ، وحاييم ليبشيتز كبير المحررين — وهو حاخام له صلات سياسية جديدة وكان أحيانا يفتتح الاجتماع بصلوات يهودية — قاما بتوقيع وثائق تأسيس رابطة الدفاع اليهودى .

وحتى قبل أن يصبح كاهانا أقوى الاصوات فى تحرير الصحيفة ، عودت الجويش بريس قراءها على نشر القصص الغريبة عن اشتهاء الرجال غير اليهود بشراهة للنساء اليهوديات وعن هجمات سورية على اسرائيل بالغاز السام ، وهى هجمات لم تحدث أبدا . ويقول دولينسكى : « كانت الصحيفة كالرسم الكاريكاتورى ، وكانت تكتب بلغة انجليزية ركيكة تبدو كأنها مترجمة عن اليدية . ومع ذلك ، كانت المنبر القوى الذى صنع كاهانا » .

وقد كان الدعم الذى قدمته جماعة كلاس لكاهانا اكبر من مجرد منبر صغير فى ركن من الشارع . فقد هيأت الجويش بريس لكاهانا جواز الدخول الى عشرات الآلاف من البيوت اليهودية كل أسبوع ، حيث كان يتلاعب بمشاعر الخوف التى ظل يحملها اليهود فى داخلهم طوال الفى عام . وارتبط كلاس

يكاهانا ، بغض النظر عما كان يثيره سلوكه من غضب ، وبغض النظر عن طلب العديد من الزعماء اليهود المتدينين المشهورين عالميا من كلاس التخلى عن الحاخام المتشدد . (كاهانا) واستمر ذلك حتى جاء اليوم الذى اضطر فيه كلاس الى الاختيار بين القضية الرئيسية التى كان يتبناها وبين مصالحه الاقتصادية .

وعقد أول اجتماع لرابطة الدفاع اليهودى يوم الثلاثاء ١٨ يونيو ١٩٦٨ فى الساعة الثامنة والنصف مساء فى مركز « الجانب الغربى » اليهودى الكائن فى غرب الشارع ٣٤ فى مانهاتن . ولا يزال المعبد يديره الحاخام شلوموكاهانا ، ابن العم الاول لمائير كاهانا . وكان هذا الاخير قد عاد لتوه من رحلة لاسرائيل استمرت أسبوعا حيث سعى بنجاح الى الحصول على مساندة مناحم بيجين وغيره من الزعماء التحريفيين البارزين لحركته الوليدة . وخلال اقامته القصيرة ، تنقل كاهانا فى الأراضى العربية التى كان قد تم غزوها حديثا وجرفته نشوة ما بعد حرب الأيام الستة التى كانت تسود اسرائيل .

ويذكر زويبون أن الاجتماع الاول « كان اجتماعا متزنا الى حد كبير » فلم يكن كاهانا قد وصل الى ذروة حماسته الخطابية .. وكان الاجتماع مدروسا جيد الاعداد ولم يجذب اليه الجمهور المعتاد من ذوى الافكار الشاذة الذين تعودنا عليهم فيما بعد » . وكان معظم الحاضرين — وعددهم خمسة وثلاثون — من الرجال المتخصصين . وكان منهم جيروم هو رنبلاس ، وهو الآن نائب قاضى المحكمة العليا فى ولاية نيويورك ، وقد ساعد كاهانا على تدشين حركته .

وكان الموضوع الرئيسى للنقاش فى تلك الليلة هو اعادة توزيع ١٩ مدرسا فى الثامن من مايو بواسطة مجلس ادارة مدرسة يديرها السود فى منطقة أوشان هيل برونزفيل ، التى كانت فى السابق ضاحية يسودها اليهود فى بروكلين ثم اصبحت حيا فقيرا للسود . وكان مجلس التعليم فى مدينة نيويورك قد بدأ تجربة تنفيذ خطة لتحقيق (عدم مركزية المدارس) بهدف اعطاء التجمعات ، وخصوصا تجمعات الاقليات ، سيطرة اكبر على تعليم اطفالهم وقد أطلق كاهانا حرفة العنصرية . عندما أعيد على الفور توزيع المدرسين البيض ، ومعظمهم من اليهود ، فبالنسبة لكاهانا ، كانت (عدم المركزية) اشارة الى اعلان موت نظام الجدارة الذى تسير عليه الحكومة ، والذى كان يسمح حتى ذلك الحين لليهود الذين يدخلون الخدمة المدنية بالترقى فى نيويورك .

وتوسط كاهانا ، الذى كان يرتدى بنطلونا رماديا وفانلة بيضاء مفتوحة عند الرقبة ، مجموعة الحاضرين الصغيرة والمتنبهة وهو يطلق اتهامات لاذعة للمنظمات اليهودية الرئيسية بسبب فشلها فى ادراك « ما يمكن لاغبى الجهلاء

ان يفهمه » — وهو ان الكراهية بين السود واليهود متفشية فى البلاد . وسخر كاهانا من المؤسسة اليهودية بسبب مساندتها للحقوق المدنية للسود فى وقت تتلاشى فيه القوة السياسية التى اكتسبها اليهود بصعوبة فى نيويورك . وانهم عمدة نيويورك جون ليندساى الذى وصفه بأنه « الليبرالى الذى لا يفعل شيئا » ، بأنه قواد للسود ، بدلا من ان يحمل على جرائم الشوارع التى يرتكبها السود . وأعلن كاهانا أن الوقت قد حان لتشكيل جماعة مناضلة لا تضع فقط المصالح الاقتصادية والاجتماعية اليهودية فى المقام الأول ، بل تغرس ايضا الكبرياء اليهودى ، لاسيما فى نفوس الشباب اليهودى ، الذين كانوا ، فى نظر كاهانا ، ينجرفون الى اليسار وبعيدا عن اسرائيل . وقال لى كاهانا فيما بعد : « كنت قلقا للغاية لأن الشباب اليهودى لم يكن يعنيه قط أن يظل يهوديا . لقد كانوا يحاربون من أجل السود ، ومن أجل الفييتكونج ومن أجل الكوبيين ، ومن اجل أى شىء ، ولكن ليس من أجل انفسهم » .

وبشكل نمطى ، كانت دعاوى كاهانا تنتهى بطلب التبرع بالمال ، وكان يساوى بين بقاء رابطة الدفاع اليهودى وبقاء الشعب اليهودى . وقد قال : « اننا نتحدث عن البقاء اليهودى وليس من المفاهيم اليهودية أن ندير الخد الآخر لا تستمعوا الى التخدير المهدىء من المؤسسة اليهودية . انهم يسيرون فى نفس طريق أولئك الذين ساعد جبنهم على دفن اخوتنا واخواتنا منذ اقل من ثلاثين عاما مضت » .

وفى اليوم التالى للاجتماع فى معبد الجانب الغربى الذى يعمل به ابن عمه ، فتح كاهانا أول مكتب لرابطة الدفاع اليهودى فى ١٥٦ بالشارع الخامس فى مانهاتن . وكان الايجار الشهرى مائتى دولار . وعملت والدته سونيا كسكرتيرة للرابطة . وكانت الأم والابن على اهبة الاستعداد للمعركة ولم ينتظرا طويلا . ففى نفس ذلك اليوم ، سافر كاهانا الى واشنطون ليدلى بشهادة أمام لجنة الأنشطة غير الأمريكية بمجلس النواب — وهى اللجنة المتصيدة للشيوعيين والتى أسقطت الامريكيين الذين تجاوزت وجهات نظرهم السياسية الحدود الضيقة التى وضعت خلال الحقبة المكارثية . وكان ذلك هو اول عمل رسمى يقوم به كاهانا كرئيس لرابطة الدفاع اليهودى .

وتم ترتيب ادلاء كاهانا بشهادته بواسطة هربرت رومرشتاين ، محقق اللجنة فى نيويورك . ويمثل (ايرفينج براون) و (جاى لافستون) كان رومرشتاين مسئولا فى الحزب الشيوعى الامريكى قبل أن يتحول الى مناهض متشدد للشيوعية . (بينما كان رومرشتاين يعمل فى هيئة الاستعلامات الامريكية كخبير فى عمليات التشويه الاعلامى السوفيتى فى الثمانينيات ، انشأت الهيئة لجنة العام الدولى للشباب ، والتى استخدمت كاداة لتوصيل التمويل الى الكونترا . ولم يكن روى جودسون سوى أحد زعماء هذه اللجنة) .

وكان رومرشتاين زائرا معتادا لجريدة الجويش بريس ، حيث كان على علاقة ودية مع محررى وناشر الجريدة . ويتذكر رومرشتاين ــ الذى تأثر لمدة طويلة بكتابات كاهانا ــ « استدراج » كاهانا الى واشــــنطن فى يوم الادلاء بالشهادة « لقد نسى التيفلين (الطاقية السوداء) ، وكان مضطرا الى قطع الطريق كله عائد الى البيت لاحضارها » . وأثناء رحلة القطار الى العاصمة ، تحدث كاهانا عن رابطة الدفاع اليهودى وذكر لى رومر شتاين « كان موقفه أنه لن يستخدم العنف ، ولكنه كان يعتقد أن بامكانه أن يرهب الناس بالتهديد باستخدام العنف . وكان ذلك قبل أن تبدأ عمليات التفجير بالقنابل فى ويزرمن وقبل أيام الغضب التى أثارتها المنظمة الكلابيـــة اليســـارية المناهضة لحرب فيتنام (الطلبة من أجل مجتمع ديمقراطى) فى شيكاغو . وكانت كافة الجماعات الراديكالية تتحدث عن العنف والثورة . غير أن الثوريين عليهم أن يصنعوا الثورات ، وكانت فكرة كاهانا أنه يستطيع مجرد التحدث عنها .. وأعتقـــد أنه كان يؤمن بالفعل فى ذلك الوقت بأنه لن يقوم بعمل أى شىء » .

ومن غير المدهش أن المخـــبر الســـابق لمكتب التحقيقـــات الفيدرالى ، جاء مستعدا لتحديد الأسماء .وكما هو متوقع تماما ، كان احتقار كاهانا ينصب على اقرانه من اليهـــود الذين كان يرى أن آراءهم مهلكة . وطبقا لشـــهادته المنشورة ، قدم كاهانا نفسه للجنة الأنشطة غير الامريكية على أنـــه مؤسس جماعة اسمها « رابطة الدفاع اليهودى » ، يتم تنظيمها حاليا للدفاع عن الشعب اليهودى ضد مناهضة السامية وللدفاع عن هذه البلاد ضد الجماعات المتطرفة المختلفة مثل الشيوعيين والمواطنين السود ، والتى تمارس نشاطها فى الوقت الحاضر . وتحدث كاهانا لمدة تزيد على الساعة عن دراسة استمرت ١٥ عاما للشيوعية ومناهضة السامية فى الاتحاد السوفيتى زعم أنه قام بهـــا . وبعد استراحة الغداء ، طلب عضو الكونجرس البرت واتسون عن كارولينا الجنوبية ، من كاهانا ان يبعد اللجنة بأنشطة المجلس الامريكى لليهودية ــ وهى جماعـــة صغيرة منشقة كانت تعارض الصهيونية . واجاب كاهانا بطريقة ماكرة قائلا : « اننى عادة ما اتردد فى التعليق على المنظمات اليهودية الأخرى . ومع ذلك فطالما أنك سألتنى ، فاننى اشكرك على هذا السؤال » . وذكر كاهانا أن أعضاء المجلس الامريكى لليهـــودية ورئيســـه ريتشارد كورن هم عمـــلاء فى مؤامرة سوفيتية ــ عربية لتدمير اسرائيل . ولم يقدم كاهانا أى برهان على مزاعمه . وانتهى الى القول « بأنها جماعة مناهضة للصهيونية ، وبشكل أو بآخر هى مناهضة بحق للسامية » .

وقد أثارت شهادة كاهانا اعجاب اللجنة . وذكر لى فرانسيس ماكنمارا ، مدير اللجنة من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٦٩ ، ان الشهادة « كانت موثقة توثيقا جيدا وتليق بعالم ، بمعنى انها اظهرت معرفة دقيقة بدراسة العقيدة والتصرفات ــ السوفيتية الأساسية » .

وانبهرت لجنة الانشطة غير الامريكية بكاهانا الى حد أن رجالها بدأوا في العمل مع رابطة الدفاع اليهودى بشكل وثيق · وطبقا لما ذكره زويبون والان مالينبوم ، أول مدير ادارى لرابطة الدفاع اليهودي ، كان رومرشتاين وعميل آخر للجنة الانشطة غير الامريكية يتنقلان باستمرار من والى مكتب الرابطة فى الشارع الخامس ، حيث يتم تبادل المعلومات عن المناضلين السود وغيرهم ممن يسمون بالعناصر الهدامة اليسارية فى العادة · ويقول زويبون : « ان كاهانا كان يلتقى برجال الحكومة بانتظام خلف أبواب مغلقة » · ويضيف ان رجال لجنة الانشطة غير الامريكية كان لهم مكتب فى مقر رابطة الدفاع اليهودى وكان المكتب محظورا على بقية أعضاء الرابطة ·

وبطبيعة الحال ، لم تكن رابطة الدفاع اليهودى وحدها فى هذا المجال · فطبقا لما ذكره فيكتور نافاسكى ، كانتا منظمتان رئيسيتان للدفاع اليهودى هما اللجنة اليهودية الامريكية ورابطة مناهضة التشهير التابعة للبناى بريث كانتا تعملان مع لجنة الانشطة غير الامريكية بشكل وثيق ، وتشاركان فى ملفات التحقيق بشأن الشهود المحتملين . وكتب نافاسكى فى كتابه « تحديد الاسماء » يقول : « فى محاولة منها لحماية سمعة المجتمع اليهودى المنظم ، قبلت هذه المنظمات بحسن نية فرضيات مؤسسة الامن الداخلى التى كانت تتعاون معها من وراء الستار · وقد أعطى مثل هذا السلوك للجنة الانشطة غير الامريكية اطارا مرجعيا أكثر احتراما ، وبذلك زاد احترام لجنة كان سلوكها يستحق الادانة وأصبحت مقبولة بالنسبة للمواطن العادى » ·

وعلاوة على لجنة الانشطة الامريكية ، اجتذبت كاهانا ايضا التمويل والمساندة من أصدقاء شوربا الصقور فى جهاز المخابرات ــ وهى حكومة خفية تعمل فى الظل وتتستر خلف حجاب الامن القومى الذى يسمح لها بالتخفى عن الرأى العام وعن الكونجرس · وكان شوربا نفسه عنصرا فعالا فى مساعدة رابطة الدفاع اليهودى على النهوض · ومن المؤكد أن رابطة الدفاع اليهودى لم تكن تختلف عن جماعات التمويه الاخرى التى كونها شوربا وكاهانا لدعم القضايا التى تهم الحكومة · ويقول زويبون : « مع ذلك ، وعلى خلاف حركة الرابع من يوليو ، كانت رابطة الدفاع اليهودى هى التى ثبتت أقدمها . فكان لها تأثير فى الجامعة ، وحولت العديد من الطلبة اليهود اليساريين ، الى اليمين وساعدت على مجابهة اليسار والسود · وبذلك خدمت قضية الحكومة » · وكان ذلك لبعض الوقت · وبحلول عام ١٩٧٠ ، كانت رابطة الدفاع اليهودى تندفع كالمسعورة مثل شبح فرانكشتاين ، وتكاد تقضى على الوفاق القائم · وقال شوربا فيما بعد لمسئول سابق فى رابطة الدفاع اليهودى : « لقد اخترنا الرجل غير المناسب لرئاسة الرابطة » وهو مؤشر آخر على أن الجماعة اليهودية المناضلة ربما تكون قد حصلت على موافقة أحد أجهزة الحكومة ·

وفى ظهيرة الخامس من اغسطس ١٩٦٨ ، قامت رابطة الدفاع اليهودى بأول مظاهرة لهـا . وجرت المظـاهرة فى جامعة نيويورك للاحتجاج على تعيين جـون هانشيت ، الذى كان اختير لرأس مركز مارتن لوثركنج (الصغير) الطلابى الافريقى الامريكى . وقبل تعيينه بعدة أشهر كان هانشيت قد اكتسب عداوة بعض اليهود لانه كتب مقالا فى صحيفة « منبر المدرسين الافريقيين ــ الامريكيين » ، زعم فيها أن اليهود « يهيمنون ويسيطرون » على مدارس نيويورك ، « حيث يقومون بتسميم عقول الاطفال السود ... هذا يعنى الموت لعقول وأرواح أطفالنا السود » .

وقد تظاهر كاهانا واثنا عشر من اتباعه فى جامعة نيويورك لمدة ساعة تقريبا هاتفين « لا مكان للنازيين فى جامعة نيويورك ، الحقوق اليهودية غالية أيضا » وفى اليوم التالى كانت أخبار المظاهرة فى الصحف الصباحية ومنها صحيفة النيويورك تايمز التى غطت مغامرات رابطة الدفاع اليهودى بشغف على مدى عدة سنوات تالية ، مسهمة فى ابراز هذه الحركة .

ونظمت رابطة الدفاع اليهودى العديد من المظاهرات الاخرى التى غطيت جيدا من الناحية الدعائية وذلك للاحتجاج على « مناهضة السود للسامية » . فى أعقاب مسيرة جامعة نيويورك . ولكن فى الوقت الذى بدأت فيه الرابطة تكتسب قوة دفع جديدة ، اضطر كاهانا الى أن يكرس المزيد من الوقت لاعانة أسرته . وأصبح كاهانا حاخاما للمعبد التقليدى فى قرية روتشديل ، وكان يقع فى مجمع سكنى فقير يغلب عليه البيض فى كوينز ومحاط بأحياء فقيرة للسود . وبدأ أيضا فى تعليم الفلسفة اليهودية فى مدرسة البيشيفا ــ سنترال كوينز الخاصة . وقد ظن العديد من رفاق كاهانا بأنه اصبح أقل نشاطا فى الرابطة بسبب اعادته النظر فيما سيقوده اليه حماسه الشديد . وربما رأى الحاخام العجول فى رابطة الدفاع اليهودى وسيلة بطيئة الى النجمية . فمن المؤكد أنه ترك وراءه تاريخا من البدء بتسكيل جماعات لا لشىء الا لكى يهجرها . وربما أحس بالوحدة وهو يتنقل بين أحياء السود ليلا بمفرده فى سيارة بها مكبر للصوت محذرا « الشفارتز » ــ كلمة يبديه ــ ، وهى مرادفه لكلمة « السود » ، لكنها تنطوى على معنى الازدراء ، بأن يرفعوا أيديهم عن اليهود . واستمر كاهانا فى دق طبول كراهيته من خلال الجويش بريس ، تاركا الآخرين يديرون الانشطة اليومية للحركة الوليدة ولكن بحلول يناير ١٩٦٨ ، ومع توفر أموال لدى رابطة الدفاع اليهودى تكفى لدفع مرتب جيد لكاهانا ، عاود كاهانا البروز ليقود الجماعة المتشددة الى عالم مراقبة العنف والارهاب . ولن يكون هناك رجوع الى الوراء .

واشتغل كاهانا بمسألتين فى عام ١٩٦٩ هما : محاربة الروح النضالية لدى السود ، وخلع العمدة جون ليندساى ، الذى كان يتأهب لاعادة انتخابه

ودارت المسألتان حول محور اضراب المدرسين فى سبتمبر ١٩٦٨ ، وهو الاضراب الذى أسقط النظام الدراسى فى مدينة نيويورك . وكان أحد أهداف نقابة المدرسين المعزبين ، التى كانت تضم ٩٠ فى المائة من البيض و ٦٠ فى المائة من اليهود — اسقاط رودى ماكوى ، رئيس مجلس ادارة مدارس مقاطعة أو شان هيل — براونزفيل ، ذلك الرجل الاسود المتقلب الذى يدخن الغليون والذى اعاد مؤخرا توزيع ١٩ مدرسا أبيض دون ما ضرورة توجب ذلك . وصاحب الاحزاب تطرف وأعمال عنف عنصرى من الجانبين . وقد حرص البرت شانكر ، رئيس الاتحاد العام للمدرسين ، على أن يحظى كل هجوم لفظى على الاتحاد من جانب الجماعات السوداء الراديكالية بعملية نشر واعلان واسعة ، بغض النظر عن مدى غموض الهجـــوم .

وسارع أولياء الأمور البيض الى الحاق أطفالهم بمدارس خاصة . وقفزت اسعار المساكن فى الضواحى بنسبة ١٥ فى المائة . وحاول العمـــدة ليندساى أن ينهج منهجا وسطا بين السود وبين نقابة المدرسين التى يهيمن عليها اليهود . وردا على ذلك ، نشرت النقابة اعلانا على صحيفة كاملة فى النيويورك تايمز متهمـة العمدة بـــ « التذبذب ، وعدم الحسم ، والتهاون ، والتراجع » . وفى نفس الوقت هرع المدرسون اليهود الى مقر رابطة الدفاع اليهودى .

وفجأة ، بدا أن فرق مشاغبى رابطة الدفاع اليهودى تنتشر فى كل مكان ، وتحيل اجتماعات مجلس ادارة المدارس الى مشاجرات ، وتتحرش بالمحتجين المناهضين للحرب وتضربهم ، وتنقل التهديدات بالقتل عبر التليفون فى منتصف الليل الى الزعماء السود والليبراليين اليهود . وكانت أول مظاهرة لرابطـــة الدفاع اليهودى فى عام ١٩٦٩ فى يناير فى براونزفيل ضد ليزلى كاميل ، وهى مدرسة سوداء انتقدت سيطرة اليهود على نقابة المدرسين . وبعد أســـابيع قليلة قاد كاهانا عدة عشرات من اعضاء الرابطة المسلحين بالعصى فى هجــوم ضد احدى المحطات الاذاعية اليساريةفى مانهاتن، كانت كاميل قد قرأت منخلالها قصيدة مناهضة للسامية على الهواء واهدتها الى البرت شانكر ، تقول :

« ايه ، أيها الفتى اليهودى ، بتلك القلنسوة اليهودية فوق راسك ، ياذا الوجه الشاحب ، اتمنى لو كنت ميتا . يمكننى أن أراك أيها الفتى اليهودى — ولا يمكنك أن تختبىء ، لقد جعلتك هـــدف بندقيتى ، وسيكون مصيرك الموت . اتيت الى امريكا ، ارض الأحرار وسيطرت على نظام التعليم لتكريس الهيمنة البيضاء . ما ظنك أيها الفتى اليهودى ، لا يوجد سوى سبب واحد لذلك — ان لك وجها أبيض نظيفا ، باهتا وبلا لون .. » .

وتم اعتقال اثنى عشر من اعضاء رابطة الدفاع اليهودى فى المحطـــة الاذاعية بتهمة التعدى والهجوم . وعلى مدى الاسابيع القليلة التالية ، أحدثت

الرابطة الشجار تلو الشجار . وفى ٢٤ فبراير ، تورطت الرابطة فى عراك فى مركز الشرطة ٢٦١ فى بروكلين بعد أن تم استدعاء المدرسون اليهود لمواجهة مجموعة متشددة من أولياء الأمور السود ، وفى ٢٥ فبراير سيطر بعض أعضاء رابطة الدفاع اليهودى الاقوياء على اجتماع لمجلس ادارة التعليم ، وفى ١٠ مارس رافق رجال الرابطة جدعون جولدبرج ، عميد طلاب المدرسة العليا بالمقاطعة الشرقية ، ودخلوا به الى مدرسته وسط حشود السود الساخرين . وفى ١٦ مارس ، تحرش مشاغبو الرابطة بالعمدة ليندساى وهو يدخل الى أحد اجتماعات مجلس ادارة التعليم وانتشى كاهانا بعمليات النشر عنه ، واستمتع بالمقارنات التى أجرتها وسائل الاعلام بين تكتيكاته وتكتيكات المناضلين السود ، الذين درس كاهانا ــ بعناية ــ أساليبهم فى التلاعب بأجهزة الاعلام . وقال كاهانا متفاخرا « يقول التلمود من هو العاقل ؟ العاقل هو من يتعلم من كل الناس . اننا نسعد عندما يسمينا الناس بالفهود لاننا نعرف ان الفهد لا يعبث بفهد آخر » .

ومن بين أكثر تجارب كاهانا الاعلامية حذقا خصومته العلنية مع الزعيم الأسود المناضل جيمس فورمان ، الذى أعلن فى مايو ١٩٦٩ أنه سيقود مسيرة الى معبد عمانويل المرموق فى الجانب الشرقى الاعلى لمانهاتن لكى يطلب تعويضات من الجالية اليهودية . ورد كاهانا على ذلك بأن أحاط المعبد بشباب مسلح من رابطة الدفاع اليهودى . وفى ٢٤ يونيو ، نشر كاهانا اعلانا على صفحة كاملة فى النيويورك تايمز بصورة مجموعة من شباب الرابطة الاقوياء فى ثياب المعركة وهم يلوحون بمواسير من الرصاص وبعصى كرة البيسبول ، فى تحد لفورمان اذا أقدم على تنفيذ تهديده . ولم يظهر فورمان البتة . ولكن الاعلان ، الذى ظهر تحت عنوان « هل هذه طريقة يتصرف بها فتى يهودى طيب ؟ » هز بلا شك المؤسسة اليهودية الامريكية الرصينة أكثر مما هز المناضلين السود مثل الفهود الذين وضعهم سلوكهم المدنى فى وضع من يقلدون رابطة الدفاع اليهودى بصورة واعية ومن المؤكد ان الاعلان ساعد رابطة الدفاع اليهودى فى زيادة مكانتها على خارطة المنظمات الراديكالية الهامة فى الستينيات . وقد داعب الزعيم أبى هوفمان كاهانا خلال حديث اذاعى لمحطة فى نيويورك بقوله : « اننى أكره ممارساتك السياسية ، ولكننى أحب تكتيكاتك » .

وكان مكتب التحقيقات الفيدرالى يراقب الصراع الذى يزداد عمقا بين الجاليتين اليهودية والسوداء فى مدينة نيويورك بسرور زائد . فقد كان هؤلاء الحراس على النظام العام يعملون فى الخفاء طوال سنوات من أجل القضاء على النزعة الوطنية السوداء وحركة الحقوق المدنية ، التى كان المكتب يعتقد ان العناصر الشيوعية الهدامة تسيطر عليها مثيرة السود الذين يسهل قيادهم عادة للاحتجاج على التمييز .

وفى عام ١٩٥٦ ، بدأ مكتب التحقيقات الفيدرالى حملة واسعة لتفتيت المنظمات التى كان يكرهها مسئولو المكتب • ونبعت الحملة ، التى عرفت باسم « كوينتلبرو » أى (برنامج الاستخبارات المضادة) ، من شعور ادجار هوفر بالاحبـــاط من أحكام المحكمة العليا التى تحـــد من قدرة الحكومة على تحييد ، ما يسمى بالجماعات المنشقة . وكان هدف هوفر الاول هو الحزب الشــــيوعى الامريكى . ثم اتسع البرنامج بعد ذلك ليشمل الجماعات الرئيسية للحقـــوق المدنية والشخصيات النشطة بها مثل مارتن لوثر كنج ، والجماعات المناهضـــة للحرب ، ومثيرى الاحتجاجات مثل دكتور بنيامين سبوك ، وكذلك الجمـــاعات التى تكن كراهية للبيض مثل جماعة (كوكلوكس كلان) .

وفى صيف ١٩٦٧ ، ومع انتشار الفوضى فى المدن مثل عاصفة مشتعلة انشأ مكتب التحقيقات الفيدرالى برنامجا جديدا بالغ السرية للاستخبارات المضـــادة كان موجها ضد الجماعات الوطنية السوداء مثل جماعة « الفهـــود الســـود » وليس من المدهش أن مكتب التحقيقات الفيدرالى استغل اضراب مدرسى مدينة نيويورك كى يزيد من رد فعل البيض ضد الجالية السوداء وذلك طبقا لمذكرات مكتب التحقيقات الفيدرالى حول تفاصيل حملته ، التى حصلت عليها • واشتملت جمعية المكتب من الحيل القذرة ، اشتملت على ارسال خطابات عنصرية بالبريد يفهم منها أن المتطرفين السود كتبوها للمدرسين البيض ولمسئولى نقـــابة المدرسين •

وقد كان هوفر ومن حوله من الرجال ، عنصريين بالفطـــرة ، وكانوا يتحدثون عن الزعماء السود البارزين كما لو كانوا دون مستوى البشر وعديمى القيمة ، وذلك طبقـــا لوثائق مكتب التحقيقات الفيدرالى التى ســـمح بنشرها ، ويقول المؤلف ديفيـــد جارو ، الحـــائز على جائزة بوليتزر فى كتابه « مكتب التحقيقـــات الفيدرالى ومارتن لوثر كنج (الصــــغير) » أن « المكتب سعى الى تدمير الزعمـــاء السود لمجـــرد أنهم زعمـــــاء سود » . وكان ثار هوفر من كنج بالغا الى حد أن المكتب ســـجل شرائط تحمـــل البرهان على علاقاته النسائية المفرطة ، ثم بعث لزعيم الحقـــوق المدنيـــة بخطابات تحثه على الانتحار ويقول جارو أنه فى الخمسينيات والستينيات ، وبنفس الطريقة لم يدخـــر مكتب التحقيقـــات الفيدرالى جهـــدا لكشف التغلغل الشيوعى فى(الرابطة الوطنيـــة لتقدم الملونين) « من أجل زعزعة الثقـــة فى هذه المنظمة (وقد تم بحث السلوك غير المشروع الذى قام به هوفر بواســـطة لجنتين تابعتين للكونجرس كلفتـــا بالتحقيق فى تجاوزات مكتب التحقيقات الفيدرالى » .

وقد ورد ذكر خطة مكتب التحقيقـــات الفيدرالى لاستخدام كاهانا ورابطة الدفاع اليهودى فى برنامجه للاستخبارات المضـــادة للقضـــاء على الجمـــاعات الوطنية السوداء ورد ذكر هذه الخطة لاول مرة ، فى مذكرة بتاريخ ٥ سبتمبر

١٩٦٩ من فرع المكتب فى نيويورك الى اوجار هوفر مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى . وتحت قسم عنوانه « عمليات قيد البحث » تقول المذكرة : « يدرس مكتب نيويورك حاليا محاولة للاتصال واقامة نوع من العلاقة مع رابطة الدفاع اليهودى لكى تكون فى وضع يسمح بتزويدها بالمعلومات التى يرغب المكتب فى استخدامها فى أحد أساليب الاستخبارات المضادة » .

وفيما يبدو انه مذكرة متابعة مؤرخة فى ١٠ سبتمبر ١٩٦٩ ، كتب مدير مكتب نيويورك الى هوفر موصيا بأن يقيم مكتب التحقيقات الفيدرالى اتصالا بكاهانا على وجه التحديد من اجل « اغراض الاستخبارات المضادة » . وتمضى المذكرة الداخلية فى القول « ان الشخص الذى يصلح بدرجة أكبر للغرض المذكور عاليه هو الحاخام مائير كاهانا مدير رابطة الدفاع اليهودى . ويلاحظ أن خلفية الحاخام كاهانا ككاتب فى صحيفة الجويش بريس التى تصدر فى نيويورك ، ستمكنه من اعطاء تغطية واسعة للتصريحات المناهضة للسامية التى تصدر عن (حزب الفهود السود) وغير من الجماعات الوطنية السوداء » .

وقد طلبت مذكرة مؤرخة فى ٢٢ سبتمبر ١٩٦٩ وموجهة من جى.س مور رئيس الشعبة الخامسة ، وهى شعبة « الاستخبارات العنصرية » فى مكتب التحقيقات الفيدرالى ، الى دبليو . س سوليفان ، الرجل الثانى فى المكتب ان يسمح لمكتب نيويورك باستخدام رابطة الدفاع اليهودى ضد الفهود : « مرفق خطاب يخول لمكتب نيويورك بأن يرسل بالبريد خطابا غير موقع يفهم منه أنه من والد أحد المتطرفين السود ، الى زعيم مجموعة يهودية تسمى رابطة الدفاع اليهودى . ويهدف هذا الاتصال الى اقامة علاقة بين المرسل والرابطة بغرض تزويد الرابطة بأمثلة لمناهضة السامية من جانب حزب الفهود السود وغيره من الجماعات المتطرفة . ورابطة الدفاع اليهودى منظمة يهودية من نوع منظمات الأمن الأهلية تشكلت وتمارس نشاطها فى مدينة نيويورك . وأهدافها وأغراضها هى الدفاع عن الشعب اليهودى ضد كل أنواع مناهضة السامية . وفى الوقت الحالى لا تعتبر أهدافها وأغراضها ذات طبيعة غير شرعية ، ومن الواضح أنها غير سياسية وحزب الفهود السود وكذلك الجماعات المتطرفة الأخرى ، مناهضة للسامية بطبيعتها . وقد لوحظت أمثلة عديدة لمناهضة السامية من جانب حزب الفهود السود . وعندما توضع هذه المعلومات فى أيدى رابطة الدفاع اليهودى يمكنها أن تعمل بسهولة ضد مصالح حزب الفهود السود مما يؤدى الى تمزقه .

ويبدو أن وضع رابطة الدفاع اليهودى جيد من الناحية المالية كما أنها تملك الوصول الى التغطية الصحفية . اننا ننوى أن نوجد مصدرا وهميا للمعلومات يزود الحاخام مائير كاهانا بالبيانات من المصادر العلنية من المتوقع

ان تنشر المعلومات فى النهاية وتسبب احراجا لحزب الفهود السود وللجماعات المتطرفة الاخـــرى .

وقد اقترحت نيويورك ارسال خطاب غير موقع بالبريد من اب زنجى موال لليهود ، ابنـــه احد أعضاء حزب الفهود السود . ويوجه الخطاب الى الحاخام كاهانا ويظهر التعاطف والصداقة لليهود بينما ينتقد حزب الفهود السود ويترك الخطاب الباب مفتوحا لمزيد من الاتصـــالات .

التوصية : الخطاب المرفق الذى يمنح مكتب نيويورك سلطة تصـــــدير الخطابات المقترحة ، يتم الموافقة عليه وعرضـــه . ويكفل هذا الخـــــطاب على أقصى درجات السرية وأن تعد الخطابات المقترحـــــة على ورق ومظاريف عادية غير رسمية . وجعل الجماعات المتطرفة بعضها ضد بعض ، مثل عبيد روما القديمة ، يعتبر تكتيكا فعليا مجربا لمكتب التحقيقات الفيدرالى . ولابد ان هوفر أحب فكرة استخدام كاهانا لمهاجمة الفهود ، الذين وصفهم ذات مرة بأنهم « أكبر تهديد للأمن الداخلى فى أمريكا » . وسرعـــــان مابدأ مكتب التحقيقات الفيدرالى فى ارسال « تقارير » الى زعيم رابطة الدفاع اليهودى عن الانشطة المزعومة المناهضة للسامية والمناهضة للصهيونية التى يقوم بها الفهود . وعلى الفور ، بدأ كاهانا يعرض حقائق مكتب التحقيقات فى عموده بالجويش بريس تحت عنوان « أضواء على التطرف » والذى أصبح مكانا لتصفية الحســـابات بالنسبة للعقول المبدعة فى الشـــعبة الخامسة . ومن السخريات ، أنه فى نفس الوقت الذى كان ينشر فيه كاهانا بشكل طبيعى « فضائح » الجماعات المتطرفة، بدأ يتلقى خطابات تهديد ظاهرها انها من متطرفين سود ، ولكن كتبها فعـــــلا العملاء الفيدراليون ، وقد جاء فى أحد هذه الخطابات المرسلة الى كاهـــــانا : « سوف نقضى عليكم واحدا بعد الآخر . وسيكون من المحتم تدمير اسرائيـــل . الآن يتمتع اليهود بكثير من النفوذ السياسى وفى المستقبل سيكون النفوذ للسود. (توقيع) أبناء الحقبة الجديدة السود » .

وكان مكتب التحقيقات الفيدرالى يلعب لعبة خطيرة . فلم تكن رابطـــة الدفاع اليهودى بقادرة على مجاراة الفهود الاشداء فى الشارع . ورغم ذلك ، وفى ٥ مايو ١٩٧٠ ، اعلن كاهانا فى مؤتمر صحفى ان رابطة الدفاع اليهودى ستقوم بمظاهرة مسلحة ضد حزب الفهود السود فى نيويورك فى عقر داره فى هارلم . وكان حزب الفهود السود، الذى تأسس فى أوكلانـــه فى عام ١٩٦٦ ، يتكون من ثوريين ادعياء تربوا فى الاحياء الفقيرة ويطالبون بالاحـــاطة « بهيكل الســـــلطة العنصرى الابيض فى أمريكا » . وعلى عكس الطلبة الراديكاليين البيض ، كان الفهود لا يحملون فقط البنادق ، ولكنهم كانوا يستخدمونها أيضا ، وكان لهذا احيانا اثـــــره المميت . ويقول جيرى ليفكورت ، وهو محام بارز فى

نيويورك كان يمثل الفهود ، « حادثنى الفهود بشـــأن مظاهرة لرابطة الدفـــاع اليهودى ، وتوسلت اليهم أن يتركوها تمر . وكان الفهـــود يريدون أن يفتكوا بالمتظاهرين ولكننى فعلت كل ما أستطيع لحماية رابطة الدفاع اليهودى » .

وكادت سياسة تصيد أخطاء السود التى انتهجها مكتب التحقيقـــات الفيدرالى أن تتحول الى مأساة عندما توقفت صباح يوم ٧ مايو ١٩٧٠ شاحنة مستأجرة من شركة هيرتز محملة بسلاسل وعصى وخطاطيف أمام مقر حـــزب الفهود السود فى شارع ١٢٣ ولينوكس أفينو . ونزل من الشاحنة حوالى ٣٥ شابا من أعضاء رابطة الدفاع اليهودى فى زيهم الموحد وباغطية الرأس وهم ينشرون راية طولها خمسة أقدام تحمل شعار الرابطة — وهو قبضة مضمونة تندلع من خلال نجمة داوود . ويقول أرنى بايير العضو السابق فى رابطة الدفاع اليهودى متذكرا : « قفزنا الى خارج الشاحنة ووقفنا فى واجهة مقر الفهود وقد طوينا أذرعنا وعلى وجوهنا جهامة » واضاف ارنى قوله : ان كاهـــانا كان يشحنهم نفسيا باستمرار بمقارنته بين الفهود والنازيين .

واندفع عشرات من الفهود الى خارج مقرهم وهـــم يلوحون بالعصى والســـلاسل وعصى كـــرة البيســـبول . ويقـــول بايير : وصـــل رجال الشرطة الى هناك بسرعة وحاولوا تفريقنا . وكان نصيبى عصـــا مكنسة انكسرت فوق رأسى . ولما بدأت المشاجرة تسلق كاهانا بسرعة الى أعلى الشاحنة ومعه مكبر صوت ، واخذ يهتف بشعارات رابطة الدفاع اليهودى المختلفة ويوجه شتائمه البذيئة للفهود . ويضيف بايير قوله : وعندما بدأ أن الامر يسوء بالفعل ، أمرنا كاهانا بالعـــودة الى الشاحنة وانصرفنـــا . ولا أتذكـــر أن كاهانا اشـــترك فى اى عـــراك .

وكانت التقارير المصورة عن عراك رابطة الدفاع اليهودى مع الفهـــود على رأس البرامج الاخبارية التليفزيونية المحلية فى المســاء . وقد ذكر كاهانا المتباهى بنفسه للصحفيين فيما بعد أن الفهود الســـود نظرا لأنهم يخشون الآن رابطة الدفاع اليهودى بالشكل الواجب سيفكر السفاحون السود فى كل مكان مرتين قبل الاعتداء على اليهود . وقد كان ذلك بالتحديد هو هدفنا .

وكان مكتب التحقيقـــات الفيـــدرالى أيضـــا مغتبطا . فقد كان كاهانا هو الاداة المثلى . وبغض النظر عن كون كاهانا قد شارك بغير قصد فى مؤامرة مكتب التحقيقات الفيدرالى ، كانت مشاعره العنصرية متسمة تماما مع مشاعر أولئك الرجال الذين يديرون المكتب . وفى مذكـــرة تهنئة مؤرخة فى ٢١ مايو عام ١٩٧٠ وموجهة الى هوفر بعنوان « نتائج ملموسة » قال رئيس فرع مكتب التحقيقات الفيـــدرالى فى نيـــويورك : « فى ١٩٧٠/٧/٥ ... تحرش حوالى ٣٥ من أعضـــاء رابطة الدفاع اليهودى بفـــرع هارلم لحزب الفهود الســـود

في مدينة نيويورك · وكان غرض هذه العمليه هو اظهار أن الرابطة تشعر بأن حزب الفهود السود يعادي السامية في أفعاله وأقواله · وفي ضوء التصرف المذكور للرابطة ، يسود احساس بأن تدابير الاستخبارات المضادة التى قام بها مكتب نيويورك قد أسفرت عن نتائج ملموسة » ·

وبينما كان مكتب التحقيقات الفيدرالى يشعل نيران رابطة الدفاع اليهودى كانت ادارة شرطة نيويورك ووزارة الخارجية وهيئات حكومة اخرى مختلفة ، تحاول جاهدة اخمادها · وفى صيف عام ١٩٦٩ ، بينما كان هوفر يستخدم رابطة الدفاع اليهودى للهو بالمتطرفين السود ، أنشأ كاهانا معسكر تدريب شبه عسكرى فى كاتسكلز ، ودفع لاثنين من أطباء كوينز ٣٥ ألف دولار مقابل مستعمرة جوى ـ ديل بنجلو بالقرب من جروسينجر فى قلب (حزام بورشت) · وأمضى حوالى ٥٠ من شباب رابطة الدفاع اليهودى الصيف في معسكرها الجديد يتلقون دروسا فى لعبة الكاراتيه من اثنين من حملة الحزام الاسود ، ويتعلمون من أحد رجال البحرية السابقين كيفية اطلاق المسدسات والبنادق الآلية · وتعلمت نخبة منتقاة سميت بـ (التشايات) كيفية صنع قنابل المولوتوف وقنابل الانابيب · وأمر كاهانا بتصفية بركة المياه فى المعسكر حتى يمكن استخدامها فى التدريب على القاء القنابل الحارقة ·

وأخبر كاهانا (التشايات) بأنه يتم تدريبهم لكى يصبحوا مقاتلين يهود على غرار مقاتلى (الارجون) وعصابة (شتيرن) . واعلن لهم أن العدو موجود فى كل مكان : النازيون السابقون ، والنازيون الجدد ، والعرب ، والسوفييت ، والسود ، والسياسيون الخاملون ، واليساريون من كل الانواع · وحتى اليهود الذين يختارون الجانب الخاطىء فى مسألة ما ، يعدون هدفا مشروعا بالنسبة للحاخام .

وانضم أرنى بايير الى احدى فصائل (التشايات) كوسيلة للحصول على رضا والده ، وهو احد الناجين من معسكرات النازى واصبح احد الحراس الشخصيين لكاهانا . ويقول بايير انه انجذب فى البداية الى « صورة الحاخام الهادىء » التى جسدها كاهانا . ويضيف بايير متذكرا « كان كاهانا يشبه شخصا بامكانك أن تصارحه بمشاكلك . ولكننى لاحظت أنه بمجرد أن تقترب منه ، تجد حائطا فعليا قائما . فحتى فى اللقاء الخاص ، كان اكثر شبها بالشخصية العامة » .

وكان اطفال كاهانا انفسهم يحجبهم نفس هذا الحائط . وتقول جلوريا زوبيون ، التى كان زوجها بير ترام مشاركا فى تأسيس رابطة الدفاع اليهودى « لم تكن ليبى او الاطفال يتواجدون اذا كان لديه ما يفعله واتذكر عندما كنا فى المعسكر ان ليبى كانت احيانا تجلس ساعات مع أطفالها

الاربعة يتصايحون ويصرخون ، وهى تتوسل الى مائير بأن وقت العودة الى المنزل قد حان . ولم يكن لديه أى ادراك لاحتياجات أطفاله » .

ومع انطلاق مسيرة كاهانا فى الممارسات السياسية المتطرفة ، عادت ليبى الى كلية بروكلين للحصول على درجة الماجستير فى علم المكتبات . وتقول اديث هوروفيتز « لم تكن ليبى من نوع النساء الذى يحب الوظيفة . وكانت قانعة بأن تبقى فى المنزل ولكنها ادركت أن عليها ان تعيش حياتها الخاصة . وكانت لها آراء ثاقبة وتتمتع بثقافة عالية ولكنها كانت دائما تقلل من قيمة نفسها بالنسبة له . وهذا أمر يثير السخرية ، لان مائير كان يتحدث عنها فى العلن بتوقير ويخبر الجميع بأنها تتمتع بعقل أفضل من عقله . ولكنك لا تجدهما يتحدثان الى بعضهما علانية . وكان يعطى الاوامر من قبيل : « افعلى هذا ، افعلى ذاك ، تعالى ، اذهبى » .

وعلى الرغم من أن والدى ليبى توسلا اليها لتنفصل بالطلاق عن مائير ، كانت تتحمل الاهانات والاهمال من أجل أطفالها . وتقول اديث « كان صغار يذهبون الى البيشيفا ، بينما كان صغار رابطة الدفاع اليهودى يذهبون الى السجن . لقد كانت ليبى تحمى أطفالها بابعادهم عن منظمة أبيهم » .

ولم يكن قد مر سوى قرابة أسبوع واحد على دورة صيف ١٩٦٩ فى معسكر الرابطة ، عندما اختطفت مجموعة من الارهابيين الفلسطينيين بقيادة ليلى خالد طائرة رحلة تى . دبليو . ايه رقم ٨٤٠ المتجهة من لوس أنجلوس الى تل أبيب . وكرد انتقامى على ذلك ، اقتحم ثلاثة مسلحين تابعون لرابطة الدفاع اليهودى مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى الجانب الشرقى فى مانهاتن واستولوا على ملفات المنظمة ، وقيل انهم اكتشفوا أسماء الطلبة العرب فى الولايات المتحدة المتورطين فى قضايا مؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكذلك أسماء الامريكيين الذين يدعمونها . وطبقا لرواية كاهانا التى يؤيدها العديد من المسئولين السابقين فى الرابطة ، سلم الحاخام الملف الى مسئول اسرائيلى فى بعثة اسرائيل لدى الامم المتحدة .

وهكذا بدأت علاقة طويلة ومثمرة بين رابطة الدفاع اليهودى ومختلف منظمات التخابر الاسرائيلية . واداة توصيل المعلومات التى تجمعها الرابطة كانت ــ العادة ــ عضوا أو متعاطفا مع حزب مناحم بيجين (جاحال) الذى كان يمثل الكتلة اليمينية الرئيسية المعارضة فى اسرائيل آنذاك . ورغم أن بيجين لم يساند علنا انشطة العنف التى قامت بها الرابطة فى الولايات المتحدة ، رغم ذلك ، اعترف سرا باعجابه الشديد بالحاخام الامريكى المتوقد . وكان تقارب بيجين مع رابطة الدفاع اليهودى منطقيا تماما . فقد كان العديد من رجال الرابطة اعضاء فى حركة بيطار كما كان بعض أعضاء الرابطة أشخاصا بارزين فى الحركة التحريفية التى كان يرأسها بيجين باعتباره

وريث جابوتنسكى . وبالفعل ، لم تكن رابطة الدفاع اليهودى تزيد كثيرا من مجرد تقليد باهت لمنظمة الارجون مع فارق أن الامريكيين السود حلوا محل النازيين والبريطانيين كأعداء للرابطة وكانت فلسفة رابطة الدفاع اليهودى ، كما وردت فى الدليل الرسمى للرابطة ، عبارة اعادة صياغة مبسطة لايديولوجية جابوتنسكى . ولذلك أشاد بيجين عندما وجد المناسبة للقاء كاهانا فى نيويورك بعد فترة قصيرة من هجوم الرابطة على مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى نيويورك — أشاد القائد السابق لاحدى المنظمات السرية ، بالعملية .

ويقول ايرفنج كالديرون — وهو مدير لشركة شاحنات فى كوينز ، وخطط ونفذ العديد من مهام العنف التى قامت بها الرابطة باعتباره رئيس عمليات كاهانا فى أوائل السبعينيات — « كان بيجين يشعر بأن هناك حاجة الى وجود رابطة الدفاع اليهودى فى الولايات المتحدة لحماية اليهود » . ويستطرد فيقول : « كان بيجين يريد منا أن نستمر فى المراقبة وفى توفير المعلومات عن منظمة التحرير الفلسطينية ومؤيديها فى الولايات المتحدة . وقد كنا نعطى المعلومات لحزب جاحال الذى كان يقوم بدوره باعطائها الى المخابرات الاسرائيلية . وكان بامكاننا القيام بأشياء يصعب جدا على حكومة اجنبية أن تقوم بها : كأن نضع اجهزة التصنت على التليفونات ، ونفتش المكاتب ، ونلتقط الصور ، ونمارس أعمال المراقبة . ولم يسألنا بيجين ابدا اية اسئلة محدودة فيما يتعلق بأنشطتنا . ومن المفترض انه لم يكن يريد أن يعرف الاجابات . ولكنه لم يقل ابدا : اخبر كاهانا بألا يفعل هذا أو ذاك . لقد كان معجبا بكاهانا » .

وفى اعقاب هجوم رابطة الدفاع اليهودى على مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ، اخترق مكتب التحقيقات الخاصة ، بادارة شرطة نيويورك الجماعة مستخدما شرطيا يهوديا شابا كان يعمل فى مخابرات القوات الجوية . وكان الشرطى ، واسمه ريتشارد رونشال ، يتحدث الروسية بطلاقة بالاضافة لست لغات أخرى ، ويتمتع بذاكرة حادة . وقد قال لى عنه جوزيف جاف المساعد السابق للنائب العام الامريكى : كان بامكانه أن يتذكر مائتى صفحة من المذكرات المكتوبة بخط يده شفهيا بدون أن ينظر اليها . وقد التقط روزنتال بعض مطبوعات رابطة الدفاع اليهودى خلال احدى المظاهرات المناهضة للبندساى ، وأرسل بالبريد عشرة دولارات كرسم طلب الالتحاق ، ثم الالتحاق بأقرب فروع الرابطة الى منزله فى ميدوود ، ببروكلين . وفى أول اجتماع يحضره ، تم تعيين روزنتال رئيسا للأمن بواسطة الحاخام هارون ليدر ، رئيس فرع ميدوود .

وفى نفس الوقت ، استمر كاهانا فى رسم المخططات من أجل استمرار التغطية الاعلامية . وكانت رابطة الدفاع اليهودى فى ذلك الوقت تجتذب الانتباه

بقيامها بدوريات فى المناطق التى يتعرض فيها اليهود للهجوم من جانب السود . غير أن هذه الدوريات لم تكن توجد فى الغالب الا لمجرد الاثارة . ويقــول الان مالينيوم ، المدير الادارى السابق للرابطة « لم تكن دوريات الرابطة تخرج الى هناك الا اذا وجدت تغطية صحفية . ولم يكن هناك جهاز الدفاع . وكان التصور الذى خلقناه أهم بكثير من الواقع الحقيقى » . ويذكر مالينيوم أنه ، ذات مــــرة قامت عصابة من السود باحتجاز صبيين يهوديين يدرسان فى الييشيفا ، فى محطة مرتفعة لمترو الانفاق ، فى بروكلين ، وقام الصبيان بالاتصال هاتفيا بالمكتب وهمــا يتوسلان فى طلب المساعدة . ويقول : « لم يكن هناك ما يمكن أن نفعله . فقــد كان لدى شخصان فى مكتب مانهاتن . وكان الأمر سيستغرق منهما ساعة حتى يصلا الى هناك . واتصلت بالفرع المحلى فى بروكلين ، فأفادوا بأنهم لا يملكون القوة البشرية » . وفى حالة من اليأس ، اتصل مالينيوم بالشرطة للمساعدةولكنهم ذكروا انهم مشغولون للغاية . « ولذلك طلبت الشرطة من جديد وأخبرتهم بأن شاحنة محملة برجال مسلحين من رابطة الدفاع اليهودى فى طريقها الى المكان . وبسرعة ارسلوا سيارة دورية . وكان هناك اعتقاد فى نيويورك بأن الرابطـــة لديها عشرات من الرجال المسلحين . وعادة ، لم يكن يوجد أكثر من ٥ أو ٦ مـــن (التشايات) على أهبة الاستعداد » .

ولكن رابطة الدفاع اليهودى كانت تقوم احيانا بدوريات فى المناطق اليهودية لاسيما ذات المعدل المرتفع فى الجريمة ، وغالبا ما كان يجلب ذلك للرابطة مساندة القواعد الشعبية وكذلك حسن الظن بها وعندما عقدت معابد اسرائيل الفتـــاة فى ويفكرست وبيرووتر (كرنفالا) افسدته عصابات الشوارع السوداء ، استدعى مجلس الجالية اليهودية فى روكاويز فى بروكين رابطة الدفاع اليهودى للحفاظ على الأمن . وكتب جويل فيليبس نائب رئيس مجلس روكاويز فى برقية شكر للرابطة يقول « ان الاســـتجابة الكريمة من جانب اعضاء رابطتكم الذين أتوا من أماكن مختلفة فى المدينة ليلة بعد أخرى لضمان الا يعكر شىء صفو مراسم (الكرنفال)هى استجابة مشكورة للغاية . وكلما كانت توجد امكانية حدوث قلاقل ، كان بعض اعضاء الرابطة يسيطرون عليها بهدوء ويفرقون الجموع ، وكانوا يفعلون ذلك بطريقة منظمة الى حد أن قلة قليلة هى التى كانت تعرف أن شيئا ما قد حدث » .

وربما كان كاهانا يخشى السود ويحتقرهم . ولكنه كان يشمئز من جون ليندساى ، العمــدة طويل القامة الأشـــقر ذى الأصـــل الأنجلو سكسونى الذى يصف نيويورك بأنها « مدينة اللهو » . وقد استعاد ليندساى لنيويورك جو السحر والأسلوب المميز ، ولكن كاهانا ، يرى أن ليندساى اسلم المدينة للسود ولذوى الأصل اللاتينى . ففى ظل ليندساى ، فتحت ابواب حكم المدينة امام الاقليات . وحظيت برامج مكافحة الفقـــر بميزانيات كبيرة ، وتضخمت كشوف الرعايـــة الاجتماعية . واكسب ليندساى استحسانا قوميا على مغامرته بدخول (هارلم)

ليلة اغتيال مارتن لوثر كنج (الصغير) . وربما أنقذ تصرفه هذا نيويورك من اعمال شغب عصفت بمدن أمريكية أخرى .

وعلى الرغم من أن اليهود الليبراليين كانوا يمتدحون سياسات ليندساى المتسمة بالتعاطف كان كاهانا يشكو من أن العمدة يهدد بالقضاء على المكاسب التى حققها اليهود بصعوبة . وقال كاهانا ، ان التعاطف مع السود كان أمرا سهلا بالنسبة لليبراليين البيض الذين كانوا يعيشون بسلام فى الضواحى . ولكن من كان يهتم بالفقـــراء اليهـــود الـــذين يعيشـــون فى مناطـــق متدهـــورة تنتشر فيها الجريمة فى نيويورك ؟ وقد مس كلام الحاخام المثير للخلاف وترا حساســا لدى الجالية اليهودية فى نيويورك . فقبل تولى ليندساى منصبه بوقت طويل كانت اليهود حديثو الثراء ، قد بداوا فى مغادرة مدينة نيويورك الى الضواحى . وكانت المناطق اليهودية ذات يوم ، مثل الجانب الشرقى الادنى ، مجرد ظل باهت لما كانت عليه عند خلافة ليندساى لروبرت واجز . ويقول مارفن شيك ، ضابط اتصال ليندساى مع الجالية اليهودية : « اصبح ليندساى عمدة فى وقت ادرك فيه اليهود أن زمنهم قد ولى فى نيويورك من حيث الذرى التى بلغوها » .

وفى عام ١٩٦٩ ، وبعد فقد ليندساى انتخابات الحزب الجمهورى الأولية (للعمودية) بسبب آرائه الموالية للأقليات ، رشح ليندساى نفسه لاعادة انتخابه على قائمة الحزب الليبرالى . وحمل كاهانا ، الذى ساند المرشح الجمهورى جون مارشى،على ليندساى فى صحيفة الجويش بريس اسبوعيا بعد اسبوع متهما اياه بأنه مناهض شرس للسامية . ولم تتوقف حملة رابطة الدفاع اليهودى المولة جيدا ضد ليندساى عند ذلك الحد . بل ان الرابطة نشرت العديد من الاعلانات المعادية لليندساى فى صحيفة النيويورك تايمز ، ووزعت عشرات الآلاف من المنشرات ، وأرسلت ماسمى بـــ « فرق الحقيقة » لتحضر اللقاءات العامة التى يتحدث فيها ليندساى ، حيث كان رجال هذه الفرق يتحرشون بـــه . واقسم كاهانا قائلا : « سنجعل من المستحيل بالنسبة له (اى ليندساى) أن يصبح عمدة لهذه الدينة » . وفى نفس الوقت ، استمر مكتب التحقيقا تالفيدرالى فى ارسال الآلاف من خطابات الكراهية الى المدرسين البيض والسود من أجل الابقاء على الوضع فى حالة من الغليان .

وفى ١٥ اكتوبر ١٩٦٩ ، أكتظ المركز اليهودى فى شرق ميدوود بألف وسبعمائة شخص قاموا بتوجيه السخريات لليندساى عندمـــا حاول أن أشرح اســـباب مساندته لفكرة اللامركزية المدرسية . وطبقا لرواية الصفحة الاولى للنيويورك تايمز « وقف العمدة وعضلات وجهة ترتعش ، وقد قبض على المنصة بيد ابيضت مفاصلها وقال صارخا وهو يشير الى احد مسئولى نقابة المدرسين : لن تحيا مدينتنـــا اذا لـــم يتم نقـــل المدرســـين بشكل غـــير قانونى ، باكثر مما ســـتحيا اذا قاد هذا الرجل الموجـــود هنا المدرسين فى اضراب غير قانونى . اننى اقول لكم أنه حدثت اعمال مراقبة وتحرش من الجانبين » . واندفع الجمع ، المليء باعضاء

رابطة الدفاع اليهودى المناهضين بشدة لليندساى نحو المنصة ، مما أجبر العمدة الهرب من باب جانبى . ويقول سيد دافيدوف ، وهو من كبار مساعدى ليندساى فى الفترة من ١٩٦٦ الى ١٩٧٣ ، متذكرا ، « كان موقفا سيئا للغاية . وقد أضطررنا الى استخدام سيارة طوارىء لاخراج ليندساى من هناك . واستغلت رابطة الدفاع اليهودى هذه الحادثة كنقطة انطلاق لافساد لقاءات العمدة فى المناطق اليهودية الأخرى » .

وبدأت تكتيكات كاهانا الاستقطابية فى تقليل مساندة ليندساى حتى بين اليهود غير المتطرفين ــ الذين كانوا يشكلون أكبر كتلة توصيت ليبرالية فى المدينة . وقد قال لى دافيدوف : « كانت رابطة الدفاع اليهودى توجه لنا الضربات ، وكانت تقتلنا فى استطلاعات الرأى » .

وفى محاولة مستميتة لابعاد كاهانا عن تعقب العمدة ، الى أن تنتهى الانتخابات على الأقل ، توصل مساعدو ليندساى الى صفقة مع شولوم كلاس ناشر صحيفة الجويش بريس . ويقول دافيدوف ، الذى يعمل الآن محاميا بارزا فى نيويورك : « فعلت المستحيل من اجل ذلك » . فقد رتب مارفن شيك اجتماعا خاصا بين العمدة وكلاس الذى تم توصيله الى قصر جراس فى سيارة ليندساى الليموزين . وبعد جولة قام بها كلاس فى القصر ، طلب ليندساى من كلاس مساندته السياسية .

وطبقا لما ذكره مارفن شيك « قال كلاس ، الذى يفأفىء بصورة سيئة ولكن ياسيدى العمدة ، ان قرائى يعتقدون أنك مناهض للسامية » .

وسأل ليندساى ، وعروق رقبته تنتفض وتتحول الى اللون الاحمر القانى ، حسبما ذكر شيك : « وما هو رأيك أيها الحاخام كلاس ؟ » .

فأجاب كلاس بقوله « قرائى يعتقدون ذلك » .

وسأل ليندساى بنبرة حادة « لكن ما هو رأيك ؟ » .

وكرر كلاس اجابته « قرائى يعتقدون ... » .

وسأل ليندساى الذى اندفع خارجا من الحجرة : « اذا كان هذا ما تعتقده ، فأننى أشعر بالأسف عليك » .

وبدا أن الاجتماع قد فشل فشلا ذريعا . ولكن بمجرد أن غادر ليندساى ، أعلن كلاس انه مستعد لفصل كاهانا اذا أعطته المدينة مبنى جديدا لصحيفته . ويقول دافيدوف « كنا نريد طرد كاهانا من الصحيفة وهم يريدون مبنى جديدا لصحيفتهم . وكانوا موجودين فى جزيرة كونى ، وحكمت ادارة الاسكان والتنمية الحضرية على مكتبهم بعدم الصلاحية ولذلك كانوا يريدون الانتقال الى مكان آخر » .

وتم اعطاء كلاس عقد ايجار طويل الأجل لمبنى مقر فرعى فى بروكلين تابع لهيئة العبور (الترانزيت) مقابل دولار واحد . وفى المقابل طرد ناشر الجويش بريس كاهانا فى غضون ساعات من مغادرته قصر جراس . ويقول دافيدوف : « اننى لن اقول أبدا اننا قمنا بمقايضة — بمعنى أننا أعطيناهم مبنى بالمجان مقابل أن يكبح كلاس كاهانا حتى تنتهى الانتخابات . والشيء الوحيد الذى اقوله لك هنا — ولك أن تستخلص أية نتيجة تشاء — هو أن من حضروا الاجتماع شعروا بالتأكيد أن صفقة ما ، تم التوصل اليها لابعاد كاهانا مقابل المبنى » .

وعلى الفور نظم كاهانا حملة لكتابة خطابات تطالب باعادته الى الصحيفة . وقد قال كاهانا فيما بعد « لقد شعرنا بالفعل أن ليندساى كان يستولى على القوة اليهودية ويحطمها » . وفى ٢٤ اكتوبر عام ١٩٦٩ ، نشر كلاس افتتاحية شرح فيها أن كاهانا طرد لأنه كان ينتقد ليندساى بدون وجه حق . وكتب كلاس يقول « ان المعارضر الأمنيسة هى الأسلوب الديمقراطى ، ولكن استخدام التشويه معناه استخدام نفس التكتيكات التى أدانتها رابطة الدفاع اليهودى دائما والتى تعد مناقضة لتوراتنا . وكصحيفة مسئولة ، شعرنا بأن الواجب يملى علينا أن نطرح كل الاتجاهات فى حملة (العمدية) ولذلك ، قمنا بزيارة المستر ليندساى للاطلاع على آرائه حتى يمكننا أن نقدمها لقرائنا ، ونتيجة لذلك اتهمنا بأننا « بعنا أنفسنا للعمدة — وهى تهمة غبية علاوة على أنها زائفة » .

وقبل الانتخابات بعدة أسابيع ، وهى الانتخابات التى ذكرت الاستطلاعات أنها متقاربة للغاية ، اتصلت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل بأحد كبار مساعدى ليندساى وعرضت مساعدة العمدة الذى أنهكته المعركة فى سعيه الى اعادة انتخابه وذلك خلال رحلتها الوشيكة الى نيويورك . ويقول دافيدوف متذكرا « كان توقيتها ممتازا . فقد أظهرت الاستطلاعات (الخاصة بالعمدة) أنه فى حاجة ماسة الى المزيد من الأصوات اليهودية . واذا أمكنه الحصول على أصوات السود وأصوات ذوى الأصل اللاتينى بأعداد كبيرة ، فان كل ما كان يحتاجه ليفوز بالانتخابات هو نقطتان بالفعل » .

وكانت اثارة ريتشارد اوريليو نائب العمدة ليندساى عظيمة للحصول على مساندة جولدا مائير . وقال لى أوريليو ، وهو الآن رئيس عمليات شبكة الكابل التليفزيونية (تايم — وارنر) : « كانت المشكلة الكبرى امامنا فى الحملة تتعلق بعنصر معين من السكان اليهود كان يعتقد أن ليندساى ذهب الى مدى بعيد فى العمل لصالح السود . وكانت الفكرة كلا فى حملتنا هى أن نناشد الضمير اليهودى فيما يتعلق بالاقليات . وقد اقمنا تحالفا من الاقليات ومن اليهود الليبراليين . وكان علينا أن نستعيد بعض اليهود الذين لم يكونوا خائفين على السود » .

وفى ٣٠ اكتوبر ، اقام ليندساى ــ وهو مبتهج وعلى راسه القلنسوة اليهودية ــ حفل عشاء رسميا على شرف رئيسة الوزراء جولدا مائير فى بروكلين وغنى الاثنان معا وشربت جولدا نخبه ، خمرا مباحا فى اليهودية (كوشر) . وادى ذلك ، بالاضافة الى ترويض صحيفة الجويش بريس ، الى تحسن ملحوظ فى التوقعات الخاصة بالعمدة ليندساى .

وقبل الانتخابات بعدة ليالى ، اتصل عمانويل راكمان ، حاخام معبد الشارع الخامس المرموق فى مانهاتن ، بأوريليو نائب العمدة ليخبره بأن كاهانا مستعد لعقد صلح مع ليندساى . وكان راكمان ، وهو الآن مدير جامعة بارعيلان فى اسرائيل ، من اوائل الذين ساندوا رابطة الدفاع اليهودى وجمعوا لها الاموال ، وكان يسمح لاعضاء الرابطة بالتحدث فى جامعة اليبشيفا التى كان رئيسا لها . ويقال ان الاجتماعات الموسعة التى كان يرتبها راكمان كانت تجلب لكاهانا مبلغا يصل الى ٥٠ الف دولار عن الحديث الواحد بعد الظهيرة وكان جوزيف جروس ، الذى يراس شركة استثمارية يملكها فى نيويورك ويعد واحدا من اغنى اليهود المحسنين فى امريكا ــ من بين من قدمهم راكمان لكاهانا . ويقول راكمان : « ان مساهمات جروس (لرابطة الدفاع اليهودى) كانت نوعا من التامين . وكان جروس يقول انه اذا لم يصبح احفاده يهودا ، فانه على الاقل يساعد الآخرين على أن يكون احفادهم يهودا » . وبعد احد تلك الاجتماعات ــ حيث قام كاهانا ببراعة بتحليل تدهور النفوذ اليهودى ــ يذكر زوييون أن ماكس شتيرن ، البليونير المؤسس لشركة هارتز ماونتين لاغذية الحيوانات استدار نحوه ودمدم قائلا « نعم ، ولكن ماذا سيفعل بشأن الزنوج » .

وحتى عشية الانتخابات ، كان راكمان يحاول أن يصلح ذات البين بين ليندساى وكاهانا . وقال راكمان لاوريليو « يبدو الامر كأن ليندساى سيعاد انتخابه . عليك أن تأتى الى مكتبى وتقابل الحاخام كاهانا ، فانه سيكون شخصا مهما فى المستقبل » .

وسار أوريليو مع كاهانا من مكتب راكمان فى شرق ٨٠ الى مقر حملة ليندساى الانتخابية فى الشارع الخامس . ولكن بدلا من الجلوس الى محادثات الصلح ، أعلن كاهانا الحرب على مدينة نيويورك ويقول أوريليو : « اذكر اننى عبرت الشارع الخامس وأنا أفكر » ياله من ضياع للوقت ان هذا الشخص مولع بالمشاكل فلم يكن يعطينى اى شىء حتى فيما يتعلق بأتفه الاشياء وأخبرته أن عليه أن يترك التكتيكات العنيفة . فقال « أوه ، لا يمكننى أبدا أن افعل ذلك . فهذا هو سلاحنا الاخير ويجب علينا أن نستخدم العنف . ومضيت وأنا أفكر ان هذا الشخص لن يمكنه الوصول الى شىء ولا يمكنه أن يصبح قوة رئيسية .

وفى النهاية اصبحت رابطة الدفاع اليهودى عاملا شديد الاهمية فى الممارسات السياسية فى مدينة نيويورك ، وباتت تشكل مشكلة رئيسية بالنسبة لتطبيق القانون . وكان العمدة ليندساى يؤمن بأن كاهانا رجل شرير — رجل به شىء من الجنون وكنا نشاركه جميعا نفس الاعتقاد » .

ولولا رئيس الوزراء الاسرائيلى اسحق شامير ، وزعيمة حزب (تحيا) الوطنية المتطرفة جيئولا كوصية ، ربما لم يكن كاهانا ليزيد عن مجرد كونه (ربما جوجيا) فى مدينة نيويورك . فقد كان الاثنان — رغم شجبهما الشديد لكاهانا فى السنوات الاخيرة — جزءا من جماعة سرية ساعدت على جعل الزعيم المتشدد لرابطة الدفاع اليهودى شخصية دولية وقوة يحسب حسابها فى اسرائيل .

وقد تكونت العلاقة السرية بين توصية وشامير وكاهانا ذات صباح بارد عاصف فى ديسمبر ١٩٦٩ . وكانت جيئولا كوهية ، التى كانت قد انتخبت لتوها فى الكنيست كعضو فى حزب مناحم بيجين (حيروت) ، فى زيارة لكاهانا فى مكتب رابطة الدفاع اليهودى الضيق فى الشارع الخامس فى مانهاتن . وكانت كوهية تعتقد فى ذلك الوقت أن كاهانا يبدد مواهبه وسألته كوهية ، التى كانت تقوم بجولة خطابية فى الولايات المتحدة ، تحت رعاية الرابطة الدولية لاعادة توطين اليهود السوفييت وهى مجموعة من رجال الأعمال اليهود والحاخامات المتزمتين يحشدون التأييد فى الكونجرس لصالح اليهود السوفييت — سألته كوهين : «لماذا تضيع وقتك فى محاربة الشفارتز ؟» . وقالت كوهين — التى خرجت فى الأربعينات من جماعة الارجون السرية بزعامة بيجين لكى تقاتل مع عصابة شيترن الأكثر تطرفا لأنها وجدت أن بيجين « معتدل للغاية » ، قالت كوهين لكاهانا : « ان المسألة الحيوية لليهود هى محنة اليهود السوفييت . فالروس يخططون لتصفية شعبنا . « وقد تم ترتيب اللقاء بين الاثنين بواسطة برنارد دويتش ، وهو عضو مؤسس فى الرابطة الدولية لاعادة توطين اليهود السوفييت ، ويقول دويتش ان كوهية انبهرت بالقدرات النضالية لكاهانا وبموهبته الواضحة فى العلاقات العامة .

وعلى الرغم من ان رابطة الدفاع اليهودى كانت تتمتع بالنجاح كجماعة احتجاج مناهضة للسود ، ادرك كاهانا بشكل غريزى أن محنة اليهود السوفييت كانت مسالة كفيلة بأثارة ضجة عالمية وبتحويل رابطة الدفاع اليهودى الى قوة قوةاكثر اهمية . وكانت كوهين تقدم له الآن الفرصة ليحقق ، النجمية (الشهرة) من خلال قلق اخوانه على اليهود السوفييت . وقالت لى جيئولا كوهين فى القدس فى أكتوبر ١٩٨٨ : « لقد اثرت فيه بالفعل ، وقام بتغير برنامج رابطة الدفاع اليهودى بين عشيته وضحاها » .

وخلال الأشهر القليلة التالية ، قالت كوهين انها ساعدت فى تمهيد الطريق امام حرب عصابات ضد الاتحاد السوفيتى تقوم بها رابطة الدفاع اليهودى ـ وينسقها الاسرائيليون اليمينيون البارزون ، والعديد من ذوى المناصب العليا فى الموساد *. وقالت لى كوهين ودويتش ان اللاعب الرئيسى فى المجموعة كان هو اسحق شامير ، القائد السابق لعصابة شتيرن المتسم بالهدوء والكآبة . وكان شامير رئيسا لعمليات الموساد حتى عام ١٩٦٥ ، واحتفظ بروابط وثيقة مع هذا الجهاز . ويقول دويتش ، وهو عضو رئيسى فى المجموعة السرية التى اشرفت على عمليات رابطة الدفاع اليهودى المناهضة للسوفييت ، « لم يكن مائير يتخذ قرارات رابطة الدفاع اليهودى . واذا قلت لك ان شامير هو الذى كان يرأس مجموعتنا ويخطط انشطتنا فانه سينفى ذلك تماما . ولكننى جلست على سريره فى حجرة نومه حيث كنا نعقد العديد من أجتماعاتنا . أننى لا أريد الاضرار بشامير ولكن هذه هى الحقيقة » . وعندما طلبت من شامير فى اكتوبر ١٩٨٨ أن يعلق على انشطته مع رابطة الدفاع اليهودى ، ذكر المتحدث باسمه أن رئيس الوزراء لن يؤكد أو ينفى أية مزاعم عن تورطه مع الرابطة . ومع ذلك قال المتحدث باسم شامير أن رئيس الوزراء كان متعاطفا جدا مع عمل الرابطة المبكر لصالح اليهود السوفييت .

والى جانب شامير وكوهين ودويتش ضمت المجموعة ـ التى خططت ومولت العديد من هجمات رابطة الدفاع اليهودى على أهداف سوفيتية فى الولايات المتحدة وأوروبا فيما بين ديسمبر ١٩٦٩ وأغسطس ١٩٧٢ ـ ضمت المجموعة المحامى الاسرائيلى بياح مور ، وهو الآن عضو المجلس المركزى لحزب تحيا ، والعديد من رجال الاعمال الأمريكيين والاسرائيليين الأثرياء ، وثلاثة من كبار الضباط فى الموساد وهيرتزل أميكاهام ، وهو عضو نشط سابق فى الارجون كان يسافر كثيرا الى الولايات المتحدة للاجتماع بمسئولى رابطة الدفاع اليهودى ، والعديد من ضباط الجيش الاسرائيلى المتقاعدين الذين كانوا يدربون فى اسرائيل شباب الرابطة على الأسلحة وأعمال التخريب وكان دويتش يعمل كحامل رسائل ، واجتمع مرارا مع اعضاء المجموعة فى أسرائيل وأنجلترا وسويسرا . ويقول دويتش « كنت اجتمع مباشرة مع المجموعة كلها واعود بالمال والتوجيهات » . والاساليب الدقيقة للعملية لا تزال تحيطها السرية فى جانب منها ، الا أن العديد من التصريحات التى ادلى بها دويتش وكوهين قد اكدتها ـ كل منها على حده ـ عدة مصادر فى الولايات المتحدة واسرائيل ، وكذلك الوثائق والخطابات التى حصلت عليها وقد قالت كوهين « خططت مجموعتنا للكيفية التى نحارب بها الاتحاد السوفيتى لقد أردنا أن نضغط على السفارة السوفيتية فى الولايات المتحدة ، وأن نحذر

---

* جهاز المخابرات الاسرائيلية (المترجم) .

السوفييت ونرعبهم » وأضافت أن المجموعة ــ لم تكن تنوى استخدام العنف القاتل .

وطبقا لما ذكره مسئولون سابقون فى رابطــة الدفاع اليهــودى ، فطن مستخدمو كاهانا الى ان الاستخدام الانتقائى للعنف ضد أهداف سوفيتية فى الولايات المتحدة واوربا سوف يؤدى بالضرورة الى توتر العلاقات الامريكية ــ السوفيتية . وتنبأوا بأنه بدلا من مخاطرة الاتحاد السوفيتى بالوفاق ، سيضطر الى تخفيف الازمة بتحرير مئات الآلاف من اليهود الذين يمكن توجيههم بعد ذلك الى الدولة اليهودية ويمكن أن يساعد تدفق اليهــود السوفييت فى اصــلاح الخلل الديموغرافى الذى حدث بعد أن ابتلعت اسرائيل المحتلة بسكانها العرب الكثيرين ومنذ تأسيس دولة اسرائيل ، كان أحد التوجيهات الرئيسية لجهاز الموساد هو المساعدة فى جلب اليهود الى اسرائيل . وقد قام بتوظيف شبكات سرية فى عدد من البلدان . ، من بينها العراق واثيوبيا ، لتسهيل هذه المهمة .

ومن الواضح أن حكومة حزب العمل برئاسة جولدا مائير أبقيت بعيدا عن هذه المؤامرة السرية للمتحمسين اليمينيين . ويقول دويتش « كانت جولدامائير تفضل استخدام القنوات الدبلوماسية الخلفية لحل مشكلة اليهود السوفييت . وكان العديد من التحريفيين يشعرون بأن هذا النوع من السياسة السلبية هو ذاتــه الذى ادى الى المحرقة (الهولوكوست) . وكانت الحكومة الاسرائيلية لا تفعل أى شىء لليهود السوفييت . وكانت جولدا تحس بأن اى نوع من الاعلان عن المشكلة يهدد حياة اليهود . وقد ذكرت لى ذات مرة اننى أتخذ قرارات يمكن أن تؤدى الى ان يلقى آلاف الجنود الاسرائيليين حتفهم ، غير انه ليس من حقى ان أفعل ذلك مع اليهود الروس . وقد كنا نؤمن بأن النضال المسلح هو السبيل الذى ينبغى علينا أن نسلكه .

وقد نبع اشتراك دويش فى هذه العملية السرية من روابطه الطويلة مع زعماء الحركة الصهيونية التحريفية . ففى أواخر الستينات والسبعينات كان دويتش عضوا بارزا فى الجالية اليهودية المتزمتة فى بروكلين . وكان موضع ثقــة مناحم بيجين زعيم حيروت ، الذى ينام فى منزل دويتش كلما أتى الى نيويورك لانجاز بعض الاعمال ، كما كان دويتش رئيسا بفرع بروكلين القوى لرابطـــة مناهضة التشهير لــ (لبناى بريث) . وكان عمله لصالح اليهود السوفييت ملحوظا بدرجة عالية . ويقول مالكولم هونلين ــ وهو الان المدير التنفيـــذى لمؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية ، ان رابطة دويتش الدولية لاعادة توطين اليهود السوفييت ــ يقول « قامت بمساهمة هامة . فقد كانوا عناصر نشطة عندما لم يكن هناك الكثير من المشاركين » . وكان أحد مسئولى الاتصال الرئيسيين فى الرابطة ريتشارد بيرلى ، مساعد هنرى « سكوب » جاكسون فى مجلس الشيوخ ،وقد أصبح مسئولا كبيرا فى البنتاجون فى ادارة ريجان .

وقد انهار عالم دويتش فى عام ١٩٧٥ ، عندما ادين بالغش والتآمر بالنسبة لأصوله لتجنب دفع الضرائب على أكثر من ٤ ملايين دولار تمثل دخلا شخصيا ودخلا من الشركات ، تحقق من الفترة بين ١٩٦٨ و ١٩٧٢ ، وهى تقريبا نفس الفترة التى كان يعمل فيها مع المجموعة للاشراف على كاهانا . وطبقا لماذكره زويبون ، المشارك فى تأسيس رابطة الدفاع اليهودى وكبير المستشارين السابق ، كانت ، عوائد استثمارات دويتش تستخدم فى المساعدة فى تمويل العملية السرية للمجموعة . ومنذ اطلاق سراحه من السجن ، لم يظهر دويتش كثيرا ، ولكنه ، وجيئولا كوهين بحثا مؤخرا تاليف كتاب يروى « القصة الحقيقية » وراء حركة انقــاذ اليهود السوفييت . ولايزال هذا المشروع متوقفا لقلق الاثنين من أن يضر ما سيكشفانه بالحياة السياسية لبعض زملائهما .

وبعد أن قدم دويتش ، جيئولا كوهين ، لكاهانا فى ديسمبر ١٩٦٩ ، بوقت قصير ، دخل الحاخام مكتب رابطة الدفاع اليهودى وأعلن أنه من الآن فصاعدا سيكون محور التركيز الرئيسى للمنظمة هو اليهود السوفييت ولم يزعج المخلصين لكاهانا أنه لن يذكر اليهود السوفييت فى الماضى الا نادرا .

وكانت طلقة رابطة الدفاع اليهودى الأولى عبارة عن هجوم جيد التنفيذ على أربعة أهداف سوفيتية فى نيويورك . ففى يوم واحد ، هــو ٢٩ ديسمبر ١٩٦٩ ، هاجمت الرابطة فى وقت واحد مكاتب تاس (الوكالة السوفيتية للانباء) ، وانتوريســـت (وكالة الســـياحة الســـوفيتية) ، وايروفلوت (شركة الطيران السوفيتية) ، كما دخلت طائرة ركاب تجارية روسية وكتبت شعارات بالعبرية فى كابينة القيادة مثل « تحيا الامة اليهودية » .

وفى اليــوم التالى ، تظاهر أكثر من مــائة من اعضاء الرابطة أمام البعثة السوفيتية فى نيويورك . وفى بيان صحفى ، فسر كاهانا أعمال الرابطة بقوله :

« تمثل هجماتنا ضد مؤسسات الطغيان السوفيتى فى أمريكا الخطوة الاولى فى حملتنا للفت أنتباه الجمهور غير المكترث ووسائل الاعلام غير المبالية الى قضية اليهود السوفييت المضطهدين وغيرهم من الجماعات الدينية الاخرى .

لقد توسلنا ، وناشدنا ، وجربنا أساليب الدبلوماسية التقليدية . ولكن اخفق كل ذلك فى فتح الابواب . ولم يبق أمامنا الكثير لنفعله سوى الالتفات الى طلبات اليهود الروس انفسهم الذين دعونا لان نهز العالم ».

وفى ٣١ ديسمبر ، التقى اس . بى . كوزيريف نائب وزير الخارجية الروس مع السفير الامريكى فى الاتحاد السوفيتى للاحتجــاج على هجمات رابطة الدفاع اليهودى ، محذرا من أنه اذا لم تتوقف هذه الهجمات « فان المسئولية ستقع بالكامل على الحكومة الامريكية . » غير أن رابطة الدفاع اليهودى كثفت من حملتها . وبعد ايام قليلة من استدعاء كوزيريف الغاضب للسفير الامريكى فى موسكو ، أرسل كاهانا برقيتين منفصلتين الى وزير الخارجية الامريكى وليام روجرز والى

السفير السوفيتى فى الولايات المتحدة اناتولى دوبرينين ، يؤكد فيهما أن رابطته ستقوم بتخريب جميع المؤسسات الثقافية السوفيتية فى الولايات المتحدة ما لم يتم تحرير اليهود السوفييت .

وتم اختيار مسئول البرامج اليهودى سول هاروك ، الذى كان يجلب الفنانين السوفييت الى الولايات المتحدة ، لتوجيه المضايقات العنيفة اليه بوجه خاص . ووصفه كاهانا بأنه رجل « تقوده شهوة الربح الى التخلى عن واجباته كانسان وعن ولاءاته كيهودى » وأرسل عصابة من السفاحين لاحتلال مكتب هاروك فى مانهاتن فى فبراير ١٩٧٠ . وأسقط أحد رجال رابطة الدفاع اليهودى عمدا سيجارة على سجادة هاروك أدت الى أحداث ثقب صغير بها — وهو تهديد مستتر بما يمكن أن يحدث اذا لم يستجب هاروك لمطالب كاهانا بالتوقف عن العمل مع السوفييت وسرعان ما تم أفساد حفلات هاروك الموسيقية التى كان يشارك فيها أعظم الأسماء السوفيتية فى الموسيقى الكلاسيكية والرقص بقنابل الدخان وقنابل الروائح الكريهة وحقائب الضفادع والفئران التى كانت تطلق على الجمهور .

وكتب كاهانا فى « قصته رابطة الدفاع اليهودى » وهى رواية عن الرابطة اقرب الى الخيال منها الى الواقع ، يقول : « ادت هجمات الرابطة على « الثقافة » الى اثارة انتقاد غاضب . فقد اتسم رد فعل محبى الثقافة الذين يحبون الفن اكثر من حبهم للبشر — بسخط لم يعتقد المرء ابدا انهم قادرون عليه . وما لم نكن نسمعه أبدا دفاعا عن يهود الاتحاد السوفيتى ، ظهر فجاة وبصوت عال دفاعا عن (الثقافة) ... » .

ولم يشك احد بشدة أكثر مما شكت المؤسسة اليهودية ، التى اتهمت كاهانا بأنه يكرس مناهضة السامية . ولأن هجمات كاهانا كانت تثير ازمة بين القوتين العظميين ، خشى العديد من المسئولين اليهود من رد فعل معاكس يمكن أن يقوض المساعدة الامريكية لاسرائيل وأمن الجالية اليهودية الامريكية ذاتها على حد سواء .

ولكن بالنسبة لبعض المسئولين اليهود الامريكيين ، اكتسب كاهانا الاحترام ، بل وحتى الاعجاب المستتر — مما دفعهم الى بحث ما اذا كان حشد التأييد بهدوء من أجل اليهود السوفييت قد أصبح أسلوبا باليا عديم التأثير . وبدأت منظمات المؤسسة اليهودية ، التى كانت قد نحت مسألة اليهود السوفييت عن مقدمة أولوياتها ، فى تنظيم التجمعات واعداد الالتماسات فى محاولة لسلب مكاسب كاهانا . ويقول جيرى جودمان ، المدير التنفيذى السابق للمؤتمر الوطنى لليهود السوفييت — وهو منظمة شاملة تعمل من أجل اليهود السوفييت فى الولايات المتحدة : « تسببت بعض الأنشطة — الهمجية لرابطة الدفاع اليهودى ، وتهديد الرابطة بأنها ستنفذ أنشطة اكثر تطرفا ، فى أن ينظر

بعض اناس المؤسسة اليهودية الى الرابطة بقلق وكان ذلك احد الأسباب وراء وجود مساندة لتكوين المؤتمر الوطنى لليهود السوفييت . وقد كانت فكرة المؤتمر موجودة حتى قبل أن تبدأ حملة رابطة الدفاع اليهودى المضادة للسوفييت ، ولكن تأخر تنفيذ الفكر لتردد الناس بشأن ايجاد أجهزة بيروقراطية جديدة فى الحياة اليهودية . ولكن عندما وجدوا أن البديل هو أن تترك مسألة اليهود السوفييت لا « مجانين » ، شجعهم ذلك على مساندة تكوين منظمة المؤتمر الوطنى » .

وعلى الرغم من أختلافات التكتيكات ، تعلم المؤتمر الوطنى ورابطة الدفاع اليهودى أن يعملا معا . فكان مالكلولم هونلين ، مدير مكتب المؤتمر الوطنى فى مدينة نيويورك فى السبعينات ، يتبادل المعلومات مع كاهانا بشأن المظاهرات المزمع تنظيمها ، وتوصل الاثنان الى تفاهم ضمنى سمح للرابطة بأن تشارك فى التجمعات الجماهيرية التى كان ينظمها المؤتمر الوطنى ، وذلك طبقا لما ذكره عدد من مسئولى الرابطة السابقين الذين أصبح العديد منهم الآن شخصيات بارزة فى المؤسسة اليهودية . وعلاوة على ذلك ، يقول رجال رابطة الدفاع اليهودى ان هونلين كان يبدو أحيانا وكأنه يشجعهم على القيام بنوع من العصيان المدنى فى نهاية التجمع الذى ينظمه المؤتمر الوطنى لجذب المزيد من انتباه اجهزة الاعلام . ويقول زوييون « لم يكن هونلين يقول ان رابطة الدفاع اليهودى يتعين عليها أن تقوم باحتجاج عنيف ، ولكن كانت هناك غمزة وايماءة . لقد كان يعرف كيف يحصل على التغطية الاعلامية ، ولكنه كان اجبن من أن يشارك فى أعمال العنف » . وقد اعترف هونلين باتصالاته بكاهانا وغيره من زعماء رابطة الدفاع اليهودى وبأنها كانت تدعى للمشاركة فى تجمعات يوم التضامن مع اليهود السوفييت ، ويقول هونلين « لم نكن نستبعد رابطة الدفاع اليهودى . وكنا نحاول أن نشرك الجميع بقدر الامكان طالما وافقوا على الالتزام بالقواعد التى تحكم كل الآخرين « . ولكن هونلين اصر على أنه من قبيل « التشويه الكامل للصورة » أن نقول أن المؤتمر الوطنى كان ينسق الانشطة مع المنظمة المتطرفة أو انه كان يشجع العنف ويقول مسئول سابق فى رابطة الدفاع اليهودى : « بطبيعة الحال لم تكن منظمة المؤتمر الوطنى تنسق الانشطة مع رابطة الدفاع اليهودى ، ولكن هونلين كان يفعل ذلك » . ويقول دوف هيكنيد ، وهو نائب بولاية نيويورك عن المقاطعة ٤٨ ، وزعيم سابق فى رابطة الدفاع اليهودى : « تلقينا فى الرابطة الكثير من المساندة » . من زعماء المؤسسة اليهودية الذين « يقسمون اليوم بأن ذلك غير صحيح على الاطلاق . والواقع انه كان يتم تبادل المعلومات وتقديم المساعدات فى أشكال عديدة ومتنوعة » .

ولا شك أيضا فى أن هونلين وغيره من زعماء المؤسسة اليهودية كانوا يستغلون تطرف رابطة الدفاع اليهودى . ومثل كاهانا ، كان هونلين يدرك

ان مشـــكلة اليهود السوفييت لن تحـل قبـل أن يشــعر عـد كاف من اليهود بالســخط ، بدرجــة تجعل المشــكلة قضية تحظى باهتمام دولى . ويذكــر دوف هيكنيد الوقت الذى حثــه فيه اثنان من الزعماء اليهود البارزين على القيــام بمظاهرة عنيفة لرابطة الدفاع اليهودى للاحتجــاج على وصول عمدة موسكو الذى كان مقررا أن يتحــدث فى الامم المتحــدة . ويقول هيكنيد « كانا شخصين محترمين يرتديان البـدلة ورابطة العنــق . ولم تكن لديهما الشجاعة للقيــام بما يطلبــان منى للقيــام بــه » . وكانا كاهانا نفســه يطلب مــن زعماء المؤسسة اليهودية أن يستخدموا التهــديد بعنف رابطة الدفاع اليهودى كوسيلة للضــغط على السوفييت لرفــع القيود عن اليهود هنــاك ويقول هونلين أن كاهانا حثــه ذات مرة على أن يذهب الى السوفييت ويقــول : اذا لــم تتعاملوا معنــا ستضطرون الى التعــامل مــع كاهانا » . ويضيف هونلين انه لم يوصل أبدا هذا التهديد .

وقــد أثارت حملة رابطة الدفاع اليهودى مــن اجـل اليهود السوفييت جدلا شديدا فى اسرائيــل . فبينما كانت تمجدها معظم الاوســاط الصحفية والرأى العام ، كانت تشجبها حكومة العمل برئاســة جولدا مائير باعتبارهــا تمثل عنفا غــير مسئول . وجاء فى مذكــرة سرية من مندوب اللجنة اليهودية الامريكيــة فى القدس الى مقر منظمته فى نيويورك » . من الواضــح ان رابطة الدفاع اليهودى أحرجت الحكومة الاسرائيليــة التى تنــاولت دائما مسألة اليهود السوفييت بقــدر كبير من التعقل » . وعندما استدعى برنارد دويتش شخصين بارزين مــن المهــاجرين اليهود السوفييت المنتقدين لسياسات جولدا مائــير من اسرائيل ــ عندما استدعاهما الى أمريكا فى جولة خطابيــة فى عــام ١٩٦٩ ، حذر يورام دينشتاين ، وهــو مسئول اسرائيلى فى نيويورك ، الزعماء اليهود هاتفيــا من دعوة الرجلين لحضور المناسبات المحليــة زاعما انهما من جواسيس الــ كى.جى.بى* ومن المثير للسخــرية ، أنه بعــد عدة سنوات تم تعيين احد الرجلين ، وهــو ياشا كازاكوف ، بواسطة الحكومة الاسرائيلية فى منصب دبلوماسى فى الاتحاد السوفيتى .

وبالنسبة للعديد من التحريفيين الامريكيين من أمثــال دويتش الذى ساند رابطة الدفاع اليهودى ، كان صمت المؤسسة اليهودية بشــأن مســألة اليهود السوفييت مجرد مثال آخر على تواطؤ اليهود فى عملية تدمير انفسهم . وجــاء فى مقدمة اعلان على صفحة كاملة فى النيويورك تايمز فى ٢٦ مارس ١٩٧٠ ، كتبه كاهانا ودعمه دويتش مايلى » فى عــام ١٩٤٢ ، عندما علمنا كل شىء عن أوشتيز ** ــ لم نفعل اى شىء » . ويمضى الاعلان قائلا :

---

* جهاز المخابرات السوفيتية . (المترجم)
** احد معسكرات اعتقال اليهود على أيدى النازى (المترجم)

« ذهب زعماؤنا الى الرئيس روزفلت وطلبوا منه قصف خطوط السكك الحديدية التى تحمل عربات مكدسة باليهود الى غرف الغاز . ورفض روزفلت ولم نفعل شيئا . وعندما كانت حياة مئات الآلاف من اليهود معرضة للخطر ، لم نفعل أكثر من القيام بالمظاهرات ونسخ عرائض الاحتجاج . وهكذا شاركت أيدينا فى سفك تلك الدماء ، وساعد صمتنا فى اقرار ذلك المصير » .

وفى عام ١٩٧٠ ، عندما نعرف عن تدمير اليهود السوفييت قوميا وروحيا أين الجهد المتواصل ؟ أين الحشود الضخمة ؟ أين الاحتجاجات الواسعة ؟ وأين كل المتظاهرين الذين ينزفون من أجل كل شعب ، وكل قضية ، وكل جماعة — الا اليهود ؟

اننا نحكم على اليهودى السوفيتى بصمتنا . وننسفك دمه بترددنا اننا نرفض امكانية أن يحترمنا الآخرون اننا سنفعل ما يجب أن يفعل اننا نود أن نهز العالم ونضع مشكلة اليهود السوفييت فى دائرة الضوء حتى تضطر الحكومة الامريكية الى أن تطلب العدالة للناس اذا كان السوفييت يريدون صداقة الغرب . ولسوف يسألكم أطفالكم أو احفادكم يوما ما : ماذا فعلتم من اجل اليهود السوفييت ؟ فماذا ستقولون لهم ؟ » .

وقد الهبت ثقة كاهانا المفرطة فى النفس ، حركة النضال اليهودية الوليدة فى الاتحاد السوفيتى ، والتى ولدت فى أعقاب انتصار اسرائيل المدوى فى حرب الايام الستة . فانتصار اسرائيل على ستة جيوش عربية لم يملأ اليهود فى العالم بشعور جماعى بالكبرياء والفخر فحسب ، بل أدى أيضا فى الاتحاد السوفيتى الى أن يبدأ اليهود فى تمجيد يهوديتهم وفى مناصرة الصهيونية علنا . فاذا كانت اسرائيل الصغيرة قد تمكنت من التغلب على الجيوش العربية مجتمعة ، فربما يتمكن مليونان وعشر مليون يهودى (١ر٢) فى الاتحاد السوفيتى من أن يعيشوا بكرامة واحترام .

وهز شبح القومية اليهودية المكتب السياسى . فلم يحدث الا نادرا ان قامت مجموعة أقلية عرقية سوفيتية بتحدى القوة الفاحشة للدولة السوفيتية . وقام جهاز الكى . جى . بى بحملة على اليهود السوفييت كجزء من حملة رسمية مناهضة لليهود أعادت الى الاذهان اسوأ اعمال مناهضة السامية التى كانت تمارس فى ظل أحلك أيام القياصرة سوادا .

ولمعاداة السامية جذور تاريخية عميقة فى الاتحاد السوفيتى ففى ظل القياصرة اضطر اليهود الى الحياة فى منطقة المستوطنات ، وهى أفقر المناطق فى غربى روسيا وتشكل الان شرقى بولندا ، حيث كان اليهود ضحايا سلسلة من المذابح العنيفة التى غالبا ما كانت تحدث بتواطؤ من جانب السلطات . ورغم أن مناهضة السامية تراجعت بعد الثورة الشيوعية فى ١٩١٧ ، زادت من جديد فى عهد ستالين ، وتفجرت بعد حرب الايام الستة .

وسرعان ما اثار عشرات الالوف من اليهود السوفييت ضجة للخروج من الاتحاد السوفيتى ، وأصبح كاهانا ، الذى كانت تصرفاته تنشر على نطاق واسع فى الصحافة السوفيتية ، بطلا لهم . كما « اصبح كاهانا رمزا يمكن أن يتعلق بـه اليهود السوفييت » كما يقول جاكوب بيربوم ، أحد مؤسسى منظمة النضال الطلابى من أجل اليهود السوفييت ، وهى جماعة مناضلة صغيرة لا تعتمد العنف، متمركزة فى نيويورك وسبقت تكوين رابطة الدفاع اليهودى بسنوات عديدة * .

وبينما كانت جيئولا كوهين واسحق شامير يوجهان أنشطة معنية لرابطة الدفاع اليهودى فى أمريكا ، كانا أيضا على أتصال مع المنشقين اليهود فى الاتحاد السوفيتى ويرسلان لهم المال والكتب ، وينظمان بعض ما يقومون به من أحتياجات سياسية . ويقول دويتش « كنا نرسل الى أخواننا كتبا عبرية .... وننقل اليهم رسائل شفرية من خلال العديد من القنوات السرية ، ومن بينها السفارة الفنلندية » . كما قاما ايضا بارسال الاموال سرا لدعم شبكة نشر سرية من خلال مجموعات المهاجرين اليهود السوفييت فى مدينة نيويورك وفى سويسرا وانجلترا . ورتبت المجموعة كذلك دفع رشاوى تقدر بـ ٥٠ الف دولار لتأشيرات الخروج الفردية . وبفضل دويتش ورفاقه ، لم يكن من غير المألوف ان نجد اليهود السوفييت المعارضين يهرعون عبر شوارع موسكو ولينجراد وهم يحملون حقائب محشوة بمطبوعات رابطة الدفاع اليهودى وبمطبوعات صهيونية .

وفى ١٥ يونيو ١٩٧٠ ، القى جهاز الـ كى.جى.بى القبض على عشرات من العناصر اليهودية النشطة فى أنحاء الاتحاد السوفيتى ، ومن بينهم تسعة من اليهود الذين اتهموا بالتآمر لخطف طائرة سوفيتية فى مطار سمولنى بلينينجراد والطيران بها الى السويد . وأتهم الزعماء اليهود الامريكيون جهاز الـ كى.جى.بى بتدبير التهمة ، ولكن طبقا لما ذكره دويتش وغيره من المصادر المشتركة مباشرة فى العملية ، تم تخطيط عملية الاختطاف بواسطة مجموعة توجيه كاهانا فى اسرائيل ، والتى كانت على اتصال سرى بالمتآمرين .

---

* منظمة النضال الطلابى من اجل اليهود السوفييت عملت مع رابطة الدفاع اليهودى بشكل وثيق ، ورغم ذلك قامت محاولات كاهانا المتكررة للسيطرة على المنظمة . وقد تغلغل مكتب التحقيقات الفيدرالى فى المنظمة معتقدا انها جماعة رئيسية فى الرابطة ، وذلك طبقا لوثائق حصلت عليها المنظمة بموجب قانون حرية المعلومات . كما تم اختراق المنظمة كذلك من جانب عناصر تعمل لصالح القنصل الاسرائيلى فى نيويورك ، والذى شكا من أن المنظمة ذهبت الى حد أبعد من الخط الاسرائيلى الرسمى بشأن مسألة اليهود السوفييت ، طبقا لما ذكره بيرنبوم . ومن قبيل السخرية ان مسئولا آخر فى مكتب القنصل كان متعاطفا مع منظمة النضال الطلابى ، ظل يخطر بيرنبوم بالمحاولات الاسرائيلية لتفتيت المنظمة .

وفى عشية راس السنة عام ١٩٧٠ ، حكمت محكمة سوفيتية على اثنين من المختطفين بالاعدام . وحكم على الآخرين بأحكام قاسية بالسجن ولم تكن محاولة الاختطاف هى سبب احكام الاعدام ولكن محاولة مغادرة الاتحاد السوفيتى — وهى جريمة عقوبتها الاعدام . وفى اليوم التالى لصدور الاحكام ، اجتمع الزعماء اليهود الامريكيون المنزعجون فى نيويورك لتنظيم احتجاج دولى . خلال الاسبوعين التاليين ، ناشد الرئيس ريتشارد نيكسون والبابا بولس السادس ، لـ مئات الشخصيات الدينية الاخرى ، والمتحدثين الحكوميين وقادة الرأى ، القيادة السوفيتية بتعديل احكام الاعدام .

وفى اعقاب محاكمة لينجراد ، صعدت رابطة الدفاع اليهودى هجماتها :

— فى ٢٣ نوفمبر ١٩٧٠ ، انفجرت قنابل أمام مكاتب ايروفلوت وانتورس فى نيويورك .

— فى ٨ يناير ١٩٧١ ، انفجرت قنبلة خارج المبنى الثقافى السوفيتى فى شارع ١٨ فى وسط واشنطن . وتطايرت النوافذ واندفعت بوابة حديدية الى احد الاسقف على مسافة مائتى قدم . وتلقت وكالات الانباء مكالمات تقول : « هذه عينة مما سيأتى . اتركوا شعبنا يخرج ، لن نستعبد مرة اخرى ابدا » وبعد ذلك بثلاثة أيام ، تم استدعاء السفير السوفيتى لدى الولايات المتحدة الى موسكو فجأة .

— فى ١٩ يناير ١٩٧١ ، بدأ أعضاء رابطة الدفاع اليهودى فى تعقب المسئولين السوفييت واسرهم فى نيويورك وواشنطن ، وهم يبصقون عليهم ويصرخون فى وجوههم بأوصاف لا يحبونها . وفى نفس الاسبوع تم تدمير سيارات ثلاثة دبلوماسيين سوفيتية بقنابل حارقة .

— فى ٣٠ مارس ١٩٧١ ، انفجرت قنبلة خارج مقر الحزب الشيوعى فى نيويورك .

— فى ٢٢ ابريل ١٩٧١ ، انفجرت قنبلة داخل مركز أمتورج ، وهو المركز التجارى السوفيتى الكائن فى ٣٥٥ بشارع لكسنجتون فى مانهاتن ، ودمرت الطابق التاسع عشر من المبنى . وابطل خبراء المفرقعات قنبلة ثانية كانت على وشك الانفجار عندما رآها رئيس الشرطة السرية فى نيويورك وبعض المسئولين الآخرين . وجلس كاهانا فى مكتب دويتش فى وول ستريت مبتسما وهو يستمع الى الاذاعة تتحدث عن قنبلة واحدة . وقال كاهانا « اثنتان » ورفع أصبعيه بعلامة النصر مقلدا تشرشل فى تحية النصر ، وذلك طبقا لما ذكره دويتش .

— فى ١٢ يونيو ١٩٧١ ، عثر على قنبلة فى السكن السوفيتى الرسمى فى جلين كوف فى نيويورك . وتم أبطال مفعول القنبلة بسلام .

— فى ١٥ ديسمبر ١٩٧١ ، انفجرت قنبلة خارج محل هدايا متخصص فى السلع السوفيتية فى الشارع الخامس بمانهاتن . وتم تدمير متجر لبيع الهدايا السوفيتية فى مينيسوتا بقنبلة .

وفى أوربا ، فى نفس الوقت ، بعثت رابطة الدفاع اليهودى خطابات ملغمة الى السفارات السوفيتية ، وفجرت سفينة حاويات سوفيتية فى ميناء هولندى ، وملأت لندن بمنشورات تقول : « اذا أردت متعة جسدية كاملة اتصل بـ (سونيا) « ووضعت رقم تليفون السفارة السوفيتية ، مما شغل لوحة تحويل التليفونات فى السفارة لعدة أيام .

وتزايدت عضوية رابطة الدفاع اليهودى مع تزايد تطرفها المسلح وما بدأ كحفنة من العناصر النشطة المتشدد وآلة للنسخ ، وصل بحلول عام ١٩٧١ الى أكثر من عشرة آلاف عضو فى أثنتى عشرة مدينة أمريكية على الاقل وكذلك فى انجلترا وفرنسا وجنوب أفريقيا . وتطورت رابطة الدفاع اليهودى الى حركة جماهيرية على غرار ما كان كاهانا وشوريا يحلمان به قبل ذلك بسنوات قليلة . ويقول موراى شفايدر ، وهو عضو مؤسس فى رابطة الدفاع اليهودى وعمل كأمين صندوق الرابطة حتى ١٩٧٥ : « كان لدى كاهانا القدرة على أن يحفز الشباب لكى يكونوا أبطالا يهوديين سريين . لقد كنا ننظر اليه كما لو كان الهـا فقد كان يتمتع بجاذبية شخصية غير معقولة وكان أذكى منا جميعا » . ولكن مع نمو رابطة الدفاع اليهودى ، أصبح من الصعب على كاهانا أن يسيطر عليها . وسرعان ما كانت مجموعات من العناصر الشابة المغامرة تنفذ عمليات عنف دون الرجوع الى زعيم الرابطة . وفى بعض الاحيان كان كاهانا ومستخدموه يضطرون الى بذل كل ما فى وسعهم لتوجيه الرابطة . الوجهة التى يريدونها . وفى النهاية ، أصبح المزيد من عمليات رابطة الدفاع اليهودى ينفذ على طبيعة كل عملية بواسطة شباب مدفوعين بحماسهم الخاص بدلا من أن تخطط مقدما بواسطة زعماء الرابطة .

وعلى الرغم من أن كاهانا كان ينتقد بشدة من جانب المؤسسة اليهودية ، كان يتلقى مساندة مالية كبيرة سرا من شرائح من الجالية اليهودية كانت ترى فيه بطلا وضع محنة اليهود السوفييت فى مقدمة اهتمامات اليهود الامريكيين .ويتذكر خال كاهانا ، اسحق ترينين ، الذى كان آنئذ مدير الجمعية الخيرية اليهودية ، فيقول : « كنت احضر حفل عشاء لجمعية يهودية فى أوائل السبعينيات مع ماكس شيتن (أمير اغذية الحيوانات وصاحب الملايين) ، الذى اخبرنى بأن اثنى عشر من بين العشرين او الثلاثين شخصا الجالسين فى المنصة فى القاعة فى تلك الليلة أعطوا كاهانا ١٠ آلاف دولار أو أكثر . انهم يلعنونه فى العلن ولكنهم يعطونه المال سرا » . وقال واحد من أكبر المحسنين اليهود فى القرن العشرين لترينين ذات مرة« يمكننا أن نستخدم اثنى عشر كاهانا آخرين » .

وربما لم يكن يريد هؤلاء المحركون والمحرضون أن يعرفوا الكيفية التى كان كاهانا يستخدم بها أموالهم . وطبقا لوثائق المحكمة الفيدرالية الامريكية ، اشترى الحاخام بشكل غير قانونى أسلحة بشيكات مسحوبة على حساب معسكر الرابطة ، وهو واحد من القائمة المتزايدة من المؤسسات الخيرية المعفاة من الضرائب التى كان يسيطر عليها . كما أن كاهانا جند أخاه الاصغر نحمان ، الذى انتقل الى اسرائيل حيث كان نائبا لوزير الشئون الدينية ، لكى يساعد فى تغذية ترسانة رابطة الدفاع اليهودى . ويذكر أن نحمان اشترى مائتى مدفع رشاش طراز كارل جوستاف كان يعتزم شحنها الى أمريكا فى صندوق مكتوب عليه « مواد دينية — سراويل وقلنسوات » وذهب نحمان الى بيجين يطلب مساعدته فى شحن الاسلحة ، ولكن عندما قال له بيجين لا ، ألغى نحمان الخطة .

وفى اواخر ١٩٧٠ ، أمر ليندساى عمدة نيويورك رئيس بوليسه السرى البرت سيدمان بوقف عمليات التفجير التى تقوم بها رابطة الدفاع اليهودى وكتب سيدمان فى مذكراته المسماة « رئيس » ويقول : « كان الامر سيئا بما فيه الكفاية عندما كان يلقى صبية الرابطة الدهان أو البيض على الدبلوماسيين الروس أو يتعقبون زوجاتهم فى السوبر ماركت وهم يلعنونهم ولكن ... تفجير قنبلة كان بمثابة كارثة للمدنية . وكان العمدة مدركا تماما لحقيقة أن الامم المتحدة لم تكن لتوجد فى نيويورك ... ولم يكن احد أكثر انتقادا لنيويورك من الروس . وكانت رابطة الدفاع اليهودى تحرص على تأكيد زيادة كراهيتهم للمدنيــة » .

ومع خريف ١٩٧١ ، أصبحت هجمات الرابطة ضد الاهداف السوفيتية فى الولايات المتحدة متعددة الى حد خشى معه الرئيس نيكسون من أن يدمر كاهانا مباحثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية . وامتلأت الصحافة السوفيتيه بتقارير مثيرة عن أعمال كاهانا المضادة للسوفييت ، وحملت نيكسون شخصيا مسئولية أعمال « السفاح الصهيونى » . وحثت مذكرة سرية لوزارة الخارجية فى ذلك الوقت وزارة العدل على ادانة مثيرى المتاعب فى رابطة الدفاع اليهودى، ذاكرة أن ذلك سوف « يحسن بدرجة كبيرة من قدرة الولايات المتحدة على التعامل مع الاتحاد السوفيتى بشأن القضايا الجوهرية فى السياسة الخارجية » وحذرت مذكرة سرية أخرى من وزارة الخارجية الامريكية الى مكتب التحقيقات الفيدرالى من أن « المزيد من حوادث العنف (التى ترتكبها الرابطة) سيكون له أثر ضار على مجمل علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى وربما يؤدى الى حدوث رد فعل ضد الامريكيين فى الاتحاد السوفيتى » . وفى ٦ يناير ١٩٧١ ، تعرض الحاخام بالمر ، وهو دبلوماسى امريكى فى موسكو ، لتهديد فى الشارع من جانب عملاء الكى . جى . بى بعد مغادرته احد المسارح . وقالوا له : « هل تحب

أن نعاملك بنفس الطريقة التى يعامل بها السفاحون الصهاينة دبلوماسيينا فى أمريكا ؟ هل تحب أن يتم تدمير سيارتك بواسطة متظاهرين لا ضباط لهم ؟ »
وعلى مـــدى الاشهر العديدة التالية ، تعرض الدبلوماسيون والصـحفيون الامريكيون العاملون فى الاتحاد السوفيتى لاعتداءات لفظية وأحيانا لعمليـــات تحرش بدنية عنيفـــة .

وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ ــ بعد أسابيع قليلة من أطلاق المتطرفين اليهــود نيران بندقية سريعة من على سطح كلية هنتر على مقر البعثـــة السوفيتية فى نيويورك بشكل كاد يصيب طفل أحد الدبلوماسيين ــ أجتمع مسئولون من وزارة العدل ، والخدمات السرية ، ومكتب التحقيقات الفيدرالى فى شقة جورج بوش الذى كان حينذاك سفيرا للولايات المتحدة لدى الامم المتحدة فى والدورف استوريا لتخطيط كيفية وقف نشاط رابطة الدفاع اليهودى . وما كان بمقدور زملاء كاهانا فى اسرائيل أن يكونوا أكثر سرورا نتيجة هذا الاهتمام ويقول دويتش : « كان كاهانا هو الرجل المناسب فى الوقت المناسب . لقد كنا نعرف أنه أهوج ، ولكنه ... جعلنا نحتل الصفحات الاولى » .

وكان مكتب التحقيقات الفيدرالى ، الذى بدأ فى التصـــنت على تليفونات الرابطة فى أكتوبر ١٩٧٠ بدون أمر من المحكمة ، قـــد أفشـــل بالفعل مؤامرات للرابطة لقصف المبنى السوفيتى فى جليـــة كوف واغتيـــال السفير السوفيتى أنا تولى دوبرينين عند مدخل السفارة السوفيتية فى واشنطن . وبمساعدة من أحد المخبرين من داخل الرابطة ، كشفت العناصر الفيدرالية أيضا مؤامرة محكمـــة لتفجير سيارة ملغومة فى الجراج الموجود تحت الارض التابع للبعثة السوفيتية فى نيويورك . وكان أكثر المخططات المفزعـــة التى أحبطها مكتب التحقيقات الفيدرالى ، مخطط لاطلاق طائرة من الطراز الذى يتم التحكم فيه عن بعد معبأة بالديناميت ، وتوجيهها الى البعثـــة السوفيتية فى نيويورك . وكانت الطائرة المجهزة بالكامل والتى يبلغ طول جناحها ستة أقدام ، موجودة فى معمل قنـــابل تابع لرابطة الدفاع اليهودى فى ٤٧٠٢ بالشارع الخامس عشر فى بوروبارك فى بروكلين . وقد تمت مهاجمة المبنى بواســطة البوليس ، الذى صادر الطائرة وكذلك مخبأ أسلحة به ٢٠ بندقية رش ، و٢١ بندقية آلية ، و ١٦ مسدسا ، وصناديق ذخيرة ، وبارود وفيوزات ، وكبسولات وأنابيب مناســـبة لتصنيع القنابل . كذلك تم ضبط العديد من خطط نشاط بعثات الامم المتحـــدة ، وعلى مطبوعات مناهضة للعرب ، ومواد خاصة برابطة الدفاع اليهودى . وقـــد سجل كاهانا الذى استأجر الشقة ــ مستأجريها باسم السيد والسيدة شيترن . وكان ابراحام شيترن هو مؤسس عصابة شيترن ، وكان زميلاه السابقان جيئولا كوهين واسحق شامير ، يقومان بتشغيل كاهانا .

وبكل المقاييس ، كانت رابطة الدفاع اليهودى عبارة عن خيط غريب من المتهوسين ، والايديولوجيين اليمينيين ، والحالمين . وكانت الرابطة تضم عميلا يهوديا سابقا لوكالة المخابرات المركزية ، وقدماء المحاربين اليهود فى فيتنام ، والصبية المتشددين من مدارس اليشيفا الذين يلبسون المعاطف السوداء الطويلة ، وطلبة من كلية بروكلين الذين يرتدون سترات الجنز الزرقاء وعصابات الرأس ، وبعض الناجين من معسكرات النازى ، واستاذ كيمياء من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا كان يقوم بصنع المتفجرات لعصابة شيترن ، وخبير أسلحة اسرائيل كان يعمل كموجه فى معسكر الرابطة ، وعددا من الاطباء ، واطباء الاسنان ، ومديرى الشركات فى وول ستريت ، وكذلك عدد من المحامين الذين يعملون لحساب الرابطة فى قائمة متزايدة من قضاياها .

ويقول عضو سابق فى الرابطة يعمل الآن محاميا فى بروكلين « كنا نسمى الكثيرين ممن انضموا الى رابطة الدفاع اليهودى » باليهود الايطاليين وكانوا يلبسون سلاسل ذهبية على صدورهم الكثيفة الشعر . كما كانوا يتحدثون مثل أعضاء العصابات ويبدون جميعا كما لو كانوا من كنارس وكان لدينا شخص اسمه هيربى يعمل فى ابادة الآفات بحكم مهنته . وكان يرتدى سترة من الجلد كتب على ظهرها (هيربى المبيد) . وقد اعتاد أن يمسك بشباب الرابطة من رقابهم وهو يدمدم يجب على اليهود أن يتعلموا كيف يحاربون » .

وقد كانت طاقة كاهانا الجنونية تدهن مؤيديه القدامى وتثير حمية اتباعه من الشباب . ويقول أمين صندوق الرابطة السابق موراى شنايدر : « فى أشد أيام الصيف حرا ، كان كاهانا يعمل فى المكتب ويترك الباب والنوافذ مغلقة ، ويضع بطانية فوق النافذة ، ويرتدى سترة ، ويظل يكتب طوال اليوم بدون مكيف هواء » .

ويقول بارى ليبين ، رئيس منظمة بيكار ، الذى كان يبدو عاجزا وهو يرى منظمته تبدأ فى الاندماج مع رابطة الدفاع اليهودى فى أوائل السبعينات لم أكن أستطيع ابعاد صبيتى عن كاهانا . فكاهانا هو أقرب الاحياء الى جاموتنسكى . وقد نشأت على قراءة أعمال جاموتنسكى . وفجاة ظهر كاهانا ــ نسخة حية من جابوتنسكى أمامنا .

ولكن جابنوتنسكى لم يشغل نفسه بالسود مثلما فعل كاهانا . فحتى فى ذروة حرب رابطة الدفاع اليهودى ضد الاتحاد السوفيتى ، لم يصبر كاهانا على مقاومة التدخل فيما بين اليهود والسود من شئون . فرغم كل شىء ، كان الخوف من ان تضر مطالب السود بالمساواة ، بشكل ما ، بالانجازات اليهودية ، هو الذى جمع عصبة التحريفيين ، والمدرسين ، واليهود المتشددين ، ورجال الاعمال الاثرياء معا تحت لواء رابطة الدفاع اليهودى فى المقام الاول .

وفى صيف عام ١٩٧٠ ، حاولت الرابطة مرتين أن تنسف مركزا للجالية السوداء فى كروان هايتس فى بروكلين ، انتقاما لعملية تفجير مزعومة لمتطرف أسود أتت على مركز للجالية اليهودية فى نفس المنطقة . وزادت حدة الاحتكاك بين فقراء السود واليهود المتعصبين دينيا فى ذلك الصيف ، بسبب شكوى السود من سيطرة المتعصبين اليهود على البرنامج الفيدرالى لمكافحة الفقر فى المنطقة . وكان كاهانا شديد الغضب عندما علم بأن قنابل الرابطة سقطت على الارض دون أن تسبب أى أذى الى درجة أنه أشرف شخصيا على تصنيع قنابل أنبوبية وقنابل مولوتوف فى معسكر الرابطة . وطلب من صانعى القنابل للرابطة أن يجعلوا السطح الخارجى لانبوب القنبلة مسننا حتى تكون أكثر فتكا .

وخلال هذه الفترة ، كان كاهانا يتحرش أيضا بالنازيين وبكل من يحس أنه يهدد المصالح اليهودية . وفى مايو ١٩٧٠ ، على سبيل المثال ، علم كاهانا أن الحزب النازى الامريكى كان يعقد اجتماعا فى الجانب الغربى الاعلى فى مانهاتن . ويقول أرنى بايير : « كانت الخطة الاصلية تقضى بأن ننتظر حتى يخرج النازيون ثم نوقفهم صفا واحدا بجوار الجدار ونطلق النار عليهم » وبدلا من ذلك هاجم رجال الرابطة النازيين بالخطاطيف وعصى كرة البيسبول أثناء خروجهم من الاجتماع . ويضيف بايير قائلا « أصبت شخصا فوق رأسه بخطاف . وكنت صغيرا جدا . وكانت هذه من المرات الاولى التى أصيب فيها أحدا وذهلت لانه لم يسقط على الارض . فقام معلم الكاراتيه فى معسكرنا بركله ولم يسقط الرجل أيضا . وبعد ذلك جاء رجل مجنون من الـ « التشايات » وشج رأسه بشاكوش . وتركنا النازى يرقد فى بركة من الدماء أمام مبنى أنيق فى سنترال بارك ويست . وكان هناك بواب مترو فى أحد الاركان وقد جن جنونه من الخوف » .

ولم تكن منظمة التحرير الفلسطينية فى مأمن من عنف رابطة الدفاع اليهودى المعتمد على فكرة « اضرب واهرب » . ففى ٢٢ مايو ١٩٧٠ ، وهو اليوم التالى لهجوم دموى قامت به منظمة التحرير ضد حافلة تحمل تلاميذ اسرائيليين عند امتداد مهجور لاحد الطرق بالقرب من الحدود اللبنانية ، قامت رابطة الدفاع اليهودى بهجوم على مكتب المنظمة فى وسط مانهاتن . وقد ذكر سكرتير المكتب لصحيفة النيويورك تايمز : « كسر الرجال الباب ، وبدأ اثنان منهم فى ضرب المدير الفلسطينى للمكتب سادات حسن ، بالعصى . واستمر الضرب ست أو سبع دقائق على ما اعتقد وكان هناك دم كثير » .

وطبقا لتقرير من وكالة المخابرات المركزية تم الحصول عليه بموجب قانون حرية المعلومات ، كان أحد أعضاء رابطة الدفاع اليهودى الذين شاركوا

فى الهجوم على مكتب منظمة التحرير كان متورطا ايضا فى سرقة البعثة التجارية السوفيتية فى أمستردام .

وفى الاردن ، أقسم ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير أن ينتقم من الامريكيين اذا لم توقف الحكومة الامريكية رابطة الدفاع اليهودى عن شن هجمات مماثلة . ونقل عن عرفات قوله للنيويورك تايمز : « لا يمكن ان تظل الثورة الفلسطينية صامتة أو أن تقبل مثل هذه الجرائم ان فرص الانتقام كثيرة ومتنوعة » .

وبعد ذلك بعدة أشهر خطط كاهانا لاغتيال ايرهابى فلسطينى معروف . وبالنظر الى الوراء ، كان المخطط يبدو وكأنه ليس اكثر من فرقعة للدعاية ، رغم ان نتائجه كانت بالغة الخطورة بالنسبة للزوجين الشابين اللذين تزوجا حديثا وجندهما كاهانا من اجل هذه المهمة ففى يوم الاحد ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠ ، حاول افراهام هيرشكوفيتز ، — وهو احد الناجين من معسكرات النازى ، طويل القامة ، مترهل ، عمره ٢٦ عاما ، ومعه زوجته نانسى التى يبلغ عمرها ١٩ عاما — الصعود الى طائرة الخطوط الجوية البريطانية التى تقوم برحلة فى العاشرة مساء الى لندن من مطار كيندى الدولى ، وقد أخفينا مسدسين محشوين وتنابل يدوية ، سلمت اليهما قبل ذلك بلحظات بواسطة رجلين من رابطة الدفاع الدفاع اليهودى مختبئين فى دورة مياه بالمطار . وتمكنت نانسى ، التى ربطت قنبلة يدوية حول فخذها ، من المرور عبر نقطة الامن ، ولكن افراهام — الذى تخفى كيهودى متدين وحمل جواز سفر مزور — قبض عليه عند البوابة بواسطة رجال الشرطة . وعندما عادت نانسى لتبحث عن أفراهام تم القاء القبض عليها أيضا .

وخلال استجوابه ، أخبر رجال الشرطة افراهام بانه اذا لم يتعاون ، فان زوجته سترسل الى سجن النساء سيىء السمعة فى مانهاتن حيث أن المحتمل تماما أن تغتصب من جانب السجينات الاخريات . وقد ذكر سيمون تشرين ، محامى هيرشكوفيتز التابع لجمعية المساعدة القانونية لصحيفة النيويورك تايمز : « رسمت السلطات صورة بشعة لعمليات السحاق بين السجينات . وبعد ذلك أدلى هيرشكوفيتز بأقواله » . واعترف هيرشكوفيتز بأنه وزوجته أعضاء فى رابطة الدفاع اليهودى ، وبأنهما كانا فى مهمة لاختطاف طائرة مصرية فى لندن وتحويل مسارها الى اسرائيل . وعلى الرغم من أن أفراهام كان يحمل شيكا أصدره له ووقعه الحاخام كاهانا ، انكر افراهام أن يكون زعيم الرابطة متورطا فى المؤامرة وحصلت العناصر الفيدرالية بعد ذلك على اذن بتفتيش شقة هيروشكوفيتز الضيقة التى يبلغ ايجارها ٦٥ دولارا شهريا ، حيث وجدوا الشقة مسرحا للقذارة والفوضى .

وبدأ تحقيق نشرته النيويورك تايمز كالتالي : « أكوام من الملابس في أحد الأركان ، وعلبة آيس كريم ذائبة في داخل الثلاجة ، وأقداح وفضيات تبدو أنها هدايا الزواج وقد ألقيت في علب مفتوحة . وبين الأوراق المبعثرة في الحجرة كان هناك إخطار من أحد البنوك بأن شيكا بمبلغ ١٥٩ دولارا و ٧٧ سنتا تحرر للزوجين بواسطة رابطة الدفاع اليهودي ، لم يصرف بسبب عدم كفاية الرصيد » .

هل كان هذان التعيسان إرهابيين حقا في طريقهما إلى لندن لاختطاف طائرة مصرية ؟ . طبقا لما قاله ارفنج كالديرون ، وهو أحد رجال الرابطة الذين أوصلوا الأسلحة لهيرشكوفيتز وزوجته ، « كان هذا هو الغطاء » . فقد كانت مهمتهما الحقيقية هي اغتيال مختطفة الطائرات الفلسطينية ليلى خالد التي كانت عندئذ في سجن في لندن وقال كالديرون ان زوجين آخرين من أعضاء الرابطة كانا قد أرسلا إلى لندن قبل هيرشكوفيتز وزوجته ، لكنهما اتجها إلى إسرائيل بجوازات سفر مزورة عندما علما بالقاء القبض عليهما :

وينفي زوبيون القصة كلها باعتبارها ليست أكثر من حيلة للدعاية التي كان يحلم بها كاهانا . فلو كان كاهانا قد أراد بالفعل أن يغتال سجينة عليها حراسة مكثفة في سجن بلندن ، فلماذا ناقش الهجوم المقترح صراحة أمام عشرات من أعضاء الرابطة في مكتب الرابطة ؟ وقال زوبيون أيضا : « لقد خطط للمهمة مثلما يخطط مدرب كرة القدم للعب في وقت الاستراحة لقد علمنا في ذلك الوقت أن الحكومة لها عملاء في صفوفنا ولابد أن كاهانا أراد أن يشغل مكتب التحقيقات الفيدرالي بالبحث عن الخطة » .

وبعد اسبوع من منع هيرسكوفيتز وزوجته من رحلتهما إلى لندن ، دخل شاب يحمل حقيبة جلدية تميل إلى الصفرة أحد المباني في شارع الأربعين وشارع بارك حيث يوجد مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ، في مانهاتن . وركب الشاب المصعد إلى الدور الثالث وترك الحقيبة أمام باب مكتب المنظمة وفي الساعة الحادية عشرة مساء ، حدث انفجار شديد في المبنى أدى إلى تدمير كبير في مكتب المنظمة . ولحسن الحظ لم يصب أحد بسوء ، رغم أن سيدة تقوم بأعمال النظافة نقلت إلى مستشفى محلي لعلاجها من الصدمة . وبعد ذلك بيومين ، كان كاهانا ضيف البرنامج الاخباري الاذاعي « هذا اليوم » بمحطة القدس المحلية باللغة العبرية . وسئل كاهانا خلال اللقاء معه بالتليفون عما اذا كانت رابطته قد فجرت مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فقال كاهانا : « حسنا ، من الواضح أننا اذا قلنا نعم فقد ندخل في مشكلات مع الشرطة ولكنني اعتقد انه اذا قال المرء ، ربما من باب التخمين ، أن مجموعتنا ربما تكون قد فعلتها ، فقد يكون هذا هو التفكير السليم ... ان ماحدث لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية هنا حدث لان أولئك الارهابيين الذين يعيشون بالسيف يجب أن يكونوا مستعدين لملاقاة نفس المصير .... وماحدث هنا سوف يتكرر حدوثه » .

وفى ١٢ مايو ١٩٧١ ، قبض البوليس الفيدرالى على كاهانا وعلى اثنى عشر آخرين من اعضاء رابطة الدفاع اليهودى فى نيويورك بتهمة التآمر لتصنيع متفجرات . ولم تكن مصادفة أن يعلن كاهانا على الملأ فى اليوم التالى مباشرة ان رابطة الدفاع اليهودى ستتوحد مع جماعة يمينية اخرى هى رابطة الحقوق المدنية الايطالية — الامريكية . وكان هذا التحالف غير المقدس هو المحاولة الجادة الاولى لتشكيل حركة عرقية فاشستية فى التاريخ الامريكى الحديث .

وكانت رابطة الحقوق المدنية الايطالية الامريكية قد تأسست على يد جوزيف كولومبو (الكبير) ، كبير غوغاء مدينة نيويورك ، بهدف غرس الكبرياء فى نفوس الامريكيين الايطاليين ودحض فكرة أن الايطاليين فى أمريكا كانوا رجال عصابات . ولم يكن مؤيدو كولومبو يهمهم كثيرا حقيقة أنه بدأ مهنته كفتوة غوغائى ، وشق طريقه لكى يسيطر على واحدة من خمس عائلات وتعد تلك الخمس اقوى عائلات المافيا فى نيويورك . وفى بعض الاحيان كان كولومبو وأتباعه — وكثير منهم سائقون أقوياء البنية وحمالون فى الموانى — يتظاهرون لمدة أشهر أمام مقر مكتب التحقيقات الفيدرالى للمطالبة — ضمن اشياء اخرى ، بأن يتوقف المكتب عن استخدام كلمة « مافيا » ، التى كانوا يرون أنها خرافة ابتدعها المتحمسون من نواب القضاء الفيدراليين ليبرروا الحصول على ميزانياتهم الضخمة . واصبحت رابطة الحقوق المدنية الايطالية الامريكية قوية الى حد ان نلسون روكفلر ، حاكم نيويورك ، وبيلا ابزوج عضوة الكونجرس عن نيويورك وميدى اسبوسيتو الزعيم الديمقراطى فى نيويورك ، كانوا ضمن سياسيين مؤثرين آخرين ضيوفا فى مهرجانات وولائم ومظاهرات الرابطة وسرعان ما ظهرت شارات رابطة الحقوق المدنية الايطالية الامريكية على واجهات المحلات والمشروعات التى يملكها الامريكيون والايطاليون فى انحاء المدنية .

وفى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٠ ، دعت رابطة الحقوق المدنية الايطالية الامريكية حفلا خيريا امتلأ بالنجوم فى حديقة ماديسون سكوير . وكان على راس النجوم فرانك سيناترا وسامى ديفير (الصغير) واستضاف الحفل مدير مراسم « استعراض الليلة » اد مكماهون ، وجمعت الرابطة من خلال ذلك أكثر من ٦٠٠ ألف دولار . وكان من بين حملة التذاكر فى تلك الليلة عتاة رجال المافيا مثل كارلو جامبينون ، وارسل بوفالينو ، وريموند باترياركا وكذلك نجوم سياسيون مثل ريتشارد أوريليو نائب عمدة نيويورك وبول اودواير ، المرشح اليمقراطى السابق لمجلس الشيوخ الامريكى .

وأنشا كولومبو لجنة للعمل السياسى من خلال رابطة الحقوق المدنية ، وساندت اللجنة المرشحين السياسيين فى نيويورك . وعلى سبيل المثال ، قامت « لجنة العمل السياسى الجماهيرى » التى انشأها كولومبو بمساندة ادوارد تى .

بولاسكى ، وهو ديمقراطى من جزيرة ستاتن ، فى محاولته عام ١٩٧٠ لخلع السناتور جون مارش ، وهو أمريكى ايطالى كثيرا ما وصف كولومبو بأنه « سفاح حقير » .

وكان بارى أيفان سلوتنيك ، محامى كولومبو هو أول من حدثه عن كاهانا . ففى حفل عشاء متأخر فى عام ١٩٧١ ، ذكر سلوتنيك لكولومبو أنه يمثل كاهانا فى دعوى اتهامه بتصنيع القنابل . وقال سلوتنيك أن الحاخام ليس لديه مال كاف وربما يدافع عن قضيته من السجن . وظهر كولومبو — الذى انجذب الى صورة كاهانا اليهودية الصلبة حسبما ذكر سلوتنيك — ظهر فى الصباح التالى فى المحكمة مع كفيل ليدفع كفالة الحاخام وقدرها ٢٥ الف دولار .

وبعد ذلك ، وخلال مؤتمر صحفى مرتجل مع كولومبو على سلم دار المحكمة ، قال كاهانا للصحفيين أنه يرحب بمساندة الفتوة الجماهيرى ووعد « بالتظاهر أمام مقار مكتب التحقيقات الفيدرالى اذا طلب المستر كولومبو من رابطة الدفاع اليهودى المساعدة » . وعندما سأله صحفى من النيويورك تايمز أن يناقش آثار قيام تحالف بين رابطة الدفاع اليهودى ورابطة الحقوق المدنية الامريكية الايطالية ، أجاب كاهانا قائلا : « انها أخوة انسانية . وقد اتى للمساعدة أناس من عقائد وخلفيات أخرى . انه لامر كان سيستحق الاطراء لو أن السود هم الذين يساعدون اليهود . والايطاليون ليسوا أسوأ من السود » .

وكان سلوتنيك — باعتباره محاميا لكل من كولومبو وكاهانا — عاملا محوريا فى تأسيس علاقة عمل بين رابطة الدفاع اليهودى ورابطة الحقوق المدنية الايطالية — الامريكية . وكمتحدث للمنظمتين أيضا لم يجد سلوتنيك عن الطنطنة بفضائل المنظمتين فى برامج اذاعية وتليفزيونية عديدة ، معلنا أن زعيمهما كانا ضحيتين للاضطهاد العنصرى والدينى من جانب الحكومة وذلك الوقت ، كانت مشكلات كولومبو القانونية خطيرة بشكل مؤكد ، وكان متورطا فى سرقة مسلحة لمجوهرات قيمتها ٧٥٠ الف دولارا ، ومدانا بتهمة ازدراء المحكمة ، واتهم فى مارس ١٩٧١ بتهمة الكذب ، وقبض عليه بعد ذلك بشهر بتهمة المقامرة فى أكثر من ولاية أمريكية ، وأدين بعدها بعشرين يوما بادارة نقابة القمار تعمل فى ١٠ ملايين دولار سنويا ، وأخيرا كان كولومبو ينتظر المحاكمة بتهمة التهرب من دفع ضريبة الدخل . وعندما قابلت سلوتنيك فى عام ١٩٨٦ ، عندما كان يجتذب الكثير من الدعاية لدفاعه عن بيرنهارد جوتيز « سفاح مترو الانفاق » ، كان سلوتنيك اللامع ، الذى لقب نفسه « افضل محامى دفاع فى أمريكا » لا يزال يروج للسياسات الخلافية التى ينتهجها كاهانا وكولومبو . وقال لى سلوتنيك : « المشكلة الرئيسية فى هذه البلاد ليست فى أن الامريكيين من اصل ايطالى يسيطرون على النقابات ، ولكنها مشكلة من النوع الذى واجه جوتيز فى مترو الانفاق فقد وجد جوتيز نفسه محاصرا باربعة رجال . وهذه جريمة منظمة أيضا وتعد نوعا من الجريمة المنظمة التى تعتبر

مكافحتها اكثر اهمية مما يسمى بلجنة (الغوغاء) التى تحدث عنها (رادولف) جوليانى النائب العام الامريكى (السابق) . اننى قلق على من هم على غرار (جيمس) رامير (١) فى هذا العالم اكثر من قلقى بشأن ما يسمى بالغوغاء . وبالنسبة لكاهانا يقول سلوتنيك ان المؤرخين سيحكمون عليه كواحد من الابطال العظام للشعب اليهودى .

وقد رأى القاضى جاك واينشتاين فى كاهانا سفاحا أكثر منه بطلا . ففى ٩ يوليو عام ١٩٧١ ، اعترف كاهانا بأنه مذنب فى عملية تصنيع القنابل . وقبل اصدار الحكم ، قال القاضى فى المحكمة أنه تلقى مئات الخطابات التى يدافع أصحابها عن كاهانا ، وقد اسمى بعضهم زعيم رابطة الدفاع اليهودى بأنه « موسى آخر أو ابراهام لينكولن » ، « قديس » ، « ضحية لمحاكمة دريفوس أخرى » « مارتن لوثر كنج اليهودى » ، « مكابى العصر الحديث (٢) » ، والرجل الذى « يحارب من أجل دماء اليهود التى أهدرت عبر العصور » . وقال واينشتاين بينما قد يكون كاهانا قد اعتقد بأنه فى وضع معنوى مرتفع ، « انه بالنسبة للقانون — عندما تستخدم رابطة الدفاع اليهودى البنادق والقنابل بشكل غير قانونى ، فانها لا تتميز حقيقة عن منظمة ويزرمن ، أو الفهود السود فى جانب اليسار ، أو عن منظمة الكوكلوكس كلان فى جانب اليمين » . وبرغم هذا التوبيخ من جانب القاضى واينشتاين لم يحكم القاضى على الحاخام الا بأن يبقى أربعة أعوام تحت المراقبة وكجزء من مساومة كاهانا للتوصل الى اتفاق ، أقسم كاهانا الا يكون له شأن بالاسلحة أو المتفجرات . ووعد سلوتنيك بأن تسلم رابطة الدفاع اليهودى مخزونها من الاسلحة الى الحكومة . واتصل سلوتنيك بعد ذلك بالنائب العام الامريكى توماس باتيسون تليفونيا وقال له انه رأى فى منامه أن رابطة الدفاع اليهودى تركت مخبأ للمتفجرات فى الاتجاه الشمالى لمنطقة باليزادس باركواى جنوبى الباين لوك أوت بحوالى ألف قدم . وعثر البوليس الفيدرالى على ١٩٧ اصبعا من الديناميت ماركة (طروادة) وهى نفس الماركة المستخدمة فى نسف مبنى الامتورج (السوفيتى) . وأغلقت السلطات منطقة باركسواى امام المرور ، بينما قامت وحدة من خبراء الجيش المتخصصين فى التخلص من القنابل من فورت ديسك بنقل المتفجرات القاتلة بعيدا .

وبعد ذلك بليال قليلة ، ابلغ سلوتنيك النائب العام الامريكى بـ « حلم » آخر . وفى هذه المرة كان مخبأ رابطة الدفاع اليهودى موجودا فى مطار

---

(١) كان جيمس رامير واحدا من بين اربعة شباب سود احاطوا بجويتز فى مترو أنفاق نيويورك .

(٢) نسبة الى المكابيين وهم اسرة معروفة فى تاريخ العبرانيين (المترجم) .

الجانب الشرقي الجوى فى مانهاتن · ووجد رجال البوليس الذين فتشوا المطار ، بارودا ، وفيوزات ، وكبسولات متفجرة فى مخزن يقع مباشرة خلف مكتب تذاكر شركة دلتا ·

وفى الاشهر التى أعقبت ادانة كاهانا ، أصبح الحاخام وزعيم الغوغاء ، حسبما يقول سلوتنيك ، « صديقين مقربين » . وكان لب العلاقة بالنسبة لكاهانا هو الوصول بسهولة الى الاموال والاسلحة غير القانونية · ويقول ارفنج كالديرون « حصلت رابطة الدفاع اليهودى على أموال كثيرة وأسلحة من كولومبو · وكان كولومبو يعتقد أنه يكتسب الاحترام بظهوره مع حاخام مشهور ، رغم أن معظم اليهود لم يكونوا يحترمون كاهانا فى ذلك الوقت » · وحقق كولومبو ما هو أكثر من الاحترام من ارتباطه بكاهانا . ويقول زوبيون أن بعض أشد أعضاء رابطة الدفاع اليهودى كانوا يعملون كذراع قوية وكجامعى ديون لعائلة كولومبو · ويقول كالديرون مؤكدا : « أرادوا منا أن نقوم بأعمال الفتوة لصالحهم مثل تحصيل الديون المكتسبة بالنصب · وكان أولادنا غير معروفين للضحايا ولم يكن يعنيهم أن تكسر عظام أفخادهم » · ويضيف كالديرون أن كولومبو ساعد رابطة الدفاع اليهودى فى تنفيذ العديد من مهامها الارهابية ، رغم أنه لم يحدد تلك المهام · ويقول أيضا : أعطتنا علاقتنا بكولومبو المزيد من السطوة · فالناس يخافون من المافيا · وقد جعلت هذه العلاقة منظمة مثل الفهود السود تعيد حساباتها . وكان من بين التبريرات التى ساقها كاهانا ، وروجنا لها ، سابقة تعامل جابوتنسكى مع موسولينى قبل الحرب العالمية الثانية وكان كاهانا يقول : « اذا كان جابوتنسكى قد تعامل مع موسولينى ، فاننا نستطيع أن نتعامل مع كولومبو » . والواقع ان المافيا الايطالية كان بها أعضاء يهود لمدة طويلة . وكان بعض مؤيدى كاهانا المقربين مرتبطين بعائلة كولومبو الاجرامية ، ووصلت تأثيراتهم الى عدد من المشروعات المملوكة أساسا لليهود ، بدءا من صناعة الملابس فى مانهاتن وحتى شركات المجوهرات والفراء ·

وقد ساعد كاهانا وكولومبو كل منهما الآخر بطرق أخرى · وعلى سبيل المثال ، فى ٨ يونيو ١٩٧١ ، فى الساعة السابعة مساءا ، وطبقا لتقرير مراقبة لمكتب التحقيقات الفيدرالى ، تم الحصول عليه بموجب قانون حرية المعلومات ، انضم كاهانا الى كولومبو وابنه انتونى ، وأعضاء العصابة جوزيف برانكوتو ، ونيك بيانكو وانتونى أفجيلو أمام مقر مكتب التحقيقات الفيدرالى فى مانهاتن للاحتجاج على تحرش مزعم يقوم به المكتب ضد الامريكيين الايطاليين وبعد ذلك ، ساعد كولومبو كاهانا فى تنظيم مظاهرة فى واشنطن للاحتجاج على اضطهاد اليهود السوفييت . وأسفرت المظاهرة ، التى حضرها كولومبو وستون من اتباعه ، عن القاء القبض على أكثر من ١٣٠٠ شخص ·

واخبرنى كاهانا بعد ذلك أن كولومبو دفع الكفالة ووفر المحامين لبعض المقبوض عليهم . وقال كاهانا ان كولومبو « ظهر بعد المظاهرة على شبكة ايه . بى . سى . التليفزيونية وقال : « نحن الامريكيين الايطاليين نطالب الحكومة الامريكية بأن تقطع العلاقات مع الروس اذا لم يسمح الروس لليهود بحرية الخروج . لقد أردت أن أقبله » . (وقد تظاهر مع كولومبو وكاهانا عضو الكونجرس عن نيويورك ماريو بياجى ، الذى كان قد ادين مؤخرا فى محاكمات متفرقة فى نيويورك لقبوله منحا بشكل غير قانونى وابتزاز المال من احد المتقاعدين فى مجال الدفاع . وقد حصل بياجى ، الذى لايزال أحد انصار الحاخام الاوفياء ، على وسام الشرف خلال حفل عشاء لحزب كاخ فى معبد ميدان لنكولن المهيب فى مانهاتن فى فبراير ١٩٨٨) .

وكثيرا ما كان يرى كاهانا وكولومبو معا . فقد كان كاهانا يصحب رجل العصابات الى وجبات الكوشر المفضلة فى الجانب الشرقى الادنى ، كما كان كولومبو يأخذ الحاخام الى ناديه الريفى فى لونج ايلاند للعب الجولف .

وكان رد كاهانا على من كانوا يفتقدون صداقته لرجل عصابات قوله «سأسير مع أى شخص اذا وجدت اننى أستطيع أن أساعد يهودى » . وعندما اطلق بعض القتلة النار على رأس كولومبو بينما كان يقود مظاهرة من الامريكيين الايطاليين بمناسبة يوم الوحدة فى كولومبوس سيركل فى ٢٨ يونيو ١٩٧١ ، هرع كاهانا ، الذى كان مقررا أن يكون هو المتحدث الرئيسى فى المظاهرة ، الى مستشفى روزفلت ليزور صديقه الذى اصيب اصابة خطيرة . ويذكر رئيس المخبرين السريين البرت سيدمان أنه نظر الى كولومبو قبل الجراحة مباشرة . ويقول : « أرانى كبير الجراحين صورة أشعة اكس الخاصة بجمجمة كولومبو وقد أستقرت رصاصة فى أعلى الرقبة ، واثنتان فى الجبهة . والمدهش انه لم تكن توجد أية علامة تدل على حدوث نزيف داخلى قاتل . وهكذا لم يكن جوكولومبو فى طريقه الى الموت . . . وربما كان من الافضل عندئذ لو انه مات . فقد جعلت الرصاصات مخه (يافوخه) كالبيض الاجوف » . وفى أعقاب الجراحة ،لم يسمح سوى لأقرب اصدقاء كولومبو بزيارته فى حجرته فعلاوة على كاهانا وأسرة كولومبو ، التف المغنى سامى ديفيز (الصغير) وهوارد صمويلز ، المرشح الذى لم ينجح فى حكم نيويورك ، حول سرير كبير الغوغاء فى ترقب .

وطبقا لقول ارفنج كالديرون الذى اكده مسئول كبير فى وزارة العدل ، طلب ابنا كولومبو ، الموجودان الآن فى اصلاحية فيدرالية بتهم الابتزاز من رابطة الدفاع اليهودى أن تغتال جوجالو « المجنون » وهو زعيم غوغائى منافس يعتقدان انه أصدر الاوامر بضرب أبيهما . وكان نيكى بيانكو هو الوسيط الذى ادار المفاوضات بين عائلة كولومبو ورابطة الدفاع اليهودى ، وهو عنصر فى عصابة كولومبو التى استعارته من عائلة باتريارکا فى نيو انجلند والتقى بيانكو

ـع كاهانا خلال مظاهرة لرابطة الحقوق المدنية الايطالية الامريكية أمام مقـــر مكتب التحقيقات الفيدرالى فى مانهاتن . واعتقد بيانكو أن اعضاء رابطة الدفاع اليهودى ستكون لديهم فرصة أفضـــل فى الاقتراب من جاك لأنهم لن يكونوا معروفين له . ويقول مسئول وزارة العدل : « لكن رابطة الدفاع اليهودى لم تكن لديها الوسائل لتحقيق الضربة . وذكرت الرابطة أنهـا مسـتعدة لتوفير المستلزمات والمعلومات » . وحاول بيانكو أن يجند اناسا من رابطة الدفـاع اليهودى لاغتيال رئيس جماعة القوة الضاربة للجريمة المنظمـة فى بروكلين ، حسبما ذكر مسئول وزارة العدل . لكن كاهانا رفض الاقتراح كلية .

وقد نظرت وزارة العدل الى علاقة كاهانا وكولومبو على أنها « تحالف غير مقدس مدفوع بالحاجة المتبادلة الى المساندة » ، حسب قول المسئول الحكومى الذى أضاف : « كان كل منهما يرى فى الآخر موردا ماليا محتملا . فقـد جمع كولومبو ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار من خلال رابطة الحقوق المدنيـة الايطالية الامريكية وراود كاهانا الامل فى أن يستفيد من ذلك مدعيا أنه يتمتع باتصـالات قـوية ومساندة سياسية داخل المؤسسة السياسية اليهودية ، التى كان كولومبو يستطيع رشـوتها » . ولاحظ المسئول ، على سبيل المثـال ، أن كاهانا رتب مشـاركة المرشـح لمنصب حاكم نيويورك هـوارد صمويلز فى التظـاهر أمـام مكتب التحقيقات الفيـدرالى لصـالح رابطـة الحقـوق المدنية . (لا يوجد دليـل على أن كولومبو قـد رشا صمويلز) . كما ساعدت رابطة الدفاع اليهودى أيضا كولومبو فى الاستيلاء على مليونى دولار من أموال رابطـة الحقوق المدنيـة كانت قـد جمعت من أجـل بناء مستشفى مقترح للاطفـال ، لم يتم مطلقا حتى وضـع حجـر الاساس له . ويقـول المسئول الحكومى « اتجهت الاموال جنوبا مع رسـل رابطـة الدفاع اليهودى » .

وبعد اطلاق النار على كولومبو بعـدة أشهر ، التقى أحـد رجال مكتب التحقيقات الفيدرالى سرا مع كاهانا على أمـل تجنيده كمصدر ضـد منظمـة كولومبو واعتقد مسئولو المكتب أنهم قد يتمكنـون من « تحـويل » الحاخام لانه فى المناقشات المسجلة لكاهانا مع اليهود فى أعقاب اطلاق النار على كولومبـو ، قال كاهانا انـه لا توجـد فائدة من الاحتفـاظ بعلاقات مع عائلة كولومبـو ، وذلك حسـبما ذكر مسئول وزارة العـدل .

وطبقا لتقرير بالغ السرية الذى اعده مكتب التحقيقات الفيـدرالى عن الاجتمـاع مع كاهانا ، كتب مسـئول المكتب الذى اجتمع بكاهانا انـه يعتقد أن زعيم رابطـة الدفاع اليهـودى لديه امكانية أن يكون مخبرا ممتـازا . غـير أن مسئول وزارة العـدل يقول : « ان الامر لم يتمخض عن شىء محدد . وربما لم يكن كاهانا فى وضـع يسمح له بالمسـاعدة بشكل جوهرى » .

وفى نفس الوقت ، استمر تصاعد الضغط القانونى على كاهانا خـلال صيف عـام ١٩٧١ . فقد كان يواجـه محاكمات وشـيكة ، على مظاهرة احتجـاج

عنيفة أمام البعثة العراقية لدى الامم المتحدة ، وعلى الاستيلاء على مكتب وكالة تاس فى وسط مانهاتن فى ديسمبر ١٩٦٩ ، وعلى أعمال الشغب أمام البعثة السوفيتية فى الامم المتحدة .

واستمرت ادارة نيكسون فى الضغط بتنفيذ القانون من أجل فرض السيطرة على رابطة الدفاع اليهودى . واتجهت وزارة الخارجية الامريكية ، التى انزعجت من التهديدات السوفيتية ضد المواطنين الامريكيين الذين يعيشون فى الاتحاد السوفيتى ، الى الحاخام المبجل موشى فاينشتاين ، الذى كان يعتبر عندئذ الخبير الاول فى العالم فى « الهالاخا » (القانون الدينى اليهودى) . وأخبرت وزارة الخارجية الحاخام بأن العديد من افراد السفارة الامريكية فى موسكو هم من اليهود . واجتمع فاينشتاين بكاهانا وأمره بأن يوقف حملة التحرش التى تقوم بها رابطة الدفاع اليهودى . وقال فاينشتاين ، الذى كان مركزه فى العالم الدينى يمكن أن يجبر كاهانا على الاستماع اليه : « انك تهدد حياة اليهود » .

وفى أغسطس ١٩٧١ ، أعلن كاهانا أنه سينتقل الى اسرائيل . وقد قال لى فيما بعد « كان من المستحيل بالنسبة لى أن أطلب من الناس أن يذهبوا الى اسرائيل دون أن أذهب أنا » . وفى صباح يوم حار من شهر سبتمبر ، وبينما كان فى طريقه للحاق برحلة طائرة العال الى تل أبيب ، توقف كاهانا عند منزل جوزيف كولومبو (الكبير) لكى يسلم سلام الوداع وأقتيد كاهانا وحارسه الخاص الكس شيتونبرج الى داخل الدور الارضى حيث كان يجلس سيد المافيا بلا حراك فوق كرسى متحرك . والى جوار كولومبو الذى كان فى شبه غيبوبة ويعيش بأجهزة معاونة منذ اطلاق النار عليه ــ كانت توجد ممرضة ، « وحراس عديدون ذوو أجسام ضخمة واشكال بغيضة » ، حسب قول شيترنبرج . وجثا كاهانا الى جانب كولومبو وهمس فى أذنيه بكلمات . وحملق رجل العصابات بشكل مشدوه دون أن يشعر بوجود صديقه القديم . ويقول شيترنبرج : « كان يبدو كولومبو وكأنه فى حالة اغماء » . وفى الطريق الى مطار كنيدى ، قال كاهانا لشيترنبرج انه يعتقد أن كولومبو يدرك ما يدور حوله ، ولكنه يفضل أن يمثل دور فاقد الوعى على مواجهة المحاكمة بسبب مجموعة كبيرة من الادانات وعندما كان الاثنان يتجهان الى دوران يؤدى الى المطار سمع المناضلان اليهوديان فى نشرة أخبارية عن أحد أعضاء رابطة الدفاع اليهودى اعتقلته السلطات الفيدرالية لقيامه بشراء أسلحة بصورة غير قانونية . وفى تلك الظهيرة ، انضم العديد من شباب رابطة الدفاع اليهودى الى كاهانا فى رحلته الى اسرائيل بدلا من أن يواجهوا السلطات الفيدرالية . ويقول شيترنبرج : « كان تلك هى طريقة العمل . تواجه المتاعب هنا وتذهب الى اسرائيل » .

الفصـــل الســـابع

فنـــدق صهيـــونى

أعلن مائـير كاهانا أنـه انتقل الى اسرائيـل انطـلاقا من قنـاعات صهيونية محضـة ، ورغم ذلك كانت الحقيقة ، أكثر تعقيدا . فأولا وقبل كل شيء كان مكتب التحقيقات الفيدرالى قـد أخطره بأن المرة القـادمة التى سيدان فيهـا فى جريمة ، لن يسمح لـه بمغادرة قاعـة المحكمة على سـبيل الوضع تحـت المراقبـة . وكانت ادارة نيكسـون مصممة على كبح جمـاح رابطـة الدفاع اليهـودى . ولم يكن كيسنج مستعدا للمخاطرة بالوفاق بسبب الحاخام المزعـج فى بروكلين . واستخلص كاهانا بذكاء أن المحققين الفيدراليين لـن يتمكنوا من الامسـاك به اذا كانت قاعـدة عملياته فى اسرائيل ، حيث احتضنه اليمين الاسرائيلى على الفـور وأعلنـه بطـلا .

وبحلول فبراير ١٩٧١ ، كان الاشـخاص السـبعة الذين يكونون مجلس رابطة الدفاع اليهودى مهددين جميعهم بالتعرض للادانة الفيدرالية . وبدأ بيرترام زويبون ، كبير المستشارين القانونيين لرابطة الدفاع اليهودى ، بعمل استفسارات بشـأن نقل أسرته ونشـاطه القانونى الى اسرائيل . وكان عشرات من صبية الرابطـة قد هربوا بالفعـل الى الدولة اليهـودية ، حيث كان كاهانا يقـدم لهم القليـل من المسـاعدة . وتحـول البعض الى بيع المخدرات . والقـى القبض على اثنين من أعضـاء الرابطة بتهمة ابتزاز المال من الطلبة الاسرائيليين فى الجامعة . ووجـد عدد قليل محظوظ ، مأوى مؤقتـا مع عائلة نحمان فى القدس وتقول فيجا زوجة نحمان بازدراء : « كنا نرى العـديد من الصبية الذين انضموا الى رابطـة الدفاع اليهـودى يمرون بمصاعب جمة ، وقد تركوا يتخبطون حـول شقيق زوجى . وكنـا الوحيدين الذين بامكانهم مساعدتهم واشـكر الله ان أطفالى ظلوا بعيد عن مائير . ولم يكن بالامكان ابعادهم تماما ، ولكنهم كانوا يرون الحطام الذى يأتى الى منزلنا » .

وكانت ليبى على نفس القدر من التصميم الا ينتهى الامر بأى من أطفالها فى زنزانة سجن بجوار والده . ويقـول زويبون : « توصلت ليبى الى اتفاق مع مائير بأن تكون الزوجـة المتدينـة المطيعـة وأن تبقى بيتهـا مفتـوحا ، على أن لا يضـم اليه الاطفـال » . ولكن مثـل الكثير من الاتفـاقات التى أبرمها كاهانا ، عاد بعد ذلك ونكث بعهده . وقد نشبت مشاجرة حادة بين ليبى وزوجها بعد القاء القبض على ابنها باروخ الذى كان يبلغ عمره ١٢ عاما فى مظاهرة لرابطة الدفاع اليهودى عام ١٩٧١ فى واشنطن من أجل اليهود السوفييت .

وقالت انها ستأخذ أطفالها الى اسرائيل ، واذا لم يلحق بهم ، فستكون هـــذه نهاية علاقاتهما الزوجية . وفى يونيو ١٩٧١ ، انتقلت ليبى والاطفال الى شقة صغيرة متواضعة فى كيريات عترى فى ضاحية غرب القدس . وفى نفس الوقت تقريبا ، قال جوزيف بلوم ، والد ليبى ، لاحد الصحفيين الاسرائيليين أن ابنته كانت مستاءة بسبب خيانات زوجها مائير . وقال ان ليبى « أمرأة كبيرة » انتقلت الى اسرائيل لخوفها على سلامة أطفالها فى أمريكا .

وحتى والدى كاهانا المسنين اللذين أثرت فيهما ســمعة أبنهما الســيئة المتزايدة ، تركا كارهين منزلهما فى بروكلين وانتقلا الى اسرائيل . وفى عشاء وداع لسونيا وشارلز كاهانا أقامه معبد شارلز فى صيف ١٩٧١ ، حرص مائير على الاعلان عن انجازاته ، وراح يوبخ والده بدهاء . وقال مائير مخاطبا جمهــــور والده من المصلين ، وهم نفس الاشخاص الذين كان يسخر منهم وهو شاب بسبب كان يراه فيهم من أنهم يعتنقون يهودية الطبقة المتوسطة التى تؤثر السلامة : « منذ أسبوع مضى كنت أجلس فى السجن الى جوار المجرمين . وكنت أخشى أن اغمض عينى ، وأسأل نفسى ماذا ألم الفتى الطيب من بروكلين ؟ وكيف انتهى به المطاف فى السجن بجوار عامة المجرمين ؟ انك السبب فى ذلك « وأشار مائير الى والده . لقد علمتنى أن أحارب من أجل اليهود . وان الغلطة كلها غلطتك ».

وفى التحليل الاخير ، نجد أن شهوة كاهانا للسلطة هى التى اتت بــــه الى اسرائيل . ويقول زوبيون : « كان يراود مائير حلم واحد يلح عليه منـــذ الطفولة ، وهو رغبته فى أن يكون رئيس وزراء اسرائيل . ولا يمكن للمرء أن ينتخب فى هذا المنصب من بروكلين . وكل ما فعله كاهانا ، كان من اجل هذا الغرض . كان هذا هو طموحه الطاغى المجنون » .

ولكن عندما وصل كاهانا الى اسرائيل فى سبتمبر ١٩٧١ ، كان يبدو أن الفرصة ضئيلة أمام أى سياسى يمينى فى أن يصبح رئيسا للوزراء . فقد كان مناحم بيجين وحزبه اليمينى الصغير ، حيروت فى عداد المنبوذين السياسيين منذ تأسيس الدولة فى ١٩٤٨ . وكان بن جوريون قد جـــرد الارجون وعصابة شيترن من الاسلحة وطارد أعضاءهما فى البرية السياسية أما أعضاء حيروت ، ومعظمهم من قدامى أعضاء المنظمـــات السرية اليمينية ، فقد كان يتم تخطيهم فى الترقى فى الجيش وغيره من المؤسسات التى تديرها الدولة وكان بيجين نفسه يتعرض للازدراء والتحقير العلنى من جانب بن جوريون ، الذى كان حزبــــه (حزب العمل) يسيطر على الحكومة منذ تأسيس الدولة .

وقد رحب اليمين الاسرائيلى ، المتطلع الى الابطال ، بكاهانا باعتباره الرمز العالمى لليهود المشرف الذى يعود للنضال من جديد . وفى أمة مكونة من الناجين

بحياتهم ، لايوجد ماهو اكثر قداسة من الدفاع عن النفس. وبالنسبة لليمين الاسرائيلى ، كانت رابطة الدفاع اليهودى بمثابة تجسيد جديد لجماعة الدفاع عن النفس التى كونها جابوتنسكى فى أوروبا وبالنسبة للبعض كان كاهانا بمثابة التجسيد الحى لجابوتنسكى .

ويقول مايكل كانير ، وهو عضو بالكنيست عن الليكود ورئيس لجنة الهجرة ــ ، والذى اشاد علنا ، عندما كان رئيسا لاتحاد الطلبة الاسرائيليين ، ببطولة كاهانا فى مؤتمر دولى للطلبة اليهود فى تضم الكلمة عام ١٩٦٩ ، مما اثار جـدلا حاميا فى اسرائيل يقول : « من بعيد كان يبدو كاهانا كزعيم حقيقى الزم نفسه بفلسفة جابوتنسكى الانسانية . ونحن فى حيروت كنا مؤيدين تماما لرابطة الدفاع اليهودى » .

وكانت تراود جيئولا كوصية ، أكثر من أى شخص آخر ، آمال عريضـة بالنسبة لمن كانت ترعاه فى أمريكا (كاهانا) . ويقول يسرائيل ميداد ــ مساعد جيئولا للقانون المولود فى أمريكا والذى كان ينسق أنشطة منظمة بيطـار مـع رابطة الدفاع اليهودى فى آواخر الستينات قبل الانتقال الى اسرائيل ــ يقول يسرائيل ميداد : « كانت متحمسة جدا لعودته الى اسرائيل وكانت تنظر اليـه باعتباره الشخص الذى وضع مسألة اليهود السوفييت على الخريطة . وكان هو المقاتل المناهض للمؤسسة اليهودية ، الذى افسد الدبلوماسية الهادئة لجولدا مائير وكانت تعتقد ان حيروت فى حاجة الى شخص مثل كاهانا » .

ووافق بيجين . وأطرى على كاهانا فى داخل اللجنة المركزية لحزب حيروت الذى يتزعمه ، وقدم كاهانا للساحة السياسية الاسرائيلية . ويقول يورى أفنيرى ــ الذى كان عندئذ رئيس حزب صغير على يسار الوسط ، وهـو الان رئيس تحرير المجلة الاسرائيلية هاعولام هازية ــ يقول يورى آفنيرى : « أول مرة قابلت فيها كاهانا ، كان مناحم بيجين يرافقه فى قاعة الطعام فى الكنيست ويقدمه لاعضاء الكنيست الآخرين » .

ويقول كلايز ، الذى كان يقود السيارة لكاهانا فى بعض الاحيان وهـو فى طريقه للاجتماع مع زعيم حيروت : « كان بيجين متحمسا جدا لكاهانا . وكان بيجين يتفق مع كاهانا فى ان اليهود يتعين عليهم أن يقاتلوا من أجل حقوقهم المدنية سواء فى الولايات المتحدة او فى الاتحاد السوفيتى » .

وكان أفضل دليل على شعبية كاهانا هو أن بيجين عرض عليه مقعـدا مضمونا فى حزبه . وقال كاهانا بعد ذلك : « لا أقول أننى وبيجين كنا قريبين ، ولكن كانت تربطنا علاقة طيبة نسبيا . وقد أحببت جهده من أجل الارجون كما أحب جهدى من أجل رابطة الدفاع اليهودى » (كان هذا الى درجة أن بيجين طلب

من كاهانا ان يكتب مقدمة الطبعة الامريكية الثانية لبيان حركته السرية ـ المسمى « الثـورة ») * .

ولكن كاهانا قال انه رفض عرض بيجين خشية أن يضطر الى المساومة على مبادئه . وقال يارى سلوتنيك كاهانا فى نيويورك ومؤيد كاخ : « ذهلنـا عندما رفض كاهانا عرض بيجين ، ولكن مائير طلب منا أن نكون صبورين وأنه سيصبح رئيسا للوزراء يوما ما » .

وتم الترحيب بكاهانا كذلك من جانب الحزب القومى الدينى الذى يرأسه يوسف بورج ، الذى نزل ضيفا فى بيت آل كاهانا عندما كان مائير طفـلا ويقول مصدر مقرب من كاهانا توفرت له معرفة مباشرة بالمفاوضات : « قال كاهانا لرجال الحزب القومى الدينى أنه سينضم الى الحزب اذا توفرت له

---

* كان لرابطة الدفاع اليهودى دور هام فى توزيـع كتـاب كلاسيكى تحريفى آخر مثير للجدل هو (أرض المعركة : حقائق وخيال فى فلسطين) الذى كتبه صمويل كاتز ، رئيس الدعاية السابقة لمنظمة الارجون ، الـذى أصبح بعد ذلك مستشار الصحافة الاجنبية لمعلمه رئيس الوزراء بيجين وتـدور القضية الرئيسية فى هذا الكتاب ، الذى كتب بطريقة فجة ، حول فكرة أن معظم العرب الموجودين فى فلسطين وصلوا اليها عشـية المشروع الصهيونى ولذلك ليست لهم حقوق وطنية . وكتب كاتز يقول « ان استعادة السـيطرة على الارض من حفنة السكان (العرب الموجودين ، لم يخلق أية مشكلة اختيار خلقية بالنسبة للصهاينة » . وقامت رابطة الدفاع اليهودى بشراء خمسة آلاف نسخة من الكتاب بتخفيض كبير من كاتز مباشرة ، وكان قد اشترى ٣٠ الف نسخة من الناشر (بانتام بوكس) . وكتب كاتز الى زويبون يقول أن الطبعـة الاولى بأكملها حجزت « مقدما بواسطة البنك الاسرائيلى ـ البريطانى فى تل ابيب » ، الـذى اقرض المـال ، كضمـان ، لصهيونى يمينى . وبعـد ذلك تم توزيع آلاف من النسخ من كتاب « أرض المعركة » بواسطة السـفارات الاسرائيلية وجماعات الضغط الموالية لاسرائيل . وأرسلت الكمية التى حصلت عليها الرابطة الى منزل فاى لويدز عضو الرابطة فى لونج بيتش ، وتلقى وليام بيول ، رئيس فرع الرابطة فى واشنطن خمسـة آلاف نسخة . وفى نفس الوقت ، اتصل زويبون بمكتبات مختلفة ليتأكد من أنها اشترت الكتـاب . وكتب زويبون الى رئيس أمناء مكتبة اللجنة اليهودية ـ الامريكية فى فبراير ١٩٧٣ يقول : « ان كتاب « أرض المعركة » ملىء بالحقائق وكتب بطريقة تزود القارىء بمقدرة فكرية على محاربة الدعاية العربية فى الولايات المتحدة وبصفة خاصة فى الجامعات انه يحتوى على تحليل للمشكلة من منظور تاريخى يكذب الكثير من الخرافات العربية » .

حرية التعبير عن آرائه والتصويت بوحى من ضميره . ولكن ليس هناك حزب يمكن ان يقبل ذلك النوع من الافتقار الى الانضباط ، ولذلك انهارت المباحثات».

وبعد ذلك،عقدت اجتماعات سرية بين كاهانا وعضوين متطرفين فى الكنيست ينتميان الى الحزب القومى الدينى هما (زيفلون هامر) و (يهودا بن - مائير الذى عرف باسم جيرى مائير سون عندما كان يعيش فى «برونكس»* وبحث (هامر) و (بن - مائير) الانفصال عن الحـــزب القومى الدينى وقيادته القديمة ليشكلا مع كاهانا حزبا دينيا جديدا يركز على بنـــاء المستوطنات وانهارت المباحثات عندما طلب كاهانا أن يراس الحزب ، طبقا لما ذكرته مصادر عديدة .

وكان شئيل تامير ، واحـــدا من اكثر انصـــار كاهانا قـــوة فى اليمين الاسرائيلى وكان ضابطا مرموقا سابقا فى الارجون ويرأس آنئذ حزب الوسط الحر اليمينى الذى كان له مقعد واحد فى الكنيست وكان تامـــير مـــن بـــين السياسيين اليمينيين القلاقل فى اسرائيل الذين ساندوا بصراحة حملة رابطـــة الدفاع اليهودى المستمرة ضد الاتحاد السوفيتى . وقال تامير خلال محادثاته وردت فى مذكرة سرية لمنظمة اللجنة الامريكية اليهودية : « ان الارهاب الحقيقى تمارسه بانتظام السلطات فى الاتحاد السوفيتى ضد اليهود السوفييت » .

واضاف تامير قوله : « ان من واجبنا أن نساعد الى اقصى حد وأؤكد على عبارة اقصى حد ، على وضع حد لهذا الوضع ونساعد على تحـــرير أولئك اليهود . لقد فشلت كل الطرق المألوفة للاعلانات والمؤتمرات . وان أسلوب مضايقة البعثات والممثلين السوفييت هو اسلوب مشروع للتعبير عن الاحتجاج العام . وبهذا الشكل يتعين أن نشجعه . فالسوفييت حاسون بالنسبة للرأى العام فى العالم الحر . وأية محاولة لكشفهم فى هذا المجال تعتبر مفيدة . وأية أدانة لن تخدم اليهود السوفييت كما يجب » .

وكانت رئيسة الوزراء جولدا مائير فاترة ازاء كاهانا ، الذى كانت ترى فيه شخصا أخرق ومغرورا من نيويورك . وكان يوجد فى حزب العمل من يريدون حتى حرمان كاهانا من أن يصبح مواطنا اسرائيليا بموجب قانون العودة مثلما فعلت الدولة مع رجل العصابات ماير لانسكى . وبشكل ما ، كان رد الفعـــل فى اسرائيل ازاء كاهانا يعكس الصراع الذى كان موجودا قبل قيام الدولة بين منظمة الهاجاناه اليسارية ومنظمة الارجون وعصابة شيترن اليمينية ، التى كانت تحاكيها رابطة الدفاع اليهودى . وقد ذكر محـــام مرموق فى القدس وعضو فى حزب حيروت لمسئول فى اللجنة الامريكية اليهودية ســـجل ملاحظاته فى مذكرة

---

* ضاحية فى نيويورك (المترجـــم) .

سرية حصلت عليها « اننا فى غير الوعى ، نذكر ما كان يدور بيننا من نزعات فى الاربعينات . فحكومة العمل تبتعد عن الرابطة ، والاعضاء (اليمينيون) السابقون فى المنظمات السرية والمتعاطفون معهم يميلون ناحيتها » . واضاف المحامى الاسرائيلى أنه طالما لجأ العالم العربى الى الارهاب ، فلابد أن يواجه اليهود ذلك برابطة الدفاع اليهودى . وقال : « لا يمكن أن نكون طيبين دائما . فعندما نعارض شيئا يفعله السوريون يقول العالم الغربى ماذا يمكن أن نفعله بشأن أولئك المجانين ؟ حسنا ، من المفيد اذا ان يكون لدينا بعض المجانين من بيننا حتى لو اقلق ذلك المؤسسة » .

ولما كان دكتور يسرائيل الداد ، وهو من الايديولوجين اليمينيين البارزين ، مقتنعا بالرأى القائل بأن اسرائيل تحتاج الى مجانين خاصين بها ، فانه كان قد كون رأيا فى كاهانا حتى قبل أن ينتقل الى اسرائيل وقد سمع الداد ، الذى كان واضع النظريات الرئيسى لعصابة شيترن ، عن كاهانا لأول مرة من بعض الاقارب فى نيويورك الذين كانوا أعضاء فى رابطة الدفاع اليهودى . وكان الداد يعتبرهم دائما من غير ذوى الاهتمام السياسى . وادهشه أن كاهانا استطاع أن يخرج أقاربه من حالة عدم الاكتراث . وفى ٣ فبراير ١٩٧٠ ، كتب الداد لكاهانا داعيا اياه للحضور الى اسرائيل والانضمام اليه فى حملته لبناء مستوطنات يهودية فى الضفة الغربية . وفى السنة السابقة ، كان الداد قد رفض دعوة للانضمام الى قائمة بيجين لانتخابات الكنيست القادمة ، وبدلا من ذلك شكل حزب أرض اسرائيل . ورغم أن حزب الداد لم يحرز سوى عدة آلاف قليلة من الاصوات وفشل فى الفوز بنسبة الواحد فى المائة اللازمة لدخول الكنيست ، رغم ذلك أيقظت أفكاره الشهوات الكامنة لدى المتطرفين القوميين ، الذين يحلمون مثله بدولة يهودية عظمى تمتد يوما ما من النيل الى الفرات .

وكتب الداد مخاطبا كاهانا بأنه « لحم لحمنا ، ودم دمنا ، وروح روحنا »، وقال : « عن لنا نحن الذين حاربنا معا وقتا طويلا معركة مشتركة من اجل خلاص أرضنا وشعبنا — ان نأتى بك الى هنا لكى نبرهن على أن ... الجبهة القومية اليهودية جبهة واحدة وأن المعركة من اجل وحدة الشعب واستعادة الارض — هى حرب واحدة .

« اننا نود أن نمول زيارتك وان ننظم بعض التجمعات ونقدمك للعامة وان ننظم أيضا مؤتمرا صحفيا ، وبذلك نقوى منظمتك فى الولايات المتحدة من الناحية المعنوية وخلال زيارتك ستتمكن كذلك من مناقشة السبل الاخرى الممكنة للتعاون فيما بيننا . واذا وافقت على ذلك ، ارجو ان ترد علينا على

الفور ، وعندئذ سيتم ترتيب زيارتك لاسرائيل ... مع شرف ومباركة مملكة اسرائيل . دكتور يسرائيل الداد » * .

وبشكل عام ، كان كاهانا مسرورا بما لقيه من ترحيب فى اسرائيل . وكتب الى زوبيون يقول : « ان التجاوب مع رابطة الدفاع اليهودى رائع هنا » . كذلك لقى كاهانا الترحيب من العديد من الخارجين على حزب العمل وبالاخص موشى ديان ، الذى كان يعتقد أن كاهانا سيكون مفيدا فى اقناع اليهود الامريكيين بالهجرة الى اسرائيل . وسيرا على نهج ديان ، قام كاهانا بتأسيس منظمة « حبايتا » وهى منظمة قصيرة العمر كرست لتشجيع « الاليا » ، اى الهجرة الى اسرائيل ، ورأسها دكتور فيكتور راتز ، وهو طبيب أمراض عصبية بريطانى غريب الاطوار كانت اليزابيث تايلور وريتشارد بيرتون من بين مرضاه .

وكان بامكان كاهانا بلا شك أن يحقق نجاحا ملحوظا فى السياسات الاسرائيلية اليمينية لو لم يقف زهوه المفرط بنفسه فى الطريق . فقد كان يفتقد ببساطة الاستعداد لأن يكون لاعبا ضمن فريق . وقد اعتاد ان يكون هو كل شىء فى امريكا ، حيث كان لا يجتذب الاضواء الى شخصية فحسب ، بل كان يتمتع أيضا بقدر من التحرر الذاتى . وكان يعتقد أن مآثره فى أمريكا تخول له مركزا مرموقا فى حزب بيجين ، وليس مركزا فى المستوى المتوسط كالذى عرض عليه . ولم يستسغ كاهانا فكرة أن يحدد له رؤساء الحزب كيف يصوت فى الكنيست او مالذى يقوله للصحافة . ولم تكن لديه النية فى أن ينفق سنوات من عمره فى الكدح داخل اجتماعات لجان حيروت ، يحفر طريقه للصعود على سلم الحزب . وربما كان سلوكه المناهض للمؤسسة اليهودية بمثابة فضيلة فى الولايات المتحدة ، ولكن حيروت ، الذى يضم مناهضى المؤسسة فى اسرائيل ، كان يطالب بالانضباط الحزبى .

وبعد أقل من شهر من وصوله الى اسرائيل ، فتح كاهانا مكتبا لرابطة الدفاع اليهودى فى اسرائيل . وهى الخطوة الأولى نحو تأسيس حزب سياسى

---

* فى ١٩٨٧ ، حصل الداد على جائزة جابوتنسكى وقدرها ١٠٠ الف دولار ، وهى تمنح سنويا للشخص « الذى يرى انه فعل اقصى ما يستطيع للدفاع عن حقوق الشعب اليهودى » ، وذلك طبقا للبيان الذى صدر عن المؤسسة المتمركزة فى نيويورك والمعفاة من الضرائب . وقد منحت الجائزة فى السباق للمبشر المسيحى جيرى فولويل ، ولجين كيركيباتريك السفيرة الامريكية السابقة لدى الامم المتحدة ، وناتان شارانسكى . ويضم المحكمون فى حيازة الجائزة ، اثنين من رؤساء مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الرئيسية السابقين هما موريس ب. ابرام وكينيث ج بيكالكين، وكذلك الاعلامى البريطانى البارز لورد وايدنفيلد .

مستقل . وقد اغضبت هذه الخطوة الداد وجيئولا كوهين التى كانت زميلة لـه فى عصـابة شيترن . وقالت جيولا كوهين باستهجان « اسـمع ، نحن هنا فى اسرائيل . اننا لا نريد رابطة الدفاع اليهودى . فلدينا زاحال » ـ أى الجيش الاسرائيلى ـ لا تنقل الرابطة الى اسرائيل » .

ووعد كاهانا بأنه لا ينوى استخدام رابطة الدفاع اليهودى لدخول الحياة السياسية المحلية . واخـبر مؤيديه الاسرائيليين بانه يريد ان يبدأ فى انشـاء « كيريا » ، اى مركز تعليمى يهودى ، خاص به . وكان يريد أن يعود المتخرجون اليهود الامريكيون من هذا المركز الى الجامعات الامريكية ليشكلوا مجموعات طلابية تجابه الأنشطة اليسارية المناهضة للصهيونية فى الأوساط الاكاديمية . وكان كاهانا قد حصل على ١٠٠ الف دولار من أثرياء نيويورك لانشاء المركز ، الذى كان سيقدم أيضا للشباب الاسرائيلى دروسا فى الايديولوجية الصهيونية . ولما كانت منظمة بيكار قد تفسخت حتى لم تعد اكثر من ناد رياضى فى اسرائيل ، فقد قرر الداد وجيئولا كوهين أن كاهانا هو الخيار الامثل لبناء حركة شبابيـة صهيونية يمنية جديدة وتم تجنيـد الداد نفسـه لكى يدرس مناهج فى التاريخ الصهيـونى .

وفتح كاهانا المركز الشبابى فى فندق صهيونى ، الذى استأجره بأموال اعطاها له أنصاره الامريكيون . وكان المبنى القديم الذى يستعصى على الوصف يقع فى ميدان صهيونى ، فيما كان يعتبر حينئذ قسما قذرا فى وسط مدينـة القدس بالقرب من الحدود التى كانت تفصل الجانبين العـربى واليهـودى للمدينة . وكثيرا ما كان تلامذة كاهانا يطلون من شرفة الفندق ويسخرون مـن العاهرات اللاتى تذرعن الحارات الضيقة جيئة وذهابا .

وكان فندق صهيونى اختبارا موفقا لمدرسة كاهانا ، حيث كانت المنطقة ثرية بتاريخ الحركة التحريفية . فقد القى مناحم بيجين خطابا عنيفا فى حشـد غاضب من شرفة الفندق المطلقة على ميدان صهيونى فى يناير ١٩٥٢ ،حثهم فيه على الاطاحة بالحكومة لقبولها تعويضات الحرب من المانيا . وصاح بيجين قائلا : « سيكون القتال حتى الموت . واليـوم ساعطى الأمـر ـ الدم » . وبعد ذلك هجم بيجين وعدة آلاف من اتباعه على الكنيست وقذفوه بالحجارة والزجاجات واشعلوا النار فى السيارات . وقد فجر خطاب بيجين وما اعقبه من شغب ، موجه من المظاهرات والهجمات الارهابية اليمينية فى انحاء البلاد ، ومن بين ذلك محاولة تفجير وزارة الخارجية الاسرائيلية بواسطة عضو حزب حيروت ، دوف شيلانسكى ، الذى اصبح رئيس الكنيست اليوم* .

---

* قامت مجموعة متطرفة مكونة من يهود متزمتين واعضاء سابقين فى عصابة شيترن بتفجير قواعد للجيش الاسرائيلى للاحتجاج على ادخال المراة الى الجيش وفى اجتماع سرى فى مايو ١٩٥١ قام زعيم المجموعة الحاخام فرانك=

وبعد عقدين من قيام بيجين بالهاب الغضب اليمينى من مكانه فى ميدان صهيونى ، كان كاهانا يستخدم فندقا صهيونيا فى أعداد جيل جديد من المتطرفين الشباب للسير على منوال الارجون وعصابة شيترن وقام كاهانا بتحويل الفندق الى مكان مكتظ بغرف النوم وفصول الدراسة والمكاتب . وقام الداد ، الذى كان يحتفظ بمكتب فى فندق صهيونى لعدة سنوات ، بالتخلى عن المكتب لكاهانا . وكان الطلبة يمضون حوالى ٨ ساعات يوميا فى دراسة الصهيونية والدين . وكان ابن جيئولا كوهين ـ واسمه تزاحى حانجبى ، أصبح فيما بعد مساعدا اداريا لاسحق شامير رئيس الوزراء ويعد الآن عضوا متطرفا بالكنيست فى الليكود ـ كان ابن جيئولا كوهين احد تلامذة كاهانا .

وتم تلقين مجموعة مختارة من تلامذة كاهانا ما هو أكثر من التلمود ومأثورات جابوتنسكى ففى معسكر تدريبى سرى بالقرب من القدس ، تم تدريبهم على التكتيكات الارهابية على يد بعض المقاتلين المعروفين الذين عملوا مع المنظمات السرية قبل تأسيس الدولة . ومن بين أولئك الطلبة الكس شيترنبرج ، وهو يهودى يبلغ من العمر ٢٢ عاما ومولود فى المجر وقد نجا والداه من معسكر الموت فى أو شويتز ، وقد زار كاهانا فى فندق صهيون فى يونيو ١٩٧٢ . ويقول شيترنبرج ، الذى أصبح واحدا من حرس كاهانا الخاص ومدرب (الكاراتيه) الاول لرابطة الدفاع اليهودى فى أمريكا : « كان فندق صهيون اشبه بمعسكر رابطة الدفاع اليهودى فى كاتسكيل . وكان من المفروض ان يستخدم كقاعدة للانطلاق الى الصحراء وتعلم كيفية اطلاق الرشاش عوزى » .

وقد التقى شيترنبرج ، وهو رجل قصير مكتز الجسم قوى البنية ، بكاهانا لاول مرة فى عام ١٩٦٨ عندما كان يعلم الكاراتيه لصبية البيشيفا فى وليامزبيرج . وسمع كاهانا عن براعة شيترنبرج الفائقة ، فطلب منه أن يدرب شباب رابطة الدفاع اليهودى . وانبهر شيترنبرج بنمط الصهيونية الذى يجسده كاهانا . ويقول شيترنبرج : « كان كاهانا يردد كثيرا أن موسى عندما رأى احد الاميرين المصريين يضرب يهوديا ، لم يشكل لجنة

= الذى اصبح بعد ذلك كبير حاخامات القدس ، بالموافقة على خطة لتفجير الكنيست فى ١٤ مايو حيث سيكون منعقدا حينذاك . ولحسن الحظ احبط جهاز الشين بيت ، وهو جهاز الامن الداخلى لاسرائيل ، المؤامرة . وبعد ذلك بعامين ، ادين ١٦ من اعضاء عصابة شيترن السابقين تآمروا للاطاحة بالحكومة ، ادينوا من قبل محكمة عسكرية بسبب القيام بموجة من التفجيرات الارهابية . ولم يتمكن جهاز الشين بيت من استئصال مختلف الجماعات اليمينية المتطرفة الا عام ١٩٥٨ .

من اليهود المصريين المعنيين ، ولكنــه انبرى للمصرى وقتلــه . وباعتبارى احد ابناء الناجين من الهولوكوست ـ فقد كانت رسالة كاهانا هائلة التأثير . وكانت حركة القــوة السوداء تتشكل ، وتساءلت لمــاذا لا توجد ايضا حركة يهودية ؟ ان لنا حقوقا ايضا . وظهر كاهانا فى وقت مناسب تماما فى حياتى » .

غــير أن شيترنبرج تحرر من الوهــم بالنسبة لكاهانا ، الذى كان يبدو ، حسبما رأى شيترنبرج ، أكــثر اهتماما بأن يظهر اسمه فى الصــحف من أن يدافـــع عن اليهود الامريكيين . واستقال شيترنبرج من وظيفة فى رابطــة الدفاع اليهودى فى أمريكا ، وفى يونيــو ١٩٧٢ زار اسرائيل باحثا عــن بداية جديدة فى « أرض الميعاد » . فقد كان ينوى أن يخطط طريقه بعيدا عن كاهانا . غــير أنه كانت هنــاك قــوة ، يتعذر تفسيرها ، تجذبه الى الحاخام المتشدد . وبحزن شديد ، قام شيترنبرج بزيارة معلمه الســابق فى فندق صهيونى . وكان كاهانا سعيدا برؤية شيترنبرج . وكان أكثر سعادة حتى عنــدما ســمع أن شيترنبرج انفصــل علنا عن رابطة الدفاع اليهودى فى أمريكا . فقــد كان ذلك هو أفضل غطاء لمخطط كاهانا الاخير فقــد جنــد كاهانا شيترنبرج لبناء منظمة سرية يهودية ارهابية فى الولايات المتحــدة تتكون من افراد ليست لهم علاقة سابقة مــع رابطة الدفاع اليهودى ويقول شيترنبرج : « قال لى انــه يريد أن يبــــدأ فى تكوين جمــاعة سرية فى أمريكا تستهــدف مختلف المبــانى والمنظمات لنسفها وكانت الاهداف الرئيسية الثلاثة هى : العرب ، النازيين ، الروس » .

وقــدم كاهانا شيترنبرج لــ أميماى « جيرى » باجلين ، رئيس العمليات الذكى لمنظمة الارجون ، وذلك فى اجتماع فى حجرة خلفيــة لمطعم البان كوشريقع فى شارع الملك جورج بالقرب من المعبــد المركزى فى القــدس . وكان باجلين يدرب صــبية لرابطة الدفاع اليهودى سرا عــلى أعمال الارهاب لسنوات عديدة . ويقول شيترنبرج : « عنــدما قابلته ، شعرت بأننى أصافح اسطورة . وأذكر أننى شعرت بهزة نفسية شديدة . فقــــد قرات كثيرا عــن « جيرى » فى كتــاب بيجين (الثورة) ، وهى رواية الــدم والنار لسنوات العمل السرى لبيجــين .

ولــم يبد على باجلين أنه ارهابى متمرس . فقــد كان رجلا متوسط العمر ومتوسط الطول ، عريض المنكبين ولــه بروزٌ فى بطنه (كرش صغير) . وباعتباره أحد رجال الارجون المتطرفين الذين عاشوا فى قلب نيران « الثورة » ، لم يستطعِ باجلين أن يتواءم مــع الحياة المتواضعة فى مصنع المواقــــد الذى تملكه أسرته . وكان انضمامه مع كاهانا بمثابة البحث عن منفذ لطاقته الحبيسة ، وتعبــير عن التزامه (بايديولوجيــة) الحاخام المتشــددة . وليس معنى ذلك أن باجلين لم تكن تحركه الايديولوجية فقــد أخبر شيترنبرج بانه رأى الحماس

الصهيونى يفتر فى اسرائيـل ، لا سيما بين الشباب الذين قال انهم اكثر اهتماما بحيـاة الليل المبهرة فى تل ابيب ، منهم بانتزاع الضفة الغربيـة من العرب . وقال لشيترنبرج ان كاهانا هـو الوريث الطبيعى لجابوتنسكى وبيجين — وان رابطة الدفاع اليهودى سوف ترث الروح القتاليـة لمنظمـة الارجـون . ويقول شيترنبرج « كان يعتقـد أن رابطة الدفاع اليهودى ستذكر نيران الايام الخوالى » .

ومع حديث الرجال الثلاثة الهادىء وهم يتناولون الفطائر ، تذكر شيترنبرج بعض أعمـال باجلين المشينة : تفجير المقر البريطانى فى فنـدق الملك داوود ، والتهريب الجماعى للسجنـاء اليهود من السجن البريطانى فى عكا ، واعـدام اثنين من البريطانيين برتبة رقيب للثأر من شنق اثنين من رجال الارجون . وقد هزت عمليات الاعدام بوجه خاص سلطات الانتداب البريطانى لانها تمت ببرود ومع سبق الاصرار ، مما أسرع برحيل هذه السلطات من فلسطين * .

وقد راود كاهانا الامل فى أن تنتقل كفاءة باجلين القاسية الى اتباعه . ولما احضر العامل اقداح القهوة التركية ، راح كاهانا يشرح الموقف الصعب لرابطـة الدفاع اليهودى فى أمريكا . وقال ان الجناح المتشدد فى الرابطة على حافـة الانهيار . وكان معظم الرجال البارزين فيها اما رهن المحاكمة أو فى السجن او هاربين فى اسرائيل . وأعلن كاهانا أن المطلوب هو منظمة سرية يهودية مدربة بشكل محترف فى أمريكا تذهب الى ما هو ابعد من المظاهرات واعمال العنف التى كانت سمة رابطة الدفاع اليهودى فى الماضى . وتخيل كاهانا جيشا من النخبـة

---

* يصف ج . بويار بيل عملية الاعدام فى كتابه « الارهاب القادم من صهيونى » فيقول : « سحب باجلين غطاء محلى الصنع على رأس الرقيب البريطانى . ثم دفع الرقيب بعنف الى حجرة مجاورة ورفع على كرسى صغير . وتدلى حبل به (عروة) من خطاف فى السقف . ومع ثنى الرسغين والقـدمين تحدث الرقيب لاول مرة قائلا « هل ستشنقوننى ؟ » ولم يرد عليه احد . فقال هل يمكننى ترك رسالة ؟ فقال له باجلين لا يتسع الوقت لذلك . وكانت العروة (الخية) حول رقبته . واشار باجلين فركل احد الرجال الكرسى بعيدا . وتأرجح الجسد الى الامام والى الخلف والخطاف يصدر صريرا من السقف . وكان الصوت الوحيد المسموع هو صوت السيارات البريطانية التى تحاول البحث فى الخارج . وبدأت اصابع الرقيب فى الارتخاء وتلوث بنطلونه بالبول الخارج منه واصـدر باجلين اشارة أخرى ، فتم احضار الرقيب الثانى وتكتيفه وتعليقه ووضعه على الكرسى الخية الثانية حول رقبته ، وبعد اشارة أخرى كان جسده يتأرجح عند نهاية حبل قصير والخطاف يصدر صريره . وبعد ذلك تم تعليق الجسدين فى شجـرة فى حديقة برتقال بعد تلغيمها بالغام مضادة للافراد .

غير المعروفين يقومون بقتل ضحاياهم فى هجمات جيدة التخطيط ودقيقة التنفيذ ثم يختفون فى اليشيفيا والمعابد والضواحى .

وعلى مدى شهرين خلال صيف ١٩٧٢ ، التقى شيترنبرج مع باجلين مرات عديدة اسبوعيا فى مصنع المواقد الذى يملكه باجلين خارج تل ابيب . وبعد خروج العمال من المصنع ، كان باجلين يعلم شيترنبرج اساسيات الارهاب . وخلال احدى هذه الجلسات ، شكا شيترنبرج من عدم كفاءة رابطة الدفاع اليهودى . ويقول شيترنبرج : « كان من المحرج بشكل خاص ان اخبر محترفا بارعا مثل جيرى كم كنا هواة . ولكنه قال لى ان العديد من عمليات الارجون أخفقت ايضا» وحكى جيرى ذات مرة أن الارجون قامت بنسف مبنى فى يافا يستخدمه الفدائيون الفلسطينيون ، مما أدى الى مصرع العديد من العرب الابرياء فى المنطقة لانهم استخدموا كمية كبيرة جدا من الديناميت . وقال شيترنبرج : « لقد جعلنى ذلك أحس بشعور افضل كثيرا بشأن افتقارنا الى الحرفية » .

وذات يوم وصل باجلين الى المصنع وهو يحمل صندوق لبن معبأ بأدوات لصناعة القنابل ، وكانت به أسلاك من أحجام ودرجات سمك مختلفة ، وأجهزة توقيت وفيوزات أو كما قال شيترنبرج : « كافة أنـــواع الاحتياجات اللازمة لتصنيع قنابل ، وهى مواد يمكنك العثور عليها فى معظم محـلات البوية » . واستعرض باجلين ما يمكن عمله بالقنابل بمجرد تجميعها « · وشرح لى كيف أهدم أحد المبانى لينهار كمنزل من الورق بوضع قنبلة بجوار دعامة افقية فى الدور السفلى » ·

وعلم باجلين شيترنبرج كذلك كيف يصنع اجهـزة توقيت من قطـــارة وحامض ، وبرافين ، وعازل لمنع الحمل · وعلى خـــلاف المؤقت المصنع من الساعة ، كان هذا الابتكار الغريب يصعب الوصول اليه اذا أخفقت القنبلة فى الانفجار ففى حالة واحدة على الاقـل تمكـن رجـال الشرطة فى نيويورك من اعتقال أعضاء فى رابطة الدفاع اليهودى عن طريق تعقب جهاز توقيت فى قنبلة لم تنفجر ، وقادهم ذلك الى أحد محلات « راديوشاك »المتخصصة فى الالكترونيات حيث تم شراء الاجـزاء . ويقول شيترنبرج متذكرا : « كانت مناقشـــة كيفيـــة صناعة جهاز التوقيت مضحكة جدا بسبب مشكلة اللغة · فمقابل كلمة عازل جنسى فى العبرية هو كلمة « جامى » وهى تعنى حرفيا مطاط وقد ظل يقول عليك احضار « جامى » واعتقد أنه يعنى بذلك رباطا مطاطيا ولم يخطر لى انه كان يقصد بذلك عازلا لمنع الحمل وقال باجلين صارخا : (اذ كان سنك ٢٣ عاما فلمـــاذا لا تفهم معنى كلمة « جامى » ؟ وبمجرد ان بدأ يشرح فهمت ما يعنى) .

ووضع باجلين كذلك مشروع خطة لجيش سرى فى أمريكا · ويقـــول شيترنبرج « لقد طلب منى أن أبقى على مســـافة بينى وبين رابطة الدفاع اليهودى فى العلن عندما أعود الى أمريكا · وفى نفس الوقت كان المفروض أن أبحث عن شباب يهود لديهم آراء صهيونية يمينية متشددة ، ولكن لا تكـــون

لهم روابط سابقة مع رابطة الدفاع اليهودى . وقال لى انك كالمخـــرج الذى يبحث عن وجه معين ليمثل فى فيلمك « وبمجرد أن عثر شيترنبرج على بغيتــه كانت مهمته أن ينظمهم فى خلايا تتكون كل منها من ٣ أفراد ويضيف شيترنبرج « كان المقرر أن أكون أنا الصلة الوحيدة بين الخلايا . وبهذه الطـــريقة اذا أصبح أحد الصبية مخبرا للحكومة فانه لن يتمكن سوى من التبليغ عنى وعن رجلين آخرين » .

ووضع كاهانا مجموعة من التوجيهات المفصلة لشيترنبرج . اولها أنــه أخبر شيترنبرج بأن يستخدم المعابد والييشيفا الكبيرة كغطاء ، لانها كانت عالما غير واضح لمكتب التحقيقات الفيدرالى ، ناهيك عن كونها كذلك بالنسبة لمعظم اليهود . وقال كاهانا لشيترنبرج : « ارتد معطفا أسود وقبعة ، وأمشى فى أرجاء مكتبه الييشيفا ولن يلتفت اليك أحد » . وقال كاهانا ان مكتبـــات البيشيفا مليئه بأرفف بالية عليها كتب دينية نادرا ما تستخدم — وهى مكان مناسب تماما لتوصيل أية رسالة . وقال كاهانا ان الاكثر أهمية هو الا يتــم تجنيد سوى الشـــباب المتعصب فقط فى الجماعة السرية . فهؤلاء لا يتمكنون فقط من التحرك فى داخل الييشيفا بشكل خفى ، ولكنهم أيضـــا يتمتعون بخصائص كان يعتقد كاهانا أن اليهود العلمانيين يفتقرون اليها غالبا مثل الانضباط الذاتى والارتباط بسلطة أعلى . « وكان كاهانا يعتقد أن الفتى المتعصب اذا ما التزم بشىء فانه سيفعله بحماس دينى » .

وكان كاهانا قد أعد بالفعل الجهة التى ستتولى التمويل للعملية وكذلك طريقة بارعة لنقل التعليمات . فعندما كان شيترنبرج يحتاج للمال أو يريد الاتصال بكاهانا ، كان عليه أن يترك رسالة فى أوران هاكوديش (اى قوس العهد) بالقرب من توراة سيفر فى معبد معين ببروكلين . وكان عليه أن يتلقى المال والرسائل بنفس الطريقة . اما حامل الرسائل فكان رجل أعمال بارز فى نيويورك .

وفى نفس الوقت ، استمر كاهانا فى السفر جيئة وذهابا بين أمريكا واسرائيل خلال خريف وشتاء عام ١٩٧١ ، وهو ينفذ عمليات متزايـــدة العنف ضـــد السوفييت وعلى الرغم من أن الالفة مع شخصية كاهانا بدأت تزيل عنه التكلفة كان مساندو كاهانا السريون فى اسرائيل يعلمون انه لا يوجـــد أحـــد آخـــر إذا مكانة كاهانا يمكنه أن يقوم بمظاهرات يومية فى أمريكا لصالح اليهـــود السوفييت ناهيك عن المخاطرة بامكانية التعـــرض للحكم بالسجن ويقول يسرائيل ميدادــ مساعد جيئولاكوهين زعيمة حزب تحيـــا فى الكنيست : « كان بيجين يريد أن تنشر عناوين رئيسية يومية عن اليهـــود الامريكيين فى الصحف الامريكية وكان كاهانا لا يزال هو افضل شخص لهذه المهمة » .

ولكن بينما كان شامير وجيئولا كوهين وغيرهما يمتدحـــون أعمال العنف التى كانت تقوم بها رابطة الدفاع اليهـودى لاثبات الذات اليهودية فى أمريكا كانـــوا ايضـــا يستشيطون غضـــبا عندما اخــذ كاهانا يطبــق نفس التكتيكات فى داخل اسرائيل . ووعد كاهانا لمناصريه بأن رابطــة الدفــاع اليهــودى الاسرائيلية ستكون منظمة تعليميــة بعيدة عن العنف ، ورغم ذلك تحــولت الرابطة بسرعة الى نسف الكنائس والمكتبات المسيحية فى القــدس ، وتنظيم المظـــاهرات العنيفة ضـد طائفــة العبرانيين الامريكيين الســـود المستوطنين فى ديمونة . وكتب احــد أعضاء رابطة الدفاع اليهودى سمح له بدفع كفـــالة فى أمريكا فهـــرب الى القدس الى زويبـــون فى ١٩٧٢ يقول : « ان الحكومة (الاسرائيلية) مهددة بتصريح حقيقى ... منذ تم نسيان المكتب التبشــيرى الكائن على جبل الزيتــون . فبينما ينزعج العـديد من الاسرائيليين من الاعمـــال المزعومة التى تقـوم بها الرابطة ، يوجــد أولئك الذين يساندونها معنــويا ، وبعض رجال الاعمـــال الذين يقدمون لها مساندة ماليـة كبـيرة . وقد تم انفاق الكثير من الاموال فى شكل كفالات مؤخرا » .

وبعــد اقل من سنة من وصـــول كاهانا الى اسرائيل ، امســك كاهانا بما سيصبح بعــد ذلك شغله الشاغل وهو ــ طرد عرب اسرائيل . ففى أول نوفمبر سنة ١٩٧١ ، قامت رابطة الدفاع اليهــودى الاسرائيلى بأول مظاهرة لها مناهضة للعــرب . وقامت مجموعة من اتباع كاهانا الامريكيين الشـــباب ــ الذين أطلقوا شعورهم ولبســـوا سترات جلدية ســـوداء وبنطلونات جيــنز زرقاء ــ بالاحتكاك بالعرب عند بوابة دمشــق فى المدينــة القديمــة بالقدس ، محذرين اياهم بترك اسرائيل اذا كانوا يريدون البقاء احياء . وكتبت الجيروزاليم بوست فى افتتاحيتها « لا مرحبـا بهم » (رابطة الدفاع اليهــودى) فهم أكثر خطورة على اسرائيل من شبكة كاملة من عملاء فتح ... » . وقال فيرى كوليك عمــدة القــدس فى حديث لمحطة اذاعية بنيويورك « بالنسبة لى ، يعـــتبر الحاخام كاهانا قادما غير مرغوب فيـــه ، ويمكنكم استعادته بأقصى سرعة » .

وفى أواخر سنة ١٩٧١ ، وجه كاهانا روبرت فاين ــ وهـــو احــد مجرمى رابطة الدفاع اليهودى ويعمل بعض الوقت كفتوة لمافيــا نيويورك ــ وجهت الى مهاجمة أهداف منظمة التحرير الفلسطينية فى اوروبا ، وذلك طبقـــا لمـــا ذكره مسئولون سابقون فى الرابطة . وقام فاين ، الذى ترك ليمـــول العملية بنفســـه ، بعمليات ابتزاز تصـــيد خلالها طلبة جامعة بارميـــلان بالقــرب من تل أبيب وعندما هدد احــد الطلبة الاسرائيليين الضـــحايا باللجوء الى الشرطة ، قام فاين بضربه الى حــد استدعى نقله الى المستشفى . والقى القبض على فاين وعلى رجل ثان من رابطة الدفاع اليهودى وانتهى أمرهمـــا الى ستة أشهر فى السجن .

وارسلت جيئولا كوهين خطابا الى زويبون تتوسل اليه فيه أن يحاول السيطرة على كاهانا واتباعه الصغار وقالت فى شكواها « انه سيدمر ما نفعله فى اسرائيل وما نقوم جميعا بعمله فى الولايات المتحدة » .

وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٧٢ ، انتهى العنف المضاد للسوفييت ، الذى ساعدت جيئولا كوهين وعصبتها على تنفيذه قبل ذلك بعامين ، بمأساة فى نهاية الامر . ففى ذلك اليوم أوقعت رابطة الدفاع اليهودى أولى ضحاياها ــ وكانت يهودية . فقد قامت فرقة من شباب رابطة الدفاع اليهودى بنسف مكتب مدير الحفلات الفنية اليهودى سول هاروك فى مانهاتن ، والذى كان يحضر الفنانين السوفييت الى الولايات المتحدة . وقد اختنقت ايريس كونز ، السكرتيرة فى قسم المحاسبة بمكتب هاروك ، ذات الـ ٢٧ عاما ، حتى الموت فى وسط الدخان» . وطبقا لتقرير التشريح ، كانت رئتاها ممتلئتين بالسناج الاسود الممتزج بالمخاط . وخلال ساعات من عملية التفجير ، اتصل متحدث مجهول بأخبار شبكة ان . بى . سى ووكالة اليونايتدبرس انترناشيونال فى نيويورك وزعم تحمله مسئولية العملية باسم رابطة الدفاع اليهودى .

وفى ضوء نزوع رابطة الدفاع اليهودى الى العنف ، كان يبدو أن المأساة لا مفر منها . والى الآن لا يصدق احد فى الرابطة ان أولى ضحايا المجموعة كانت سيدة يهودية عزلاء . وقد شجب كاهانا ، الذى كان فى القدس عندئذ ، عملية التفجير ، رغم انه اعترف عندما سألته فى ١٩٧٩ بأن العملية كانت من اعمال رابطة الدفاع اليهودى . وقال كاهانا : « سألت بيجين ذات مرة عما كان يشعر به عندما علم بمقتل ٣٠ أو ٤٠ يهوديا فى عملية الارجون لنسف فندق الملك داوود . فقال لى بيجين انه شعر بالفزع . وهذا بالضبط هو ما شعرت به بعد عملية تفجير مكتب هاروك » .

وكان زويبون هو الذى اتصل بكاهانا من منزل احد اعضاء الرابطة فى لونج ايلاند ليخبره بموت كونز . ويقول زويبون متذكرا « لقد ذهل ، وكان متضايقا للغاية مثلما كنا جميعا . وقالت له مائير ، ليس لنا دخل بهذا ــ انت وأنا اننا بعيدون تماما عن اى ذنب ولكن علينا ذنب معنوى لأننا نادينا بالعنف وحددنا هاروك كهدف وكان هناك من أستمع الينا . ولن يمكن اقتفاء أثر الموضوع حتى الوصول الينا . لكنها مسئوليتنا الخلقية » .

ويقول زويبون انه حث كاهانا على ان يستغل المأساة لدعم برنامج رابطة الدفاع اليهودى . وحتى الآن ، حسبما يذكر زويبون ، ظل هدف عنف رابطة الدفاع اليهودى هو الفوز بالعناوين الرئيسية وليس حساب الضحايا . ويضيف زويبون : « قلت لمائير ان تفجير مكتب هاروك هو جواز مرورنا الى عالم الأرهاب المظلم . فهو يعزز الصورة التى نحاول أن نعرضها . وكأن الامر كما لو تحقت

اتحدث الى جدار . فقد فأفأ وابتعد كالمخبول . وفى المرة التالية التى رايته فيها شخصيا أقسم الا يستخدم الهواة أبدا فى العنف البدنى » .

ويقول زوييون انه كان ينظر الى موت كونز كأثر جانبى مقبــول ـــ وان كان دميئا ـــ لنضال أكبر من اجل حرية اليهود الســـوفييت . ويضيف « كان والدى منظما نقابيا فى العشرينيات وقد ضرب ، كما كان معه أناس ضربوا كذلك. واخبرنا عندما بدأنا رابطة الدفاع اليهودى أنه عندما نستخدم العنف يصاب بعض الناس . مالذى يعرفه ماثير عن العنف بحق السماء ؟ ومالذى يعرفـــه والده ؟ انهم حاخامات انحدروا من سلالة طويلة من الحاخامات واكثر ما كان يمكنهم عمله من عنف هو أن يغلقوا « الجيموراة » . وعندما حدث أخيرا ما كان لابد أن يحدث ، لم يستطع أن يتحمله .... انه مهيأ لأن يكون زعيما لجماعـــة محربة بقدر ما أنا مهيأ لأكون الرجل الأول الذى يجلس على كوكب بلوتو » .

وكما فعل فى عمليات تفجير أخرى لرابطة الدفاع اليهودى ، يقال أن كاهانا نصح المتورطين فى حادثة هاروك بأن يهربوا الى اسرائيل . وينكر زوييون بشدة أنه ساعد أى شخص له صلة بتفجير مكتب هاروك فى الهرب . ولكن عضــوا سابقا فى رابطة الدفاع اليهودى يقول انه ساعد بعض المتواطئين فى العملية على مغادرة الولايات المتحــدة ، يزعم أن زوييون هو الــذى وضع تفاصيل عملية الهرب ، وسلم المال وتذاكر السفر ، ثم ابتلع الورقة التى كانت تحمل التعليمات مكتوبة . وقد غادر أربعة متهمين على الاقل امريكا بهذه الطريقة وتوجه اثنان منهم الى اسرائيل واثنان آخران الى كندا .

وفى ١٦ يونيو ١٩٧٢ ، ادانت هيئة قضاة فيدرالية فى نيويورك ثلاثة من أعضاء رابطة الدفاع اليهودى بسبب قتل كونز . وانهارت دعوى تبنتها الحكومة أخيرا عندما رفض أحد المتهمين ـــ هو شيلدون سايجل صـــانع القنابل الأول فى الرابطة والذى وافق سرا على التعاون مع الحكومة فى مقابل الحصانة ـــ أن يدلى بشهادته . فتبـــد كشف الآن ديرشويتز ، محامى الدفاع الخاص بسايجل ، أن موكله اجبر على أن يكون مخبرا للشرطة بعد أن اصبحت شخصيته معروفة للسلطات من خلال اجهزة التصنت غير القانونية التى وضعت على تليفونات رابطة الدفاع اليهودى . ودفع ديرشويتز بنجاح بأنه نظرا لأن التصنت ينتهك حقوق سايجل التى يكفلها التعديل الرابع ، الذى يحميه من الضبط أو الاعتقال غير القانونى ، نظرا لذلك تعد كل الدلائل المترتبة عليـــه باطلة . واصبحت حقيقة إعتراف سايجل ـــ طويل القامة النحيف ذى الخمسة والعشرين عاما ـــ بأنه صنع القنبلة التى قتلت كونز وورط أصدقاءه فى المؤامرة ـــ اصبحت هذه الحقيقة غير ذات موضـــوع ، لأن الحكومة لم تعـــد قادرة على اجباره على الشهادة . واسقطت الدعوى أخيرا فى عام ١٩٧٥ ، بعد أن رفض شـــاهدان

يحتملان آخران الادلاء بشهادتهما واخفقت الحكومة فى محاولتها ترحيل اثنين من المشتبه فيهم من اسرائيل .

وكان احدهما هو جيروم زيلر ، الذى قالت صديقته جيتى ماسويكى لوالديها انه زرع القنبلة فى مكتب هاروك ، وأشعل الفتيل ولاذ بالفرار بل انها قالت لهما ان زيلر تاه فى المبنى واضطر الى أن يسأل احد حراس الامن عن كيفية الوصول الى مكتب هاروك . وقد أجبر الوالدان — وهما من الناجين من الهولوكوست — ابنتهما جيتى على تسليم بيان موقع الى مكتب التحقيقات الفيدرالى حول تورط زيلر . ولكن قبيل أن تظهر أمام هيئة محكمة فيدرالية ، قام احد اقاربها بنقلها بالسيارة الى كندا ومن هناك توجهت الى اسرائيل . وعندما وصلت اخيرا الى اسرائيل ، وصفها كل من زيلر وكاهانا بأنها خائنة ورفضا أن تكون لهما أية صلة بها . وانتهى المطاف بجيتى الى أن تعيش فى الشوارع لبعض الوقت بعد ابتعادها عن الرابطة وعن صديقها وعن أسرتها . وفى صيف ١٩٧٣، تعقبها عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالى الى هيرزيليا حيث كانت تقيم ، وحاولوا، دون جدوى ، اقناعها بالعودة طواعية الى الولايات المتحدة للشهادة وتعيش جيتى ماسويكى ، ٣٥ سنة ، الآن فى « شيبسهيدباى » باسمها بعد الزواج .

اما زيلر فقد وجد مأمنه فى بيت نحمان كاهانا ، الذى كان حينئذ مساعدا لوزير الشئون الدينية فى اسرائيل . وقبض عليه بعد ذلك بطلب من الحكومة الامريكية وسجن فى تل أبيب ، ولكنه أفرج عنه بكفالة ١٢٠٠ دولار بينما راح يقاوم ترحيله . وفى ١٥ مايو ١٩٧٣ ، كتب مائير كاهانا الى زوييون طالبا منه أن يرسل الف دولار لمحامى زيلر وقال « اننى أؤكد أن زيلر جزء من قضية هاروك مثله مثل الآخرين ، واود أن ارى النقود قبل أن يترك المحامون القضية ويعود زيلر » وبعد ذلك بعدة أشهر ، أصيب زيلر فى معركة دبابات على مرتفعات الجولان خلال حرب يوم الغفران .

وعندما قدمت الولايات المتحدة طلبا آخر لترحيل زيلر ، كان الرد حسبما ذكر جوزيف جافى ، وهو محام امريكى عمل مدعيا فى القضية : « يمكنكم ان تحبسوا انفاسكم حتى الموت لانكم لن تضعوا ايديكم عليه ، فهو الآن بطل قومى » . وخلال النظر فى طلب الترحيل طلب كاهانا من الحاخام الاكبر أوفادياه يوسف أن يصدر فتوى تحرم على اسرائيل تسليم اليهود لدول اخرى ، مرددا اقوال ابن ميمون . وقام رجل العصابات ماير لانسكى ، الذى طرد من اسرائيل باعتباره غير مرغوب فيه ، بتقديم تبرع مالى كبير لكاهانا الذى اثرت فيه جهوده لحماية اليهود من الترحيل وذلك لكى يستمر كاهانا فى جهده الطيب . ويعيش زيلر الآن مع اسرته فى احدى مستوطنات الضفة الغربية .

وقد هبطت شعبية رابطة الدفاع اليهودى بعد عملية هاروك . . وازدادت الانتقادات لتكتيكات كاهانا ، التى كثيرا ما قوبلت بالتسامح من جانب بعض شرائح الجالية اليهودية الامريكية . ومن السخريات أن الحاخام ديفيد كاهانا ، ابن العم الاول لكاهانا وحاخام معبد « ساتون بليس » الفخم فى الجانب الشرقى بما نهاتن ، هو الذى تراس جنازة كونز ، وقد سمى موتها « بالحصاد المر لمناخ العنف » .

وكان يفجينى يفيتشينكو ، الشاعر السوفيتى الذى خلد عمليات القتل الجماعى لليهود على ايدى النازيين بمدينة كييت فى قصيدته « بابى يار » ، موجودا فى نيويورك فى امسية شعرية عند مقتل كونز . ونظم ، وقد هزته المأساة ، قصيدة اسماها « تنابل من اجل البلالايكة »(*) :

المسكينة ايريس ،
ضحية العصر ،
لقد سقطت
هشة ،
سوداء العينين
فتاة يهودية اختنقت بالدخان
كما لو كانت فى غرفة غاز النازى
انه لصعب أن نتنفس الهواء المسموم
عليكم اللعنة ، ياخدام جهنم
يا من تسعون الى التعايش بين الشعوب
ببناء جسور من الجثث ...

غير أنه ، عندما تخاصم مساندو كاهانا السريون فى الموساد معه أخيرا ، لم يكن ذلك بسبب مقتل ايريس كونز المتسم بالحمق ، أو بسبب سلوكه العنيف فى اسرائيل . فقد تقوضت العلاقة اساسا بسبب مسالة المال ، أو بتحديد اكثر بسبب مزاعم خاصة بان كاهانا اساء التصرف فى الاموال التى خصصت للعمليات الارهابية . ويقول دويتش : « لم تكن للخصومة

(*) آلة موسيقية روسية شهيرة اشبه بالجيتار .

علاقة بسياسات كاهانا فى اسرائيل . ولكن كانت لهـا علاقـة بالمال الذى اعطيناه اياه من اجـل انشـطة محددة » .

وطبقا لدويتش ، وزوبيـون ، ومصادر أخرى لها صـلة بالعملية حصل كاهانا فى أوائل عـام ١٩٧٢ على ٧٠ الف دولار للقيـام بعدد من المظاهرات العنيفـة فى انجلترا وفرنسا وأمريكا الشـمالية . وكانت ذروة هذه المظاهرات ستتم فى كندا ، حيث كان من المقرر ان يرتب كاهانا لاختطاف اليكسى كوسيجن رئيس الوزراء السوفيتى الذى كان سيقوم بزيارة رسـمية لها فى ذلك الصيف ومع ذلك ، لم يتم تنفيذ عمـل واحـد من كل ذلك . ورفض كاهانا أن يعيد المال ، مستخدما اياه بـدلا من ذلك فى تمويل محاولته الاولى الفاشلة فى دخول انتخـابات الكنيست عام ١٩٧٣ ، طبقا لمـا ذكره زوبيـون وآخـرون ممن ساندوا الحاخام المتشـدد فى ذلك الوقت . وفى اجتمـاع عاصف فى ١٢ اغسطس ١٩٧٢ فى جناح دويتش فى هيلتـون تل ابيب ، واجهت جيئولا كوهين وعديدون آخـرون كاهانا بسؤاله عن الأموال . فقال كاهانا فى اصرار : « انفقت كل سنت على التسهيلات ، والمراقبة ، والمرتبات . لقد استأجرت اناسا اكفاء ، وليس خطئى ان المهمة فشلت » .

ويقول دويتش « اسميناه باللص والكذاب . وفى تلك اللحظـة تمنينـا لو انه بقى فى الولايات المتحـدة » .

وبعد الاجتماع بأيام قلائل ، كتب بيسـاح مور ــ احـد اعضاء المجموعة السرية وهو محـام ــ الى زوبيـون شـارحا له ان الخصـومة مع كاهانا يبـدو أنه لا رجعـة فيها . وبدأ الخطـاب كما يلى : « اخشى ان نكـون (أنا وجيئولا) قد قلنـا بعض الالفاظ الخشنة لمائير بشأن موضوعات مختلفة (مدينته ، انشطته ... الخ) ، وقد ترك المناقشـات وهو « حـانق » تماما . وكما تبـدو الامـور الآن ، لا نرى من سبيل يمكن أن نتعـاون معـه من خـلاله بايـة طريقة لا هـو ولا « منظمتـه » .... والنتيجـة هى انـه طالما بقيت الظروف التى شكونا منها ، فاننا لن نسانده بأى شـكل مهما كان (مايلى او غـيره) . وكان بـيرنى (دويتش) حاضرا فى المناقشـة وسـوف يزودك ببعض التفاصيل ، ولكنهـا قصـة طويلة حقـا وأفضـل الا اعالجهـا على الورق .

« اننى لا اسـتطيع بالطبع أن اقـول اين يضعك ذلك شخصيا ازاءنا ، فأنت تعرف خطنا ونشـاطنا ، افكارنا وطرقنا ولك حرية أن تقرر . ومن ناحيتنا نحن ننظـر اليـك كواحـد منا الى الحـد الذى يمكن أن يجعلنا نشـطين ولكن بالطبع لا نريد ان نقحـم انفسـنا فى أمـور تهم مائير وتهمك . ولسوء الحظ ، يا بيرت ، اذا اخـذنا السـنة الماضية كمؤشر ، يبـدو مائير وقد انحرف

بشكل يجعله غير مفيد وعديم التأثير الى حد أن الناس ستنسى ، خلال فترة قصيرة ، ماذا كان » .

واخذ زوبيون جانب مور وجيئولا كوهين . وقال لى زوبيون خلال مقابلة فى مطعم شيرز ، وهو مطعم كوشر فى مانهاتن ، « لقد خان كاهانا كوهين والآخرين منذ البداية . لقد انتهت الاموال الى جيوبه اما لماذا لم تر جيئولا أن الاموال ستخرج ؟ فلأنها مثالية من اسوأ طراز . لقد اربكت ازدواجية كاهانا عقلها . وكانت خبيرة فى الحرب السرية ولكن ليس فى الحكم على الناس . ولكن فى ضوء حقيقة أنه كان مستعدا لتعريض نفسه فى الولايات المتحدة للسجن والاستنكار العام ، فى ضوء ذلك افترضت أنه واحد منا يمكن الثقة فيه . وتضيف جيئولا كوهين الآن قولها « كان مكانه فى الولايات المتحدة للقتال من اجل اليهود ... لقد دمر الانقسام جماعتنا » .

وبغض النظر عن الكيفية التى انفق بها الحاخام العنيد أموالهم ، افلح الحاخام فى وضع قضية اليهود السوفييت فى الصفحات الاولى فى النيويورك تايمز ، وهذا ، حسب قول زوبيون — هو كل ما كان يريده شامير وجيئولا كوهين وغيرهم . وبحلول أواخر عام ۱۹۷۲ ، كانت المؤسسة اليهودية الامريكية ، التى كانت تقلل من شأن المسألة اليهودية السوفيتية ، قد انشأت أجهزة جيدة التمويل للتعامل مع المشكلة . وفى عام ۱۹٦۹ ، وهو العام الذى بدأ فيه كاهانا حملته من اجل اليهود السوفييت ، سمح لأقل من ثلاثة آلاف يهودى بمغادرة الاتحاد السوفيتى . وفى العامين ۱۹۷۲ و ۱۹۷۳ ، هاجر أكثر من ٦٦ الف يهودى سوفيتى . ومن المؤكد أن السوفييت لم يتركوا يهودهم ليرحلوا لارضاء كاهانا ، ولكن لدعم الوفاق الذى كانت تهدده الجماعات اليهودية ومناصروها فى الكونجرس ممن يربطون تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بقضايا حقوق الانسان .

وربما كان أكثر الامثلة تدليلا على تأثير كاهانا ، ما حدث فى عام ۱۹۷۲ عندما دعى زعيم رابطة الدفاع اليهودى للوقوف على مسرح مدينة نيويورك مع سناتور واشنطن هنرى سكوب جاكسون ، الذى كان يقوم بحملة للترشيح للرئاسة عن الحزب الديمقراطى . وقد طلب جاكسون من كاهانا أن ينضم اليه برغم معارضة مستشاريه ، قائلا أنه معجب باهتمام الحاخام باخوانه . وفى وقت سابق من ذلك العام ، فى سبتمبر عام ۱۹۷۲ ، كان جاكسون قد اقترح رابطة المنافع التجارية الامريكية بحقوق الهجرة من الاتحاد السوفيتى وذلك فى خطاب أمام المؤتمر القومى حول اليهود السوفييت . وبعد ذلك شارك فى تبنى تعديل « جاكسون — فانيك » الذى حظر منح وضع

« الدولة الاولى بالرعاية » للدول الاشتراكية التى تقيد الهجرة اليهـــودية . ويشيد بالقانون الان العديد من الزعماء اليهود الامريكيين باعتباره أداة اساسية فى حث الروس على اطلاق سراح أعداد اكبر من اليهود ، وذلك بعد ان كـــان نيكسون وكيسنجر قد عارضاه بشدة باعتباره تهديدا للوفاق . ومن الامور ذات المغزى ، أن المهندس الرئيسى لهذا القانون هو ريتشارد بيرلى ، مساعد جاكسون فى مجلس الشيوخ والذى عمل عن قرب مع منظمة دويتش (الرابطة الدولية) لاعادة توطين اليهود السوفييت ، ويقول العديد من الزعماء اليهود سرا ، ان رابطة الدفاع اليهودى كانت هى الحافز الحقيقى ، مع ذلك ، وراء هذا القانون. أما بالنسبة لجاكسون ، فقد كان يردد كثيرا أن مساندته القوية للحقوق اليهودية قد قويت بعد أن قام بزيارة أحد معسكرات الموت النازية . واعتاد جاكســـون أن يقول لاصدقائه « لن يحدث ثانية أبدا » مرددا الشعار الذى ادخله كاهانا فى القاموس القومى .

الفصل الثامن

رسائل من اسرائيل

فى اغسطس عام ١٩٧٢ ، وزع مائير كاهانا فى كل انحاء مدينة الخليل بالضفة الغربية منشورات تعلن عن خطط لعقد محاكمة صورية لاهالى مدينة الخليل بسبب المذبحة التى راح ضحيتها ما يزيد على ستين يهوديا فيها عام ١٩٢٩ . وانتشرت أمواج الصدمة فى الاراضى العربية التى تحتلها اسرائيل . وبالرغم من أن المحاكمة التى اقترحها كاهانا قد ادانتها حكومة حزب العمل ، كانت هذه المحاكمة — بالنسبة لبعض الفلسطينيين — تنذر بسياسة اسرائيلية جديدة مزعجة. وبالرغم من أن كاهانا كان قد أبعد رسميا وكان يسجن بين الحين والآخر بسبب مضايقاته المزعجة المتزايدة للعرب ، كان باديا أن هناك قدرا لا بأس به من التعاطف نحوه فى بعض الدوائر الحكومية المعينة . وكان كاهانا يحس من ناحيته بأن هناك كراهية عنصرية عميقة للعرب تختفى تحت سطح الحوار العلنى فى اسرائيل . ورأى الحاخام انه يستطيع أن يستغل هذا الغضب الموروث فى القفز الى السلطة .

وقد أعطت مذبحة الاحد عشر رياضيا اسرائيليا التى حدثت فى الدورة الاوليمبية الصيفية عام ١٩٧٢ فى ميونيخ أثر اختطاف الارهابيين الفلسطينيين لهم — اعطت كاهانا فرصة لاختبار نظريته . فقد أثارت المذبحة هستيريا قومية شاملة فى اسرائيل قضت فى رأيه على صورة البلد القوى ، وضربت فى الصميم روح « اليهودى الجديد » المتسم بالكبرياء والتحدى وعدم الخوف من التصدى والتصدى ، رغم كل شىء ، هو ما يمثله كاهانا ورابطة الدفاع اليهودى . اذ لابد من مواجهة الارهاب بالارهاب . وكان كاهانا يردد كثيرا أن الانتقام ليس عملا أهوج أو طائشا ، ولكنه درس فى المنطق السياسى (اقطع أيدى معذبيك قبل أن ينتهى بك الامر الى « أوشفيتز ») .

ولعل من أغرب الاحداث واكثرها اثارة فى هذه المرحلة من مراحل عمله ، ما يدعيه كاهانا من انه خطط لتفجير السفارة الليبية فى بروكسل انتقاما لمذبحة ميونيخ . وكان الليبيون قد أعلنوا على الملأ انهم قد قاموا بتدريب وتمويل مجموعة فدائيى « أيلول الاسود » الفلسطينية التى اقتحمت مقر الرياضيين الاسرائيليين فى ميونيخ . وقد أخبرنى كاهانا أن مجموعة ضاربة من رابطة الدفاع اليهودى كان من المفروض أن تقوم باغتيال دبلوماسيين عرب فى كل انحاء أوروبا وأمريكا بعد تدمير السفارة الليبية فى بروكسل ، ووفقا لتقرير نشر فى اسرائيل أصدر كاهانا أوامره أيضا الى عدد من رجال رابطة الدفاع اليهودى باقتحام

السفارة الليبية فى روما وقتل نصف موظفيها ثم التفاوض بعد ذلك حول رحلة عودة بالطائرة الى اسرائيل باستخدام الرهائن الليبيين للمساومة على ذلك .

ومرة أخرى ، اتجه كاهانا الى « اميحاى باجلين » طلبا للمساعدة . وكان باجلين قد دبر بالفعل بعضا من اكثر عمليات رابطة الدفاع اليهودى تحديا . ففى عام ١٩٧٠ ، تفجرت قنابل باجلين ــ التى خبأها داخل ثلاثة مواقد للغاز وهربها الى عملاء رابطة الدفاع اليهودى فى اوروبا ــ تفجرت هذه القنابل داخل المركز الثقافى السوفيتى فى امستردام . وفى نفس الوقت تقريبا قام بتدبير عملية تفجير سفينة حاويات سوفيتية فى روتردام ، كما أرسل رسالة ناسفة الى السفارة السوفيتية فى لندن ، وقام بتنسيق الهجمات على الفلسطينيين المقيمين فى اوروبا وذلك وفقا لمصادر المخابرات الاوروبية والامريكية . وفى احدى الحوادث خارج محطة قطار فى باريس ، قام رجلان تابعان لرابطة الدفاع اليهودى كان باجلين قد قام بتدريبهما بالقاء حمض على وجه أحد المؤيدين المعروفين لمنظمة التحرير الفلسطينية .

واثر مذبحة ميونيخ ، قام باجلين بعملية اخفاء بارعة لقنابل وبنادق أوتوماتيكية وذخيرة لتهريبها على انها اجزاء قطع غيار أفران مرسلة الى « حاييم شتيرن » وهو صانع اثاث فى نيويورك واحد المؤيدين المتحمسين كاهانا . وكان من المقرر ارسال دفعة أخرى من الاسلحة المخبأة الى « سلومو تيد هار » ممثل حركة بيطار فى بلجيكا .

ولكن الموساد اشتمت الخطة ، وألقى القبض على اثنين من عملاء رابطة الدفاع اليهودى فى ميناء اللد الجوى ، كما ألقى القبض على باجلين بعد ذلك بيومين بتهمة تهريب اسلحة الى الخارج ، كما تم القبض على كاهانا أيضا ولكن اطلق سراحه فى نفس اليوم وفى الاول من أكتوبر عام ١٩٧٢ ، ألقى القبض على كاهانا بتهمة تهريب اسلحة وهو على وشك أن يستقل طائرة الى أمريكا وعندما أطلق سراحه من السجن بكفالة بعد ذلك بخمسة ايام ، أخبر كاهانا الصحفيين انه كان فى طريقه الى الولايات المتحدة لدعم علاقاته بالعامة لمساعدته على انشاء حركة سرية مضادة للارهاب العربى . وبينما هو يعلن أن القاء القبض عليه يرجع الى « الطبيعة الشريرة من جانب دوائر حكومية معينة » اقسم أن يستمر فى حربه ضد الارهاب العربى . كما أعلن أيضا عن خططه لتشكيل حزب سياسى ولخوض الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٧٣ . ذلك أنه كعضو فى الكنيست ، على حد اعتقاده ، سيكون فى مأمن من المحاكمة بالتهم الجنائية التى تنتظره .

ومن المؤكد انه لم يكن من قبيل المصادفة أن يتم القبض على كاهانا عقب خلافه مباشرة مع مسانديه الاسرائيليين الذين كانوا هم أنفسهم اعضاء بارزين فى دوائر مخابرات البلاد . فقد كانوا يساعدون رابطة الدفاع اليهودى فى الماضى ، ولكنهم لم يكونوا ليتركوا كاهانا يعمل على نحو مستقل . ولم تكن اسرائيل

بحاجة الى كاهانا لينتقم لمذبحة رياضييها . فقد كانت لديها كل النية لتلقين منظمة التحرير الفلسطينية درسا بأن الارهاب لعبة يمكن أن يلعبها طرفان وأخذت فرق الموساد الضاربة التى أرسلتها «جولدا مائير» فى تعقب وقتل من قاموا بتنفيذ عملية « أيلول الاسود » من بيروت الى باريس . وقد لخص « بيساح مور » ، أحد المتعاملين السابقين مع كاهانا ، مشاعر الكثير من الاسرائيليين ازاء مأساة ميونيخ فى ذلك الصيف فقال : « اننا هنا اليوم فى حالة نفسية كئيبة بسبب احداث القتل فى ميونيخ ، ويسعى كل من القلب والعقل فى طلب الانتقام » .

وكتب مور الى زويبون يقول : « ولكن كما يقول الفرنسيون : ان الانتقام طبق لابد من تناوله باردا ، وأننى أشاركهم هذا المبدأ ... اننى أقول للناس دائما اننا فى معركة مستمرة من جوانب عدة ولا وقت للتدقيق الزائد وما يسمى بالضعف الانسانى . وفى التحليل النهائى ، تسدى منظمة فتح والروس الينا معروفا أن كليهما يذكراننا (وكثيرون يريدون النسيان) ، بأن السيف لم يأت موعد غماده بعد » .

ولم يكن كاهانا بحاجة الى من يذكره . فقد استمر فى وضع خططه لانشاء حركة سرية يهودية فى أمريكا للعمل بعيدا عن رابطة الدفاع اليهودى ، وذلك دون أن تزعجه مسألة القبض عليه بتهمة تهريب الاسلحة . وقد كتب كاهانا الى زويبون يقول : « ان الحاجة واضحة الى انشاء جماعة دفاعية يهودية محترفة لمحاربة الارهاب العربى والنازى والسوفيتى المتزايد . وقد تحدثت الى « جان أوكان » ، منسقنا السابق ، فى الساحل الغربى (وقد كان يعيش فى ذلك الوقت فى اسرائيل ، وكان على استعداد للعودة الى أمريكا لتكريس وقته بكامله لانشاء ذلك النوع المطلوب من الجماعات) . وأنت فقط وواحد أو اثنان من الناس ستعرفون سبب عودته ، ولن تكون له صلة برابطة الدفاع اليهودى على الاطلاق » .

وفى مقابلة فى بيت آمن فى بروكلين فى أواخر عام ١٩٧٢ ، أطلع اوكان : الكس شتيرنبرج على خطاب من كاهانا فيه تعليمات للاثنين بأن يعملا معا فى موضوع الحركة السرية اليهودية . ويقول شتيرنبرج ، الذى كان قد بدأ بالفعل فى تجنيد الارهابيين المحتملين من خارج صفوف رابطة الدفاع اليهودى ، « لقد صدمت . فلم يكن هناك أحد الى جانب باجلين من المفروض أن يعرف عن ذلك . واستدرت الى جان وقلت : ان بوسعك أن تدبر الأمر كله . اخطر مائير بأننى خارج اللعبة » .

ولم تكن لدى شتيرنبرج ، الذى كان قد احتفل لتوه بعيد ميلاده الثالث والعشرين ، النية لقضاء عيد ميلاده التالى فى مؤسسة اصلاحية للمجرمين المنحرفين . فقبل أشهر قليلة من اجتماعه مع أوكان كان قد تم اخراجه بعنف من الصف بواسطة عناصر الأمن الاسرائيليين لدى صعوده الطائرة فى ميناء اللد الجوى . واخبروا شتيرنبرج بعلمهم باجتماعاته التدريبية مع باجلين وحذروه

من العودة الى اسرائيل . ولحسن حظ شتيرنبرج ، لم يسلم (باجلين) اليه المادة شديدة الانفجار التى تسمى « جيلى نايت » . كما كانت تقضى الخطة ، وكان من المفروض ان يحملها معه فى طريق عودته الى امريكا مخبأة داخل انبوبة معجون أسنان . ويقول شتيرنبرج ، الذى كان قد تم تقديمه للمحاكمة بالفعل فى الولايات المتحدة بتهمة شراء بنادق تحت اسم مستعار وبتهمة التآمر لتفجير احد المبانى ، وبرئت ساحته فى كل مرة ... بدأت أدرك أن الامر يمكن أن ينتهى بى الى السجن . ان ذلك الأمر خطير ، ولكنه ليس مثل ان تكون أحد مقاتلى الأرجون من أجل الحرية ، تلقى خطابا أمام محكمة بريطانية ابان فترة الانتداب .

وفى نوفمبر عام ١٩٧٤ ، تم تقديم باجلين وكاهانا للمحاكمة فى القدس بتهمة محاولة تهريب الأسلحة . وقد دافع « شموئيل تامير » المحامى ، الذى صار فيما بعد وزير العدل الاسرائيلى ابان حكومة بيجين الاولى ، دافع بانهما قد تصرفا بدافع من الوطنية ، ووافق القاضى ، واسرف فى امتداح كاهانا لكفاحه من أجل اليهود السوفييت ، والتزامه ، رغم انحرافه عن الطريق ، بمحاربة الارهاب العربى ، واعلن القاضى « انهما بطبيعة الحال اى (باجلين وكاهانا) لن يلاما على هذه الاهداف وعلى حقيقة أنهما يكرسان حياتهما للعمل فى خدمة جمهور الشعب المريض » . وصدر عليهما حكم بالسجن لمدة عامين مع ايقاف التنفيذ .

ولم يعاقب الارهابى الكبير باجلين على مغامراته الخاطئة مع كاهانا . وفى عام ١٩٧٧ قام « مناحيم بيجين » رئيس الوزراء الذى كان قد انتخب حديثا ، بتعيين باجلين فى منصب هام ، وهو مستشار رئيس الوزراء لشئون مقاومة الارهاب ، وهو منصب ظل يشغله حتى لقى مصرعه فى حادث سيارة عام ١٩٧٩ . وكانت مهمته كتابة تقارير مباشرة لرئيس الوزراء ، وكان المكتب الخاص بمقاومة الارهاب يشبه مجلس الامن القومى فى أمريكا . (وكان أحد خلفاء باجلين كمستشار لمقاومة الارهاب هو « أميرام نير » ، الذى عمل مباشرة مع الكولونيل « أوليفرنورث » و « جون ماكفرلاند » والذى بدأ ثم ساعد فى تنفيذ سياسة حكومة « ريجان » الخاصة بايران ــ الكونترا التى لقيت أسوأ مصير . وقد كان (نير)هو الذى ابتكر خطة شحن اربعة آلاف قذيفة من صواريخ تاو الامريكية الصنع الى أيران واستخدام ارباحها فى تمويل عمليات أمريكا واسرائيل السرية المشتركة) .

وكانت مؤامرة كاهانا التهريب السلاح ، واحدة من ثلاث ، محاكمات له : مثيرة للجدل تورط فيها ابان أول عام ونصف له فى اسرائيل . وفى ابريل عام ١٩٧٣ ، اتهم المحامى العام الاسرائيلى كاهانا ومساعده ، الامريكى المولد ، الملتحى المتلىء « يوئيل ليرنر » بالتحريض على ارسال آلاف من الخطابات الى عرب اسرائيل تحثهم على مغادرة اسرائيل . وكانت الخطابات الموحدة تعرض شراء

ممتلكاتهم ومساعدتهم على الهجرة الى امريكا وقد اخبرنى كاهانا فيما بعد انه تلقى ثلاثة آلاف رد بالموافقة من مجموع سبعة آلاف خطاب أرسلها .

وقد هدد محامى كاهانا ــ وهو « آرون بابو » ، الذى أصبح فى ظل حكم بيجين مديرا لهيئة الاذاعة الاسرائيلية ــ هدد فى تحقيق مبدئى سبق المحاكمة ، باستدعاء كل العرب الثلاثة الآلاف ، الذين اعربوا عن اهتمامهم بمشروع اعادة التوطين ، للادلاء بشهادتهم . كما اكد (بابو) أيضا أنه سوف يثبت أن كاهانا كان يردد فقط العبارات التى صاغها قادة الصهيونية الرئيسية الذين يحبذون أيضا عملية ترحيل السكان (وهى الصياغة المهذبة فى اسرائيل لعملية الطرد الجماعى للسكان العرب) .

وأضاف بابو قائلا : « أنه ، لعلم سيادتكم ، اذا كان هناك شىء يستثير العرب ، فانها قاعة المحكمة هذه التى تم بناؤها فى القدس الشرقية (العربية) وذلك العلم الاسرائيلى الذى يرفرف عليها . ان مايضايق العرب ، ياحضرات القضاة ، ليس كاهانا ، وانما حقيقة أن هناك دولة يهودية » .

وحفظ القاضى القضية « لافتقاد الدليل » .

وقد كان (بابو) ، بالتأكيد ، على صواب حين قال ان فكرة طرد عرب اسرائيل لم تنبع من كاهانا ــ رغم أنه لم تكن هناك سوى قلة تجرؤ على ذكر ذلك علنا ــ حتى جاء كاهانا ونشر الفكرة . و « الترحيل » فكرة قوية كامنة بقدر ماهى مزعجة . وبالنسبة لكاهانا ، يعتبر وجود اغلبية عربية فى « اسرائيل الكبرى » ليس مجرد تصور ظنى ، ولكنه حقيقة سكانية حتمية يمكن اثباتها علميا . وهو يرى أن معدل مواليد العرب المتفجر فى اسرائيل والاراضى المحتلة ، بالاضافة الى الهجرة المتزايدة ليهود اسرائيل الساخطين ، يعنى وجود اغلبية عربية فى « اسرائيل الكبرى » مع بداية القرن القادم مالم يتخذ شخص ما خطوات لحل « المشكلة العربية » .

وفكرة أن تكون اسرائيل خلوا من العرب ، فكرة قديمة قدم الحلم الصهيونى نفسه تقريبا . فآباء اسرائيل الذين اوجدوها ، كانوا يعتقدون اعتقادا ساذجا بأنها يضعون اساس وطن قومى فى « ارض بلا شعب من اجل شعب بلا ارض » . ففى عام ١٩٠٢ ، كتب تيودور هرتزل » روايته (اليوتوبية) المثالية « التينو لاند » عن دولة يهودية ليبرالية مستنيرة فى فلسطين حيث تقوم أقلية عربية بالترحيب باليهود عرفانا بفضلهم فى الاتيان لهم بالعلم والتكنولوجيا الحديثة . وبدلا من ذلك واجه الرواد الصهاينة مجتمعا عربيا أصليا يتشبث أغلبه بالارض بصورة عنيدة . ومنذ الايام الاولى للاستعمار الصهيونى حدثت مصادمات عنيفة متكررة بين المستوطنين اليهود والعرب المحليين . وبحلول عام ١٩٣٠ ، كان القادة الصهاينة قد أدركوا تماما

الخطر السكانى المتمثل فى السكان العرب الكثيرين المعادين لدولة يهودية ستقوم فى المستقبل فى فلسطين ، وفكروا فى صيغ عديدة لحل هذه الشكلة حتى أنهم تفاوضوا لشراء أراضى فى الضفة الغربية لنهر الاردن لاعادة توطين العرب . وصهاينة العمل وهم متأثرون بعملية النقل السكانى فى أوروبا بعد الحرب العالمية الاولى - كانوا يعتقدون بأن الحافز المادى يكفى لاغراء العرب بترك فلسطين . ولم يكن مثيرا للدهشة أن يؤيد الفكرة أيضا بطل كاهانا « زئيف جابوتنسكى » الذى كتب لاحد مؤيديه فى نوفمبر ١٩٣٩ قائلا «يجب أن نصدر التعليمات الى يهود أمريكا لجمع نصف بليون دولار من أجل استيعاب العراق والملكة العربية السعودية لعرب فلسطين . انه ليس هناك خيار : فالعرب لابد أن يفسحوا مكانا لليهود فى أرض اسرائيل . فاذا كان قد أمكن نقل شعوب البلطيق ، فانه من الممكن نقل عرب فلسطين » . وابان حرب الاستقلال الاسرائيلية عام ١٩٤٨ ، تمكن الجيش الاسرائيلى من ابعاد آلاف الفلسطينيين عن ديارهم بالقوة . وهرب مئات الآلاف غيرهم ، واجتث ما يزيد مجموعه على ٧٥٠ ألف فلسطينى من جذورهم وأصبحوا لاجئين . وفى أعقاب الحرب ، قام « ديفيد بن جوريون » بتكوين ما صاريعرف باسم « لجنة الترحيل » وذلك لدراسة وسائل تحديد نسبة السكان العرب بما لا يزيد عن ١٥٪ من عدد السكان اليهود فى اسرائيل .

وقد ذكر بن جوريون للوكالة اليهودية : « اننى مع الترحيل الاجبارى ولا أرى فى ذلك شيئا غير خلقى » . غير أنه لأسباب تكتيكية لم يعلن بن جوريون عن آرائه هذه أبدا ، ولم يضعها موضع التنفيذ .

وفى ايام الاضطرابات التى أعقبت حرب الأيام الستة ، عام ١٩٦٧ ، ناقش مجلس الوزراء الاسرائيلى وسائل عديدة من أجل تخليص اسرائيل من اللاجئين الفلسطينيين الذين آلوا اليها حينما ابتلعت قطاع غزة والضفة الغربية وقد حبذ « مناحيم بيجين » ، عضو مجلس الوزراء حينذاك ، تدمير مخيمات اللاجئين ونقل السكان المقيمين فيها الى سيناء ، وذلك وفقا لما جاء فى اليوميات الخاصة التى كتبها « ياكوف هرتزوج » ، الذى كان حينذاك مديرا عاما لمكتب رئيس الوزراء . ونادى وزير المالية ، « بنحاس سابير » ، يؤيد وزير الخارجية « أبا ايبان » ، باعادة توطين اللاجئين فى البلاد العربية القريبة . واقترح « ايجال آلون » نائب رئيس الوزراء الاسرائيلى بأن يتم نقل اللاجئين الفلسطينيين جميعهم الى صحراء سيناء ، وأن يتم اقناع بقية الفلسطينيين فى اسرائيل بالانتقال الى الخارج . ووفقا لما جاء فى مذكرات ياكوف هرتزوج ، قال آلون : « اننا لا نفعل الكثير وسط العرب من أجل تشجيعهم على الهجرة » . وبعد حرب الأيام الستة مباشرة ، أنشأت الحكومة الاسرائيلية وحدة سرية تمد العرب الراغبين فى الهجرة من اسرائيل

بالمساعدات المالية . وانتقل مئات اللاجئين الفلسطينيين الى مزارع وبيوت اشترتها الوحدة السرية الاسرائيلية في باراجواى والبرازيل وليبيا (*)

وعلى هذا نرى ان كاهانا حينما أعلن لاول مرة عن خططه لترحيل عرب اسرائيل ، لم يكن بعيدا عن الخط الفكرى الصهيونى الرئيسى -بالرغم من انه كان بعيدا عن هذا الخط بصورة واضحة . « فالترحيل» كان من المفروض تشجيعه فى هدوء أو تحت ستار حرب عامة ، ولا ينبغى مناقشته علنا ، حتى لا يؤدى الى الاضرار بصورة اسرائيل فى الخارج .

وقد كشف كاهانا النقاب عن خطته الأصلية لتخليص اسرائيل من العرب الموجودين فيها ، فى مؤتمر صحفى فى الأول من مارس عام ١٩٧٣ ، فى تل أبيب . وانضم اليه « وليم بيرل » ، رئيس احدى المؤسسات الهيكلية التابعة لرابطة الدفاع اليهودى والمسماة « آفاق جديدة » التى تأسست فى الولايات المتحدة لتمويل المشروع المكلف لنقل عرب اسرائيل الى أمريكا . وقد صرح بيرل للصحفيين بأن الفكرة تقضى ببيع حصص من أسهم المؤسسة التى يساوى كل منها دولارين ، وتخصيص هذه الأموال لشراء ممتلكات المهاجرين العرب المتوقعين . ويمكن للعرب أن يأخذوا أرباحهم ويعاد توطينهم فى أمريكا .

وفى ذلك الوقت كان بيرل ـ وهو أحد التحريفيين القليلين الذين يحظون باحترام كبير ـ كان لا يزال يؤيد كاهانا علنا . وكان بيرل ، بصفته احد المشاركين فى رئاسة المنظمة الصهيونية التحريفية فى فيينا عام ١٩٣٩ ، وقد ساعد على انقاذ ما يقرب من ثمانية عشر الف يهودى من أوروبا النازية . . . كادت مفاوضاته الجسورة وجها لوجه مع « أدولف ايخمان » تؤدى الى اعتقاله بأحد معسكرات الموت النازية . وبعد هربه فى أوروبا على بعد خطوة واحدة من أيدى « الجستابو » ، التحق بجيش الولايات المتحدة ثم عين فيما بعد فى وظيفة بالمخابرات العسكرية فى أوروبا . وفى عام ١٩٤٥ ، وبصفته مساعدا خاصا للمدعى الامريكى بلجنة جرائم الحرب فى ألمانيا ، كان بيرل الذى صار حينذاك ضابطا برتبة مقدم ، أحد المحققين العسكريين المعينين للتحقيق فى مقتل أسرى الحرب الامريكيين على يد احدى وحدات فرق العاصفة الالمانية فى (ماليدى) ببلجيكا . وقد اتهم بيرل من قبل أسرى الحرب الالمان باستخدام وسائل التعذيب والقتل لانتزاع الاعترافات . وبالرغم مما أحاط

---

* مناقشات مجلس الوزراء الاسرائيلى عام ١٩٦٧ حول ما يجب عمله بشأن العرب الذين هزموا مؤخرا ، تم كشف النقاب عنها فى صحيفه الواشنطون بوست بواسطة يوسى مليمان ودان رافيف .

هذه المزاعم من العلانية لم توجه اليه أيه تهم رسمية عسكرية . وقد ترك بيرل العمل العسكرى فى الولايات المتحدة عام ١٩٥٨ بعد ان وجد وظيفة اخصائى نفسى فى الجامعات الامريكية وجامعة جورج واشنطون . وبوصفه اخصائيا فى تزييف المعلومات والحرب النفسية ، أصبح بيرل رئيس فرع رابطة الدفاع اليهودى فى واشنطون العاصمة عام ١٩٧١ ، ثم الرئيس القومى لرابطة الدفاع اليهودى عامى ١٩٧٣ ، ١٩٧٤(*) .

وقام بيرل وكاهانا بتجنيد « عمانويل حورى » ، وهو عربى اسرائيلى كان احد عملاء الهاجاناه ابان حرب الاستقلال الاسرائيلية ، للسفر الى الولايات المتحدة ليكون متحدثا باسم «آفاق جديدة» . وقد كتب كاهانا الى عضو بمجلس ادارة رابطة الدفاع اليهودى يقول « لقد كتبت الى « ديف فيش » ، المدير القومى لرابطة الدفاع اليهودى عن حورى العربى القادم الى أمريكا » . وأضاف أن « آفاق جديدة » تعتزم شراء أراضى عربية وستكون وسيلة فعالة لتحقيق الربح ، ولكن الحكومة الاسرائيلية رفضت اصدار جواز سفر لحورى ، وعندما بذل مساعيه بنجاح فى المحكمة من اجل الحصول على جواز السفر ، رفض القنصل الامريكى منحه التأشيرة اللازمة .

ومما زاد الأمر سوءا ، أن مجلس ادارة رابطة الدفاع اليهودى أبدى القليل من الحماس تجاه « آفاق جديدة » وكتب كاهانا الى عضو أمريكى برابطة الدفاع اليهودى يقول : « ان رفض مجلس ادارة رابطة الدفاع اليهودى التغلب على عدم كفاءتها وأن تكلل مشروع هجرة ذلك العربى بالنجاح عذر لا يمكن قبوله

(*) كان بيرل استاذا فى تزييف المعلومات والحيل القذرة فى رابطة الدفاع اليهودى . فعلى سبيل المثال كان من بين أفكاره وضع ملصقات فى الحانات المكشوفة والاستراحات المنتشرة بمدينة واشنطون تعلن عن رقم تليفون السفارة السوفيتية كأحد خدمات تسهيل الدعارة ، وكانت السفارة تتلقى سيلا من المكالمات التى تشغل خطها لشهور . وقد صرح رفائيل ابن بيرل « ان أعضاء مدينة نيويورك كانوا يقومون بدور الفدائيين بينما كنا نقوم نحن بالدعاية » . وفى السنوات الاخيرة ساعد وليم بيرل على تكوين جماعة « الامريكيون من اجل اسرائيل آمنة » وهى جماعة يمينية مؤيدة . لاسرائيل ، وكذلك جماعة « كاميرا » ، وهى جماعة من كلاب الحراسة فى وسائل الاعلام بالشرق الاوسط لها صلات وثيقة بالسفارة الاسرائيلية فى واشنطون و « بالايباك » ، وهو اللوبى الاكثر قوة فى تأييد اسرائيل بأمريكا . وقد الف بيرل كتابا باسم « مؤامرة المحرقة » نشر عام ١٩٨٩ بمطبعة شابوليسكى ، وكتب مقدمته السناتور الامريكى (كليبورن بل) رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى .

محسب ولكنه أمر ستتحمله ضمائرهم فى السنوات القادمة ... وآمل أن يتبينوا مأساوية افعالهم وماهم عليه فى النهاية من قصر نظر ، شأنهم فى ذلك شأن المؤسسة اليهودية التى نعمل على مهاجمتها بمثل هذا الحماس » .

وبعد اشهر قليلة من كشفه النقاب عن خطته لترحيل العرب فى تل أبيب ، اصدر كاهانا اوامره الى اتباعه لزيادة أعمال العنف داخل أمريكا . وفى السابع عشر من مايو عام ١٩٧٣ ، كتب كاهانا من مكتبه فى القدس الخطاب التالى الى أحد رفاقه فى نيويورك :

عزيزى جوش : اننا اذا لم نستطع أن نجد بعض اليهود المستعدين لتفجير السفارة العراقية فى واشنطن .. واذا لم نكن قادرين على تجنيد شخص ما لاطلاق الرصاص على أحد الدبلوماسيين الروس (أى واحد) ، فاننا نكون خنازير يهودية ونستحق ما يحدث لنا .

« ملحوظة : بوسعك أن تحاول الحصول على نقود من « جوالستر » ، و « حاييم شتيرن » ... الخ : لا تذهب ولكن ارسل شخصا ما تثق به ومعه هذا الخطاب ـــ ثم أحرقه » .

وفى خطاب آخر حدد كاهانا خطته لافساد الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كالتالى « لابد من بذل الجهود الممكنة للحيلولة دون اتمام رحلة بريجنيف الى امريكا او لافسادها . ذلك أن الزيارة الناجحة ستجعل من الوفاق أمرا لا يمكن ايقافه ، وفى هذه الحالة سينقلب الروس على يهودهم .. واننى اقترح عملية اختطاف فورية ، أواطلاقا للرصاص على أحد الدبلوماسيين » .

وقد قام كاهانا بتحديد الدبلوماسى السوفيتى وعنوانه فى فرجينيا وطراز سيارته وجهة وسنة الصناعة وأرقام لوحتها المعدنية .

واصدر كاهانا اوامره الى عضو برابطة الدفاع اليهودي بأن يضع قنبلة فى مكاتب شركة « أوكسيدنتال بتروليوم » وذلك لتحذير « ارمان هامر » وغيره من التعامل مع الروس ، وان يضع قنبلة كذلك فى بنك « تشيس مانهاتن » وذلك لقيام « ديفيد روكفلر » بافتتاح بنك فى موسكو .

وامر كاهانا ايضا بالقيام بشن هجوم بالرصاص على السفارة السوفيتية فى واشنطون . كما أصدر تعليماته الى طالبة يهودية امريكية بالمدرسة الثانوية العليا تنتمى لرابطة الدفاع اليهودى بأن تقنع مدرسها بدعوة أحد الدبلوماسيين السوفييت للحديث الى طلاب فصلها حتى يتسنى لرابطة الدفاع اليهودى القيام باغتياله . وحذرها كاهانا قائلا :

« ان ذلك امر ملح من أجل وجـود .. اليهود ، والا لمـا طلبت اليك المخاطرة بهذه الاشـياء . وبعـد أن يتم كل شيء ، أنتظـرى سـماع نشرة الاخبار ، ماذا لم يكن قد قتل برىء ، فاتصـلى بالصحف تليفونيا » .

ولم تصل هذه الخطابات ابدا الى من وجهت اليهم . فقد حالت الرقابة العسكرية الاسرائيلية دون ذلـك . وفى السابق من يونيو عام ١٩٧٣ ، القى القبض على كاهانا لتآمـره لارتكاب اعمال عنف فى بلـد اجنبى ولمحاولته الاضرار بالعلاقات بين الولايات المتحـدة واسرائيل . وبعد محاكمة طويلة مملة ومكلفة ، أودين كاهانا ــ وصدر ضده حـكم آخر بالسـجن مع ايقـاف التنفيذ . ووفقا لسجلات المحكمة ، قال القاضى « ياكوف بازاك » : انـه شك فى جدية نية كاهانا الجنائيـة لان الحاخام ارسل الخطابات بالبريـد العادى ودون ان يستخدم اى شكل من أشكال الشفرة . ويبدو أن ذلك كـان اقرب ما يكون الى الاندفاع العاطفى المثير للضجة منه الى الخطة السريـة الفعلية ، وكما ذكر بازاك .

وبينما كانت نشاطات كاهانا فى اسرائيل تحتـل العناوين الرئيسية ، كانت الفضيحة تعصف برابطة الدفاع اليهودى فى أمريكا . ففى عام ١٩٧٢ ، طفت على السطح دعاوى بأن كاهانا يستولى على الأموال المخصصة لمدرسة رابطـة الدفاع اليهودى فى فنـدق « صهيون » ويستخدمها لتمويل حملته من اجـل الفـوز بعضوية الكنيست . وقد صرح مسـئول فى رابطـة الدفاع اليهودى لصحيفة « النيويورك بوسـت » فى ذهـول بقـوله : « عنـدما وصلت الى القدس .. اكتشفت ان المدرسة كانت مقرا انتخابيا لكاهانا . فلنواجه الامر ، ان الرجـل دجـال » .

وعلى امل توجيه الصراع وجهـة اخـرى ، كتب كاهانا الى « مورای ولـ ون » احـد رجال الاعمال الاثرياء فى نيويورك ، واحـد العناصـر النشـطة فى رابطة الدفاع اليهودى والذى امده بخمسين الف دولار من اجـل المدرسة ، يقول : « عملنا حثيثا فى هـذا الربيع وهذا الصيف ــ وبحد أدنى من المساعدة ــ من اجل وضـع احسن البرامج الصـيفية التى حظيت بهـا اسرائيل على الاطلاق . فاذا كنت قـد اصبت بالاحبـاط ، فأخبرنى الآن حتى ادرى كيف أتصرف . ان هذه المدرسة سيتخرج منها قادة يهود على النحـو الذى نريده » . وارسل كاهانا الى ولسـون شـيكا مصرفيا ملغيـا قيمتـه ثلاثة آلاف دولار مسحوبا على حسابه المصرفى الشخصى المخصص من اجـل المدرسة ــ وهو مبلغ كتب كاهانا يقول انه يمثـل « مجـموع مدخراتـه الشخصية » .

ولكن المدرسة سرعان ما انهارت وباع كاهانا عقد ايجار فندق صـهيون مقابل ربح فاحش . وأراد ولسـون محاكمة كاهانا أمام محكمة يهودية دينية بدعوى

استخدام الاموال فى غير الاغراض المخصصة لها ، ولكنه يقول أن التصويت قد خذله من جانب مجلس ادارة رابطة الدفاع اليهودى بأربعة اصوات مقابل ثلاثة . ويضيف « انهم لم يكونوا يريدون منا أن ننشر غسيلنا القذر على الملأ » .

وعلى اثر الفضيحة — ووجود ادعاءات جديدة بانه قد وضع فى جيبه سبعين الاف دولار خصصت لعمليات رابطة الدفاع اليهودى الارهابية — أرسل زويبون الى كاهانا خطابا لاذعا يتهمه فيه باستغلال المولين البارزين لرابطة الدفاع اليهودى ، جاء فيه بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٧٢ « هل هناك ما يدعونا الى تنفير الاصدقاء .. ؟ وهل يجب أن نكون من المفظاظة بحيث نكون دائما وحدنا ؟ » .

لأول مرة فى تاريخ الجماعة القصيرة بدأ مجلس ادارة رابطة الدفاع اليهودى يفحص بدقة كيفية استخدام كاهانا للأموال . وكان كاهانا دائما يتمتع بحرية التصرف فى استخدام أموال رابطة الدفاع اليهودى على النحو الذى يراه ملائما . وعلى أية حال ، لم يجد المجلس وسيلة لمعرفة كيفية جمع كاهانا للأموال وكيفية انفاقه لها ، لأن جميع كبار المولين المؤيدين كانوا يتعاملون مباشرة معه . وكتب زويبون الى كاهانا يقول متسائلا « هل تريد رابطة الدفاع اليهودى أن تنجز شيئا ؟ ، تذكر أن كل اتصال كانت تقوم به رابطة الدفاع اليهودى ، سواء من أجل المال أو فى الوكالة اليهودية ، كنت تحتفظ به لنفسك . ولم يكن أحد يطلع على الاتصالات التى تتم فى الاجتماعات . أن كل الخيوط فى يديك » .

وقدر (زويبون) أن كاهانا قد جمع ما يقرب من عشرة ملايين دولار مع حلول عام ١٩٧٢ . ومع ذلك لم يكن يتوفر أبدا لرابطة الدفاع اليهودى ما يكفى من مال لدفع أجور المحامين وأجور الطباعة ، وكانت دائما تتأخر فى سداد الايجار . ولم يكن هناك ما أثار غضب زويبون أكثر من اصرار كاهانا على الأموال المعفاة من الضرائب التى تم جمعها تحت أستار عديدة هى أموال له يستخدمها دون مراعاة لأية احتياجات ملحة أخرى . وقبل ذهابه الى اسرائيل عام ١٩٧١ بوقت قصير ذهب كاهانا الى مكتب زويبون القانونى رقم ٢٢ غرب بشارع ٤٠ فى مانهاتن ، وطلب الحصول على خمسة الآف دولار كان قد احتفظ بها فى حساب شخصى . وكانت النقود قد جمعت من أجل دفع الغرامات المتوقعة على اثنين من أعضاء رابطة الدفاع اليهودى كانا قد أدينا فى عملية تفجير مكتب « أنتورج » عام ١٩٧٠ . وكان كاهانا الذين ادين بتهمة القاء القنابل قد دفع غرامته من التبرعات لرابطة الدفاع اليهودى وتساءل زويبون « كيف سأتصرف لاخراجهم من السجن عند القاء القبض عليهم لعد ،

دفع الغرامات » ؟ وأضاف زويبون أن كاهانا أجاب بقوله : « فلنجمع أموالا اضافية » ·

وفي مثال آخر ، أصدر كاهانا تعليماته الى « نانسى هير شكوفيتز » ـ تلك السيدة الصغيرة السن التي حاولت السفر بالطائرة الى لنـــدن ومعها بنادق وقنابل ، في محاولة (دون كيشوتيه) لاغتيــال الارهابية الفلسطينية « ليلى خالد » ، ـ أصدر كاهانا تعليماته الى نانسى هير شكوفيتز بالهـرب الى اسرائيل بعد اطلاق سراحها من السجن بكفالة · وكالعادة ، أبدى كاهانا القليل من الاكتراث تجاه رد النقود لأولئك الذين دفعوا كفالة لها وقدرها خمسون ألف دولار ·

وكتب زويبون الى كاهانا يقول :

« انها مسئوليتنا أن نقوم بتنمية العلاقات مع الناس الذين لا يمدون بالضرورة رابطة الدفاع اليهودى بالنقود ولكنهم على استعداد لدفع الكفــالة ان رجالنا لابد أن يعرفوا أنهم لن ينتظروا طويلا وراء قضبان السجن حتى يتم دفع الكفالة لهم انهم اذا لم يتأكدوا من ذلك ، فسيكون تعويضهم لهــذا الموقف تصرفا اجراميا . أتقول انك ستفعل ذلك ؟ أن حقيقة الامر هى أن كل النقود التي يبعث بها أى شخص ، بدءا من براديش وانتهاء بولسون ، لـم تكن تستخدم بل كان يســاء استخدامها . ولم يكن هناك حتى مجـرد ذكـر الواجب الخلقى بتسديد الديون الناجمة عنالأضرار التى ترتبت على هـروب نانسى · اننا بهذه الطريقة نعزل انفسنا عن كل مصدر مالى متاح ·اننـــا نحصل من كل هؤلاء على فائدة صغيرة مؤقتة ، ولا تفقدهم وحدهم فقط وانما نفقد المحيطين بهم أيضا · ان القائمة حافلة وتضاف اليها المجمـــوعة المدرسية « لفندق صهيون » ·

وقد كان كاهانا يغمط حقوق المحامين الذين يتولون قضايا رابطة الدفاع اليهودى وغالبا ما كانوا يتقاضون القليل من الاتعاب أو لا يتقاضون شيئا على الاطلاق · وذات مرة كتب كاهانا خطابا مثيرا للاشمئزاز الى « ناتان لوين » احد المحامين البارزين في واشنطون « والذى يضم زبائنه الآن ادوين ميس النائب العام الأمريكى السابق) يتهمه فيه بأنه يظهر « عدم الاهتمام اللازم » بقضية أفراهام هير شكوفيتز ، الذين أدين في قضية خرق قانون الأسلحة وحيازة جـواز سفر مزور تلك القضية كان يترافع فيها لوين مقابــل أتعاب مخفضة ·

وعلى عكس الكثيرين غيره ، لم يخش لوين من كاهانا وكتب اليه بلهجة لاذعةيوبخه بشكل يعكس بصــيرة نافذة في الكيفية التى كان يديرها كاهانا عمله فى رابطة الدفاع اليهودى ، يقول : « انك نسيت اننى بسبب الاجــراءات

التى اتخذت فى المحكمة الفيدرالية لمنطقة « بروكلين » الخاصة بالتصنت على الاتصالات السلكية ، استطعت التوصل الى مذكرات ونسخ من المحادثات التى كانت لديك حـــول ما يدور عبر هواتف رابطـــة الدفاع اليهودى ابان الفترة الزمنية التى أعقبت القبض على افراهام ، وقد استطعت ان أجد فى تلـك الصفحات الكثيرة مناقشة قصيرة ثمينة من جانبك او محاولات من جانبك لكى تعرف أنه (أفراهام) كان بالفعل ممثلا على الوجه الصحيح فى التهم الموجهة ضده، وكان مبعث قلقك فى ذلك الوقت هو أن يكون هناك المزيد من التورط فى الاحاديث .

« اننى اطلب منك الآن أن تفكر فى أثر سلوكك على مستقبل افراهـــام هير شكوفيتز . واستطيع أن أخبرك أن سلوكك كان يتراوح ما بين ابدائك الملاحظات عقب المحاكمة أمام القاضى « وينشتين » ، ودعوتك لتسليح اليهـــود فى شرق فلاتبوش وتهديداتك فى اسرائيل بقتـــل الدبلوماسيين السوفييت اذا لحق الضرر بأى يهودى فى الاتحاد السوفيتى ، كما تضمن أى تورط قد انزلقت اليه فى عملية اطـــلاق الرصاص فى مقـــر البعثة السوفيتية ، كل هذه الاعمال جعلت من الصـــعوبة بمكان اطلاق سراح افراهام هير شكوفيتز من الســـجن قبل يوليو الماضى واننى أسألك عما اذا كنت تتوقع أن يصدق أى انســـان عاقل انك تكن مشاعر صادقة للغاية « لافراهام » بينما تصرفاتك فى الحقيقة كانت تضيف باستمرار أقفالا الى أقفال زنزانته فى السجن ..

لقد قمت بالترافع عنك — دون أجر — وكالعادة دون حتى كلمة شـــكر فى قضية أقيمت عليك هنا فى منطقة كولومبيا حينمـــا القى القبض عليك أمام السفارة السوفيتية ولتكن على يقين تماما من أن خطابك الذى أرسلته لى فى الثامن والعشرين من أكتوبر قد اقتنعنى بالا أقع فى هذا الخطأ مرة اخرى .

« ان خطابك أيضا يؤكد أسوأ المخاوف التى كانت لدى حول كيفية ادارة رابطة الدفاع اليهودى ، واننى اجد فى ذلك على وجه الخصوص أمرا يدعو للاسف لانى كنت أكن بعض الحب والتقدير « لبيرت زويبون » الذى اعتقـــد أنه شخص حساس وعاقل » ❋ .

ولم يكن هناك من أضير من كاهانا أكثر من زويبون الذى راح ضحية الحظ العاثر لرابطة الدفاع اليهودى . لقد كانت بين الرجلين علاقة مركبة تشبه كثيرا علاقة المنافسة بين الاقارب . وكانت خلفيتهما ثابتة عند الطرفين المتقابلين

❋ من المفارقات أن لوين يقوم حاليـــا بالترافع عن كاهانا فى محاولتـــه استرداد جنسيته الامريكية التى تنازل عنها طوعا عشية انتخابات الكنيست عام ١٩٨٨ ولا يقوم لوين بالرد على المكالمات التليفونية المتكررة للتعليق .

لتجربة اليهود الامريكيين . فقد كان كاهانا ابنا طموحا لحاخام متشدد تربى على احساس بهدف الخلاص . ونشأ زوييون فى الجانب الشرقى السفلى من مانهاتن كطفل لماح يقضى فى جمع الاموال وقتا اطول مما يقضى فى الدراسة . وكان أبوه مسئولا فى الحزب الشيوعى الامريكى ثم فصل هو (جاى لافستون) ومنشقون آخرون نتيجة لنزاع حزبى عام ١٩٢٨ . واصبح زوييون الكبير ، شأنه شأن لافستون — مناهضا متشددا للشيوعية .

وقد حصل بيرترام على شهادته فى القانون من كلية الحقوق بجامعة نيويورك عام ١٩٥٤ .

وعلى العكس من كاهانا ، اجتاز اختبار المحاماه . وبالرغم من أن زوييون نشأ فى بيت يهودى غير تقليدى ، صار زوييون متشددا ، والتحق فيما بعد بمعبد « رائيلى الفتاة فى لوريلتون بكوينز بعد أن انتقل الى هناك فى عام ١٩٥٩ . وكان مدعاة للسخرية فى المعبد حينما كان يتلو الصلوات بلغة عبرية ركيكة بينما كان يستطيع أى شخص آخر أن يتلوها من الذاكرة بكل اتقان . وخلال صلوات احد ايام السبت ، « بعد أن شهدت آخر اهاناتى ، وقف كاهانا ورفع بكتاب الصلوات الى أعلى وتلا دعاء كان يحفظه عن ظهر قلب منذ ان كان فى الرابعة من عمره » . ويذكر زوييون « أنه فعل ذلك لتغطية موقفى . وقد كان تصرفه غايةفى الطيبة» ولم يكن الرجلان قد تحدثاحدهما الى الآخربكلمة واحدة من قبل . وعندما ازداد تعارفهما ، الفت بينهما آراؤهما المتشددة فى معاداة السود ومعاداة اليسار وتأييد اسرائيل .

وكانت مواقف زوييون لا تقل تطرفا عن مواقف كاهانا . ولكنه كان أكثر الاثنين هدوءا ونظاما . وقد ساعد فى جعل الحاخام المتهور أكثر اتزانا . وربما لهذا السبب لم يكن زوييون يحظى باحترام الاعضاء الاصغر سنا فى رابطة الدفاع اليهودى على عكس الحال بالنسبة لكاناها . وبصفة زوييون محامى عقارات تحت التمرين كان يتولى الدفاع فى الكثير من القضايا الجنائية لرابطة الدفاع اليهودى الأمر الذى كان يثير خوف بعض الزبائن « ويقول اليكس شتيرنبرج كان زوييون رجلا مغرورا ، ذكيا يدير مؤسسة قانونية صغيرة ، وحقق انتشارا غير محدود وشهرة واسعة من خلال انغماسه فى رابطة الدفاع اليهودى ، ولولا رابطة الدفاع اليهودى لكان زوييون مجرد محام يهودى صغير الشأن بدين الجسم يجر الخطى الى مكتبه يوما بعد يوم ليحقق دخلا طيبا دون أن يرقى الى اى نوع من النبوغ. واننى على استعداد لأن اسجل على لسانى اننى لم اكن ارغبه فى ان يقوم بالدفاع عنى فى أى اجراء قانونى . كذلك لم يكن أحد فى رابطة الدفاع اليهودى يرغب فى ذلك » . وقد اكتشف كثيرون فى رابطة الدفاع اليهودى خاصية السذاجة فى نضال زوييون . ويقول شتيرنبرج متذكرا ، « دخل زوييون ذات

يوم مكتب رابطة الدفاع اليهودى وقال فى مرح شديد أنه قد اقتنع سادس زبون له من أصل المانى بأن يحرق ميتا عزيزا عليه توفى مؤخرا . فقد كان يحاول ان يأخذ ثأره كاملا باحراق نصيبه من الالمان . فمن ذا الذى يرغب فى محام مثل هذا كى يترافع عنه فى موضوع جنائى خطير ؟ » .

وأيا كانت آراء شباب رابطة الدفاع اليهودى فى زوييون ، فانه كان مهتما بابعادهم عن السجن اكثر من كاهانا . وكانت الخلافات المريرة المتزايدة بين زوييون وكاهانا حول ادارة رابطة الدفاع اليهودى ، تظهر فى شكل خطابات متبادلة بينهما تمور بالغضب وتتسم بالتدنى .

ومن الخطابات المتبادلة التى تعكس ذلك ، خطاب كتبه كاهانا فى الثالث عشر من اغسطس عام ١٩٧٢ ، حمل فيه على زوييون بدعوى « عدم الاحساس بالمسئولية وعدم المبالاة وافتقاد الموهبة » التى اتسمت بها رابطة الدفاع اليهودى بذلك منذ أن تولى زوييون فرعها الأمريكى . وتعبيرا عن الشكوى من أن زوييون لم يقم بتنظيم اى عمل نضالى يستولى على اهتمام الطائفة اليهودية الامريكية ، فضلا عن اهتمام وسائل الاعلام ، كتب كاهانا يقول « انه بالرغم من كل ذلك ، تظل رابطة الدفاع اليهودى خير أمل لليهود .. أن كل مافعلته رابطة الدفاع اليهودى قد نجح بفضل السياسة النضالية القوية شبه العنيفة وان كانت اكثر من من ذلك) . وكنت أنا الذى أضع هذه السياسة واحاول تنفيذها فى الولايات المتحدة . ولهذا أثمرت . واخشى أن يكون السبب فى أن هذه الأعمال البارعة التى تتسم بالعنف لاتتم فى غيابى — وبهذا انخفضت روحنا المعنوية وبهتت صورتنا وتقلص الدفاع اليهودى — اخشى أن يكون السبب يعود الى تراجع من جانبك ربما لاتشعر به . اننى عندما اكون بعيدا ، تضطلع أنت بالمسئولية عن سياسة واعمال ونضال رابطة الدفاع اليهودى ، الأمر الذى قد يؤدى الى غضب والى اتهام الحكومة الفيدرالية للهيئة التنفيذية بكاملها ، وهو احتمال قائم بالفعل (أوكان كذلك فى فبراير عام ١٩٧١) » .

وفى خطاب آخر ، أنب كاهانا زوييون لالغائه احد الأعمال الارهابية لأنه كان يخشى أن يعرض للخطر نتيجة المحاكمة لمقتل « ايريس كونز » وهذه المحاكمة كانت جارية فى ذلك الوقت فى نيويورك . وكتب كاهانا يقول « وماذا لو استمرت المحاكمة — وصدور الحكم — عاما أو اكثر ؟ هل تتوقف رابطة الدفاع اليهودى اليهودى وتقتصر على نشاطات محددة ؟ وهل تعتقد حقيقة أن الناس الذين قاموا بأشياء كثيرة يريدون هذا الشلل » ؟ . وحث كاهانا زوييون على الا يقف حجر عثرة أمام عمليات رابطة الدفاع اليهودى فى المستقبل ، وقال والا فانه سيطلب الى أناس آخرين (الاشراف على الانشطة النضالية) وستكون النتائج واحدة . ارجو أن تجيبنى على ذلك فورا . اننى مهتم بالاولاد شانى شان اى شخص آخر .. ويجب إن تدرك أن الامور هنا فى اسرائيل لم تتوقف بسبب

محاكمتى القادمة » . وقال كاهانا انه يقدر حاجة زوييون الى ان ينأى بنفسه عن النشاطات غير المشروعة لانها قد تؤدى الى فصله من المحاماة وسجنه ورغم ذلك ، طلب من زوييون الاستقالة اذا كان يخشى العواقب القانونية لادارة تنظيم خارج على القانون .

وحتى فى الوقت الذى كان فيه كاهانا ينتقد زوييون ، كان كاهانا يعتمد على زوييون تماما فى الكثير من الخدمات . وكانت اكثر مشاكل كاهانا الحاحا هى استرداد جواز سفره الذى كانت الحكومة الاسرائيلية قد صادرته عام ١٩٧٣ . وكتب الى زوييون يقول « ان المشاكل هنا تافهة فى الواقع . وعلى العكس ، كسبت التأييد الشديد للرابطة . وان ما يقلقنى بشكل كبير هو فكرة اننى ساظل غير قادر على العودة الى أمريكا . ولابد لى ان أعود . فموضوع اليهود السوفييت بالغ الاهمية ومالم يتخذ اجراء فورى الان فستكون هناك مذابح جماعية . اننى لابد آن أعود الى أمريكا يا بيرت . أرجو أن تبذل قصارى جهدك » .

وقد حدد كاهانا سلسلة من الخطوات انتى يريد من « بارى سلوتينك » و « روبرت بيرسكى » أن يتخذاها لصالحه ومن ذلك أن يطلبا من « بيرت بوديلى » عضو الكونجرس عن بروكلين والمؤيد لرابطة الدفاع اليهودى (والذى كان قد ادين بتهمة الاحتيال والتآمر عام ١٩٧٤ بواسطة المساعد الشاب للمدعى العام الامريكى « رودلف جوليانى ») ، ان يطلبا من (بيرت بوديلى) أن يجعل المدعى العام « جون ميتشل » يساعده فى استرداد جواز سفره الامريكى من الحكومة الاسرائيلية .وطلب كاهانا ايضا منهما أن يقنعا « ماكس فيشر » ، احد اليهود الجمهوريين البارزين فى جمع التبرعات ، بأن يتدخل لصالحه لدى الرئيس « ريتشارد نيكسون » . وكتب يقول « ارجو ابراز مقالاتى المناهضة لماكجفرن » . وعلاوة على ذلك ، وخشية أن يؤدى القاء القبض عليه فى اسرائيل بتهمة تهريب الاسلحة ، الى الغاء وقف تنفيذ الحكم الصادر ضده فى الولايات المتحدة ، خشية من ذلك توسل الى زوييون بأن يحاول التأثير على القاضى « وينشتين » بأن يناشد فيه ولاءه كيهودى . وكتب اليه كاهانا يقول « أرجو أن تقابل القاضى وينشتين بحذر وبشكل غير رسمى ،وأن يخبره كيهودى عما يعنيه غيابى بالنسبة لليهود السوفيت والهجرة (الآليا) .. الخ . وأخبره اننى قد تحدثت فى مؤتمر صحفى فى اسرائيل عن الحاجة الى ايجاد جماعة تواجه ارهاب العرب ، ولكننى لم أتحدث عن البنادق أو القنابل » .

وفيما يتعلق بزوييون ، كان هذا البلاغ الأخير مثالا آخر على ذلك القدر الهائل من جنون العظمة الذى يتسم به كاهانا . فمرة أخرى كان يبدو أن كاهانا يخلط بين مصيره ومصير الشعب اليهودى . وكان طلب كاهانا من محاميه أن يحاولا التأثير على قاض فيدرالى يحظى بقدر كبير من الاحترام ، كان هذا الطلب خطأ تاما من جانبه فى قراءة ما كان محاميا على استعداد لأن يفعلان من أجله ،

كما يقول زويبون . واما عن رغبة كاهانا فى تجنيد « ماكس فيشر » فان ماكس فيشر لم يكن ليرضى حتى بالجلوس على نفس مقعد دورة المياه الذى سبق أن جلس عليه كاهانا فى الماضى البعيد » ، كما قال زويبون تعبيرا عن غضبه واستيائه ، واضاف أنه وضع الخطاب فى ملفاته ولم يلب أيا مما طلب فيه . وكان زويبون يحس بأن كاهانا يعامله على النحو الذى يعامل به أب متعسف طفله ويقول «كان يلطمنى على وجهى ، ثم يتصور اننى سأقول له تلطمنى مرة أخرى ، دعنى اساعدك » .

ومهما كان من مشاكل شخصية بين كاهانا وزويبون ، فان كاهانا ظل يمطر زويبون بطلبات النقود . فقد كتب كاهانا فى أحد خطاباته يقول : « اننى أصر على ان يخصص رابطة الدفاع اليهودى لنا هنا مالا يقل عن خمسمائة دولار شهريا . اننى لم أعد قادرا على الجلوس مستريحا وجمع المال من على مسافة بعيدة ، فى الوقت الذى تتلقى فيه كل جماعة اسرائيلية اخرى المال من شقيقاتها فى أمريكا » وقد صارت توسلات كاهانا طلبا للمال ، مدعاة للغضب الشديد حتى أنه طلب من (ليبى) ان تبعث ببرقية الى مكتب رابطة الدفاع اليهودى فى نيويورك تطلب فيها مبلغ الفى دولار من مؤسسة (استيلادونا ايفانز) . وفى خطاب لاحق ذكر كاهانا أن المؤسسة كانت قد اقرضت مبلغ الألفى الدولار الى احد اعضاء رابطة الدفاع اليهودى بغرض دفع كفالة — وأنه يريد أن يسترده .

وفى محاولة لتأكيد سيطرته على مجلس ادارة رابطة الدفاع اليهودى ، بدأ كاهانا فى تعيين صفار أتباعه فى مواقع القيادة ، ممن هم على استعداد لتلقى الأوامر منه مباشرة دون توجيه أسئلة كثيرة . وأحد أمثلة هؤلاء الشباب هو « ديفيد فيش » ، الذى كان يدرس العلوم السياسية فى جامعة كولومبيا ، وتدرج حتى صار المدير القومى لرابطة الدفاع اليهودى قبل أن يرأس فرع حزب « حيروت » فى الولايات المتحدة الامريكية (*) .

وقد كتب كاهانا الى فيش شاكيا من ان الكبار فى رابطة الدفاع اليهودى مجموعة من « الحقراء » الذين نسوا ، الى أى درجات اليأس وصلت حال اليهود فى الولايات المتحدة أثناء غيابه . وأوضح كاهانا أن بقاء اليهود فى أمريكا يعتمد على امداد صفوف رابطة الدفاع اليهودى « بدم جديد » من طلاب التعليم الثانوى والكليات الجامعية . وكتب كاهانا يقول « ان فقدان (الهوية) بين

(*) أحد الحاخامات المتطرفين حاليا فى « وودلاند هيلز » بكاليفورنيا . وقد اثار فيش ضجة محدودة عام ١٩٨٣ ، حين ألف كتابا حافلا بالملق عن ايريل شارون ، نشر ابان القضية التى ذاع صيتها بشكل كبير والتى كانت تنظر فى دعوى القذف المقامة من الجنرال الاسرائيلى ضد مجلة « تايم » .

الشباب اليهودى يقوده الى اليسارية والمخـدرات والتشرد واليسوعية وكل ما شابه ذلك ، ولا يمكن مواجهته ما لم يتم البدء فى حملة كبيرة جيدة التمويل لتكوين شبكة متفرغة من أبناء رابطة الدفاع اليهودى للعمل فى الحرم الجامعى والمدارس الثانوية » . وأضاف « ان المدرسة فى اسرائيل كانت تهدف الى ذلك، وقد انهارت بسبب تلك (الطرز) من العمال من لابسى (الجلاليب) وغيرهـم ممن يعانون من تعذر الرؤية بسبب الجلوكوما (المياه الزرقاء ، النفسية) . ان موت تلك المدرسة مأساة للعالم اليهودى ، وهناك أناس فى المجلس الحالى ، يجعلهم صمتهم وعدم قدرتهم على فهم أهدافها ، غير مؤهلين للقيادة فى منظمة تكمن قوتها الرئيسية فى وجوب توفر القدرة لديهم على رؤية المشاكل التى قد لا يراها الآخرون ، كما تتوفر لديهم القدرة على وضع الحلول مهما كانت جريئة أوصعبة أن الشباب اليهودى لابد أن تتوفر لهم مثل مدرسة القيادة هذه ، ولابد أن تتوفر مثل هذه المدرسة أيضا لرابطة الدفاع اليهودى من أجل التدريب المعقدى ، لأن افتقاد العقيدة هو الذى أدى الى تراجع بعض قادة رابطة الدفاع اليهودى » .

وقد زاد حلفاء كاهانا فى امريكا من غضبه بامداده بتقارير حول استمرار زوييون فى مهاجمته والتقليل من شأنه . فقد كتب « رافائيل بيرل » ، الذى كان والده « وليم » رئيسا لرابطة الدفاع اليهودى فى فرع مدينة واشنطون ، يقول « ان ابى يا مائير طلب منك الا تترك رابطة الدفاع اليهودى تستنزف تدريجيا ، وهو يشعر انك اذا استقلت أو توليت منصبا شرفيا فانك بذلك تسلم الولايات المتحدة لبيرت ، وهذا ما سيحدث بالضبط ان فرعنا يزداد حجمه ، ولأول مرة نواجه مشـــكلة فى انفاق الاموال التى لدينا . ولدينا تزكية لعضـــوية المجلس اليهودى المحلى من الهيئة التنفيذية لعضويته » . (فى السادس والعشرين من ابريل عام ١٩٧٣ ، رفض المجلس اليهودى لواشنطون الكبرى طلب التحـاق رابطة الدفاع اليهودى بعد نتيجة التصويت عليه التى كانت ٤٩ : ٣١) .

وكان من الواضح أن كاهانا وزوييون يتجهان الى حسم النزاع بينهما . فقد قرر زعيم رابطة الدفاع اليهودى أن يتخلص من المتمردين نهائيا فى اجتماع وطنى يدعو اليه فور استرداده لجواز سفره وعودته الى أمريكا . وكتب الى زوييون قائلا « اننى أريد لرابطة الدفـــاع اليهودى أن تكون أكثر من مجـــرد مجموعة من المغنيين وبائعى قمصان الـ « تى شيرت » . ان رابطة الدفـــاع اليهودى بحاجة الى قيادة جديدة قوية ، واننى أدعو الى عقد اجتماع وطنى حان موعده منذ وقت طويل . لقد أصبحت مقتنعا بأن رابطة الدفاع اليهودى لن تفعل شيئا من أجـــل اعادتى الى الولايات المتحدة ،واننى آسف لذلك لأن اليهود يعانون لهذا السبب » .

وكان زوييون قد أصبح على يقين من أن اليهود الامريكيين سيعانون اكثر بعد عودة « مائير كاهانا » . وكتب زوييون الى كاهانا فى الحادى والعشرين

من نوفمبر عام ١٩٧٢ قائلا « يجب أن يضع الانسان فى ذهنه دائما انه لا يهم مدى ما يحققـــه من الأهمية ، ولا يهم مدى ســـوء السمعة التى تلحق بشخصة ، وانه لقمة الغرور أن يضع الشخص ما هو فى مصلحة الشعب اليهودى على قدم المساواة مع ما هو فى مصلحته . واننى اعتقد ان نصف العام والأعوام الأربعة الاخيرة قد اعطتنى الحق فى ان اطلب معروفا واحدا ، وهو أن تنسى عنوانى ورقم هاتفى واسمى . اما من جانبى فانك لم تعد موجودا » .

وبعد أسبوع من تسلم هذه الرسالة الخطية من زوبيون ، أعلن كاهانا ، فى حالة يأس ، استقالته من الفرع الامريكى لرابطة الدفاع اليهودى . وشبه على نحو مميز ، تلك الواقعة بجائحة ذات ابعاد توراتية . واعلن فى مذكرة بعث بها الى زوبيون فى الخامس من ديسمبر عام ١٩٧٢ ما يلى :

« اننى ارفض حقيقة أن يدور بين الناس انطباع باننى اسلبهم اموالهم . فأنا لا اعيش فى احضان الترف فى اسرائيل . وعندما يتأخر شيك « الجويش بريس » ، فان ذلك يكون نهـــاية الفاصل الرفيع بين المـــال والافلاس . اننى أعمل من أجل رابطة الدفاع اليهودى دونما تعويض على الاطلاق (على العكس منك) وأكرس كل الوقت لرابطة الدفاع اليهودى (على العكس منك) ، وقد ادخلت رابطة الدفاع اليهودى عالم السياسة لأن ذلك بالنسبة لاسرائيل لصالح رابطة الدفاع اليهودى واليهود . واننى ليؤسفنى انك لا تتمتع بالقدرة على الرؤية حتى يتبين لك ذلك ، وليس ذلك خطأ . ولكن الخطأ هو انـــك تعتقد أننى أقوم بأشـــياء بغرض المنفعة الشخصية وتجهر بهـــذا الراى على مسمع من الآخرين . وقد دمر ذلك سمعتى وقيمتى بالنسبة للمنظمة ولست موسى ولا صموئيل اللذين استطاعا تقبل مثل هذا السلوك من أناس كرسا من اجلهم كل حياتهما . ويمكنك ان تخبر المجلس بأن يتجاهل كل ما بعثت به اليه . فقد سئمت الشجار مع أناس صغار . اننى اقدم استقالتى من رابطة الدفاع اليهودى فى الولايات المتحدة . فقد سئمت بالفعل » .

وكانت هذه الخطبة المسهبة المليئة بالتقريع غير منصفة . فلم يكن زوبيون يتقاضى اى اجر من رابطة الدفـــاع ليهودى على العكس مما كتب كاهانا . والاكثر من ذلك أن زوبيون كان غارقا فى الديون ، وكان عمله القانونى يعانى من حالة كساد شديد . وربما تبين كاهانا حماقة ان يبتعد عن شخص لازال يعتمد عليه ، ولذلك بعث الى زوبيون بما يشـــبه الاعتذار فى العـــاشر من ديسمبر عام ١٩٧٢ قال فيه « اننى آمل ان اراك عندما اعود الى امريكا للزيارة ، واحجز مكانا فى احتفالات عيد الحصاد اليهودى فى منزلك » واضاف كاهانا بتواضع قائلا « أرجو ان تخبرنى بما اذا كان ذلك ملائما بالنسبة لك لاننى ليست لدى خطط اخرى واكره ان ابيت فى عرض الشارع » .

وفى اقل من عام ونصف بعد انفصاله عن مجموعه كوهين ــ شامير ، حوكم كاهانا فى اسرائيل بتهمة تهريب الأسلحة والتحريض على العصيان والتآمر . وفى نفس الوقت ، تقدم بخطته لتهجير العرب ، بينما كان يقتتل مع أعضاء رابطة الدفاع اليهودى فى أمريكا الذين قل ولاؤهم له وازداد سخطهم عليه واتهموه بالسرقه . ومن الغريب أن هذه الاحداث لم تحل بين كاهانا وبين ترشيح نفسه للكنيست عام ١٩٧٣ بصوره صريحه . والحقيقة أنه استغل محاكماته فى اسرائيل لتحقيق دعايه مجانيه للوصول الى الكنيست الذى كان هدفه طوال الوقت ، على حـد قول بعض أتباعـه . وبقيام كاهانا بحملته الانتخابية تحت راية رابطة الدفاع اليهودى ، كان يعد أول سياسى فى اسرائيل الحديثة يرشح نفسـه من فوق منبر يطالب بصراحة بطرد عرب اسرائيـل . وقد كان على يقين من فوزه بمقعدين لدرجـة انه بدأ يطرح فى حملته شـعار « أعطونا مقعدا ثالثا » وبالرغم من أن كاهانا كان يدعى الفقر دائما فى خطاباته الى زوييون ، كان كاهانا يمول حملته الانتخابية باسراف شديد . وتقـدر « جيئولا كوهين » ما انفقه كاهانا من أموال على الاعلانات فى أجهزة الاعلام بأنه يفوق ما أنفقه حزب بيجين ، « حيروت » .

وفى عشية الانتخابات ، أقام كاهانا احتفالا بالنصر فى فندق « جراند بيتش » فى تل أبيب . وشرب دكتور « فيكتور راتز » ، طبيب الأمراض العصبية البريطانى الشهير ، نخب الحاخام المولود فى بروكلين باعتبـاره رئيس وزراء اسرائيـل المقبل . وظن راتز ، الذى قام بتمويل معظم الحملة الانتخابية ، نفسه سليل الكنعانيين القدامى وقام بتزيين بيته بتمائم وتماثيل قديمة قال أنها ستجلب له الحظ الحسـن . ولكن الآلهة تخلت عن كاهانا . وعنـدما أحصيت بطاقات الانتخاب كان نصيب زعيم رابطة الدفاع اليهودى ، ١٢٨١١ صوتا بنسبة ٨١ر٠٪ من مجموع أصوات الناخبين أى أقل من نسبة الواحد فى المائة اللازمة لدخول الكنيست . وانسحب الحاخام من الحياة العامة بعد أن ألم به اكتئاب شديد ، وانكب على التلمود طلبا للعزاء والسلوان .

الفصـــل التاســـع

الفكــرة اليهــودية

كان مائير كاهانا منذ طفولته نهبا لنوبات نفسية حادة وحالات من الاكتئاب المتعـــددة . والآن وقد قوبل بالرفض من جانب جمهور الناخبين الاسرائيليين وكذلك من الأعضاء البارزين فى رابطة الدفاع اليهودى بأمريكا فى وقت واحـــد أصبح يعانى مما وصفه بعض من اوثق مؤيديه بأنه انهيار عصبى . ولكن بعد اختفائه لفترة وجيزة من الحياة العامة ، عاد كاهانا الى الظهور من جديد وهو اكثر تصميما من أى وقت مضى على اقامة حزب سياسى قابل للحيـــاة فى اسرائيل .

ولعل تضـــافر طاقته الجنونية مع كبريائه الجريح لم يسلماه للراحة . فكان يستيقظ كل صباح فى الرابعة لدراسة التوراة واقامة الصلاة ثم العودة الى الدراسة من جديد . وبعد ذلك كان يتوجه الى مكتبه فى « متحف المحرقة المحتملة » بالقدس ليعود الى بيته فى الساعة العاشرة ليلا ، ونادرا ما كان يأوى الى فراشه قبل منتصف الليل . ويتذكر « ماتليبوفتز » ، وهو شاب أمريكى المولد من مؤيدى حزب كاخ ، قائلا « اننى لا اعتقد انه كان حتى يحلم بالليل . فقد كان فى كل ما يفعله مدفوعا نحو تحقيق رؤيته . واعتقد انه كان يمتلك تلك المقدرة التامة على التحكم فى أفكاره حتى أنه كان يستطيع التحكم فى عدم الوعى لديه . وكان يؤمن بأن رؤيا النبوة ستتحقق ، ولهـذا كان ينزع الى الاتيان بأعمال يائسة » .

وقد استولى على كاهانا نوع من الشوق الى الخلاص . وصار يؤمن ، أكثر من أى وقت مضى . بأن مصير اليهـــودية فى يديه . وسيطرت على معجمه السياسى بكلمات مثل رؤيا النبوة والخلاص ، والمخلص المنتظر . وكان يبرر هزيمته فى الكنيست تبريرا عقليا على أساس أن اليهود لم يدركوا بعد أنه يعمل من خلال نهج سماوى . وبينما كان المفروض ان تهتم رابطة الـــدفاع اليهودى فى أمريكا بمساعدة اليهود على تحقيق سلطة دنيوية أكبر . كانت الرابطة فى اسرائيل تتحول سريعا الى جماعة دينية أصولية ـ تشبه ما كان عند القبلانيين فى فلسفتهم السرية على يد كاهانا الذى كان يلوى التوراه ويحرفها ليثبت أن طرد العرب سيكون بشيرا بقدوم المخلص .

وسرعان ما اكتشف كاهانا أن الحماس الاصولى الدينى ليس حكـــرا عليه وحده فبينما كان كاهانا يتحول بشكل متزايد الى التصوف اليهودى من أجل تحقيق الخلاص ، حدث زلزال فى اليمين الاسرائيلى عصف بالساحة السياسة

وقد فجرت الثورة حركة « جوش ايمونيم » (كتلة المؤمنين) ، وهى حركة صوفية للخلاص ، لن يؤدى الى تحــول فى السياسة الاسرائيلية بشكل جذرى فحسب وانما سيكون لها تأثير بالغ على الصراع العربى الاسرائيلى أيضا .

وكانت حركة جوش ايمونيم تقوم على تعاليم « راف زفى يهودا كوك » الذى كان حينذاك رئيس ييشيفا مر كازهاراف « فى القدس ويبلغ من العمــر ثمانين عاما وباعتبار (زفى يهودا كوك) ابن افراهام اسحق كوك ، مؤسس الصهيونية الحديثة وأول كبير حاخامات اشكنازى فى اسرائيل ، فقد كرس حياته من أجل الحفاظ على تعاليم والده وشرحها واهم تلك التعاليم هى أن عودة اليهود الى اسرائيل وازدهار الأرض هما المؤشران على بداية عصر الخلاص وأكد كوك أن الأراضى المحتلة جزء من «الميراث المقدس» من الاراضى التى وهبها الله لليهود كما هو مسجل فى الكتاب المقدس وانه يجب حمايتها والدفاع عنها بأى ثمن .

وقد أصبح راف كوك ومدرسته الدينية نواة حــركة جوش ايمونيم التى ولدت عام ١٩٧٤ فى أعقاب « حرب الغفران » . وقد قام بتنظيم هذه الحــركة سبعة من الطلاب متوسطى الاعمار من « ييشيفا مر كازهاراف » الذين يسعون الى تهويد الضفة الغربية .

وكان جاكوب ليفين ــ البالغ من العمــر حينذاك واحدا واربعين عاما والمتسم بنعومة الحديث ، وأحد دارسى التلمود العاطلين ، وأحد القادة الاوائل للحركة ــ كان يؤمن بأن الصهيونية قد أصبحت عقيمة ومدمرة لذاتها ابان حكم حزب العمل وكان يرى أن حركة جوش ايمونيم انما وجدت لتكون (ترياقا) .

وأفاض قائلا « لقد كان هناك افتقاد للوضــوح فى اسرائيل بعد حرب عام ١٩٧٣ ، وكانت الروح السائدة هى روح الاكتئاب . ولم يكن حزب العمل أو البلاد يعرفان ما يجب عمله بشأن الاراضى العربية . فوقعنا فى المحظور ».

وهكذا بــدأت حركة جوش ايمونيم فى القيام بما كانت تعتبره حــربها المقدسة لاستيطان وبناء يهودا والســامرة ، أرض العبرانيين القدامى التى تعرف الآن باسم الضفة الغربية . وقد استولت حــركة جوش ايمونيم على خيال الكثيرين من الاسرائيليين الذين سئموا الحرب وذلك من خــلال الخلاص المتسم بانكار الذات ، والوعى الواسع بالنفس وبالرســالة المتشابهين لما كان يتميز به الرواد الاوائل لاسرائيل .

وقد اندفع شباب الصابرا المنهكون الذين ولدوا بعد وقت طويل من موت روح الشعب الرائدة ولم يتوحدوا أبدا من قبل مع الصهيونية السياسية ومن هجروا حزب العمل الفاسد والممزق بحثا عن ايديولوجية واسلوب حياة اكثر معنى ، واليهود المتشددين الملتزمون بالحفاظ على العهد ، اندفــع كل هؤلاء

افواجا الى حركة جوش ايمونيم . كذلك انضم للحركة ، قلة من المهاجرين الجدد ، معظمهم من الروس والامريكيين . وبالرغم من أن حركة جوش ايمونيم كانت تنظر الى العرب على أنهم متطفلون على أرض اسرائيل ، لم يكن لدى الحركة برنامج منظم لطردهم . وبدلا من ذلك ، أعلن قادة جوش ايمونيم أن العرب الذين يرغبون فى العيش دون حقوق سياسية فى الدولة اليهودية لهم حق الحماية كأقلية من الدرجة الثانية يماثل وضعها الوضع التاريخى لليهود فى البلدان الاسلامية .

وقد تطور برنامج جوش ايمونيم للاستيطان فى الضفة الغربية ببطء خلال السنوات التى كان فيها حزب العمل فى السلطة . وكانت سياسة حزب العمل تقوم على بناء المستوطنات فى وادى الأردن لأغراض أمنية ، وتجنب المناطق المحتلة التى يسكنها العرب بكثافة ــ وهى مناطق ينبغى الاحتفاظ بها فى رأى بعض الزعماء من أمثال ايجال آلون ، لتكون عناصر للمساومة فى محادثات السلام فى المستقبل . ولكن حدث فى وقت مبكر من عام ١٩٧٠ أن سمحت حكومة حزب العمل المنقسمة بشكل مرير ، لمجموعة من غلاة القوميين من اليهود المتشددين بقيادة الحاخام ليفنجر ببناء مستوطنة كريات أربع على قمة تل يطل على الخليل ، موقع أول عرش للملك داود ، وموطن ٧٨ ألفا من غلاة القوميين العرب الفلسطينيين .

وقد كان الجيش يوقف معظم محاولات جوش ايمونيم للاستيطان فى الضفة الغربية ابان فترة حكم حزب العمل . فكان أعضاء جوش ايمونيم يصلون الى موقع ما فى قافلة من المقطورات عند منتصف الليل دون اذن من الحكومة . وعندما كان يأتى الجيش لطرد المستوطنين وهو ما كان يفعله بشكل دائم تقريبا ــ كانت الاحزاب اليمينية تتهم حكومة حزب العمل بخيانة اسرائيل وتشبهها بحكومة الانتداب البريطانى قبل الاستقلال اليهودى . وفى كلتا الحالتين ، تمكنت جوش ايمونيم من هزيمة حزب العمل .

ولكن حين سقطت حكومة حزب العمل فى الانتخابات وخرجت من السلطة عام ١٩٧٧ وأصبح مناحيم بيجين زعيم الليكود رئيسا للوزراء قام بتشكيل حكومة ائتلافية يمينية تخضع كثيرا لنفوذ حركة جوش ايمونيم . وفور انتخاب بيجين مباشرة توجه بيجين الى ايلون موريه ، وهى مستوطنة بالقرب من نابلس ، كانت حركة جوش ايمونيم قد حاولت استيطانها بشكل مخالف تماما للقانون عدة مرات وفشلت ، وذلك قبل خروج حزب العمل نهائيا . وأقسم بيجين وهو يرفع يده ممسكا بأوراق التوراة انه سيؤسس المزيد من أمثال ايلون موريه .

وكان بيجين ، القائد السابق للأرجون ــ التى كانت تدعو الى اقامة دولة يهودية على كل من ضفتى نهر الأردن ــ ملتزما لكلمته . ففيما بين عامى ١٩٧٧ و ١٩٨٤ استثمرت حكومات الليكود المتعاقبة أكثر من بليون دولار فى اقامة

المستوطنات اليهودية بالضفة الغربية ــ وهو مبلغ ضخم بالنسبة لدولة تعانى من ضغوط اقتصادية حادة وتعتمد على معونة سنوية من أمريكا تبلغ أكثر من ثلاثة بلايين دولار . واليوم تعتبر « جوش ايمونيم » بمثابة راس الحربة فى برنامج اسرائيل لاستيطان الضفة الغربية ، الذى يشمل أكثر من ١٥٠ مستوطنة تضم حوالى ٧٥٠٠٠ مستوطنة . وتحظى « جوش ايمونيم » حاليا بقدر هائل من التأييد داخل حزبى « الليكود » « وتحيا » اليمينيين . كما تحظى بنفس التأييد لدى العديد من الاحزاب الدينية . ومن بين اكثر مؤيديها نفوذا ، « ايريل شارون » الذى اشترى ، عن طريق واجهة عقارية « لجوش ايمونيم » ــ شقة فى الحى الاسلامى من المدينة لمسورة بشرق لقدس . وانتقل شارون للاقامة بالشقة فى أول أيام عيد الفصح عام ١٩٨٨ ، مثيرا بذلك سخطا عربيا عارما .

ويرى البروفيسور « ايهود سبرنزاك » خبير الجماعات المتطرفة بالجامعة العبرية ، أن « جوش ايمونيم » كان لديها كل ما يفتقر اليه « كاهانا » وحركته . فقد كانت تشكل كيانا اجتماعيا وثقافيا متماسكا ، وتتمتع بقيادة جماعية بارعة ومعتدلة ، بالاضافة الى تمتعها بعضوية فعالة . وكحركة روحية بزعامة سليل مؤسس الصهيونية الدينية ، كانت « جوش ايمونيم » تحظى بالتأييد الكامل لدى الهيئات الدينية الاسرائيلية البارزة .

بالاضافة الى كونها ذات سمات اسرائيلية حقيقية . وبعكس اتباع « كاهانا » الذين ولد أغلبهم فى أمريكا ويتسمون بطبيعة متطرفة ، اجتذبت « جوش ايمونيم » آلافا من المؤيدين والمستوطنين المتعلمين من أبناء الطبقة المتوسطة الذين سرعان ما طمست تجمعاتهم فى يهودا والسامرة خط هدنة عام ١٩٤٦ الذى يفصل دولة اسرائيل الحديثة عن المناطق الاصلية للامة العبرية المذكورة فى التوراة .

ويقول « سبرتراك »بالنظر الى بروز « جوش ايمونيم » وانشطتها ذات الشعبية والنفوذ الهائلين ، كان على مائير كاهانا أن يعيد تقويم استراتيجيته السياسية الا أنه فى عام ١٩٧٤ لم يكن « كاهانا » قادرا على أن ينضم الى، جوش ايمونيم ، أو حزب بيجين ، أو الحزب القومى الدينى . ومن ثم ، راهن كاهانا على اتخاذ موقف على يمين « جوش ايمونيم » . فاذا كان دور « جوش » هو استيطان وبناء ارض اسرائيل ، فسوف يركز « كاهانا » على فكرة طرد العرب المقيمين هناك . وبدأ زعيم رابطة الدفاع اليهودى فى تخريب هدف «جوش ايمونيم»المعلن عن التعايش معالعرب المحليين، عن طريق اثارة المنازعات بين المستوطنين والسكان العرب الفلسطينيين . فاشترى شقة فى « كيريات عربة » ، واصبحت قاعدة لاعمال العنف المتزايدة (فى الضفة الغربية) التى

تقوم بها جماعة من المحترفين التابعين له . وقال لى كاهانا عام ١٩٧٩ : « ان هؤلاء (جوش ايمونيم) لا يدركون اى حماقة تكمن فى وضع مستعمرة من خمسين شخصاوسط بحر من العرب . ماذا يظنون انهم فاعلون مع أولئك العرب » .

وحيث أن فلسفة « جوش ايمونيم » لها جذورها الثابتة فى الهلاخا والتقاليد الصهيونية المبدئية ، واجه « كاهانا » ذلك بمأثورات من التوراة وتعاليم جابوتنسكى . وفى كتاب نشره عام ١٩٧٤ وأسماه « الفكرة اليهودية » تحدى « كاهانا » وجهة نظر « جوش ايمونيم » فى ان الخلاص يمكن أن يجىء فى ظل بقاء العرب فى أرض اسرائيل .

وطبقا لرأى « كاهانا » ، يمثل العرب أكثر من مجرد تهديد ديموغرافى ومادى . فوجودهم يدنس الجوهر الحقيقى لروح اليهودية . ومن ثم كان طردهم شرطا أساسيا للخلاص . وكتب « كاهانا » يقول : « ان الصهيونية ، واقامة دولة اسرائيل ، وعودة الملايين من اليهود الى الوطن ، والانتصارات الخارقة للقلة اليهودية على العرب الكثيرين وتحرير يهودا والسامرة ، وغزة والجولان ، وعودة السيادة اليهودية على المدينة المقدسة وجبل الهيكل ، كلها جوانب من العهد المقدس والوفاء به » .

وقال ان الخلاص كان يمكن أن يتحقق لو أن الحكومة الاسرائيلية قامت بطرد العرب ، ودمرت مسجد قبة الصخرة ، الذى بنى فوق أطلال الهيكل الثانى ، وضمت يهودا والسامرة . وكتب « كاهانا » : « لو كنا قد تصرفنا دونما اعتبار لرد فعل غير اليهود ، ودون خوف مما قد يقولونه أو يفعلونه ، لكان المخلص قد اتى عبر الباب المفتوح وجاء لنا بالخلاص » .

ويصر « كاهانا » على أن الخلاص مضمون ببساطة لان الله اصطفى اليهود باعتبارهم شعبه المختار . وتقول مقالة منشورة فى احدى مطبوعات رابطة الدفاع اليهودى تحت عنوان « الفكرة اليهودية » أيضا : « نحن شعب مختار ذو وضع خاص ، مختار للنقاء والقدسية ، لنعلو فوق كل الاخرين ونعلمهم حقيقة النقاء والقدسية التى تعلمناها . وليس هناك مبرر أو هدف من أن تكون يهوديا مالم يكن هناك اختلاف جوهرى ما . كلا ، لسنا مساوين لغير اليهود . اننا مختلفون . نحن أسمى » .

وتنظر « جوش ايمونيم » بازدراء أيضا الى غير اليهود . ويؤكد زعماؤها على ان اسرائيل ستصبح « المنارة بالنسبة للأمم » ، فقط ، بعد أن تحقق الانفصال السياسى والروحى عن بقية الجنس البشرى . وينبأون بأن اسرائيل حينئذ سوف تبنى قوتها المعنوية والعسكرية الى أن تصبح قوية بما يكفى لتدمير مقاومة العرب . وذكر « جاكوب ليفين » ، أحد أعضاء جوش النشطين ، بينما كنا نجلس معا فى شقته ، التى تطل من الدور الثامن على منظر ريف

القدس الخلاب : « ان علينا أن نتغلب على الآخرين ، وان نسيطر على العالم الروحى » .

وحتى متصوفة « جوش ايمونيم » لهم ايضا أولويات سياسية متشددة . فهدفهم الأول هو مصادرة أرض العرب بمعدل « دونم » (*) فى كل مرة — وبناء المستوطنات بالحجارة المقدسة . وهم يؤمنون بأن انجاز هذه « العملية المقدسة » سيكون اسهل كثيرا بدون تعمد اثارة غضب العرب المحليين (فضلا عن الصهاينة اليساريين) الذين لن يكون من المقبول أبدا تواجدهم فى يهودا والسامرة بأى حال من الاحوال .

وردا على النزعة الدينية الاكثر (براجماتية) لدى « جوش ايمونيم » ، انبرى كاهانا للهجوم على العرب ، متجاهلا دعاوى الحكومة بأنه يقوض صورة اسرائيل الديمقراطية .

وذات مرة ، قال لى « كاهانا » ، « ان اليهودى غير المتعقل هو العاقل حقا . فالديمقراطية والقيم الانسانية الغربية ما هى الا نبتة أجنبية ، ليست بذات معنى فى اليهودية الحقيقية . والشعب اليهودى لم يبق حيا لألفى عام بكونه عقلانيا . ولو كنا عقلانيين ، لكنا قد انتهينا . اننا نظل احياء لأن هناك وعدا صريحا بأن الشعب اليهودى لن يتعرض للدمار أبدا » . ويقول « كاهانا » أنه طالما أن اليهود يوفون بعهدهم مع الله ، فان مصيرهم مضمون . ومن ثم لا يختلف الامر اذا ما قطعت أمريكا علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل بسبب ترحيل العرب . فالله ، وليس العم سام ، هو الذى سينصرهم (أى اليهود) كما يقول .

واذا كان « كاهانا » قد راودته وهو طفل أحلام اليقظة بأن يصبح المخلص لشعبه ، فهو الآن يقدم نفسه بصراحة على أنه نبى العصر الحديث . ويدعى انه يملك جوهرة اليهودية الحقيقية التى انكسرت الى مليون قطعة فى بداية الخلق . ومثل جده الأكبر الذى كان حبرا متصوفا من صفد ، أكد « كاهانا » على أن مهمة الانسان هى استعادة تلك الجوهرة وجمع شمل العالم مرة ثانية . وادعى « كاهانا » أن الجوهرة المقدسة موجودة فى داخله وأن باستطاعته أن يجدها لدى الآخرين .

وقد بدأت النزعة الدينية النضالية لدى « كاهانا » تؤثر فى علاقته بأتباعه فى امريكا . وحذرهم من أن اليهود الامريكيين سيواجهون خطرى : الامتصاص والابادة معا ، اذا لم يعودوا الى اسرائيل . وتنبأ بأن أولئك الذين لا ينصهرون

(*) الدونم ربع الآكر تقريبا . (والآكر حوالى أربعة آلاف متر — المترجم) .

فى بوتقة الانصهار الامريكية ، سينصهرون فى نهاية الامر فى أفران أمريكا . وقارن بين الولايات المتحدة وجمهورية « فيمار » ، معلنا ان يهود أمريكا يتعامون عن مصيرهم كما فعل اليهود الألمان قبل أن يتولى هتلر السلطة .

وكان أكثر سخط « كاهانا » موجها أساسا الى يهود أمريكا المتزمتين البالغ عددهم ٤٠٠،٠٠٠ شخص ، والذين يراهم « كاهانا » أسوأ من العميان ، لانهم منافقون . وقد أخبرنى كاهانا فى احدى المرات « ان المأساة تكمن فى أن معظم اليهود الملتزمين فى أمريكا يمارسون فقط الطقوس والشعائر اليهودية ، فى حين أن اليهودى المتدين هو من يحقق « الميتزفاه » (الوصية) الصعبة بحق ، وهى استيطان الارض المقدسة . ومن ثم ، كان هدفى فى الحياة ، هو قول مالا يقوله أى زعيم يهودى آخر — وهو ان مصير الشعب اليهودى فى « الجالوت » (المنفى) وفى اسرائيل يعتمد على عودته يهوديا مرة أخرى ، الأمر الذى لن يحدث الا فى اسرائيل وحدها . وحينئذ فقط سوف يشرق نور الله على صهيون .

وهو مصر على انه مثلما لا يمكن أن توجد دولة يهودية بالمفهوم الدينى مالم يعد اليهود الى أرض اسرائيل ، فان الدولة اليهودية الدينية لا يمكن أن توجد مع وجود أقلية عربية . فاليهود يجب أن يعيشوا وحدهم فى الأرض ليعيدوا بناء نسيجهم الخلقى ، الأمر الذى يقول انه سبب آخر لاصراره على طرد العرب . وقد صرح قائلا : « اننى لست عنصريا ، انما العنصرى هو اليهودى الذى يقول ان العرب يمكن أن يكونوا مواطنين متساوين فى دولة يهودية » .

وعقب تنحى « كاهانا » مباشرة عن رئاسة رابطة الدفاع اليهودى فى أمريكا ، أدرك أنه بحاجة للحصول على موارد رابطة الدفاع اليهودى لتمويل أنشطته ذات التوجه الدينى فى اسرائيل . وكان ذلك يعنى اراقة الدماء .

وفى الثالث من يوليو عام ١٩٧٤ ، كتب « كاهانا » لمجلس رابطة الدفاع اليهودى يدعوه الى التعمق فى نبوءاته التى ضمنها برنامجه الدينى — « الفكرة اليهودية » . وستكون اداة هذه الأيديولوجية ، جماعة جديدة تدعى « كاخ » التى تعنى بالعبرية « هكذا » أو « هذا هو الطريق » . وكتب يقول :

« ليس سرا ان رابطة الدفاع اليهودى قد فقدت منذ فترة طويلة حيويتها والغرض منها . وقد كان افتقارها الى المواهب والتمويل ، وفوق كل ذلك ، فشلها فى التطور ايديولوجيا ، سببا فى جعلها مجرد يهودية أخرى . ونحن فى اسرائيل ، نعتزم أن نعلن عن تشكيل جماعة باسم « كاخ ـ هكذا » ، سوف ترتقى بايديولوجية رابطة الدفاع اليهودى

الى اعلى مستوى لها . وسوف تتخذ لها سمة يهودية ديناميكية ولكنها محددة بما تستطيع ان تفعله دائما ، وما تضيفه الى اليهودية التى هى الرباط والحقيقة الخاصة بشعبنا » .

« ان الشعب اليهودى فى حاجة ماسة لفكرة رابطة الدفاع اليهودى — فى صورتها الكلية » .

ولذا أعتزم احياء رابطة الدفاع اليهودى (فى أمريكا) . واود أن تصبح رابطة الدفاع اليهودى فى المنفى على نفس مستوى « كاخ » فى اسرائيل » .

واعلن كاهانا انه سيطرح برنامجه فى اجتماع لرابطة الدفاع اليهودى يعقد فى نيويورك فى سبتمبر ١٩٧٤ . وهدد فى خطاب له الى مجلس الرابطة قائلا : « اذا لم يصلنى رد منكم ، فسوف ادعو لمؤتمر يحضره الاعضاء الاساسيون فى الرابطة بغرض انشاء « رابطة الدفاع اليهودى — كاخ » ولصالح « الفكرة » ، أرجو الا تجعلونا نضطر لذلك » .

وعاد كاهانا الى نيويورك فى ١٤ اغسطس عام ١٩٧٤ ، بعد احتجازه فى اسرائيل لاكثر من عامين بدون جواز سفره الامريكى . وكان اكثر شحوبا ونحافة مما يتذكره أى شخص ، وكانت عيناه تختلجان ، ويتلعثم بشدة حينما يتحدث عن خصمه الرئيسى « برترام زويبون » الذى كان يسميه « المحامى البدين ، القذر ساكن الضاحية » .

وفى نفس الوقت كان « زويبون » يحاول السيطرة على جماعات التمويه التابعة لرابطة الدفاع اليهودى والتى اصبحت الممول لما يقوم به كاهانا فى اسرائيل وكانت احدى هذه الجماعات ، التى أصبحت مصدرا هاما للتمويل هى جماعة « شباب العملية اليهودية » ، وهى مؤسسة خيرية معفاة من الضرائب اسسها فى نيويورك كاهانا ، وزويبون ، ومورتون دولينسكى . وقد كتب زويبون الى دولينسكى ، الذى كان انتقل الى اسرائيل حيث يعمل مديرا للعلاقات العامة بالمعهد العبرى للتكنولوجيا فى حيفا ، يناشده التوقيع على تفويض له : وزعم « زويبون » أن « كاهانا » قد استغل مؤسسة « شباب العمليات اليهودية » بصورة غير مشروعة فى تمويل حملته لدخول الكنيست ، منتهكا بذلك قواعد النظام الضريبى الذى يحكم المؤسسات الخيرية . وقال فى رسالته : « حيث أن اسمى مرتبط بها (مؤسسة شباب العمليات اليهودية) فأننى اريد ان اتأكد من انها لن تصبح وسيلة لمزيد من عمليات النهب التى ستصل الى اسماع الحكومة الفيدرالية آجلا أو عاجلا ، الأمر الذى

يعرضني لبعض المشكلات . واني لعلى ثقة من اننى استطيع أن اطمئن الى انك لن تطلع مائير على فحوى مراسلاتنا .

وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٤ ، قام « كاهانا » بمحاولة انقلاب ،حيث حصل على أمر قضائى بمنع « زويبون » وثمانية آخرين من تمثيل رابطة الدفاع اليهودى أو جمع أموال باسمها . وتقول « سوكابلان » ، المحامية بنيويورك واحدى العناصر النشطة سابقا فى الرابطة ، التى كان زوجها ديفيد ، الخبير بمعامل « بل » ، أحد أعضاء مجلس الادارة وتقول « سوكابلان » : « لقد تحايل وناور حتى أصبحت لـه السيطرة ، حتى ولـو كان ذلك يعنى استبعاد أشخاص كانت لهم مكانتهم وكتب كاهانا معلنا عن انتصاره فى « الجويش بريس » : « لقد حدث تنظيف عام للبيت ، وانتهت حقبة الغفلة القصيرة ورجعنا الى أيام النضج حيث القوة مع سلامة العقل ، والنضال مع الوضع المعتاد » .

ولم يكن ما يعنيه كاهانا بالوضع المعتاد بالأمر المستعصى على الفهم . ففى ٣٠ اكتوبر ، اقتحم ثلاثة من رجال الرابطة مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى « مانهاتن » ، واعتدوا بالضرب على المدير المساعد ، وقاموا بنزع التليفونات وتحطيم الأثاث ، ونهب ملفات المكتب ، كما أفرغوا مشط الذخيرة من مسدس آلى من طراز « عوزى » فى الحائط . وأعلنت خلية تابعة لرابطة الدفاع اليهودى أسمت نفسها « الوحدة الضاربة للمقاومة اليهودية المسلحة » مسئوليتها عن الهجوم فى اتصال هاتفى مع وسائل الاعلام . وعقب ذلك بأيام قليلة ، ألقى القبض على المدير التنفيذى الجديد لرابطة الدفاع اليهود « راسل كلنر » الذى كان يعمل من قبل مدرسا فى فيلادلفيا ، عقب مقابلة تليفزيونية هدد فيها باغتيال « ياسر عرفات » عندما يحضر الى الولايات المتحدة للتحدث أمام الأمم المتحـدة .

وفى ١٩ يناير ١٩٧٥ ، عاد « كاهانا » الى نيويورك ليحشد قواته . وفى نفس اليوم أطلقت رصاصتان داخل مقر البعثة السوفيتية فى الأمم المتحدة ، وألقى القبض على « كاهانا » ومعه سبعة وأربعون آخرون أثناء مظاهرة احتجاج عنيفة خارج مقر البعثة أصيب فيها ستة أشخاص ، منهم اثنان من رجال الشرطة . وفى نهاية الاسبوع ، سرقت عناصر الدفاع اليهودى ، آلات الطباعة من الجريدة الوحيدة التى تصدر بالعربية فى فيلادلفيا ، والتى كانت رابطة الدفاع اليهودى تزعم أنها تقوم بنشر دعاية مناهضة لاسرائيل .

واستطاعت رابطة الدفاع اليهودى وعلى رأسها « كاهانا » أن تنشر دعايتها وتزيد تمويلها من خلال عدد كبير للغاية من جماعات التمويه ، ومن بينها « اللجنة اليهودية للعمل السياسى » و « الديمقراطية فى حياة اليهود » ، « مؤتمـر

رؤســاء المنظمات اليهودية الكبرى » ، و « اللجنــة المعارضــة للانسحاب الاسرائيلي » ، و « مركز الهوية اليهودية » ، و « الفكرة اليهودية » . وانشئت جماعة « الشوفا » (العودة) بغرض دعم الهجرة الى اسرائيل . وكان يقع مكتبها في » كاتسكيلز » بالقرب من « جروسينجرز » وتمولها الوكالة اليهودية .

وكان من بين هذه الجماعات « سويل » (انقذوا ارضنا اسرائيل) ، التي انشأها كاهانا عام ١٩٧٤ ووضعت تحت سيطرة « دوف هيكند » وهو اليوم نائب ولاية نيويورك عن منطقة بروكلين الثامنة والاربعين . وكانت « سويل » ، وهي الجماعة التي تقف ضد اعادة الأرض العربية التي احتلها الجيش الاسرائيلي في حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ ، تهدف الى جذب من لايريدون الانضمام لرابطة الدفاع اليهودي . وقد كتب « كاهانا » لاحد اعضاء مجلس ادارة رابطة الدفاع اليهودي ، يقول : « ينبغي تشجيع استخدام جماعات التمويه في حدود معينة . وتعتبر « سويل » تحت رئاسة « دوف هـ . » مثلا جيدا لمــا يمكننا أن نفعله . واعتقد أنه ينبغي دعوة « دوف « الى اجتماع المجلس القادم لشرح ما تم عمله وما يتم القيام به حاليا . وينبغي اجتذاب كل الاسماء المنضمة لـــ « سويل » بحذر الى عضوية رابطة الدفاع اليهودي ، التي يتعين عليها بدورها التزام الحذر في التعامل مع هؤلاء الناس لأسابيع عديدة بعد ذلك ، دون ذكر انهم اجتذبوا من « ســـويل » . أرجـــو أن تعمل بصورة وثيقـــة مع « دوف » فقد اخبرته ان عليه أن يستمع لمايقال له » .

وفي نفس الخطــاب ، أوصى « كاهانا » بتكوين جمــاعة تمويه تســمى « تــود » (القدر) كوسيلة لجذب الشباب بين سن العاشرة والسابعة عشر ، الذين يراهم « كاهانا » أكثر ثباتا عاطفيا من العديد من أعضاء رابطة الدفاع اليهودي . واقترح كاهانا أيضا أن تقيم رابطة الدفاع اليهودي « شـــول » (معبدا يهوديا) . وأوضح ذلك قائلا : « ان المعبد لا يمكن أن يتعرض لازعـــاج ادارة الضرائب ، ويمكن اقامته كتمويه في احد المستودعات ببروكلين .. وهو استثمار كبير ، اذ يمكن الحصول بسهولة على اعفاء من ضريبة المســاهمات المقدمة له ، كما أن المستودع يمكن أن يستخدم لعقد الاجتماعات » .

وبالرغم من أن « يود و شول » رابطة الدفاع اليهودي لم يخرجا الى حيز الوجود ، الا أن كاهانا استخدم « سويل » بفعالية لوخز الحكومة الاسرائيلية التي كان يخشى أن تتفاوض بشأن اعادة الاراضي المحتلة في اتفاقية ســلام مع العرب . وادراكا منه بأن مجلس الادارة الجديد لرابطة الدفاع اليهودي يعتبر الحكومة الاسرائيلية بمثابة بقرة مقدسة ، كتب كاهانا اليه يقول : « أعلم أنها حماقة أن ينتقد اليهود ورابطة الدفاع اليهودي حكومة اسرائيل علانية . ولكن،

اذا لم تكن لدينا الشجاعة للقيام بما هو غير دارج ، كما فعلنا دائما ولمصلحة اسرائيل ، فاننا لا نستحق اذن اسم رابطة الدفاع اليهودى » .

وفى احدى المرات ، طالب كاهانا بأن تقوم رابطة الدفاع اليهودى ، تحت ستار « سويل » ، باحتلال مكتب المنظمة الامريكية الصهيونية الدينية فى مانهاتن احتجاجا على تحالف « الحزب القومى الدينى » مع حكومة حزب العمل التى كانت تطالب بمقايضة الارض بالسلام مع العرب . وكتب كاهانا لكلز يقول : « ابق هناك ، وتأكد من أن التليفزيون الاسرائيلى ووكالة المبرقات اليهودية يقومان بتغطية ذلك . وقم أيضا بتوفير اعداد كافية من الحرس خارج المبنى . . . وفى المؤتمر الصحفى ، يجب أن تؤكد بوضوح على أن الحكومة الاسرائيلية هى الهدف الرئيسى ، وعلى أولئك الذين يحبون دولة اسرائيل أن ينقذوها من الكارثة التى ستقع على ايدى الحكومة . اتصل « بدوف هيكيند » بهذا الصدد فورا » .

وابان هذه الفترة من عمليات القبض والاعتصامات ، كان « كاهانا » يجد نوعا من السعادة الطاغية فى انتهاكه الصارخ لشروط وقف تنفيذ الحكم الذى صدر ضده اثر ادانته جنائيا عام ١٩٧٩ بتهمة صنع قنابل حارقة . وكان احد هذه الشروط ان يحظر على كاهانا التعامل بصورة مباشرة او غير مباشره مع البنادق أو القنابل أو المتفجرات او اية اسلحة اخرى . وفى ١٥ مايو ١٩٧٢ ، ادانت محكمة فيدرالية « كاهانا » بتهمة انتهاك شروط وقف تنفيذ الحكم . وبالرغم من أن القاضى جاك . ب . ونشتين جدد فى النهاية قرار وضع كاهانا تحت المراقبة ، حذره القاضى من أنه اذا ضبط ، حتى وهو يشجع اى شخص على استخدام العنف فسوف يلقى به فى السجن . وسأل كاهانا « حتى بالنسبة للجيش الاسرائيلى » فقال القاضى وينشتين « نعم » فرد كاهانا : « حسنا » .

وفى ٢١ فبراير ١٩٧٥ ، الغت الحكومة الامريكية وقف تنفيذ الحكم ضد كاهانا فى جلسة عقدت باحدى محاكم « بروكلين » الفيدرالية ، حيث استشهدت بالخطابات التى كتبها من اسرائيل داعيا رفاقه فى أمريكا لاغتيال الدبلوماسيين الروس والعرب . وكانت جلسة الغاء وقف تنفيذ الحكم جلسة مشهودة بسبب المشاهير الذين استعرضهم المحامى بارى سلوتنيك فى جانب الشهود للتدليل على اصالة شخصية كاهانا . وضمت القائمة مؤيدى رابطة الدفاع اليهودى : « د . صمويل كورمان » ، رئيس قسم السرطان بالمركز الطبى اليهودى فى كينجز بروك ، والحاخام « افراهام ويس » ، من المعهد العبرى فى « ريفرديل » ، الذى أخبر المحكمة أنه تطوع للشهادة لأنه وجد كاهانا شديد الاخلاص ، وافر الحماسة ، متفهما عطوفا ، ومتسامحا . كما تدفق أيضا على نيويورك ، عدد من اليهود الروس البارزين المقيمين فى اسرائيل للشهادة لصالح كاهانا . وقام مناحم بيجين بتغطية نفقاتهم

طبقا لما ذكره ايرفنج كالديرون ، احد مسئولى رابطة الدفاع اليهودى حينذاك ، الذى ذهب الى منزل ببجين فى القدس للمساعدة فى اعداد الترتيبات .

وبالرغم من ذلك ، لم يقتنع القاضى « وينشتين » طوال ذلك الوقت بحجة « أن كاهانا هو مخلص الشعب اليهودى » ، كما لم يستسلم أمام مئات الخطابات التى ارسلها مريدو كاهانا . واستمر كاهانا متخذا هيئة الاستقامة الذاتية فى المحكمة حتى لحظة النطق بالحكم .

وقال كاهانا للمحكمة قبل الحكم : « ان الخطابات — وهى كل مظاهر العنف الذى استخدمته رابطة الدفاع اليهودى — لم تكن عنفا متهورا او طائشا ، انما كانت درسا فى المنطق السياسى » . فقد كانت الخطابات ردا على عملية ميونيخ التى قال عنها : انها موجهة الى صميم الروح التى يحب الناس ان يسموها اليهودى الجديد ، كما كانت ضد الوفاق الدولى ، الذى قال عنه : انه « قضى » على اليهود السوفييت .

واضاف : « لقد فعلت ما فعلته ، ولكن لم افعله بالتأكيد احتقارا للقانون ابدا . لقد فعلت ما فعلت . وسأفعل ما قد افعله مرة أخرى ، لأننى أحب القانون ، ويجب أن يوجد القانون حيث يكون العدل . كما ينبغى أن يوجد القانون حيث تكون الحرية . ويجب أن يكون هناك قانون لكل الناس . ولو أننى امتنعت عما ينبغى أن افعل يوما ، فسوف تحطم زوجتى الاسرة . ان لى زوجة رائعة ، وقد تحدثت اليها تليفونيا يوم الجمعة الماضى . وقالت لى : مهما حدث ، افعل فقط ما ينبغى أن تفعله . لذا ، أستطيع أن أنهى حديثى باننى لا أحقد على فخامتكم . لقد فعلت ما تقول الحكومة أننى فعلته ، وعصيت أمر المراقبة ، وسوف تقومون بما ينبغى عليكم أن تفعلوه ، وتقوموا به بضمير مستريح ، ولتعلموا ان ما فعلته قمت به بضمير مستريح » .

وحكم على كاهانا بالسجن لمدة عام . وأمضى ثمانية اشهر فى احدى دور مانهاتن للحبس الجزئى ، حيث كان مسموحا له بالخروج كل يوم لتناول الطعام فى مطاعم « الكوثر » التى تقدم طعاما يتفق مع الشريعة اليهودية . واستغل كاهانا الوقت عمليا فى مباشرة اعمال رابطة الدفاع اليهودى . وبعد أن سئم « وينشتن » تصرفات كاهانا الغريبة ، أمر الحاخام بقضاء الاشهر الاربعة الباقية من عقوبته بأحد السجون الفيدرالية ذات الحد الادنى من الحراسة فى الينوود بولاية بنسلفانيا .

وقال لى كاهانا بعد ذلك : « كان السجن متعة حقيقية فقد كنت اقرأ التوراة طوال اليوم » .

الفصل العاشر
فضيحة جيري المبرين

فى الوقت الذى خرج فيه كاهانا من السجن الفيدرالى فى « الينــوود » ، كانت رابطــة الدفاع اليهــودى فى حالة من الفوضى ، وانخفضت عضويتها لتصــل الى اقل من الفى عضو ، ولم يعــد فى فرعهــا بنيويورك اكثر من اربعمائة عضو ، يدفع كل منهم رســوم عضوية تبلغ ٢٥ دولارا فى العــام . وقد لاحظ احــد المراقبين أن الرابطــة قد تغيرت من منظمة تمــوج بالشباب الجامح ، الى جمــاعة يقــوم على شــئونها عــدد من موظفى السكرتارية المذعورين الذين يختبئون خلف باب مكتب مغلق فى بروكلين . وقــد اعترفت « بونى بيشتر » ، وهى سيدة بدينة ذات شعر مجعــد ، تبلغ من العمــر ستة وعشرين عاما ، عينت مديرا قوميا للرابطة اثر ذهاب كاهانا للسجن بقولها : « كانت لرابطة الدفاع اليهــودى سمعة سيئة للغاية . ولم تعــد وســائل الاعــلام راغبة فى الاستماع الينا . وكانت تلقى بأخبــارنا الصحفية الى سلة المهمــلات . ويجب أن نتذكــر أن الصحافة هى الاداة الرئيســية لرابطــة الدفاع اليهــودى . فلولاها لمــا وجــدنا ، ولم تكن الصحافة مهتمة باعتصاماتنا عنــد السفارة الاسرائيلية » .

وفى ١٩ يونيو ١٩٧٥ ، عقد كاهانا ، قبل دخــوله سجن « الينــوود » باسابيع قليلة ، مؤتمرا صحفيا فى مطعم « جفنين » بمانهاتن ليعلن عن تشــكيل جمــاعة سرية للارهاب اليهودى ، ذكر أنها ســوف تقاتل « الاعــداء الألداء للشعب اليهودى بعنف شــديد » . وفى ذلك الوقــت كان كاهانا محتجزا فى احــدى دور الحبس الجزئى فى مانهاتن ، وكان يتركهــا بين الحين والآخــر لادارة اعمــال رابطة الدفاع اليهــودى . وكان ســادرا فى عــدم مبالاته بالأوامر ، التى تحظر عليه عــدم الانخراط فى انشطة رابطة الدفاع اليهودى ، الى الحــد الذى ترك فيه الحجز فى احــدى المرات ليتزعم ثلاثمائة متظاهر عبر احدى الضواحى التى يعيش فيها النازحون من أمريكا اللاتينية فى منطقة بوروبارك التى يسودها اليهود فى بروكلين ، وهم يهتفون عبر مكبر صوت كبير مهددين بالاعتداء على اثنين من هؤلاء النازحين ، مقابل كل يهــودى يتعرض للاعتداء فى الشــارع . والآن ، يعلن كاهانا فى مطعم « جفنين » أن رابطــة الدفاع اليهــودى ســوف تساند جماعة الارهاب اليهودية السرية الجــديدة « بكل الســبل التى فى مقدورنا .. ونحن نرحب بقيامها كأمر نحتاجه للغاية . وأتونى لها الخير ، وآمل أن تستعمل العقل اليهودى مع القبضة اليهودية » .

وقد حاول متطرفو رابطــة الدفاع اليهــودى الذين أســموا أنفســهم « المقاومة المسلحة اليهودية » محاكاة الأمجــاد القديمة على مدى تســعة

أشهر بين عامي ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ . ففي نيويورك ، انفجرت قنابل انبوبية خارج مقر البعثة العراقية بالامم المتحدة ، والقنصلية البولندية ، ومكتب « امتورج » . كما اطلقت قذائف أيضا على المجمع السكني السوفيتي في « برونكس » ، وعلى مسكن اثنين من الدبلوماسيين السوفييت بضاحية « مريلاند » ، وعلى مقر البعثة السوفيتية بالامم المتحدة ، مخترقة نافذتين بالطابق الخامس في القسم الأوكراني . وفي ٢ مايو ١٩٧٦ ، وفي الساعات الأولى من الصباح قبل خروج مسيرة مساندة لليهود السوفييت في مانهاتن أحدثت خمس مجموعات من القنابل البسيطة ، أضرارا ثانوية في مقر الحزب الشيوعي الامريكي ، واثنين من البنوك بوسط المدينة لهما معاملات مع الاتحاد السوفيتي ، واحدى المكتبات التي تبيع كتبا باللغة الروسية ، ومخرج نفق قريب من مكتبة الأمم المتحدة . وفي ٢٣ يونيو ١٩٧٦ ، دمرت قنابل حارقة مركبات تابعة للخطوط الجوية الامريكية « بان أمريكان » . وفي مدينة واشنطن ، احدثت قنبلة ثقبا في جدار وزارة الخارجية وهشمت الأبواب والنوافذ الزجاجية ، مسببة خسائر تقدر بحوالي ١٥ ألف دولار . واعلن متحدث باسم رابطة الدفاع اليهودي أن الانفجار كان بغرض الاحتجاج على « بيع اسرائيل للسادات » .

وتوقف سيل النشاط ، عندما القت المباحث الفيدرالية القبض على ستيفن اهرلنتش البالغ من العمر ٢١ عاما ، وستيفن رومبوم البالغ من العمر ١٧ عاما ، وتوماس ماكنتوش الذي اعتنق اليهودية ، وبلغ ستة وثلاثين عاما ، أثناء عبورهم بالسيارة جسر « جوثالز » الواقع بين نيوجرسي وستاتن ايلاند ، وبحوزتهم اربعة أرطال من البارود . وشهد ماكنتوش ، الذي اصبح شاهد اثبات ، ضد اصدقائه ، كما ورط ايضا زعيما في رابطة الدفاع اليهودي ، هو راسل كلز ، البالغ من العمر خمسة وثلاثين عاما ، وشخصا آخر في سلسلة أعمال التفجير الارهابية التي قامت بها « المقاومة المسلحة اليهودية » . وبناء على ذلك أدين رجال رابطة الدفاع اليهودي ، وصدرت ضدهم أحكام بالسجن ووفقا للوثائق الحكومية ، تم استجواب حوالي عشرين شخصا على الأقل بشأن دورهم في حوادث التفجير المنسوبة الى « المقاومة المسلحة اليهودية » ، ومن بينهم كاهانا الذي اتهم بأنه شريك متآمر .

وكان ستيفن رومبوم نموذجا مأساويا خاصا لنوع المختلين عقليا الذين اجتذبهم كاهانا لرابطة الدفاع اليهودي . فهو طبقا لسجلات المحكمة ، شاب يميل الى العنف ، وقضى ثماني سنوات منذ أن بلغ السادسة في المصحات النفسية ، وانضم الى رابطة الدفاع اليهودي عندما بلغ اثنى عشر عاما برغم الاعتراضات الجادة التي ابداها أطباؤه والباحثون الاجتماعيون الذين خاطبوا مسئولي رابطة الدفاع اليهودي ، يرجونهم عدم السماح لرومبوم بالانضمام الى المنظمة النضالية . وعقب ادانة رومبوم ، سقطت أمه ضحية اكتئاب حاد .

وكتب والده ابراهام الى القاضى يناشده الافراج عن ولده ، قائلا : « لقد انهار زواجى تماما . ولم يعد لدى زوجتى اى اهتمام بالعلاقات الزوجية ، ولا استطيع الحديث معها فى شىء عدا ستيفن » . وفى أواخر عام ١٩٨٥ ، كان رومبوم ــ الذى يعمل الآن مخبرا خاصا فى نيويورك ــ مسئولا عن أمن الحاخام كاهانا فى الساحل الشرقى .

وتوقفت انشطة « المقاومة المسلحة اليهودية » فى مدينة واشنطن بعد ادانة ويليام بيول ــ مخطط مشروع طرد العرب الذى تبناه كاهانا ، والبالغ من العمر سبعين عاما ــ بالتدبير لاطلاق النار على منزلى دبلوماسيين سوفيتيين فى « هياسفيل » ، بمريلاند . وادعى بيول ، أثناء محاكمته فى نوفمبر ١٩٧٦ ، أن شخصا يدعى لينتوف ، زعم أنه عميل للمخابرات الاسرائيلية ، هو الذى ورطه فى المؤامرة . والواقع أن الرجل كان مخبرا سريا للمباحث الفيدرالية . وصدر حكم على بيول بالسجن لمدة عامين مع وقف التنفيذ ، وغرامة ١٢٫٠٠٠ دولار ، وبناء على طلب المباحث الفيدرالية ، اطبق البوليس الايطالى على احد أبناء بيول بسبب علاقته بنشاط « المقاومة المسلحة اليهودية » الاجرامى ، ثم أطلق سراحه لعدم كفاية الادلة .

واستنزفت المحاكمات كلا من رصيد « رابطة الدفاع اليهودى » فى البنوك ، وقوتها البشرية . ووفقا لما تقوله « بيشتر » كان حوالى اربعين من اعضاء الرابطة فى نيويورك متورطين فى حوادث الانفجارات التى ارتكبتها « المقاومة المسلحة اليهودية » . وبمجرد القبض على رومبوم ورفاقه ، نزح العشرات من أعضاء رابطة الدفاع اليهودى واسرهم الى اسرائيل . وفى نفس الوقت ، ارتفعت أتعاب المحامين الى عشرات الآلاف من الدولارات . وتقول بيشتر : « كان هناك العديد من الاشخاص الذين قاموا بأعمال عنف لصالح رابطة الدفاع اليهودى بفضل اخلاصهم وولائهم لكاهانا » . الا ان كاهانا ، الذى كان مطلق السراح فى ذلك الوقت ويقوم بجولات لجمع الاموال ، تنصل من مسئوليته عن مرتكبى حوادث الانفجار ، رغم موافقته على اعمالهم الارهابية ، وفقا لما تقوله بيشتر والعديد من المسئولين السابقين فى الرابطة .

وقد كتب كاهانا لاحدى عضوات مجلس ادارة الرابطة « لارين شوموسكى » ، يقول : فيما يختص بأعضاء رابطة الدفاع الذين يواجهون المحاكمة ، أوضحت باننى سأكرس احدى عطلات نهاية الاسبوع لجمع الاموال لهم . دعينى أقول مرة أخرى ، اننى اعتبر أن تصرفاتهم الحقت الاذى الشديد باليهود (وهى ليست فقط اعمالا غبية ، برغم ان هذا بالتحديد هو وصفها) ، ودعينى أقول لك السبب :

بافتراض صحة التهم الموجهة لروس ، وروميوم ، وباكنتوش (وهو الامر الذى ادعو الا يكون حقيقيا) نكون اذن بصدد التعامل مع حماقة

وعــدم مسئولية اشخاص يتصرفون : (١) على هواهم الشخصى . (٢) بالرغم من كونهم يدركون أن اعضاء رابطة الدفـــاع اليهودى لا بد أن يكونوا حمقى ايعتقدوا بامكان أن يصبحوا اعضاء مكشوفين فى جماعـــة تراقبهـــا المبـــاحث الفيدرالية ، وفى نفس الوقت اعضاء سريين على غرار جيمس بوند . (٣) كهواة متأكدين من القبض عليهم ، ويقومون بأمور لـــم يعد لها نفس الوزن بعد خمس سنوات من الاحداث الكبيرة . (٤) يلقون على عاتقنـــا عبء تدمير كل مخططاتنا ومشروعاتنا بخصوص الامور الحيوية التى ينبغى القيـــام بهـــا الآن ، وذلك بوقف اموالنا . ورجالنا ومواردنا لمساعدتهم .

فما الذى سيحدث غدا ، اذا ما قرر اى صبى ان يقوم بتصرف طائش واحمق ؟ هل ينبغى علينا دائما ان نتورط فى هذه الاشياء التى لم نأمـــر بهـــا او نخطط لها بالاضافة الى كونها ليست صالحة او ملحة الآن ؟ . . ولمـــاذا لا تفرغ الرابطة خزانتها كلما علمنا ان هناك يهوديا فى اسرائيل يحتاج لكليـــة صناعية ، او يواجه الموت (وهـــو الامر الذى يحدث يوميا تقريبا) ؟

ان على رابطة الدفاع اليهودى أن تعمل على استمرار وجود واعـــداد مشروعات وأعمال تكون : (١) هامة (٢) معقولة . فلا يمكن أن تموت لأى سبب آخر ، ، ناهيك عن أى تصرف احمق . ولذلك ، وسوف أساعدهم ، وخاصـــة بيل بيرل ولكن ، بما ان « رابطة الدفاع اليهودى » قد وصلت الآن الى حـــد انها تقوم بأعمال لا يجب ان تقوم بها وليس هذا فحسب بل انها بدأت تضر بجهودى للقيام بمـــا ينبغى اداؤه ، فاننى اود التخلص مـــن اى التزام . . . بالمساعـــدة » .

وكان اعضاء مجلس ادارة رابطة الدفاع اليهودى خائفين من كاهانا الىحد انهم لم يطلبوا منه أن يفعل اكثر من ذلك لمساعدة زملائه المسجونين . ويقول ستانلى شوبسكى ، زوج لارين ، الذى كان عضوا فى مجلس ادارة الرابطـــة « لقد كنا جبناء » . كما لاحظ ستانلى انه عندما كان كاهانا يتعرض للمشاكل ، كان يحصل على أفضل المحامين الذين يمكن استئجارهم ، مثل بارى سلوتنيك . وعندما كان يلقى القبض على شباب رابطة الدفـــاع اليهودى ، كان عليهم أن يلجأوا الى المحامين متوسطى الكفاءة أو « محاميى عضة الكلب » كما كان يسميهم اعضاء الرابطة . ويقول شوبسكى — الذى كان يستغل منصبه كرئيس لمعهد اسرائيل الفتاة فى كونى ايلاند لتحويل آلاف الدولارات الى كاهانا فى اسرائيل — يقول شوبسكى : « لا اعتقد أن كاهانا كان يرى رابطة الدفاع اليهودى كمنظمة دفاع . وانما كان يراها كأداة للوصول الى الصحافة وجمع المال . وعنـــدما وقع هؤلاء الصبية فى مشكلة خطيرة واحتجنا لاستخدام الاتصالات ، لم نجـــد مشاركة من كاهانا . ولو كنت صبيا تعرض نفسك للخطر ، لأردت على الأقـــل

ان تعرف أن هناك من سيغطى نفقاتك اذا القى القبض عليك . لقد أمضى روسى كلز ثلاث سنوات فى السجن . وكان يستحق بالطبع راتبا أسبوعيا . وكنا نعنى بذلك . ولكن كاهانا لم يزره فى سجنه حتى عندما كان فى الولايات المتحدة ابان جولاته لجمع المال من اجل حملته للكنيست » .

وبرغم أن كاهانا كان يرفض أن يساعد أتباعه الامريكيين ، كان كاهانا يطالبهم بتنفيذ أوامره . وتتذكر بيشتر قائلة : « كان يجعلنا نقوم بكل انواع النشاط التى كان من المفترض أن تضر بالحكومة الاسرائيلية وتكسبه الشعبية . وكان يريدنا أن نضايق الدبلوماسيين الاسرائيليين — ويطالبنا بأن نحصل على أرقام لوحات سياراتهم ونتتبعها لمضايقتهم . كما اعتدنا أن نقوم باعتصامات بالسفارة الاسرائيلية . وكنا نقوم بذلك غير مقتنعين تماما ، حيث كان هناك اجماع داخل رابطة الدفاع اليهودى بأننا لم ننضم اليها لهذا السبب . وانما انضممنا لمحاربة العداء للسامية — ولم نكن نرى أن الحكومة الاسرائيلية هى عدونا ، حتى برغم اختلافنا مع العديد من سياساتها » .

وقد ظلت البقية المتشددة من أعضاء رابطة الدفاع اليهودى على ارتباطهم بكاهانا برغم أنهم كانوا يتألمون من مواقفه ضد الحكومة الاسرائيلية بنفس القدر الذى كان يؤلمهم عدم مبالاته بصغار الرابطة الذين انتهى بهم الأمر خلف القضبان. وعلاوة على ذلك ، وبرغم ما فعله كاهانا وما قيل فى الحط من شأنه بدا أن الحاخامات المتشددين المحافظين سياسيا استمروا فى دعوته للحديث وجمع الأموال فى معابدهم ومراكز تجمعاتهم . وفى بعض ضواحى نيويورك ، كان من السائد بين السياسيين فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات القاء خطبهم الانتخابية من فوق المنابر المؤيدة لرابطة الدفاع اليهودى . فكان عضو الكونجرس ماريو بياجى يفخر بصداقته لكاهانا ويحضر احتفالات الرابطة . كما فاز دوف هكند بمقعده النيابى عن الولاية لأول مرة باعتباره زعيما سابقا متشددا بعصبة الدفاع اليهودى . كما سعى هارى سمولر وهو سمسار فى بورصة بروكلين ، مرتين للفوز بمقعد نيابى عن الولاية على أساس برنامج الرابطة صراحة ، وذلك قبل ان يحصل على المقعد فى نهاية الأمر بمساندة من الرابطة . وفى عام ١٩٧٩ ، فاز ليون كاتز فى انتخابات مجلس المدينة عن بروكلين بمساندة واضحة من الرابطة . وفى أوائل السبعينيات ، ساندت الرابطة سرا « كينيث هابر » ، عضو المجلس على مستوى الولاية ، والذى ينتمى للحزب الليبرالى ، وهو الذى أصبح فيما بعد المساعد التنفيذى لرئيس مقاطعة بروكلين ، هوارد جولدن . وفى عام ١٩٧٠ ، أدار « هاى ديشتر » حملة انتخابية ضارية مؤيدة لرابطة الدفاع اليهودى للفوز بمقعد المجلس النيابى ممثلا للقسم الشرقى الأدنى من نيويورك ، انفق فيها أكثر من عشرة آلاف دولار من المساهمات السياسية التى جمعها كاهانا . وخسر « ديشتر » بفارق بلغ ٤٧ صوتا فقط .

وكان كل الجهاز السياسى الديمقراطى لمجلس المقاطعة التاسع والثلاثين تخترقه عناصر حزب حيروت اليمينية ممن لا يرون فارقا ملموسا بين حزب حيروت ورابطة الدفاع اليهودى . وكان « جورج ميسنر » المحامى الخاص بسمسار الطاقة فى بروكلين « ميداسبوسيتو » ، رجل كاهانا المتحمس . وكان بارى فوكس رئيس فرع رابطة الدفاع اليهودى فى شيبسهيدباى ، رئيسا أيضا لمجلس ادارة اتحاد نقابات المعلمين . وكان أندروشتين ، الرئيس القوى لمجلس مدينة نيويورك حاليا ، يمد الرابطة بالميكروفونات ومكبرات الصوت فى الاجتماعات المؤيدة لليهود السوفيت عندما كان عضوا بالمجلس النيابى للولاية .

وقد كانت رابطة الدفاع اليهودى متعجلة سياسيا عام ١٩٧٢ ، عندما نزلت بمرشحيها الذين لم يحالفهم التوفيق أمام نائب ولاية نيويورك الديمقراطى الليبرالى ستيفن سولارز ، وعضو الكونجرس عن نيويورك بيلا ابزوج . فقد شن عضو الرابطة المحامى هارفى ميتشلمان حملة هجوم ضارية ضد ابزوج ، متهما اياها بأن لها علاقات مع الحزب الشيوعى ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، و « الفهود السود » . وذكرت احدى النشرات الدعائية التى صاغها كاهانا وطبعت فى مطابع رابطة الدفاع اليهودى « ليس هذا انتخابا عاديا بالنسبة لناخبى الكونجرس فى الدورة التاسعة عشرة ، وانما هو انتخاب يضع موسكو فى مواجهة القدس ».

بيد أنه حتى أشد أنصار كاهانا حماسا ، أصيبوا بالانزعاج عندما ظهرت على السطح أنباء نزواته الجنسية عقب خروجه من سجن « الينوود » . فهم قد يغفرون للحاخام المتزمت علاقاته بالمافيا ، وجنون العظمة ، وطبعا الارهاب — ولكن علاقات جنسية محرمة ؟ لقد كان كاهانا بالنسبة لهم رجلا مقدسا ، وكان عليه أن يضرب لهم المثل . وفوق كل شىء الزنا محرم فى الوصايا العشر ، ومامن أحد حتى كاهانا ، فوق الشرائع الموضوعة للبشر . أنه برغم كل اخفاقات كاهانا لم يرفضه أبدا تابعوه لأنهم كانوا يوافقون على كل ما ينادى به . ولكنهم لم يكن لديهم علم يذكر عن ضعفه الشديد تجاه النساء .

أما بالنسبة للمراقبين عن كثب ، بالطبع ، فقد كانت هناك العديد من الدلائل على أن سلوك الحاخام كان أقل ورعا بكثير مما يدعيه فى مواعظه . وكانت رابطة الدفاع اليهودى تموج بالشائعات حول علاقات كاهانا النسائية ، ويرجع السبب جزئيا الى أنه كانت هناك العديد من النساء فى الجماعة تحلمن بممارسة الحب مع الحاخام النحيف ، العصبى ، مختلج العينين دائما . وتقول اديث هوروفيتز ، التى استمرت مع زوجها فريد يناصران كاهانا ويوسف شوريا طويلا فى الستينيات : « لم تكن هناك امرأة فى لوريلتون لم تحلم به . وتذكر فاى لويد احدى حبيبات كاهانا ، ان جلسة النظر فى الغاء وقف تنفيذ الحكم الصادر ضد كاهانا عام ١٩٧٥ ، اجتذبت العديد من سيدات المجتمع اليهودى اللواتى كن منبهرات به . وتقول لويد : « كانت النساء مشدوهات . وكانت امرأة فى حوالى

السبعين من عمرها تقف خارج المحكمة تحت شجرة ، وكانت عيناها تبرقان مثل لعبة كرة الدبابيس كلما رأته سائرا بالخارج » .

وابان سنوات تأسيس رابطة الدفاع اليهودى ، كان كاهانا فى وقت من لاوقت يمضى أسابيع على الطريق ، يفرع فولايات المتحدة ليجمع الاموال وينشىء الفروع . وبدأت التقارير ترد الى مجلس الرابطة حول نزوات كاهانا الغرامية المزعومة ، الا أن أحدا لم يكن يرغب فى تصديقها . فقد كان كاهانا ... فى نيويورك سمعة الاستقامة الشديدة . وفى احدى المرات ، وأثناء ... خيرية لصالح صندوق الدفاع الشرعي التابع للرابطة فى كوينز ، حيث ... موسيقار الجز العظيم « ليونيل هامبتون » وممثل بورشت ... الزى « جاكى ماسون » ، أثناء ذلك اندفع كاهانا خارجا من المسرح ... راقصة ترتدى ثيابا عارية لتؤدى رقصة خليعة بين فقرات الحفل الرئيسية .

غير أنه كانت هناك أقاويل تدور دائما فى المكتب حول كاهانا و رينيه برون المدرسة باحدى مدارس مدينة نيويورك وسكرتيرة كاهانا الشخصية . وكانت ... فى الرابطة بأنها امرأة ذات مظهر صارم رزين وشخصية طاغية ، تكبر كاهانا بخمس سنوات ... كثيرا . وتقول بونى بيشتر : « اعتادت رينيه أن تعمل بى نهارا وليلا ... حالة عن كاهانا . فقد كانت تريده بشدة ، وكان مستحوذا عليها ... الناس يعاملونها بازدراء باعتبارها مضطربة عاطفيا . ذلك أن ... هو ... لها وقضاء وقت طويل معها لم يكن يعنى أنهما كانا ...

وبعد أن شكت براون لاصدقاء لها فى رابطة الدفاع اليهودى من أن كاهانا ... الى امرأة أخرى ، فصلها الحاخام من خدمته ، وعين جيرى ... امرأة جذابة ... ، مرحة ... الرابطة . وقبل أن تصبح سكرتيرة خاصة لكاهانا ، كانت تواعد روس كيلنر . وتقول بيشتر : « بدأ الناس فى مكتب الرابطة فى ... عن جيرى وكاهانا ، وكان أعضاء المجلس يقولون « لا تكونوا سخفاء ... »

المتعة بغراميات كاهانا . فقد كان افرادها يخشون من اية فضيحة ... فى الضواحى المحيطة بمدينة نيويورك كانوا متعلقين بالاثارة التى أحدثها كاهانا

فى حياتهم . وقد صدقوه عندما اعلن انهم معا سوف يخلصون الشعب اليهودى . تدون فاى لويد ، التى كانت تقوم بتشغيل احدى ماكينات الطباعة الخاصة [illegible] منه فى [illegible] عيش [illegible] . « كنت أعيش وأحلم [illegible] الكفاح اليهودى ، ولا استطيع تصور شيئى [illegible] » .

[illegible] الناحية الاخرى [illegible] لابد ان [illegible] تحلم بحياة [illegible] الدفاع اليهودى . وكان احد اسباب انتقالها لاسرائيل [illegible] فى [illegible] [illegible] اما الان [illegible] [illegible] خطابات المجهولة [illegible] حول علاقته بزوجته [illegible] [illegible] بالجامعة العبرية حيث كانت تعمل أمينة مكتبة . كما تلقى شقيق كاهانا زوجته خطابات [illegible] . وعندما واجه نحمان شقيقه [illegible] كاهانا [illegible] آخرين [illegible] ان يبتعد عن شئونه . وامتنع نحمان ، الذى كانت تساوره الشكوك [illegible] [illegible]ديث معه بعدها ، [illegible] والدهما مرض الموت بعد ذلك بعام [illegible] .

ولم يكن كاهانا كأب عطوف افضل منه كزوج او كشقيق محب . وتقول فيجا ، زوجة نحمان : « عندما كان مسافرا فى أمريكا ، كان احيانا يطلب مكالمة [illegible] لبتدارس [illegible] كان يداعب احفاده [illegible] ساعته الميقاتية ليلعب معهم دقائق قليلة . وبالنسبة للعلاقات الاسرية كانت الدقيقة التى تجلسها بجواره تنصب على الحديث عن السياسة . [illegible] [illegible] الحديث [illegible] العالم الآن [illegible] [illegible] .

كما كان كاهانا غير مبال ايضا فى علاقته بوالديه . وتقول فيجا انه [illegible] [illegible] ومخرج منه فى غضون ثلاثين دقيقة وهو الوقت اللازم لالتهام بعض الكعك المحشو بالجبن . وهى تتعالى عليه للغاية ، [illegible] وهى تعلم أن معظم الناس غير متعاطفين مع مائير . الا انها تحصل من أصدقائه على قدر كبير من الدعم الايجابى . فمعظم أعضاء « كاخ » لديهم الذوق الكافى ليدركوا أنها سيدة عجوز ولا ينبغى ابلاغها بما تزعمها .

وفى أوائل عام ١٩٧٧ ، تعرض تشارلز كاهانا لانهيار صحى فى شقته ، ونقل على الفور الى المستشفى . وعندما اتصل نحمان بمائير ، الذى كان فى جولة لجمع الاموال بامريكا من اجل حملته الانتخابية لدخول الكنيست ، وتوسل اليه ليعود مسرعا ، اجابه مائير الذى كان مسافرا مع جيرى البرين : لا ، ليس هذا هو الوقت الملائم للعودة بالنسبة لى .

وخاض كاهانا حملته الانتخابية بحماس محموم ابان شتاء وربيع عام ١٩٧٧ . وكان برنامج «كاخ» السياسي يعد بحل المشكلة العربية ومشكلات اسرائيل الاقتصادية والاجتماعية بضربة واحدة .

« تخيلوا فى اذهانكم ، اى اسهام ضخم لاقتصاد اسرائيلى سوف تحققه خطتنا لطرد العرب .. تخيلوا ما الذى يمكن ان يحدث اذا ماتم توفير كل الملايين من الدولارات التى تنفق الآن على تطوير المدن والقرى فى القطاع العربى ، واستخدامها من اجل المصالح اليهودية .. انه اذا عاش اليهود فى آلاف البيوت العربية الخالية . واذا وفرنا كل الاموال الضائعة التى تنفق على اجراءات الامن لمنع هجمات السكان المعادين .. فان الخيال ليجمح ... » .

وتوجه كاهانا بخطابه فى اسرائيل أساسا الى أعضاء « جوش ايمونيم » التى اقر زعيمها الروحى راف زفى يهودا كوك توجهات زعيم كاخ. وأعلن كوك فى خطاب تأييد حظى بانتشار واسع : « ان وجود الحاخام مائير كاهانا وكلماته غير المهادنة فوق منصة الكنيست سوف تضيف بلا ريب قوة وقيعة للنضال الحتمى ، دفاعا عن كامل أرض اسرائيل » . وكان كوك نصيرا قويا للحزب الدينى القومى ، ألا أنه اختلف معهم عام ١٩٧٤ ، حين انضموا الى ائتلاف حكومة العمل ، حتى أن زعيم جوش القوى وقف مع كاهانا لالتقاط صورة لهما معا أمام حائط المبكى . وطبع كاهانا الصورة الفوتوغرافية فى المنشورات التى كان يستخدمها فى جمع الأموال لحملته . وربما كان الباعث على مساندة كوك لكاهانا لا يقف عند حد المبدأ الايديولوجى : فقد ظل كاهانا لسنوات عديدة يحول الاموال ليشيفا مر كازهاراف عن طريق احدى جماعات التمويه التابعة لرابطة الدفاع اليهودى ، وهى شباب العمليات اليهودية ، وذلك بموجب الشيكات الملغاة التى استطاع الحصول عليها ، والتى كان كاهانا قد أصدرها الى اليشيفا الوطنية المتطرفة .

وكان بيجين ، الذى كان مناصرا لكاهانا فيما مضى ، قد أزعجه أن يدخل الحاخام الامريكى انتخابات الكنيست على قائمة مستقلة . وفى الاستياء العام المتنامى ازاء حزب العمل ، الذى القيت عليه اللائمة على نحو واسع بسبب خسارته تقريبا لحرب يوم الغفران ، كان لدى كتلة بيجين اليمينية فرصة كبيرة لأول مرة للسيطرة على الكنيست ومن ثم كان أى صوت لصالح كاخ سيكون على حساب بيجين .

وقد ذكر ارفنج كالديرون ، المسئول السابق فى رابطة الدفاع اليهودى أن بيجين طلب منه اقناع كاهانا بالانسحاب من المنافسة لمصلحة اليمين الاسرائيلى . الا أن كاهانا رفض الامتثال لذلك . ويستعيد كالديرون ذكرياته قائلا : « اخبرنى كاهانا أنه سوف يصبح رئيس وزراء اسرائيل . وقد احترت

وقتها فيما اذا كان لديه عقلان ـ عقل منطقي يدرك أنه ليست لديه فرصة حتى لدخول الكنيست ، والآخر روحاني يتلقى الامر من الرب » ٠

وقد أوضحت صناديق الاقتراع أن العديد من الاسرائيليين كانوا يقبلون ببعض أفكار كاهانا ، لا أن أحدا لم يكن يوافق على أساليبه الصدامية ، فيما عدا أتباعه من المغالين في التشدد ، وغلاة المتطرفين في صفوف جوش ايمونيم وفي حين اكسبته تلك الأساليب شعبية عريضة وبعض التأييد ، لم تساعده تلك الاساليب على الفوز بمقعد الكنيست الذى كان يتوق اليه طويلا وفي انتخابات ١٩٧٧ التى أتت ببيجين الى السلطة ، منى كاهانا بهزيمة نكراء ، حيث حصل على ٣٩٦ر٤ صوت ، بما يساوى ٢٥ر٠٪ فقط من أصوات الناخبين ٠

ومرة أخرى ، كان ولع كاهانا بالشهرة يعاوده من جديد ٠وكما حدث مرات عديدة في حياة الحاخام ، كان سلوكه الطائش سببا في سقوطه ٠ ويعترف كاهانا على مضض فيقول : « قبل انتخابات مايو ١٩٧٧ بأسبوع واحد ، خسرت خمسة آلاف صوت في يوم واحد » ٠ وكان ذلك اليوم الذى اقتحم فيه كاهانا ، ومجموعة من أتباعه الذين يحملون بنادق عوزى نصف الآلية ، مكاتب عمدة نابلس الموالى لمنظمة التحرير الفلسطينية بسام الشكعة في محاولة لطرده خارج الضفة الغربية ٠ وقال لى كاهانا : « كان هناك رد فعل عنيف ، حيث تلقيت آلاف الخطابات والمكالمات التليفونية الغاضبة ٠ وقد كلفنى ذلك عدم نجاحى في الانتخابات ٠ الا انني ، كالعادة ، كنت ببساطة أسبق زمنى » ٠

ويذكر الشكعة هجوم كاهانا جيدا ، ويقول في أحد اللقاءات معه عام ١٩٨٠ « أرسل لى كاهانا برقية يحذرنى من أنه قادم الى نابلس لمعاونتى في حزم حقائبى » ٠ وسلم العمدة البوفيه الى الحاكم العسكرى للضفة الغربية حينذاك الكولونيل جوزيف كوهين ٠ الا أن الكولونيل أبلغ العمدة أن اسرائيل بلد ديمقراطي ومن ثم ليس بمقدوره منع كاهانا من زيارة نابلس ٠

ومنعت جمهرة العرب الغاضبين ، الحاخام وزمرته الرعناء من دخول مبنى بلديه نابلس ٠ وترك الشكعة مكتبه بالطابق الثانى لمواجهة كاهانا ، الذى كان يهتف بالعربية « مافيش فلسطين » ٠ وعرض العمدة أن يدفع للحاخام تكاليف عودته الى أمريكا وانفجر العرب في الضحك ، وبدأت مباراة في التراشق بين الطرفين ٠ ووصلت الشرطة الاسرائيلية قبل اندلاع أعمال شغب واسعة النطاق بلحظات ٠

وقال لى العمدة : « انه يتم السماح لكاهانا باثارة القلاقل لأن الحكومة الاسرائيلية الحالية ترغب في أن يضيق العرب من الحياة في الضفة الغربية ويتركوها . ان سياساته امتداد منطقى لسياسات الليكود » .

وذكر كاهانا انه يتفق مع تحليل العمدة فى جانب واحد على الاقل : وهو زعمه بأن العديد من الأصدقاء ذوى النفوذ فى حكومة بيجين ، ممن يرغبون فى طرد العرب من اسرائيل والأراضى المحتلة ، الا أنهم يخشون رد الفعل الدولى المعادى . وبرغم هزيمة كاهانا الشخصية . ذكر كاهانا أنه ابتهج بمفاجأة فوز « بيجين » فى مايو ١٩٧٧ . فقد أحس أن اسرائيل أصبح لديهـا أخيرا رئيس [illegible]

ويستعيد كاهانا ذكرياته فيقول : « [illegible] ذهبت اليه بخطة ، وأبلغتـــه بأننى سأجمع الآلاف من أنصارى وأشق حوشة [illegible] مناهضة الحكومة عبر البلاد . وحينئذ يستطيع بيجين أن [illegible] [illegible] [illegible] دخان لضم يهود والسامرة » . الا أن بيجين رفض المشروع ، مما حدا بكاهانا الى اتهام بطله القديم بأنه خائن للشعب اليهودى .

وعاد كاهانا الى امريكا فى يونيو ١٩٧٧ ، ليبدأ فى جمع المال اللازم لحملة انتخابات الكنيست القادمة التى ينوى دخولها . وكانت [illegible] الدفاع اليهودى كجهاز علاقات عامة خاص به . ثم أثارت الرحلة التاريخيــة للرئيس المصرى أنور السادات الهلع من صفوف اليمين الراديكالى الاسرائيلى ، الذى خشى أن تسعى الحكومة لكسب رضاء الرئيس المصرى بالتخــلى عن الأرض . [illegible] كاهانا زيارة السادات [illegible] مظاهرات أمام القنصلية الاسرائيلية فى نيويورك . وتقول بيشتر ، التى كانت قد اتصلت بكاهانا عقب هزيمته فى انتخابات الكنيست [illegible] للاعراب عن تعاطفها وتأييدها [illegible] الا [illegible] كذلك ، فسوف يتيح له ذاك شيئا يفعله . وكنت ادرك أنه يشعر بالاحباط ، وكنت حزينة من أجله .

ورغم أن بيشتر قبلت على مضض خطط كاهانا للتظاهر ضد الكنيســة الاسرائيلية ، كانت بيشتر لديها افكارها الخاصة حول كيفية ادارة رابطة الدفاع اليهــودى . وفى مارس ١٩٧٧ ، حصـــل فرانك كولين ، المنتمى الى النازيــة الجديدة ، على تصريح المحكمة بخروج مسيرة عبر سكوكى ، بالنوى ، [illegible] ضاحية مزدحمة فى شيكاغو ، يقـــطن بها العديد من ضحايا « الهولوكست » الباقين على قيـــد الحياة . وبدأت بيشتر فى جمع الأموال لاستئجار حافلات الذهاب الى سكوكى للقيـــام بمظاهرة مضـــادة . وكان ذلك اول عمل حقيقى للدفاع اليهودى عن النفس تفكر فيه رابطة الدفاع اليهودى منذ سنوات . الا أن الأمر الذى يحول عن التصديق أن كاهانا عارض الفكرة ، موضحا فى [illegible] صحيفة الجويش برس ، أن المظاهرة المضادة قد تفشل وتجعل اليهود يظهرون بمظهر اكثر سوءا بسبب المحـــاولة .

وتجاهت بيتنتر قول الحاخام واستمرت فى جمع الاموال اللازمة ... تجار احتفالات . ورد كاهانا على ذلك بارسال منشورات على الورق الخاص برابطة الدفاع اليهودى ، يطالب فيها بارسال التبرعات المخصصة ... التي تنظم لها الرابطة فى سكوكى على صندوق بريده الشخصى فى بروكلين . وتذكر بيشتر أن رابطة الدفاع اليهودى لم تر بنسا واحدا من ... . وفى نفس الوقت ، وصل طرد بريدى منغم الى منزل كولدبرز . ... من المسئولين السابقين بالرابطة ، ... من كاهانا ، الذى كان يأمل فى أنها سوء

وفى جو شديد الحرارة بعد ظهر الرابع من يوليو ١٩٧٧ ، ... نازيين فى وسط شيكاغو بعد أن تخلوا فى آخر لحظة عن خططهم ... فى ... شوارع سكوكى ، حيث قام أكثر من الذين من المتظاهرين ... من مختلف ارجاء البلاد ، ومن بينهم الشيوعيون والاشتراكيون ... من رابطة الدفاع اليهودى ، ... الرابطة . وكانت تلك هى المرة الاولى التى تتعاون فيها ... اليساريين أما كاهانا ، فقد أمضى ، من ناحيته ، عطلة الرابع من ... مع ... البرين محاولا استجماع شجاعته لترك زوجته

وكان كاهانا فى اغلب الأحوال يمضى أيام السبت ، عندما يكون ... نيويورك ، فى منزل البلاكم ، ... روزنبلات ... كانت ... فى « بناى اكيفا » ، وهى جماعة للشباب اليهودى المتدين ... البلاكم ، الذى كان عميدا المدرسة الداخلية فى ... ١٩٧٦ ... لاستخدام الحساب المصرفى لمدرسته فى ... ١٨٠٠٠٠ دولار مقابل رشوة . ... امريكية الحكم بعد ذلك لاسباب فنية . وقد دافع كاهانا عنه فى ... أن كاهانا نفسه كان ... روزنبلات . ولم يمض وقت طويل ، حتى كان كاهانا ... الى منزل ... يهودية ، أخبر كاهانا الزوجين روزنبلات بأنها لا تعلم شيئا ... الحقيقة » . وكان كاهانا يمضى مع البرين اغلب ... شاهدت كاهانا فى احدى المرات يتسلل خارجا من حجرة البرين ... ، الا أن ترونى رفضت تصديق القصة ، ووصفتها بالكذب ، الى ... كاهانا نفسه بعكس ذلك

فبينما كانت البرين جالسة فى حجرة الطعام بمنزل روزنبلات . بعد الانتهاء من وجبة السبت فى عطلة الرابع من يوليو ، ابلغ كاهانا أصدقاءه بصورة واقعية انه وجيرى يعرفان أحدهما الآخر منذ فترة طويلة ، وأنهما متحابان ويرغبان فى الزواج . وقال ان هذا هو السبب الحقيقى فى رغبته فى أن يعرف جيرى على التعاليم الدينية ، حتى تستطيع أن تصبح زوجة حاخام صالحة . وطلب كاهانا من الزوجين روزنبلات أن يساعداه فى تحقيق رغبته فى الطلاق من زوجته الاولى وزفافه الى جيرى . وقال انه اذا لم يستطع الحصول على الطلاق من ليبى، فسوف تكون لديه زوجتان ببساطة ، مدعيا أن الزواج من اثنتين مقبول من وجهة نظر الهلاخا (القانون الدينى اليهودى) . وذهل الزوجان روزنبلات . فقد يستغل اليهود المدينون مدارس الييشيفا فى تهريب الأموال ، الأمر الذى يعود الى عصور القياصرة . ولكن « الآلهة » لا تتقلب ، بالاضافة الى أن كاهانا هو الذى كان يصبح دائما التوراة .. التوراة ! . التوراة ! ، ويستخدم الدين كهراوة لفرض قوانينه للسلوك الملتزمت . والآن ، هاهو كاهانا ، يحاول تبرير « زناه » ، حتى فى الوقت الذى كانت مجموعة من رابطة الدفاع اليهودى بنيويورك تستقل فيه الحافلات الى سكوكى لمحاربة النازيين . وصدمت ترونى بشكل خاص ، حيث كانت مولعة ولعا طفوليا بكاهانا . وبعد أن خفت الصدمة ، اتصلت تليفونيا بمسئولى رابطة الدفاع اليهودى لابلاغهم بالقصة .

وبعد مرور أربعة وعشرين يوما ، اجتمع أعضاء مجلس الرابطة يعتريهم الاضطراب فى مكتب لارين شومسكى فى مانهاتن لبحث التحرك المقبل . ولم يكن المجلس لعدة سنوات مضت أكثر من مجرد مردد لأفكار كاهانا . ويقول هوارد باربانيل ، الذى كان فى ذلك الوقت مدير فرع الطلبة بالرابطة ، وهو الآن ناشر الميامى جويش تريبيون ، « لقد كان شبيها بآية الله . وكان المجلس يتوجه وفقا لهواه » .

ولكن فى هذه المرة ، كانت رياح غير مواتية تهب ضد كاهانا . فقد صوت المجلس بأغلبية ساحقة لطرده من الرابطة . وكان الصوت الوحيد المعارض هو صوت ستانلى شومسكى ، الذى أخبرنى انه ظن أن باستطاعتهم استخدام تلك الفضيحة للضغط على كاهانا ليفعل ما يرغبون . ويقول شومسكى : لم يكن مستساغا أن نعلم أن الرجل الذى كنا نفديه بحياتنا ، كان دجالا نذلا ووغدا وضيعا .

وفجأة ، أدركوا انهم لن يستطيعوا الحصول حتى على عشر سنتات من الملايين التى جمعوها لصالحه . فقد اسرت جيرى لترونى بأن كاهانا قد اشترى لها مجوهرات ثمينة ، ودفع ايجار شقتها بمانهاتن ، ودفع نفقات سفرها وعودتها من اسرائيل ، ودفع آلاف الدولارات ثمنا لمكالماته التليفونية معها .

بل انه قام بتركيب خط تليفوني سري فى منزلها مخصص لمكالماتها الشخصية .
وتقول بيشتر : لقد تبينا ان كل هذا المـــال جـــاء من النقـــود التى حولهـــا كاهانا من رابطة الدفاع اليهودى . فكيف لا يكون لدى الرابطة نقـــود بينمـــا تحصـــل البرين على عقود ثمينة من اللؤلؤ ، وملابس نوم لأشهر المصممين ، ومن يعلم ماذا ايضـــا ؟

ووحشية حدوث ما هو اســـوا ، اسرع كاهانا ليلحق بطائرة الى اسرائيل .
وارســـل مجلس الرابطة وفدا من ثلاثة أشخاص الى المطـــار لمنعه . ووجدوا الحاخام جالســا يتصفح جريدة فى الاستراحة . وتقول بيشتر ، التى ابلغهـــا الوفـــد بامر المواجهـــة . « صار كاهانا مهتاجا للغاية ، وذكـــر أن ما فعله بحيـــاته الشخصية امر يخصـــه . وكانت كلمات وداعـــه هى ان رابطـــة الدفاع اليهودى لا تساوى شيئا بدونه ، واننـــا لا نســـاوى شيئا بـــدون الرابطـــة » . وهمهم كاهانا وهو يتحـــرك بعيـــدا : « اننى امتلك رابطـــة الدفاع اليهـــودي » .

ويتذكر بوب واشينوف ، صاحب مطعم ، واحد اعضـــاء المجلس الثلاثة الذين واجهوا كاهانا : « لقـــد صدمت ، وتألمت ، واعتقدت أنه ربمـــا يكون محتاجا لمســـاعدة عاطفية ، ولذا اتصلت بشقيقه فى اسرائيل ، الا ان نحمان قال انه يئس بالفعل من أمر مائير » .

ولم يعد اعضاء المجلس يهتمون بما يحـــدث لكاهانا . الا انهم كانـــوا يخشون من ان الفضيحة ســـــوف تدمر البقية الباقية من الرابطة . وبايعاز من المجلس ، قامت فاى لويد بزيارة البرين فى شقتها بمانهاتن ، أملا فى أن تثنيهـــا عن الاستمرار فى علاقتها بكاهانا . وقالت لها : ان كاهانا زعيم يهودى عالمى ، وسوف تكون طامة كبري اذا عرف هـــذا الامر . ان ذلك سيؤذى الحاخام ويضر بالحركة . وعليك أن تحزمى حقائبك وترحلى ! .

وهزت البرين كتفيهـــا هازئة ، وقالت انهـــا لن تترك الحاخام ابـــدا .
وتقول لويد : لقد كانت عاشقة حقا ، واخبرتنى انها لم تعرف أبدا رجل دين استطاع أن يمسها بمثل تلك الشهوانية .. وكدت أسقط على الارض .

وحاولت لويد ان تجعلها تواجه الحقائق وقالت لهـــا : انك لست أولى عشيقاته ، ولن تكونى الاخيرة . وهـــو لن يتزوجك ولن يطلق ليبى ابـــدا .
فلترحلى بسرعة والا قتلك فتيان الرابطة .

وعقب زيارة لويد مباشرة ، بدات البرين تتلقى مكالمات تهديد بقتلها .
وتقول لويد لقد اصابوها بالذعر . وكانت تردد لا استطيع تخيل ان احـــدا سيؤذينى . الا أنها رحلت عن نيويورك فى النهاية . وتذكر لويد أن كاهانـــا

عندما اكتشف ما فعله المجلس بالبرين فقد صوابه ، وصاح ماذا تبغون من تهديد الفتاة المسكينة .

وبعد التصويت على طرده بأيام قليلة ، أعلن المجلس ابعاد كاهانا ، ونشر هذا الابعاد فى الجويش بريس . وذكر الاعلان الذى وقعه المجلس التنفيذى لرابطة الدفاع اليهودى : اعتبارا من ٥ يونيو ١٩٧٧ ، لم يعد مائير كاهانا مرتبطا برابطة الدفاع اليهودى ، أو مركز (الهوية) اليهودية ، أو المؤسسات التابعة له . غير أن بيشتر كانت تدرك أن اسم كاهانا مرادف لاسم الرابطة فى أذهان معظم الناس . فاسم كاهانا كما تعلم ذو قيمة ملحوظة ، وبدونه تكون الجماعة معرضة لخطر أن تصبح مجرد أثر آخر من آثار الستينيات . وخلصت بيشتر الى أن الرابطة أصبحت فى حاجة ماسة الى توجه مثير جديد اذا كان لها أن تبقى . فبدلا من الهجوم على محاربة النازيين. وعقب اذاعة الحلقات التليفزيونية القصيرة هولوكوست ، سحبت بيشتر جزءا كبيرا من حساب الرابطة لدفع تكاليف اعلان فى النيويورك تايمز عن أن الجماعة سوف تخوض حملة ضد مجرمى الحرب النازيين الذين يعيشون فى امريكا . وتقول بيشتر ان الاعلان الذى تكلف حوالى ٢٫٥٠٠ دولار أتى بأكثر من عشرة آلاف دولار من المساهمات .

وكبداية ، شنت رابطة الدفاع اليهودى سلسلة من المظاهرات ، التى توفرت لها الدعاية الجيدة ، أمام مساكن مجرمى الحرب النازيين المزعومين فى منطقة نيويورك . وفى ذلك الوقت ، لم تكن وزارة العدل تهتم كثيرا بتعقب المئات من مجرمى الحرب النازيين الذين دخلوا الولايات المتحدة بعد الحرب . وكانت أكثر الحوادث عنفا فى الحملة الجديدة المعادية للنازيين التى تشنها الرابطة ، هى الاعتداء على بوليسلوز ميكوفسكيز القادم من مينيولا فى لونج ايلاند ، والذى كان قد حكم عليه بالاعدام غيابيا فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٥ ، بسبب مشاركته فى المذابح الجماعية لليهود فى « ريجا » ابان الحرب العالمية الثانية . ففى صباح أحد أيام الاحد من عام ١٩٧٧ ، أطلق أحد المسلحين رصاص بندقيته ليصيب أسفل ركبة ميكوفسكيز اليمنى ، بعد تعقبه الى المنزل وسط الزحام . وترك المهاجم خلفه قطعة صغيرة من القماش تحمل علامة رابطة الدفاع اليهودى . وفجأة ، اكتظت خزانة العصبة بالاموال .

واستشاط غضب كاهانا ، بسبب تعقب بيشتر للنازيين — فقد كان ذلك هو العمل الوحيد تقريبا الذى يمكن لمعظم اليهود أن يتعاطفوا معه ، على الاقل سرا ، ان لم يؤيدوه علنا . وفى أواخر عام ١٩٧٧ ، أعلن كاهانا انه سيطوف أمريكا مع زوجته للبدء فى انشاء جماعة دينية مناضلة جديدة تدعى تشوج (الدائرة) . وفى نفس الوقت تقريبا ، نشرت الجويش بريس مقالا بقلم ليبى كاهانا يدور حول كم هو رائع أن تكون زوجة لمائير كاهانا . وتوقع

اعضاء رابطة الدفاع اليهودى أن يكون كاهانا هو الذى كتب المقال بنفسه واضاف اسم ليبى اليه .

وقبيل عودته الى أمريكا ، كتب كاهانا خطاب ترضية الى لارين شومسكى شبه فيه طرده من الرابطة بتدمير الجيتو اليهودى فى وارسو ، وجاء فيه : اننى أكتب هذا الخطاب بعد نقاش طويل مع بيلى بيرل . ومن الواضح لكلينا ان مأساة لم يسبق لها مثيل سوف تحيق باسرائيل ويهود العالم . ودعوته للوحدة تعيد للاذهان موقف الرفض الاحمق لكل من التحريفيين واليسار فى جيتو وارسو للوحدة ، حتى عندما كان الجيتو يحترق باللهب . وليست لى مصلحة فى اقامة علاقات شخصية مع الرابطة أو أعضائها . وأنا مقتنع بالفعل، ان حتى لو لم يكن شىء قد حدث على مستوى شخصى ، لاصبحت الرابطة بالنسبة لى طريقا مسدودا . وأيا ما كان الامر ، فانه اذا كان هناك أى معنى لتاكيد الناس على حب الشعب اليهودى ، فان ذلك يعنى القدرة على العمل معا برغم الفروق والاختلافات . فلا يحقق السباب المتبادل سوى الاذى للشعب اليهودى .

« اننى عائد الى أمريكا مع زوجتى .. بصرف النظر عما قد تقرره رابطة الدفاع اليهودى . الا اننى اطالبك بشدة بأن تدعنا نعمل — اذا لم يكن معا — فعلى الاقل ليتمم كل منا جهود الآخر . فاذا لم تكن الرابطة مستعدة لذلك ، فانها تستحق حينئذ الادانة . وانني لمقتنع بانك وأولئك الذين أعرفهم منذ زمن بعيد ، لن تتدنوا الى مستوى أولئك الذين يهتمون بالتفاهات على حساب الشعب اليهودى .

« اننى أدعوك بشدة للاجتماع بى لوضع برنامج يمكن بمقتضاه أن تنمو القوة اليهودية الفعالة . وسوف اعمل بمفردى لانشاء التشوج (الدائرة) ، آملا أن أجعل منها منظمة شاملة . وادعوك لان تتذكر ما هو معرض للخطر هنا . اننا لا نحتاج لان يعجب احدنا بالآخر ، وانما ينبغى علينا بالتأكيد أن نحب الشعب اليهودى » .

وبصرف النظر عما بذله الحاخام من محاولات شاقة ظل الحاخام ، الذى كانت لديه دائما القدرة على الاقناع ، شخصا غير مرغوب فيه بالنسبة لرابطة الدفاع اليهودى . فللمرة الاولى على الاطلاق لم تكن رابطة الدفاع اليهودى فى حاجة لكاهانا ، حيث جذب هجومها على النازيين التعاطف والمساندة المالية من قطاعات رئيسية اكبر ، داخل الطائفة اليهودية .

وعلاوة على ذلك كان هجوم كاهانا الشرس على بيجين بسبب توقيعه اتفاقات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ ، التى اعادت سيناء لمصر ، وتعهدت فيها اسرائيل من حيث المبدأ بمنح الحكم الذاتى للفلسطينيين فى الاراضى المحتلة —

ذلك كله جعل كاهانا غير مقبول حتى فى الجويش بريس ، بل ان كلاس ذهب الى حد التهديد بفصل كاهانا بعد تعرضه لضغوط حزب حيروت بسبب حملة كاهانا التشهيرية ضد بيجين ، وقد كان يشنها جزئيا فى عموده فى الجويش بريس فقد كتب كاهانا فى معرض سبابه : « ذات مرة كان هناك رجل ، وكان اسمه بيجين ، والآن يذل نفسه أمام غير اليهودى (جيمى كارتر) فى البيت الابيض . أن بيجين ، اكبر متطرف سابق ، يظن اننى متطرف الآن . وهو لم يكن يظن أننى متطرف لهذا الحد عندما منحنى تأييده الضمنى اثناء حملتى لكتابة الخطابات التى تطالب العرب بترك اسرائيل » . وبرغم أن كاهانا كان يعلن أن اتفاقات كامب ديفيد سوف تقود اسرائيل الى الهاوية ، كان واضحا أن الحاخام نفسه هو الذى يتأرجح على حافة النهاية السياسية .

وكان بيجين ممتعضا من سلوك كاهانا . ويقول كالديرون : كان كاهانا يقول قبل مجيئه لاسرائيل ان قوانين اسرائيل يجب الا تخرق وظل يبدل آراءه حتى قال انه سوف يطيع فقط تفسيره الخاص للهلاخا . واختبأ خلف ستار الهلاخا ليبرر كل أنواع السلوك . وعند ذلك انقلب بيجين ضده . وقال بيجين لكالديرون انه غير مؤمن بالقانون ، ولا بالنظام الحزبى ، انه لم يعد نافعا . وبالفعل لم يعد كاهانا بعد كامب ديفيد يعترف ابدا بشرعية حكومة اسرائيل .

وتوفى تشارلز كاهانا فى مارس ١٩٧٨ بمرض القلب . واقامت الاسره « الشيفا » (فترة الحداد اليهودى التقليدية والتى تمتد لسبعة أيام) فى شقة سونيا بالقدس . وتقول فيجا : جلس مائير فى حجرة النوم مع أصدقائه المقربين ، ولم أستطع أن أرى عليه ملامح الحزن الشديد . فقد كان دائما بجانب التليفون يجرى مكالمات سياسية .

ولكن عندما اثارت ليبى موضوع علاقة مائير بجيرى البرين ، اجتذبت أخيرا انتباهه الكامل . ففى هذه المرة اقسمت أن تتركه . وادرك كاهانا أن الاقاويل التى ستحيط بالطلاق بلا ترتيب سوف تدمر سمعته ، خاصة بين طائفة اليهود المتدينين الأمريكيين المحافظين خلقا ، والذين يحصل منهم على معظم دعمه المالى . ويقول ارفنج كالديرون ، الذى شهد المواجهة التى حدثت أمام المعزين الذين أصابهم الذهول ، فى حجرة المعيشة بمنزل سونيا كاهانا . لقد وعد (ليبى) بأن ذلك لن يحدث ثانية . وتضيف فيجا : لقد كان امرا فظيعا . فقد توفى تشارلز توا ، وهاهو ذا مائير يتلاعب بزوجته ، وحملته للكنيست ، وامه كما لو كان لاشىء يهم ، سواه . وبالرغم من أن ليبى ومائير انفصلا مؤقتا ، قررت ليبى الا تمنحه الطلاق ، وبدلا من ذلك ، وضعت قواعد صارمة حول من يستطيع أن يحضره الى البيت ، وما الذى يستطيع أن يفعله أو يقوله أمام الأطفال . وتقول فيجا :

ان اليهود المتدينين مجتمع محافظ للغاية ، فالأطفال قد يفزعهم الطلاق . وليبى ليست شهيرة .

واستمر سلوك التدمير الذاتى الواضح لدى كاهانا اثناء صيف عام ١٩٧٨ عنـدما اقتحم مع بعض اتباعه الكنيسة الأرثوذكسية الروسية فى القدس ومعهم صفائح لرش الألوان وقاموا بتشويهها . وذكر كاهانا لرجال الصحافة أنه هاجم الكنيسـة لأنها كانت « وكرا لعملاء الـ كى.جى.بى » (المخابرات السوفيتية) فى الأراضى المقدسـة .

وبعد ذلك بايام قليلة نشرت بونى بيشتر اعلانا فى الجيروزاليم بوسـت يتهم كاهانا بالتعصب الدينى . وظهر الاعلان فى اضعف فترات حيـاة كاهانا السياسية . ونظرا لعزلة كاهانا داخل اسرائيل ، حيث كانت المجموعة القليلة من مؤيديه تلاحقها الحكومة بالتحقيقات بصورة متزايدة ، فى حين كان يتعـرض للادانة من جانب المزيد من مؤيديه الأمريكيين ، نظرا لذلك انكسر شىء ما فى داخله وهاهى بونى بيشتر ، التى فصلها من قبل باعتبارها « مهرجا بدينا فى سيرك » ، تأتى لتسخر منه على ارضه . ومهما كان لديه من تردد فى الهجوم على رفاقه من اليهود ، فان هذا التردد تلاشى مع وابل الهجوم الذى تعرض له فى الجيروزاليم بوست . واعلن كاهانا حربا لا هوادة فيها على بيشتر . ولم تثر محاربة العداء للسامية غضبه ، مثلما اثارته حملته الضارية على بيشتر .

وجند كاهانا (فيكتور فانسيير) ـــ وهو مناضل قصير ذو وجه ملىء بالبثور ـ ومتخصص فى تفجير القنابل الحارقة ـــ لمطاردة بيشتر وحلفائها من اعضـاء الرابطة . وصرخ الحاخام : فيكتور لا يهمنى ما . . ما . . مايتطلبه ذلك . اجعلها تقتنع عن ذلك ! لقد وجدتها !. . ويتذكر فيكتور وهو يضحك ضحكة شيطانيـة فى حديث صحفى له فى مانهاتن عام ١٩٨٧ : كان ذلك بمثابة موسيقى فى أذنى . فقد كانت حربا شاملة . . حربا على البناية التى تسكن فيها ، وحربا على أسرتها، وقد افقدتها صوابها .

وكان فانسييو قد انضم لرابطة الدفاع اليهودى عام ١٩٧١ ، عندما كان طالبا بالصف قبل الاخير بمدرسة جامايكا العليا فى كوينز . وبعد ذلك بثـلاث سنوات ادين بأولى جرائمه ، القاء قنبلة حارقة على سيارة دبلوماسى سوفيتى فى مانهاتن ، لصالح رابطة الدفاع اليهودى . وأمضى فانسيير شهرين بسجـن ريكرزا ايلاند ، ثم انضم الى سويل . ويذكر دوف هيكند ، عضو المجلس النيابى عن (بورو بارك) ، والذى كان زعيما لسويل ـــ أن فانسيير كان مخلصا للغاية، متفانيا . . ومضحيا من اجل القضايا اليهودية .

وكان فاسيير ايضا واحدا من اسوأ مفجرى القنابل فى سويل سمعة . . فبعد ارتكابه سلسلة من عمليات تفجير القنابل الحارقة التى يقول انه لم يقبض

عليه بسببها ابدا ، ادين فانسيير فى ديسمبر ١٩٧٨ مع عضو الرابطة بروس بيرجر بسبب تفجير أحد عشر هدفا دبلوماسيا مصريا فى نيويورك ، وفرجينيا ومريلاند ، شملت السيارات والمساكن وابنية المكاتب . وكان الغرض من حوادث التفجير هذه ، هو اظهار عدم موافقة كاهانا على اتفاقات كامب ديفيد . وأمضى فانسيير ستة عشر شهرا من جملة عقوبته البالغة واحدا وعشرين شهرا فى الفيدرالية فى نيويورك وفلوريدا .

واذا كان فانسيير ماهرا فى أعمال التفجير الارهابية ، فقد كان لا يبارى فى أعمال الازعاج . ويذكر هراود باربانيل : سمعت الحاخام كاهانا مرة يقول ان فيكتور فانسيير هو أخطر يهودى حتى الآن . فعندما يطاردك فانسيير ، فانك تعزف حتى عن الخروج لشراء علبة لبن . انه ذلك الفزع الذى يؤدى بك الى جنون الشك (البارانويا) . فاذا غيرت رقم تليفونك فسيجده ، واذا رحلت فسيجدك .

وقد جند فانسيير مجموعة شاذة من الخارجين على رابطة الدفاع اليهودى لمساعدته فى ازعاج بيشتر ، ومن بينهم بروس بيرجر الذى تصادف أن كان زوج بيشتر السابق . وتقول بيشتر : لقد كانوا صفوة الحثالة . فبرجر رجل كئيب ضخم ، كان يعرف مخاوف بيشتر ونقاط ضعفها . وكان بروس رجلا مضطربا ؛ وكان يستخدمه فانسيير كخرقة ، كما يقول ياكوف رودان ، أحد أعضاء الرابطة السابقين والصحفى الحالى بالقدس .

وقد كان فانسيير وبيرجر يمضيان الساعات فى اكشاك التليفونات لاجراء مكالمات تهديد لبيشتر وأسرتها فى فيلادلفيا وكاليفورنيا . وتقول بيشتر كانوا يتصلون بجدتى فى حوالى الثانية صباحا ليبلغوها بأن هناك قنبلة فى شقتها . فقد أعطى بروس لفانسيير مفتاح الوصول لكل فرد فى أسرتى . وقد ابلغت المباحث الفيدرالية بيشتر فيما بعد أن فانسيير حمل اكثر من ٥٫٠٠٠ دولار قيمة مكالمات الازعاج لرقم بطاقة الحساب الخاص بالبعثة المصرية فى نيويورك .

ولم تتوقف عمليات الازعاج عند حد مكالمات التهديد بالفشل . فقد أعطى بيرجر لفانسيير صورة عارية كان قد التقطها لزوجته السابقة فى احدى الليالى وهى مستغرقة فى النوم . ثم طبعاها فى منشورات وملصقات ، ارسلاها بالبريد لأعضاء رابطة الدفاع اليهودى وكذلك لأسرة بيشتر . بل انهما كانا يلقيان بالصور من تحت ابواب شقق جيرانها فى مانهاتن .

وبعد ذلك ، أجرى فانسيير مكالمات تليفونية عنصرية للمستأجرين السود فى البناية التى تسكنها بيشتر . وكان يقول لأحدهم : أيها الزنجى ، يحسن أن تحرس حمارتك السوداء ، والا فسوف تلقى بها رابطة الدفاع اليهودى الى الخارج .

وقد تلقى زوج بيشتر الثانى لكمة فى وجهه من احد المستأجرين السود الغاضبين الذى كان قد تلقى العديد من مثل هذه المكالمات .

الا أن بيشتر لم تستسلم ، حتى بدأ فانسيير فى ازعاج شقيقتها الصغرى، التى كانت تعانى من أحد أنواع تصلب الأنسجة المركب . وبرغم فقدانها لحوالى ٨٠٪ من قدرتها على الابصار ، لم يؤثر المرض على بقية جسدها . ولم يخبر طبيب العائلة شقيقة بيشتر بالتشخيص خشية أن تفسد معرفتها فرص تمتعها بالحياة الطبيعية وقد كانت طالبة فى كلية الاجتماع بفيلادلفيا ، واتصل فانسيير بالعميد على أنه أحد أقربائها ، وقال له ان بونى قد أصيبت فى حادث سيارة مروع وتقول بيشتر : اصيبت أختى بانهيار عصبى حتم نقلها سريعا الى المستشفى . وفى اليوم التالى ، اتصل فانسيير بوالدتى وقال : أنظرى كيف يمكننا الوصـــول الى ابنتك . واذا لم تستقل بونى فى خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة ، فسوف نبلغ ابنتك أنها تعانى من تصلب مركب بالانسجة .

وتقول بيشتر انه لم يكن لديها اختيار سوى أن تستسلم وتستقيل مـــن رابطة الدفاع اليهودى . ففى خلال ستة أسابيع من طلب كاهانا مـــن فانسيير تحطيمها طردت من شقتها فى مانهاتن بسبب مكالمات الازعاج لجيرانها ، وأصيبت احدى شقيقاتها بانهيار عصبى ، وأصبحت الشقيقتان الأخريان اللتان تقطنـــان فى جنوبى كاليفورنيا تذهبان الى المدرسة فى حراسة الشرطة بسبب التهـــديد بقتلهما ، وانهار زواجها الثانى . وتم اجهاضها ، ثم أجريت لها عملية لازالـــة القرحـــة .

وتقول بيشتر الآن : « لقد كنت أعرف أن هؤلاء الناس خطرون . ولم تكن الا مسألة وقت قبل أن تصل قنبلة الى شقة جدتى . فالى أى مدى يمكنك أن تحاربهم قبل أن ينتهى الأمر باراقة الدماء ؟ » .

وكما وعد كاهانا ، بزغ نور عهد جديد من القوة مع سلامة العقل ، والنضال مع الوضع المعتاد على رابطة الدفاع اليهودى .

الفصـــل الحادي عشر

صـــورة شاب متعصب

على طريق مغطى بالضباب بين القدس ورام الله فى الضفة الغربية المحتلة ، ارتدى شابان أمريكيان من مؤيدى الحاخام مائير كاهانا (شاليهما) الخاصين بأداء الصلوات ، وسحبا قناعين على وجهيهما ، ولبسا قفازين من الجلد الأسود ، ثم قاما بحشـــو بندقية آلية من طراز م ـــ ١٦ ، أمريكية الصنع .

وفى حوالى الخامسة والنصف من صباح ذلك اليوم البارد من شهر مارس ١٩٨٤ ، شاهد الرجلان حافلة عربية تدور حول منعطف منحدر . وبمجرد اقترابها قفزا من خندق مواز للطريق ثم فتحا النيران على نافذة الســـائق وعلى الجانب الايمن للحافلة . واستمر اطلاق النيران بين ثلاث وأربع ثوان . وبينما سقط تسعة من العرب مصابين داخل السيارة التى لطختها الدماء ، جرى اليهوديان لمسافة ربع ميل الى مكان محدد سلفا ، حيثكان ينتظرهما صديق من نيويورك فى سيارة هيرتز مستأجرة . وعندما القى القبض بعد ذلك على الشابين بواسطة الشرطة الاسرائيلية ، ذكر كاهانا فى مؤتمر صحفى أن تابعيه هما من الاولاد اليهود الطيبين وأن اطلاق الرصاص « مبارك عند الرب » .

ويعتبر ماليبوفيتز ، الذى أمضى ستة أشهر فى سجن اسرائيلى بســـبب الهجوم على حافلة ، وهو أحد أنصار كاخ ، ملتح ، هادىء رقيق الصوت ، يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاما ـــ يعتبر نموذجا لنوع الشباب الأمريكيين الذين انضموا الى رابطة الدفاع اليهودى بعد أن انتزاع كاهانا السيطرة على الرابطة من بونى بيشـــتر .

ويماثل مسار حياة ليبوفيتز فى النضال اليهودى الذى بدأ فى شيكاغو ، حيث تربى ، واقتيد الى نيويورك ، ثم الى الضفة الغربية لنهر الأردن ـــ يعتبر هذا المسار هو نفس الطريق الذى اتخذه العديد من الشباب اليهودى الذين خدعوا بفكرة كاهانا الشريرة فى تخليص اسرائيل من العرب المقيمين فيها . وقد ذكرلى ليبوفيتز ، فى حديث أجريته معه عام ١٩٨٧ فى بيشيفا فى فاررو كاوى بكوينز ، حيث يدرس أحيانا ذكر لى أن : العنف أداة . ويقول كاهانا ان العنف ليس شيئا لطيفا ، الا انه يكون ضروريا فى بعض الأحيان . وبالنسبة لى ولغيرى ، كان لدينا انجذاب روحانى معين الى الدم والعنف . وهو العنف الذى جذبنا الى رابطة الدفاع اليهودى وربط بيننا فى الكفاح .. وقد علمنا كاهانا ان ماكنا نفعله حق وصحيح طبقا لتعاليم التوراة .

ولم يكن ليبوفيتز مهتما دائما بالكفاح اليهودى . فقد نشأ فى أسرة يهودية مندمجة من الطبقة المتوسطة ، حيث تعتبر اليهودية طقوسا اكثر منها معنى . ومثل العديد ممن اصبحوا أعضاء فى الرابطة فى المستقبل ، وكان معقدا من ديانته . وقد قال لى : لم تكن لى صلة باليهودية . وعندما كنت طفلا ، اعتدت التردد على وسط المدينة وكنت ارى كبار اليهود يتعرضون لمضايقات عصابات السود . فكانت لدى فكرة سيئة عن اليهود ــ وكنت اعتبرهم ضعافا ، واراهم حشرات .

وكان مات فى الثالثة عشرة من عمره عندما وقع الطلاق بين والديه . فعاش مع والدته ثم مع والده ، اخصائى الشئون العائلية فى شيكاغو وفى نهاية الامر ، عاد الى بيت والدته لانه لم يتفق مع زوجة والده . واصبح مات وفقــا لمــا تذكره والدته ، « من أطفال الشــوارع » . كما تذكر أنه لم يكن مهتما بالدراسة، وبدأ يتردد على عصابات الشوارع من البيض ، حتى اكتشف رابطة الدفــــاع اليهودى ، ووجد العقيدة . وذكرت والدته لصحيفة كوتريت اشــيت عندمــا كانت فى القدس لحضور محاكمة ولدها : كان يبحث فقط عن سلطة ما ، وعــن شخص ما يعلمه كيف يعيش ، ويخبره ماذا ينبغى أن يفعله ، شخص يحدد له الطيب من الخبيث . لقد كان قلقا للغاية .

ويقول مات انه عرف كاهانا ورابطة الدفاع اليهودى عندما قــرأ برنامج كاهانا النضالى « لن يحدث ذلك مرة أخرى » . وكان عنوان الكتاب ، الــذى اصبح شعار الرابطة ، انذارا بأن اليهود لن يساقوا مرة أخرى الى الــذبح كالنعاج . وكانت الرسالة موجهة لليهود السلبيين ذوى الافكار الليبراليـــة ، مثلما هى موجهة الى غير اليهود . ويقول مات : قرأت « لن يحدث ذلك مرة اخرى »وتأثرت به تماما ، فقد وجدت فيه ما كنت أبحث عنه . ويذكر أن أول عمل خارج على القانون استلهمه من فلسفة كاهانا ،كان وضع قنبلة مصــنوعة يدويا تحت سيارة آرثر بوتز ، أستاذ الهندسة بجامعة نورث ويسترن . وكان بوتز قد الف كتابا عام ١٩٧٨ زعم فيه أن « الهولوكست » هو خدعة القــرن العشرين ويتذكر ليبوفيتز قائلا : لم تنفجر القنبلة ، التى تعلمت طريقة صــنعها من كتاب لأبى هوفمان .

وسرعان ما بدأ ليبوفيتز يدرس فى (بيشيفا) ويعمل مع اعضـــاء فــرع الرابطة الصغير والمتسم مع ذلــك بالعنف ــ فى شيكاغو . ويقــول : بدأت التدريب على استخدام العصى ، والمدى والقتال يدا بيد . وكان يدربنا رجل يشبه عجل البحر .. وكان امرا مثيرا بالنســبة لطالب مبتدىء فى المدرســة العليا ، يبلغ من العمر اربعة عشر عاما ، أن يرى اليهود يقومون بهذه الاعمال . وبرغم أن معظم اعضـــاء رابطة الدفاع اليهودى لم يكونوا متدينين ، كـــان الاعضاء يرتدون « الكيبوز » (القلنسوات) كلما كانــوا يتقاتلون مع أعــداء انسامية . وكنت اتردد على الضواحى التى يتقاتل فيها الجميع ، واستغرق الامر وقتا طويلا ليؤثر فى وقد اثرت فى حقا رابطة الدفاع اليهودى .

بيد أن كاهانا اثر فى ليبوفيتز بصورة أكبر حتى من قتال الشوارع . فقد كانت لدى كاهانا ــ العازف المتلون للشباب اليهودى المبلبل ــ القدرة على اقناع الصغار بأن العنف باسم اسرائيل الكبرى ، أو اليهود السوفييت ، بطولة فى عرف الكتاب المقدس . ويقول ليبوفيتز : تعرفت على كاهانا عندما حضر الى شيكاغو عام ١٩٧٩ . وكانت اظنه كذلك ، ان لديه سمات الجاذبية الشخصية الخارقة . وقد جئت اليه طلبا للنصح والارشاد ، وبناء على اجابته كنت سأغير دراستى أو أقدم على تغييرات كبرى فى حياتى .

وبعد مقابلته لكاهانا بوقت قصير ، انتقل مات الى اسرائيل ليكون مع الحاخام المتقد . وفى ذلك الوقت ، كان كاهانا منبوذا سياسيا فى اسرائيل ، ليس معه سوى بضع عشرات من الأتباع من الولايات المتحدة . ومثله مثل العديد من اليهود الأمريكيين الذين وصلوا اسرائيل لأول مرة ، صدم ليبوفيتز من أن يهود اسرائيل ليس لهم شىء يذكر من السمات الحضارية لليهود الذين تركهم وراءه . فقد كان هذا العالم الجديد للغاية على ساحل البحر المتوسط والسريع الخطى والمضطرب ، غريبا ومخيفا بعض الشىء . وكتب مات لوالدته عقب وصوله مباشرة الى اسرائيل : أنا فى « أولبان » (معهد التعليم المكثف للغة العبرية) ونحن نغنى اغنيات « تشانوكاه » .. واضطررت لترك الحجرة لأن الاغنيات تذكرنى بك ، وأنا أشتاق اليك كثيرا .. لم أكن أعرف أن الأمر سيكون بهذه الصعوبة ..

غير أنه ليس هناك وقت للتفكير حين يكون وقت الانسان مكرسا كله لكاهانا : فقد كانت تتم كل يوم تقريبا ، عمليات هجوم حذرة ضد العرب ، ورجال الارساليات المسيحية ، واليهود السود ، والدبلوماسيين الأمريكيين الذين كانت سياراتهم تتعرض للتفجير . بل أنه فى احدى المرات ، تسلق مات وأحد رفاقه ، حملين بحقائب مدرسية ملأى بالمفرقعات ، تسلقوا أحد الجدران المحيطة بمسجد قبة الصخرة قاصدين « تطهير » جبل الهيكل . الا أن الاثنين انطلقا يعدوان حينما سمعا صوت داورية عسكرية اسرائيلية مقتربة .

ولاغرابة فى ان يكتسب مات شهرة داخل رابطة الدفاع اليهودى كأحد المجانين المفتونين بكاهانا ويذكر ليبوفيتز أن أحد الصحفيين سأل كاهانا عن السبب فى أنه يحيط نفسه بكل هذا العدد من المجانين ، فأجاب بأنه يحتاج للمجانين لأنهم كانوا أول من تخطى الحواجز . وكان كل فرد فى الرابطة يردد مازحا بأننى المجنون الذى كان كاهانا يتحدث عنه .

وفى عام ١٩٨٠ ، اقترض ليبوفيتز نقودا من والدته وعاد الى شيكاغو ، حانقا على النشاط القتالى المستعر . وظل ينتقل من بيشيفا الى اخرى قبل أن يصل الى مدينة نيويورك ، حيث كان كاهانا قد استعاد السيطرة على رابطة الدفاع اليهودى بعد نجاحه فى ازاحة بونى بيشتر . وكانت الرابطة ــ التى

كان عدد اعضائها يبلغ عام ١٩٧٠ حوالى عشرة آلاف شخص ــ ، قد اصبحت هيكلا فارغا بالنسبة لما كانت عليه فى الماضى . فبدون توجيهات كاهانا الدائمة وحضوره المؤثر ، انهارت الرابطة وتحولت الى فرق صغيرة متناحرة . واستمر كاهانا فى استغلال المنظمة ماليا ودعائيا لصالح الحزب التابع له فى اسرائيل . وحين وصل مات الى نيويورك لم يكن لدى الرابطة سوى بضع عشرات من العناصر النشطة المتشددة فى نيويورك ولوس انجلوس .

ومع ذلك ، وابان فترة انتعاش قصيرة عام ١٩٨١ ، أقامت رابطة الدفاع اليهودى معسكر تدريب شبه عسكرى فى كاتسكيلز مشابها للمعسكر الذى كانت تديره اثناء ذروة نشاطها قبل عشر سنوات . وكان مات واحدا من حوالى خمسين شابا امضوا الصيف يتدربون على الأسلحة الآلية والفنون العسكرية . ويقول جارى موسكوفيتش ، وهو شرطى من مدينة نيويورك كان مدربا للكاراتيه فى معسكر الرابطة كان مات فتى لطيفا طيب القلب ، ويحب التدريب . وكان معتادا على الجرى لمسافة عشرة أميال يوميا . ولكنه كان من السهل التلاعب به ، كما كان ميالا بشدة للعنف .

وارتقى ليبوفيتز ليصبح رئيس أمن رابطة الدفاع اليهودى خلال فترة تورط المنظمة فى عدد من الهجمات الارهابية ، من بينها تفجير مقار البعثات السوفيتية والعربية فى نيويورك ، والقاء القنابل الحارقة على مطعم يملكه عرب فى بروكلين حيث قتلت احدى السيدات . وابان الصيف الذى غزت فيه اسرائيل لبنان عام ١٩٨٢ ، هاجم رجال الرابطة فى مانهاتن مكاتب « تجمع التاسع والعشرين من نوفمبر » ، وهى جماعة موالية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وبعد ذلك بأسبوع ، تم قصف صالة التدريب العلوية فى مبنى الرابطة الكائن عند تقاطع شارعى ٣٤ الغربى وبرودواى فى مانهاتن . وقد نجا من الاصابة حارس أمن الرابطة الذى كان يغط فى النوم . ويتذكر ليبوفيتز قائلا : لقد كان صيفا مثيرا فقد أفرز المعسكر خمسين عضوا كفئا ومخلصا للرابطة ، كانوا يذرعون شوارع نيويورك ليلا ، بحثا عن ضحايا عرب أوسوفييت . وفى ذلك الصيف ، حدث حوالى اثنى عشر الى خمسة عشر حادث تفجير . وكان لدينا معمل قنابل سرى فى أحد منازل بوروبارك مكتظا بالمفرقعات ، وبنادق من نوع تومى ، وعوزى .. وكنا نعرف ان هيئة محلفين كبرى تتحرى عنا ، وأن الادانات الفيدرالية ستطولنا . ثم القى القبض على احد رجالنا فى اسرائيل بسبب اطلاق الرصاص على عربى من الضفة الغربية ، وأدين وسجن . وكنا فخورين بذلك للغاية .

وفى شتاء ١٩٨٣ ، واثناء قيام هيئة محلفين فيدرالية كبرى ببحث الاتهامات الموجهة الى عدد من مناضلى رابطة الدفاع اليهودى ، سافر حوالى

اربعين من المشتبه فيهم الى اسرائيل فجأة ، ومن بينهم ليبوفيتز . ووفقا لما يقوله احد رجال الشرطة المكلفين بتنفيذ القانون الفيدرالى والذى كان مشاركا فى التحقيق الخاص بالرابطة ، اضر ذلك التصرف بالتحقيق ، كثيرا واحس ليبوفيتز بالضجر من تحريات الشرطة ، فحاول أن يبتعد عن كاهانا وزملائه فى أسرائيل . وذهب الى النقب ليعمل كمتطوع فى قاعدة عسكرية بها . وكتب لوالدته يقول : انه لأمر رائع أن أكون فى بلدى . فهناك شىء من العدالة الخيالية فى هذا المشهد من ضوء شموع « الشانوكاه » فى قاعدة عسكرية بالنقب . انه مشهد مثير . فالشمس تشرق برقة والجنود الأتقياء ينيرون شعلة كبيرة ويتلون الصلوات . اننى فى موطنى . ولم اشعر ابدا طوال حياتى شعورا اجمل من ذلك فى أى مكان آخر .

وبعد أسابيع قليلة من خطاب ليبوفيتز لوالدته ، انفجرت قنبلة وضعتها منظمة التحرير الفلسطينية بمؤخرة حافلة فى مدينة القدس ، وقتلت العديد من المسافرين ، بينهم فتاتان يهوديتان ، فكتب خطابا آخر يقول فيه : أشعر كما لو أننى فقدت شقيقتى .. لا أستطيع تحمل ذلك ... اننى منزعج للغاية .. فاليهود يموتون هنا لمجرد أنهم يرغبون فى العيش هنا .. يجب أن أرى الحاخام كاهانا .

الا أن ليبوفيتز لم يتلق اشارات واضحة من كاهانا . ويقول ان كاهانا ، من ناحية ، كان يطلب منه ألا يفعل شيئا منافيا للقانون ويعرض نفسه لخطر الذهاب الى السجن . ومع ذلك كان كاهانا يعظ دائما بأن الثأر أمر مقدس . وقد صرح لى ليبوفيتز قائلا : ان تفجير الحافلة اليهودية كان بمثابة اشارة . فقد عرفت الطريق الذى ينبغى أن اتخذه . واقسمت على الانتقام للدم اليهودى . ويقول أنه قابل أربعة أشخاص آخرين من الولايات المتحدة أعضاء فى حزب كاخ ، كانوا مثله متلهفين على رد الضربة للعرب . وكان كريج ليتز ، ابن مسئول كبير فى مجلس ادارة التعليم بمدينة نيويورك ، مسئولا عن المشاركة فى التخطيط للهجوم . وذهب ليبوفيتز الى كاهانا طالبا منه نقودا لتمويل العملية دون ابلاغه بما يخططون له . ويقول ليبوفيتز قلت له اننا نريد مالا على وجه السرعة ، فأخرج كاهانا ٦٠٠ دولار من جيبه واعطاها لى دون توجيه أية أسئلة .

وقبل الهجوم ، كتب ليتز الى راندى ميدوف ، رئيس رابطة الدفاع اليهودى فى نيويووك ، انه اذا تلقى مكالمة تليفونية من شخص يدعى المستر جراى ، يكون ذلك اشارة للاتصال بالصحافة الاسرائيلية ليبلغها بأن منظمة ارهابية يهودية قد اطلقت النيران على حافلة عربية . وعقب أن أجرى ليتز المكالمة التليفونية مع ميدوف بدقائق قليلة ، القى القبض على فتيان كاخ . ويدعى ليبوفيتز أنه قد نما الى علمه أثناء استجواب الشرطة

ان جهــاز « الشين بيت » كان يضعهم تحت المراقبة قبل عملية القصــف طوال اربع وعشرين ســاعة .

أما كريج لينتز ، الذى تحول الى شاهد اثبات ، فلم يثبت بالوثائق علاقة الارهاب بحزب كاخ وبالحاخام كاهانا فقط ، وانمــا ذكــر أيضــا لجهــاز الشين بيت قصة غريبة عن عمليــات عنــف أخــرى على غــرار اعمــال كوكلوكس كلان . وفى اعتراف موقع منه ذكر للمسئولين الاسرائيليين :

ـــ فى أحد الايام ، قرب نهاية شـــهر يوليـــو ١٩٨٤ ، (اتفقنا) على القيام ببعض الاعمال ضد العرب . وقرب منتصف الليــل ، شاهدنا عربيــا فى أوائل العشرينات من عمره يسير على طريق الخليل ... وتركت الســيارة وسددت اليه لكمة بقبضتى ، ثم رفســته .. فهرب وسط الظلام .. وقدنا السيارة الى الخليل وقررنا أن نشعل النيران فى ســيارات العرب . وكانت لدينــا زجاجتان من البلاستيك ممتلئتان بالجازولين . (فأخــذنا) الوقــود وسكبناه تحت عــدد من الســيارات . وأشعلنا فيهــا النيران ، الا أننا لم ننتظــر لنرى ما سيحدث . فقد كان هناك عدد من الكلاب بالقرب منا ، وخفنا ان توقظ الجيران ، أو ربما تعقرنا فنصــاب بدء الكلب . وفى القــدس ، وبعد ذلك بأيام عديدة ـــ وفقا لاعترافه ـــ أخــذنا بعض الزجاجات الفارغة والخرق البالية ، ثم ذهبنا الى مكتب كاخ لأننى كنت أعرف أن الحاخام كاهانا قد ترك ســيارته هناك وأن خزانا من الوقود موجــود فى مؤخــرة السيارة . وصنعنا قنابل مولوتوف ثم توجهنــا الى ضاحية عربيــة والقينا زجــاجتى مولوتوف على أحد المســاكن العربية اخترناه عشــوائيا . وبعد ذلك اتصل لينتز بصــديق أمريكى من أعضــاء كاخ يقيم فى مستوطنة بيت ايل فى الضــفة الغربية . كنت اعرف انه تحــدث العبرية (وليتز لا يجيدها) ويمكن الاعتماد على أنه لن يبلغ الشرطة . وطلبت منه أن يتصــل بوســائل الاعلام ويخبرها بأن الهجوم الذى حدث فى شرق القدس نفذته « ت.ن.ت » (اســم جمــاعة الارهاب السرية لكاخ فى اسرائيل) .

واستاجر كاهانا محاميا لرجــاله الصغار وكان يزورهم بين حين وآخــر فى السجن . كما عين أحــد الشبان المسجونين مع ليبوفيتز ، هو يهــودا ريشــتر ، من بيفرلى هيلز ، ليكون نائبه الاول فى كاخ . أما ليتز ، الذى أعــد بطريقة ما للفرار من اسرائيل ، فقد قبض عليه فى النهــاية بواســطة الحرس الامريكى فى « الوايت بلينز » ، وهو الحــرم الجامعى لمدرسة الحقــوق فى نيويورك التابعة لجامعة بيسى ، حيث كان يتلقى تعليمه وعــاد الى اسرائيل بعد مناورات قانونية مطــولة . وأمضى عاما فى الســجن . ثم أصبح مــرة أخــرى دارسا للقانون فى كلية تورو بمانهاتن .

ويقول ليبوفيتز : الآن ان حادث الهجوم بالبنادق الآلية على الحافلة ، كان تجربة مطهرة وانه يشعر بالامتنان لان الحبس داخل السجن علمه النظام الشخصى الذى كان يفتقر اليه . وبعد قضـــاء أكثر من عامين فى السجن ، عـــاد الى الولايات المتحدة عام ١٩٨٦ لدعم الآليـــا (الهجـــرة الى اسرائيل) كمبعوث « لحركة أرض اسرائيل » التابعة لجوش ايمونيم . وهـــو يعمـــل حاليا فى مؤسسة أمن مقرها مانهاتن . وقد ذكر لى أنه ســـاعد فى اعداد نظام امنى للبعثة الألبانية فى الامم المتحـــدة .

ويقول مات ، أنه بمجـــرد أن يجمع المـــال الكافى ، سينتقل الى اسرائيل نهـــائيا . فزوجته جـــودى ، المرضة البالغة من العمر ثلاثة وعشرين عاما ، تحب أن تعيش فى منطقة هادئـــة بالقرب من القدس وتتفرغ لرعاية شـــئون أسرتها . ويريد مات أن يذهب الى مدينة الخليل ، أكثر المـــدن الفلســـطينية وطنية فى الضفة الغربية ، حيث احتـــل غلاة اليهـــود المتطرفون موطىء قدم لهم فى قلب حى القصبة المزرى والموبـــوء .

ويقول ليبوفيتز ، الشاب الذى مازال يقدر أهمية العنف ، ان فلســـفة كاهانا الراديكالية مازالت ترشـــد طريقه . ويقول محاكيا كاهانا : أرى أنه على العرب أن يرحلوا عن اسرائيل . ويقول وهو يضحك برقـــة : لا يصـــدق والداى أن حـــادث الهجوم على الحافلة يمت بصلة من أى نوع للأيديولوجية . ومازالا يظنـــان أنه حدث بسبب طلاقهمـــا .

الفصل الثاني عشر

كاهانا في الكنيست

يرجع الفضل الكبير لتأثير كاهانا ، في ان اعدادا كبيرة من الاسرائيليين بداوا يشاركون مات ليبوفيتز رغبته في طرد العرب المقيمين في اسرائيل . ففي أوائل الثمانينيات ، عمل كاهانا على اثارة المشاعر اليهودية في اسرائيل ، بمزيج قوي من دعاوى الخلاص ، ومن الخطب الرافضة للقوانين السائدة وبالعنف الحذر ضد العرب . واثبت ذلك انه ترياق قوي لآلاف المستوطنين المتصوفين في حزب كاخ وحركة جوش ايمونيم ، والشبان الساخطين مثل ليبوفيتز ، ولاعداد كبيرة متزايدة من اليهود الشرقيين الاسرائيليين (السلفارديين) ، الذين هاجروا من الدول الاسلامية ، التي لا تتمتع بالتقاليد الديمقراطية والذين يكنون كراهية شديدة للعرب . واستغل كاهانا مشاعر الكراهية والغضب السائدة للقفز الى السلطة .

وقد رشح كاهانا نفسه ثلاث مرات لتولي منصب عام في اسرائيل ، الا انه فشل . ولكن في يوليو ١٩٨٤ ، فاز الحاخام الامريكي المولد ، والبالغ من العمر خمسة وخمسين عاما ، بمقعد في الكنيست ، بعد أن حصل على ٢٥٫٩٠٧ أصوات ، أي ١٫٢٪ من اجمالي عدد الناخبين في اسرائيل . وبرز حزب كاخ — الذي كان ينظر اليه المحللون السياسيون الاسرائيليون على أنه حزب راديكالي هامشي — بين يوم وليلة ، ليصبح حركة جماهيرية . واذهل فوز كاهانا الأمة . فقد صار الرجل الذي هجر المعاهد التلمودية في بروكلين ، ليصبح كاتبا صحفيا في مجال الرياضة ، ثم مخبرا لمكتب التحقيقات الفيدرالي ، وحاخاما منبوذا من جمهوره في نيويورك ، ومؤسسا لرابطة الدفاع اليهودي ، وصديقا لجوزيف كولومبو الأب ، زعيم عصابة الدهماء ، وعضوا شرعيا في برلمان اسرائيل .

وقد أعرب تيدي كوليك ، عمدة القدس ، عن استيائه قائلا : ان كاهانا يعد وصمة في جبين الديمقراطية الاسرائيلية ، وذلك بعد أن قام أنصار كاهانا المخمورون ، بحمل الحاخام المبتهج على اكتافهم ، عبر الاحياء العربية بالقدس الشرقية ، وهم يحطمون المحال التجارية ويضربون الرؤوس باستهتار بالغ ، ويهتفون « الموت للعرب » .

فبعد عدة محاولات فاشلة ، كيف تسنى لكاهانا الفوز بمقعد في الكنيست ؟ وكان الجميع ، ومنهم انصاره المقربون، يعتقدون أن مستقبله السياسي قد انتهى ، بعد أن طرده مجلس رابطة الدفاع اليهودي في أمريكا

اثر فضيحة جيرى البرين الجنسية . ثم فجأة ، ومثلما حدث لأحد أبطال قصصه القصيرة الركيكة التى كتبها فى المدرسة الثانوية ، فتحت له أبواب الكنيست . ومشى الى قاعاته المهيبة ، وحصل أخيرا على قاعدة لها مكانتها ، يستطيع من خلالها نشر سمومه المعادية للعرب .

ويدين كاهانا بالكثير من نجاحه المفاجىء لمناحيم بيجين وآرييل شارون ، اللذين أتاحا الشرعية للتطرف اليمينى فى اسرائيل . فحينما اراد بيجين تنفيذ حلمه باقامة « اسرائيل الكبرى » فى عام ١٩٧٧ ، طلب من شارون ـــ الذى كان بصفته وزيرا للزراعة يتزعم الحملة الاسرائيلية لاستيطان الضفة الغربية ـــ طلب بيجين من شارون المضى قدما فى تنفيذ الأمانى المكبوتة المتعلقة بالأمجاد القومية . وحينما قرر بيجين القضـــاء على منظمة التحرير الفلسطينية ـــ التى كان يصفها بأنها جماعة نازية ـــ كان شارون ، مهندس الحـــرب ، هو الذى ساق الجيش الاسرائيلى الى أبواب بيروت فى عام ١٩٨٢ . والمثير للسخرية ، أن شارون فشل فى القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية ، التى خرجت من حطام بيروت ، كقوة سياسية أكثر فاعلية . وعلى اية حال ، ادت الحرب الى تحطيم الروح المعنوية للجيش الاسرائيلى ، والى انهيار الاقتصاد الاسرائيلى ، ولم يسلم أى منهما من مغامرة شارون .

وقد ادى الاستقطاب والحدة اللذان اتسم بهما الحوار السياسى داخـــل اسرائيل اثر الحرب ، الى اثارة النزعـــة العنصرية المعادية للعرب ، وفى الوقت ذاته ، ادى الاستقطاب والحدة الى ابراز الخلافات الحادة السائدة بين اليمين واليســـار الاسرائيلى . ويقـــول البروفيسور ايهـــود سبرينزال « منذ شن الحرب الرامية لتحطيم منظمة التحريـــر الفلسطينية ، سارع اليمين الاسرائيلى الى ادانة المعارضين لها ، واتهامهم بأنهـــم خونة مؤيدون لمنظمة التحـــرير الفلسطينية . ثـــم سادت الاخطاء الحرب . وفى حين ادى ذلك الى مناقشـــة العديد من الافـــراد المتعقلين لمخططاتها ومراميها ، كان العاطفيون والمندفعون يعتبرون الهزيمة والخسائر الفادحة جزءا لا يتجزأ من الخيانـــة الكبرى التى اقترفها اليسار والاعلام » . وسرعان ما أصبحت الافتراءات العنصرية المعادية للعرب ، والتى كان لا يلجأ اليها فى المـــاضى سوى كاهانا وانصاره ، أمـــرا سائدا بين السياسيين اليمينيين (المحترمين) الاسرائيليين . وكان رافائيـــل ايتان ، عضو الكنيست المتطرف القومى حاليا ، ورئيس أركان الجيش الاسرائيلى أثناء حـــرب لبنان ، يشـــير الى عرب الضـــفة الغربية بانهـــم « صراصير مخـــدرة داخل زجاجـــة » . وكان بيجين يســـمى الاعضـــاء الفلسطينيين فى منظمـــة التحريـــر الفلسطينية « حيوانات ذات رجلـــين » . واثنـــــاء الانتفاضة يطلق شامير على العرب الفلسطينيين اسم « الجراد » . وكشف استطلاع للرأى أجرته جريدة ها آرتس الاسرائيلية فى عـــام ١٩٨٤ ، أن ٣٢٪ من اليهود الاسرائيليين يشـــعرون بأن العنف تجاه العرب ، بل حتى الارهاب ،

له ما يبرره . وكان ٦٠٪ من الشبان الاسرائيليين اشتركوا فى الاستفتاء ، يؤمنون بضرورة عدم منح الحقوق المدنية الكاملة للعرب .

ومع انتهاء الحرب ، يرجع الفضل للصور الفظيعة لحصار بيروت ، التى كانت تبثها الاقمار الصناعية يوميا الى لندن ونيويورك يرجع الفضل لهذه الصور فى أن يحل شارون والمذابح ومستوطنات الضفة الغربية ، محل الرموز الوطنية الاسرائيلية التى كانت تحظى بالتعاطف مثل جولدا مائير و « الكيبوتزات » (المزارع الجماعية الاسرائيلية) . كما محت صرخة بيجين « نحن لا نهتم بما يعتقده الغرباء » ، وآثار الاعلان المشهور المصاحب للتليفزيون الاسرائيلى ، والذى يقول « تعال الى اسرائيل ، حيث تقيم مع اصدقاء .

وكان ذلك النوع من التحدى المحموم والكراهية العنصرية المتأصلة — تلك الكراهية التى صورت العرب بأنهم شعب منحط — هو الذى أعد المسرح لفوز كاهانا الملحوظ عام ١٩٨٤ بمقعد فى الكنيست . وصعود كاهانا المثير ، ووصوله الى عضوية الكنيست بعد أن كان واحدا من حشرات البالوعات ، اثار التساؤلات المؤلمة فى اسرائيل حول مصير الديمقراطية الاسرائيلية ، وبرغم ذلك أدى هذا الصعود المثير ايضا الى ابراز « الازمة السكانية الاسرائيلية » على الملأ . وكتب الفيلسوف الاسرائيلى افيشاى مارجاليت ، فى النيويورك ريفيو أوف بوكس . يقول ان كاهانا وانصاره هم بالتأكيد من العنصريين المتطرفين ، المرضى بمعاداة الديمقراطية . ولكن المشكلة التى يعرضونها — ويمثلونها — مختلفة : فالمشكلة تكمن فى الحل الذى يقترحونه لما يسمى « بالازمة السكانية فى اسرائيل » ، والذى يرمى الى طرد العرب . ففى هذا الصدد ، يتخطى التأييد لكاهانا كثيرا ، حد الجنون الذى أتاح له مقعده البرلمانى .

وبالرغم من أن كاهانا عمل جاهدا من اجل اكتساب ود أغلبية المستوطنين اليهود الغربيين (الاشكينازيين) بالضفة الغربية ، الذين يمثلون حصن جماعة جوش ايمونيم ، بالرغم من ذلك لم يستطع كاهانا استمالة أعداد كبيرة منهم . وحصل حزب كاخ على ٥ ٪ فقط من أصوات أعضاء جوش ايمونيم معظم الاصوات لكتلة الليكود ، حزب تحيا ، والحزب القومى الدينى .

غير أن نداءات كاهانا المعادية للعرب ، وجدت تأييدا ملحوظا فى أوساط الفقراء الاسرائيليين ، وغير المتعلمين والعاطلين من اليهود الشرقيين (السفارديين) . فمنذ انتقال كاهانا الى اسرائيل ، ادرك امكانية تجنيد — واستغلال — اليهود الشرقيين الساخطين ، الذين تدفقوا على اسرائيل منذ أواخر الاربعينيات وأوائل الخمسينيات ، من مختلف أرجاء العالم الاسلامى . واقترح كاهانا فى

عام ١٩٧٢ ، قيام رابطة الدفاع اليهودى بتنظيم رحلات لليهود الامريكيين الى الاحياء التى يقطنها فقراء اليهود الشرقيين (السفارديين) . وكتب كاهانا الى زوييون يقول : انه اذا توقف جميع السائحين هنا عن زيارة حائط المبكى ، ورأوا بعض المساكن الفقيرة هنا ، فانهم سوف يشاهدون حوائط مبكى حقيقية.
ان الرحلات تعد فرصا لكسب الاموال للجماعات . ولسوف تحصل رابطة الدفاع اليهودى ، سواء فى أمريكا أو هنا ، على قدر كبير من الاموال .

وبالرغم من أن فكرة الرحلات السياحية فى المناطق الفقيرة لم تنفذ مطلقا ، ظل كاهانا يركز اهتماماته على اليهود الشرقيين ، باعتبارهم مصدرا ممكنا للايرادات والتأييد . وكتب كاهانا فى عام ١٩٧٢ الى نات روزينفاس ، صاحب احدى دور الرعاية فى لونج بيتش بمدينة نيويورك ، ومن أنصار كاهانا ، وقد انتقل منذ ذلك الحين للاقامة فى احدى المستوطنات اليهودية بالضفة الغربية ، كتب كاهانا الى ناب روز يتفاس قائلا : ان الفقر هنا غير معقول ، وذلك ليس فقط محبطا للآمال ، ولكن له أيضا آثار سياسية مروعة . وسوف يقوم اليسار والفهود (وهم جماعة من اليهود الشرقيين اليساريين فى اسرائيل باستغلاله فى اثارة مشاعر الفقراء واليهود الشرقيين (السفارديين) ، ولا يعلم أحد ما سيسفر عنه ذلك . والجواب الاكيد ، اتاحة الاموال للقضاء على الفقر ، وشراء الشقق السكنية الخ . .

وفى محاولة لتوسيع القاعدة السياسية لحزب كاخ ، اثر هزيمة الحزب فى انتخابات الكنيست فى عام ١٩٧٧ ، أقام كاهانا حلقات دراسية دينية وأيديولوجية ، فى الاحياء الفقيرة بالقدس وتل ابيب التى يسكنها اليهود الشرقيون (السفارديون) ، وتسودها الانشطة الاجرامية . وسعى الى جذب الشبان اليهود ، باتاحته لهم تدريبات فى الكاراتيه ، اذا حضروا حلقات دروسه الخاصة « بالقيم اليهودية » .

وقال لى الحاخام ، أثناء جولتنا بالسيارة فى احد الاحياء الشرقية الفقيرة والكئيبة بمدينة القدس ، فى احدى ليالى شهر يناير عام ١٩٨٠ : اننا بمجرد أن نجندهم ، نركز على أمرين : أولا العرب . وهم لا يحبون العرب ، فقد جاءوا من الدول العربية . ثانيا الفقر . وحينما نتكلم عن الفقر ، نتكلم عن الفقر الروحى . ورد فعل المرء تجاه الفقر ، وكيفية تغلبه عليه ، يختفيان حينما يتمتع المرء بالقيم . ان اليهود الذين يعيشون فى ميا شعاريم (الحى الذى يسكنه اليهود المتدينون المتشددون فى القدس) لدى كل منهم اثنا عشر طفلا ، يعيشون جميعا فى حجرتين ، ولا يخرجون من منازلهم لارتكاب الجرائم .

ويقول كاهانا أنه علم أطفال ذلك الحى الفقير ، أن يجدوا زادهم الروحى والوجدانى فى الديانة اليهودية . وطلب منهم ان يخرجوا الى هواء يهودا النقى ، ويبنوا مستوطنات جديدة . وكان يتصور أن تصبح الضفة الغربية فى يوم ما مليئة باليهود الشرقيين الفخورين .

وأخبرنى فى عام ١٩٨٠ ، أن اكثر ما كان يسره ، هى حلقات المناقشة التى كان يديرها ، حول مثل تلك الموضوعات كالهوية اليهودية ، ثلاث مرات أسبوعيا فى « متحف الابادة المحتملة » . وفى الليلة التى زرته فيها ، أخذ كاهانا يستعرض مظاهر الألفة الكبيرة التى تجمعه بأنصاره الصغار ، وكانوا يتعاملون معا بمحبة متدفقة وروح طيبة . كان يسود المكان جو يتسم بعبارة الابطال ، والذى قال كاهانا عنه انه يعتبره غير صحى . ولذلك ، لم يسمح بتعليق صوره فى المتحف ، رغم أنه كان مزدحما بمؤلفاته .

وقال أحد الشبان المغاربة ، المقيم باحد الاحياء الفقيرة فى القدس ، والذى رفض الجيش الاسرائيلى تجنيده بسبب سجله لدى الشرطة — وهو أسوأ وصمة اجتماعية فى اسرائيل — « لقد غير الحاخام حياتى ، فلم أعد اتورط فى المشاكل ، ولا أتعاطى المخدرات . وأدرس التوراة حاليا .. ان نفوذ الحاخام يتزايد هنا » .

وكاهانا هو اول من يعترف بأن آماله فى اليهود الشرقيين ، قد تزايدت بصورة هائلة ، بعد أن ترك بيجين العمل السياسى اثر الكارثة التى حدثت فى لبنان عام ١٩٨٢ . فقد كان اليهود الشرقيون هم الذين دفعوا بيجين الى السلطة ، وحينما ابتعد رجل الليكود القوى الساحر عن مسرح الاحداث ، أعطى الكثيرون أصواتهم لكاهانا الذى كانوا يعتبرونه ، ليس فقط معبرا عن كراهيتهم للمؤسسة الحاكمة من اليهود الغربيين الاوروبيين (الاشكنازيين) ، ولكنه أيضا ينفس عن كراهيتهم للعرب . وقال لى كاهانا فى نوفمبر عام ١٩٨٤ ، أثناء لقاء معه فى فندق تيودور بمانهاتن : كان بيجين يستطيع ان يفعل اى شىء ، وتخرج الشوارع معه . وقد اعتدت أن اسمع من الناس قولهم « اذا كان لدينا صوت انتخابى آخر ، فانك ستحصل عليه » . وكنت أعلم اننى لا أستطيع هزيمة بيجين ، ولذلك كنت انتظر صابرا . ولم اكن أهاجم بيجين — بالرغم من انه فعل ذلك عدة مرات — ، لأنه كان من الغباء مهاجمة بيجين . ولكن ابتعاده كان أمرا طيبا بالنسبة لى ، ومن المؤكد انه كان أمرا طيبا للشعب اليهودى .

— اننى حاخام يهودى غربى (اشكينازى) متدين ، واتزعم حركة شعبية، يسودها اليهود الشرقيون (السفارديون) وصاح كاهانا متباهيا اننى اسيطر على الشارع ، وذلك مايفزع اليساريين .

واثر الانتشار السريع لحركة كاخ بعد انتخابات الكنيست فى عام ١٩٨٤ ، وضع كاهانا فى المناصب القيادية ، أكثر العناصر الشبابية تشددا وشعورا بالمرارة فى أوساط الشباب اليهود الشرقيين من سكان الاحياء الفقيرة . ويقول ناحول بارنى ، الكاتب الصحفى الاسرائيلى المرموق : انهم مجرمون من عالم اسرائيل السفلى — من الانتهازيين ، والقوادين والمشاغبين — وهم أكثر تطرفا سياسيا من كاهانا ، الذى لا يستطيع فرض سيطرته عليهم . فهم ينظرون اليه بوصفه صديقا لهم ، أكثر من كونه حاخامهم .

واقام العديد منهم — بمباركة من كاهانا — ملجأ فى كيريات أربع ، للنساء اليهوديات من أزواجهن العرب . وكان الملجأ يحصل على الاموال من مجلس كيريات أربع ومن وزارة الداخلية ، ولكن تم اغلاقه اثر الفضيحة التى أثارتها عدة سيدات يهوديات ، باتهامهن علنا رجال حركة كاخ ، بالمجىء الى الملجأ ومحاولة اقامة علاقات جنسية معهن .

وبالتأكيد ، لم يخذل كاهانا أنصاره الذين كان قد وعدهم بأنه سوف يفقد المؤسسة الاسرائيلية صوابها فور حصوله على مقعد فى الكنيست . وكان مجرد تواجده فى المدن العربية — حيث كان يذهب تحت غطاء الحصانة البرلمانية ، لحث العرب على مغادرة اسرائيل — سببا كافيا لاندلاع الاضطرابات . فى الكنيست ، كان من النادر أن يخلو بيان له ، من مهاجمة العرب ، مهما كان الموضوع الجارى مناقشته . وعلى سبيل المثال ، أثناء مناقشة حول الجريمة فى اسرائيل ، فى يناير ١٩٨٥ ، قفز كاهانا الى المنصة وأعلن أن المجرمين العرب يجب تعقيمهم .

وصاح شولاميت الوتى ، احد أعضاء حزب حركة حقوق المواطنين الذى يمثل يسار الوسط ، فى كاهانا قائلا : « ان تلك عنصرية . وأطلب أن تحذف هذه العبارة من المضبطة » .

كما صاح يوسى صريد ، الذى ينتمى الى حزب انونى « ان تلك هى الطريقة التى كانوا يتحدثون بها فى مجلس النواب (الرايخستاج) الالمانى ، وليس فى اسرائيل » .

وقال اليزار جرانوت ، غضو حزب مابام « انك رجل مريض ، اخرج من هنا » .

واخرج ثلاثة من السعاة ، كاهانا بالقوة من القاعة ، فى حين أخذ أعضاء الكنيست يصيحون « حشرة ، مصاص للدماء ، أخرجوه بالقوة ! » .

وكان من الواضح أن كاهانا يكتسب قوته من خلال الاثارة . فاثناء مقابلة معه فى نيويورك بعد فوزه فى انتخابات الكنيست بفترة وجيزة ، كان يفخر

اعجابا بصورته المجنونة ، ويقول : اننى اقف فى الكنيست واقول حينما أصبح رئيسا للوزراء ، فلن يصيب الارهابيون اليهود اى عربى بالاذى ، لانه لن يبقى فى اسرائيل اى عربى !! وحينئذ يصيح جميع أعضاء الكنيست غاضبين ثم يظهر ذلك على شاشات التليفزيون ، وبعدها يلقى المحامى العام بيانه الذى يدين العنصرية . وتتوالى النداءات من جميع الانحاء ، تطالب بتجريدى من حصانتى البرلمانية . وعندما يقرر محررو الاخبار الاسرائيليون ، التوقف عن تغطية أخبار كاهانا – لابعاده عن الصفحات الاولى – اقوم بعمل استفزازى ، يصبح حدثا اعلاميا . اننى أمارس بعض الحيل ... وفى كل مرة ادخل الى الكنيست ، يموت اعضاء الكنيست الـ ١١٩ الآخرون الف مرة .

وقد أعد كاهانا عدة قوانين ، لطرحها على الكنيسيت ، تعيد للاذهان بصورة صارخة قوانين نورمبرج ، التى فرضها النازيون على اليهود الالمان ، قبل حوالى خمسين عاما . وكان أحد هذه القوانين يدعو الى طرد العرب المقيمين فى اسرائيل ، وقانون آخر ينص على تجريم اية سيدة اسرائيلية تمارس الجنس مع أحد العرب ومعاقبتها بالسجن لمدة سنتين ، وقانون ثالث يجرم اى شخص يوجه السباب للدين أو الشعب اليهودى . وقال لى كاهانا : يجب النص على ان كل من ينكر علانية اية عبارة أو حديث ورد ذكرهما فى التوراة أو التلمود أو كتب التفسير هو شخص عنصرى ، ويجب أن يسجن لمدة ثلاث سنوات .. كما نادى بتجديد اقامة غير اليهود فى أماكن خاصة (جيتوات) حتى لا يلوثوا الروح « اليهودية الاصيلة » . قد أوضح ذلك فى خطاب القاه فى نيويورك فى عام ١٩٨٤ حيث قال : « ان الاجانب ينشرون أمراضهم بيننا ،ونحن نتلقاها بشغف ...فلنلفظهم من بيننا ونطهر الأرض المقدسة من جميع آثار النجاسة » .

وقد ادى شبح الكاهانية – التى اخذت تنتشر فى اسرائيل مثل الاوبئة المذكورة فى التوراة – الى قيام الحكومة الاسرائيلية وبعض المؤسسات الخاصة ، باتخاذ عدد من الاجراءات الرامية الى الحد من ازدياد نفوذ الحاخام . فعقب انتخابه مباشرة ، أعلن الجيش عن برنامج عاجل لتعليم المجندين « مزايا الديمقراطية » . وفى ٢٥ ديسمبر ١٩٨٤ ، وفى محاولة للحد من الحصانة البرلمانية التى يتمتع بها كاهانا ، صوت الكنيست لصالح قرار يسمح للشرطة بمنع كاهانا من دخول القرى العربية . وكان ذلك اول اجراء يتخذ للحد من تحرك عضو بالكنيست منذ قيامه . وفى اليوم التالى ، حاول كاهانا انتهاك ذلك الاجراء ، بزيارته لاحدى القرى العربية فى الضفة الغربية ، لحث النساء اليهوديات المتزوجات من عرب ، على هجر أزواجهن . وتم ايقاف الحاخام ، عند احدى النقاط العسكرية التى تبعد سبعة أميال عن القرية التى كان يقصدها .

كما تم منع كاهانا من دخـــول المدارس الاسرائيلية العليا ، ومن الحديث في الاذاعة والتليفزيون ، الا أنه نجح في استئناف قرار الحظر الاعلامي ، أمام المحكمة العليا الاسرائيلية . وفي خريف عـــام ١٩٨٥ ، منع الكنيست كاهانا من طرح قانونين ، اعتبرهما الكنيست معاديين للديمقراطيين ــ أحدهما يحـــد من حقوق غير اليهـــود داخل اسرائيل ، والآخر يحظر الممارسات الجنسية بين اليهـــود وغير اليهـــود . ولجـــأ كاهانا مرة أخـــرى الى المحكمة العليا . وفي ٢ نوفمبر ١٩٨٥ ، أمرت المحكمة العليا الكنيست ، بأن يســـمح لكاهانا بطرح مشروعات قوانينه . وفي حين اعترفت المحكمة العليا بأن تلك القوانين تعيد للاذهان الممارسات النازية ضـــد اليهود في ألمانيا ، حكمت المحكمة بأن كاهانا ، بصفته عضـــوا في الكنيست ، له الحـــق الديمقراطي في طـــرح التشريعات . وتجاهل رئيس الكنيست حـــكم المحكمة ، واضطر كاهانا الى اللجـــوء مرة أخـــرى للمحاكم .

وتعرض كاهانا أيضا للهجوم من جانب الحكومة الامريكية ، التي جردته من جـــواز سفره الامريكي . وأعلنت وزارة الخارجية الامريكية بأن هجـــرة كاهانا الى اسرائيل ، وقبوله الحصول على الجنسية الاسرائيلية ، واقامتـــه الدائمـــة في اسرائيل ، تؤكـــد عزمه التنازل عن جنسيته الامريكية . وتصدى اتحـــاد الحريات المدنيـــة الامريكي ورابطة مكافحة التشهير ، التابعة لجماعة بناي بريث ، وغيرهما ، للدفاع عن كاهانا . وقالت الرابطـــة في مذكـــرة الدفاع التي أصدرتها نيابة عن كاهانا ، أنهـــا تشـــعر بالقلق ازاء قـــرار وزارة الخارجية الامريكية ، الذي يحمـــل في طياته « رســـالة مفـــادها أن اليهودي الامريكي لا يستطيع أن يبـــدي ولاءه لاسرائيل والولايات المتحـــدة الامريكية على السواء » وقضى ليوجلاسر ، القاضي الفيدرالي ، برفض قرار وزارة الخارجية ، وجـــاء في حكمه أن كاهانا ، لم يستفد من الجنسية الامريكية الا كجـــواز مرور الى أمريكا ، وأن الرغبة في الاحتفاظ بالجنسية من أجـــل أسباب تتســـم بالنفاق والانانية ، لا تقل شرعية ــ من الناحية القانونية ــ عن الرغبة القائمة على أنبل الدوافع البعيدة عن الانانية .

وقد أصبح الانتصار الذي حققه كاهانا في المحاكم الفيدرالية بنيويورك ، بمثابة شبح يطـــارده . ففي شهادة القسم المكتوبة التي قدمها الى المحكمة ، موضحا حقه في الاحتفاظ بالجنسية الامريكية ، قرر كاهانا أنه لم يحلف أبدا يمين الولاء للكنيست ، والذي ينص عليه القانون الاسرائيلي . وبـــدلا منه ، كما قال كاهانا ، أقســـم على الولاء للرب وليس للكنيست ، أثناء الاحتفـــال الرسمي بحلف اليمين ، وأضاف عبارات من كتاب المزامير . وبعد أن قمـــت بنشر مستندات المحكمة بفترة وجيزة ، وفضحت خداعه في مقال نشرته جريدة هاآرتـــز الاسرائيلية ، تم تجـــريد كاهانا من كافـــة الامتيـــازات البرلمانيـــة ــ وتتضمن مرتبه الشهري ، الذي يبلغ ٢٢٠٠ دولار أمريكي ــ الى أن رضخ

ووافق على اجراء القسم الصحيح الذى يفرضه المنصب ، والذى أذاعته الاذاعة الاسرائيلية بالفعل على الهواء مباشرة فى يونيو ١٩٨٧ .

وأثناء اجتماع حول الديمقراطية ، تم عقده فى ستراسبورج فى سبتمبر ١٩٨٧ ، أوضح رئيس الكنيست حينئذ ، شلومو هيليل ، بعض الاجراءات التى اتخذتها الحكومة الاسرائيلية لكبح جماع كاهانا . وذكر أن آراء كاهانا المعادية للعرب تثير « الذكريات الاليمة » للقوانين النازية المعادية لليهودية . وشرح هيليل الاسباب التى تجعل ، من وجهة نظره ، مناهضة الكاهانية أمرا خلقيا لا مفر منه ، فقال : « لقد عانينا نحن اليهود طوال الحقب التاريخية من التمييز العنصرى والدينى . وسوف تظل ذكرى الابادة (الهولوكوست) عالقة بأذهاننا الى الابد . ولا نستطيع أن نفعل شيئا آخر .

« ان لدينا تراثا عمره ألفان من السنين منذ عهد هيليل الاكبر الذى قال (لا تفعل بأخيك الانسان ، ما لا تريد أن يفعله بك) . وبالاضافة الى ذلك تعلمنا من جمهورية (فيمار) أن الديمقراطية الحقيقية والحيوية ، يجب أن تدافع عن نفسها ضد جميع من يريدون الاساءة الى حرياتها ، باعادة المفاهيم العنصرية ، والفاشية والنازية والمعادية للسامية . ان التمسك بالقيم الديمقراطية ، واغلاق المرء عينيه ازاء الاخطار التى تهددها ، يعنى اننا نوافق ضمنا على الاخطاء الناجمة عنها . وقد حان الوقت الذى يجب أن يعلم فيه الجميع أن الديمقراطية اليقظة ، والمقاتلة أو على الاقل المدافعة ، هى وحدها التى تحقق هدفها ، وتستحق تقديرنا » .

غير ان اكثر التحديات خطورة بالنسبة لكاهانا ، جاءت من اليمين الاسرائيلى ، الذى كان يتنافس معه على السلطة السياسيه .

ويقول ايهود سبرينزاك : ان المعسكر القومى الدينى لم يكن يعتبر كاهانا منافسا له حتى عام ١٩٨٤ ، ولم يكن يبذل جهدا لتقليص نفوذه « البيشيفوت » (المزارع الجماعية) والمستوطنات بالضفة الغربية . غير أن الامر لم يعد كذلك الآن . فالقوة الانتخابية فى اسرائيل تعنى السلطة والمال ، وليس هناك استعداد كبير لاقتسامها مع كاهانا . وقال ارييل شارون — الذى يزعم انصاره أنه الرجل القوى الذى تحتاجه اسرائيل لانقاذها من أعدائها — لاتباعه أثناء مؤتمر عقده فى يوليو ١٩٨٥ : ان الخطر الذى نواجهه ليس يوسى صريد ، ولكن كاهانا الذى حصل على جميع اصواتنا .

وبعد أن أصبح كاهانا منبوذا من الحكومة والصحافة ، خرج الى الشارع ، واخذ يجوب انحاء اسرائيل ويتحدث فى الحدائق العامة وفى منعطفات الشوارع . وفى خطاب القاه فى حيفا يوم ٢٨ يونيو ١٩٨٥ ، هاجم كاهانا اليهود والعرب على السواء ، وأخذ يصيح قائلا : ان احدا لا يستطيع فهم

نفوس هؤلاء (العرب) الحيوانات ، هؤلاء الصراصير . ولسوف تقطع رقابهم أو نقذف بهم الى الخارج . وأنا لا اقول سوى ما تفكرون فيه ووفقا لما جاء فى تقرير نشرته « كوليو حيفا » ، وهى جريدة أسبوعية تصدر باللغة العبرية فى حيفا ، قام كاهانا بتوجيه فيض من الشتائم لارييل جورال عمدة حيفا ، وللسياسيين من الجناح اليسارى مثل شولاميت آلونى ، ويوسى صريد ، وقد وصفهم بأنهم أوغاد ، وكلاب ، ومقززون ، وأنهم يهود يبيعون أعراضهم ، بالاستعانة بقوادين عرب .

واختتم كاهانا خطابه المدوى ، والمتسم بجنون العظمة حتى بمقاييس الشخصية ، بأنه تعهد أمام الجمهور بأنه فى غضون عامين ، وسوف يديرون (العرب) مؤشر جهاز الراديو ، ويسمعون أن كاهانا قد أصبح وزيرا للدفاع. وحينئذ سوف يأتون الى ، وينحنون أمامى ، ويقبلون قدمى . وسوف أكون رحيما بهم واسمح لهم بالرحيل . وكل من لا يرحل سوف يتم ذبحه .

ما مدى نجاح خطب كاهانا المثيرة لمشاعر رجل الشارع ؟ بالرغم من جهود الحكومة الاسرائيلية المكثفة ، الرامية لتجريمه وتجريم آرائه ، أكد استطلاع يورى الذى تم نشره فى اسرائيل يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٨٧ ، مع بداية الانتفاضة — أكد ازدياد التأييد لكاهانا ، ليصبح ٣ر٨٪ من اجمالى الناخبين — مما يكفى لفوزه بأربعة مقاعد فى الكنيست الذى يبلغ عدد أعضائه ١٢٠ عضوا . واتضح من استفتاء أجراه معهد (فان لير) المرموق فى القدس ، أن ٣٣٪ من شباب اسرائيل الذين تبلغ أعمارهم ما بين ١٥ و ١٨ عاما (باستثناء شباب الكيبوتزات) ، يؤيدون بقوة ، موقف كاهانا المعادى للعرب .

وبدأت آراء كاهانا حول طرد العرب — وقد كانت محرمة فى وقت من الاوقات تتسرب حتى داخل الحكومة الاسرائيلية . ففى يوليو ١٩٨٧ ، طالب مايكل ديكيل نائب وزير الدفاع الاسرائيلى ، وأحد كبار أعضاء كتلة الليكود ، بطرد العرب المقيمين فى الاراضى المحتلة . وبعد عدة أشهر ، اقترح يوسف شابيرا — عضو الحزب القومى الدينى ، والذى كان فى ذلك الحين وزيرا بلا وزارة فى الحكومة الاسرائيلية — أن تدفع الحكومة لكل عربى يرحل « طوعا » من اسرائيل ، مبلغ ٢٠٫٠٠٠ دولار .

وكتب كاهانا مقالا نشرته صحيفة الجويش بريس فى نوفمبر ١٩٨٧ ، يقول فيه بغبطة وشماتة : حسنا : حسنا ، حسنا ! وفجأة سادت الكاهانية جميع ارجاء اسرائيل .. وبعد ذلك ، نشر اعلانا فى الصحيفة يطلب فيه تبرعات من أجل حملته السياسية لخوض انتخابات الكنيست فى عام ١٩٨٨ . وقال فى الاعلان أن مائير كاهانا يحتاج لما هو اكثر من الحب . والآن حان الوقت لمساعدة مائير كاهانا لاتخاذ خطوة عملاقة — هى رئاسة الوزارة الاسرائيلية .

الفصل الثالث عشر

هز شجرة المال الامريكى

فى فجر الاول من ابريل عام ١٩٨٧ ، توقف اثنا عشر من رجال مكتب التحقيقات الفيدرالى ، امام منزل موراى يونج ، عضو رابطة الدفاع اليهودى ، البالغ من العمر ستين عاما ، والمقيم بحى ايست ميدو فى مدينه نيويورك ، وذلك أثر بلاغ تلقوه من أحد مخبرى المكتب . وقاموا بضبط سبعة عشر سلاحا ناريا ، منهـا عدة بنادق وبندقية نصف آلية من طراز عوزى ، وعده مدافع رشاشة من طراز ستن ، وكذلك السجلات الخاصة بحسابات رابطة الدفاع اليهودى فى البنوك ، وقوائم أعضاء الرابطه ، ومذكرات تفصيلية أعدها المسئولون فى الرابطة عن عمليات تفجير المؤسسات المرتبطة بالاتحاد السوفييتى . وفى أكتوبر ١٩٨٧ ، حكم على يونج بالسجن لمدة خمس سنوات بعد ادانته بعدة جرائم فيدرالية تتعلق بموجة الانفجارات التى سادت نيويورك فى الفترة بين عام ١٩٨٤ وعام ١٩٨٦ ، ومنها الهجوم على قاعة (آفرى فيشر) يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٨٦ ، قبل الموعد المحدد لبدء حفل فرقة موسكو للموسيقى السيمفونية ، بفترة وجيزة .

وفى نفس اليوم الذى تم فيه اعتقال يونج بتهمة انتهاك القوانين الفيدراليه الخاصه بالاسلحة ، كان الحاخام المؤسس لرابطة الدفاع اليهودى ، مائير كاهانا . يقوم بجمع التبرعات فى المعبد الذى يديره ابن عمه ، للطائفة اليهوديه التى تعيش فى الحى الغربى ، فى الشارع الرابع والثلاثين فى مانهاتن . ولم يخبر كاهانا الحشد الهائل ، الذى يضم انصاره المتحمسين ، بأن الرجل — الذى كان من أقرب معاونيه ويتولى حمايته فى منطقة نيويورك ، أثناء جولاته المتعدده لجمع التبرعات — قد تم اعتقاله لاشتراكه فى عدد كبير من العمليات الارهابيه التى قامت بها رابطة الدفاع اليهودى . وبالنسبة لكاهانا ، الذى لم يكن متورطا فى الاتهامات ، كان جل همه ، كالمعتاد ، منصبا على أمور العمل . وكان يواصل جمع التبرعات فى الولايات المتحدة من أجل حزب كاخ المعادى للعرب ، فى حين كان أحد مساعديه فى طريقه الى السجن .

ويرجع سبب نجاح كاهانا السياسى المذهل فى اسرائيل ، الى حد كبير ، الى قدرته على جمع الاموال من أغنياء اليهود فى أمريكا . ويقدر عمنون روبنشتين ، وزير المواصلات الاسرائيلى السابق واحد أعضاء يسار الوسط فى الكنيست الاسرائيلى حاليا ، أنه بحلول عام ١٩٧٨ ، كان كاهانا يدخل اسرائيل مبلغ ٥٠٠٫٠٠٠ دولار سنويا على الاقل — وهى اموال تكفى لاقامة أكثر من

حمسين مكتبا فرعيا فى انحاء اسرائيل ، وشراء سيارة نقل ، ومعدات اتصال حديثة ، وماكينة طباعة لنشر موجة البيانات السياسية المتتالية والمثيرة للجدل التى تصدر عن الحاخام . وقال لى شانون تايلور المحامى بمانهاتن ، واحد زعماء حركة كاخ الدولية ، ومساعد كاهانا فى جمع التبرعات الامريكية ، أثناء مقابلة لى معه فى عام ١٩٨٧ ان كاخ تنفق حوالى ١٠٫٠٠٠ دولار أسبوعيا فى اسرائيل ، ويقوم كاهانا بفتح مكاتب فى جميع أنحاء البلاد (اسرائيل) ، ولن يستطيع كاهانا مطلقا الحصول على الاموال الكافية .

ويكشف تحقيق تم اجراؤه بخصوص أنشطة كاهانا فى الولايات المتحدة ، أن الدعم الذى يحصل عليه ، ولا يقتصر فقط على الاوساط اليمينية والراديكالية فى صفوف الطائفة اليهودية فى نيويورك . ولكن وفقا لاقوال المسئولين السابقين فى رابطة الدفاع اليهودى ، والعاملين فى حزب كاخ ، والباحثين الفيدراليين ، انشأ كاهانا على الاقل ثلاث مؤسسات خيرية معفاة من الضرائب فى الولايات المتحدة ، وقد أرسلت عدة ملايين من الدولارات الى حركته فى اسرائيل . ويقوم العديد من المؤسسات الاسرائيلية بجمع الاموال فى الولايات المتحدة من أجل الاغراض الدينية والثقافية والتعليمية ، والاستفادة باعفاءات الضرائب ، التى تسمح للمتبرع بخصم الاموال التى يتبرع بها من جملة الضرائب المستحقة عليه. ولكن قوانين الضرائب الفيدرالية تمنع استغلال تلك المؤسسات الخيرية المعفاة من الضرائب ، أموال التبرعات من أجل تمويل الانشطة السياسية .

ووفقا لتعليمات شارلى روز ، مساعد المدعى العام الامريكى ، الخاصة ببحث أنشطة رابطة الدفاع اليهودى الحالية ، يقوم المحققون الفيدراليون بالتحقق مما اذا كانت الاموال المعفاة من الضرائب التى تجمعها مؤسسات كاهانا العاملة فى الولايات المتحدة ، والتى يتم ارسالها الى اسرائيل ، تستخدم فى الانشطة السياسية أم لا ، لان ذلك الاستخدام يعد انتهاكا لقوانين الضرائب الفيدرالية .

وفى الوقت الحاضر ، يدير كاهانا اربع منظمات على الاقل فى امريكا ، تقوم بجمع الاموال والمساعدات لحزبه فى اسرائيل ، وهى : كاخ الدولية ، ومعهد ... اليهودية الصحيحة ورابطة الدفاع اليهودى والنظرة اليهودية الشاملة . ... أعضاء مجالس ادارات متشابكة — يرتبطون جميعا بكاهانا . ... عضو مجلس النواب عن ولاية نيويورك والعضو السابق ... ، وزعيم « سويل » (انقذوا ارضنا ، اسرائيل) ، واحد أنصار كاهانا المتحمسين « ان كاخ تساوى رابطة الدفاع اليهودى التى تساوى كاهانا » .

وتقول اديلاليفى ، سكرتيرة كاهانا فى نيويورك ، والمقيدة ضمن العاملين بمعهد الفكرة اليهودية بوصفها مديرة لـــه : « ان الاموال التى تجمعهـــا تلك المنظمات تستخدم فى نشر رسالة كاهانا فى أمريكا · وحينما سئلت عما اذا كانت الاموال التى تجمعها تلك المنظمات ، يقوم كاهانا باستخدامها فى انشطته السياسية داخل اسرائيل ، أجابت « اسألوا الحاخام عن ذلك » .

ورفض كاهانا الاجابة عن الاسئلة المحددة المتعلقة بأنشطته المالية وقال ردا على مكالمتى التليفونية بصدد تعليقه على تلك الامور : انهـــم اذا كانوا يمنحون جوائز نوبل على الجراة والوقاحة فانك ســـــوف تفـــوز بها بالتأكيـــد .

ومهما كانت نوعية أنشطة جمع الأموال التى يقوم بها كاهانا ، فـــان أنصاره من اليهود الرئيسيين فى أمريكا لا يحملون سوى القليل من التشابه مع أقرانهم اليهود الشرقيين (السفارديين) الاسرائيليين · والحقيقة أن أحد الاسرار التى تتكتمها الطائفة اليهودية الليبرالية ظاهريا ، تلك المســـاعدات الكبيرة التى تقدمها لكاهانا · ويقول الحاخام (جاك سيمحا كوهين)بمعبـــد (شعارى تيفيلاه) فى لوس انجلوس انه حصل على مبالغ كبـــيرة من رجـــال الاعمال المرموقين والمشهورين فى الاوساط اليهودية . ومن الاثرياء اليهـــود الذين ساعدوا بسخاء المنظمات المتعددة التى يديرها كاهانا ، روبين ماتوس صاحب شركة هاجن داز للآيس كريم · وقال لى ماتوس فى عام ١٩٨٥ . بالرغم من توقفه عن مساعدة كاهانا لبعض الوقت ، ويفضل فى الوقت الحالى تمويل النشاط الاستيطانى الاسرائيلى فى الضفة الغربية قال : اذا احتاجت رابطة الدفاع اليهودى الى المـــال ، كنت أعطيته لها . وقال لى كاهـــانا ان التبرعات التى كانت تأتيه وخاصة من المليونيرات اليهـــود . ازدادت أثـــر انتخابه عضوا فى الكنيست فى عام ١٩٨٤ · وأضاف ساخرا : أن الجميع يحبون الفائـــز .

وكان كاهانا يسافر الى الولايات المتحدة خمس أو ست مرات كل عام سعيا للحصـــول على الامـــوال . وكان يجيد صياغة مطالبه كى تتلاءم مـــع جمهور الحاضرين . فأمام الجماعات المنتمية للطبقات المتوسطة وفوق المتوسطة ، كان يخلط نقده اللاذع « للاقزام والمسخوطين » ، الذين يقول عنهـــم انهم يديرون المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى ، بعبارات السخرية من الزواج المختلط · وأمام المتشددين ، كان يردد وصايا من التوراة تحرم الاختلاط بالغرباء ، ويعلن عن ضرورة أن تكون اسرائيل دولة ثيوقراطية ، يديرها رجال الدين · وكان دائب الحديث عن ضرورة رحيل العـــــرب من اسرائيل لانهم يشكلون تهديدا لكيـــان الدولة . وكان يقول انهم اذا لم يرحلوا طواعيـــة ، فانه يجب طردهم بفوهات البنادق ·

ويقول الحاخام جابرييل مازا بمركز سافونك اليهودى فى لونج أيلاند أن ظهور كاهانا بمعبده كان « مهيبا وجليلا • وقد تحدث بشــــأن تبادل السكان ، والتهديد الديموغرافى (السكانى) العربى لاسرائيل ». ويذكر مازا أن حوالى ١٠٠ شخص حضروا الاجتماع ، ودفع كل منهم خمسين دولارا ذهب نصفها الى حركة كاهانا • وأثر خطاب كاهانا ، ترددت فى القاعة نداءات بطلب التبرعات . ويقول مازا ان رجلا واحدا أعطى كاهانا شيكا شخصيا بمبلغ عشرة آلاف دولار •

وقد انتقل شقيق مازا ، الممثل الكوميدى جاكى ماسون ، الذى فــاز بجائزة تونى فى عــام ١٩٨٧ ، لادائه الفردى فى « العـــالم بالنسبة لى » . انتقل جاكى ماسون الى مانهاتن ليســـتمع الى كاهانا . وأخبرنى ماســون أثناء حديث لى معه فى غرفة ملابسه بمسرح بروكس اتكينسون فى يونيــو ١٩٨٧ ، أن تحليل كاهانا للتهـــديد الديموغرافى العربى لاسرائيل ، صــحيح وقال ماسون ، الذى كان حاخاما مرسما ، ونشأ فى الجانب الشرقى الادنى من نيويورك : « ان المبادىء الديمقراطية يجب الا تطبق فى اسرائيل كما تطبق فى امريكا . ذلك أنه اذا ازداد العرب الى الحد الذى يصبحون فيه متساويين فى عددهم مع السكان اليهود الاسرائيليين ، فانهم يستطيعون حينئذ التفوق على اليهود والقضاء على الدولة اليهودية . وسوف يصبح اليهود غرباء فى بلادهم ، وتلك هى المشكلة . ولذلك كان مائير كاهانا على حق ! ومن الحمق أن تتحدث انت ومن هم على شاكلتك عن مدى فظاعة موقفنا تجاه العرب ! » .

وفى مارس ١٩٨٧ ، شارك ماسون فى برنامج كاخ الاذاعى الذى كان يديعه فى السابق من نيويورك مساء كل اثنين ، وأخذ يمتدح العديد من آراء كاهـــانا السياسية . وفى عام ١٩٧٢ ، أقام ماسون حفلا خيريا لصالح صندوق الدفاع الشرعى التابع لرابطة الدفاع اليهودى ، على أحد مســارح كوينز بالرغم من اعتراض وكيله . وأخبرنى ماسون أنه كان متحمسا لهذا العمل لأن رابطة الدفاع اليهودى كانت تقوم بعمل طيب ، دفاعا عن اليهود المضطهدين . وفى اغسطس ١٩٨٧ ، قال لى ماسون ، انهم طلبوا منــــه اقامة حفلة خيرية لصالح رابطة الدفاع اليهودى ، ولكنه رفض ، لأنه ، كما قال ، يعارض « العنف » الذى يمارسونه .

وبدون أدنى شك ، تعتبر الطائفة اليهودية المتزمتة ، بمثابة العمـــود الفقرى للدعم الذى يحصل عليه كاهانا فى أمريكا . وقد اتضح من الدراسة التى أجراها البروفيسور ستيفن كوهين فى عام ١٩٨٦ للجنة اليهودية الأمريكية ، أن ٣٠٪ من الطائفة اليهودية المتزمتة يتعاطفون مع كاهانا بشكل ملحوظ ، بالمقارنة بـ ١٤٪ من اجمالى اليهود الأمريكيين . وليست الأموال فقط هى التى يحصل عليها من اليهود المتزمتين المرموقين ، ولكن الأهم منها حصوله على تأييدهم .

وفى بعض الاحيان يتخذ ظهوره الشخصى فى المعابد الدينية شكلا شبيه « الكرنفال » .

ويقول الحاخام ماكس ن . شراير ، النائب الأول للمجلس الحاخامى الامريكى — اكبر هيئة للحاخامات المتزمتين فى البلاد — يقول : « لا يوجد شخص ممن أعرفهم ، يستطيع جذب الجمهور مثل كاهانا » . ويضيف شراير ، الذى كان معبده المسمى بالمركز اليهودى فى فلاتبوش مكانا معتادا لظهور كاهانا، ان ظهوره فى معبده كان يؤدى الى امتلائه بالجمهور . ويقول « انه تحدث ذات مرة فى معبدى وكان مكتظا بالجمهور مثلما يحدث فى يوم الغفران » .

ويقول شراير ان عمل كاهانا مع رابطة الدفاع اليهودى - غرس شعورا بالكبرياء فى نفوس الطائفة اليهودية الأمريكية . وحينما يحث اليهود على مواجهة تحديات السود والمعادين للسامية ، كانت دعوته تأتى بنتائج طيبة . ويتفق شراير مع كاهانا فى أن الاندماج والزواج المختلط ، من اشد الأخطار التى تواجه الشعب اليهودى . ويقول أن القلق ينتابه بسبب التقارير التى تفيد بأن الرجال العرب يقومون باغراء اليهوديات داخل أروقة الجامعات الاسرائيلية . ويضيف انه يجب تشديد الحواجز بين العالم اليهودى وعالم الغرباء . الا ان شراير ، الذى يؤمن بضرورة ضم اسرائيل للأراضى المحتلة ، ينتابه القلق ازاء دعوة كاهانا لطرد العرب لان ذلك « يثير مشاعر العنف والعداوة فى الاوساط غير اليهودية ، ولا يدعم موقف اليهود فى أمريكا » .

ومن اكبر انجازات كاهانا المذهلة ، جذبه للمساعدات المالية الضخمة من الطائفة اليهودية السورية فى فلاتبوش ، التى قد تعد اغنى طائفة يهودية فى العالم . وحتى وقت قريب ، كان الزعماء اليهود السوريون يمنعون كاهانا ، حتى من الحديث فى المعابد المجاورة . الا أن المعارضة التى كانت تواجهه تقلصت مع ازدياد ناخبيه فى اسرائيل . واستطاع رالف بيتيش ، مساعد كاهانا الرئيسى فى أوساط الطائفة اليهودية السورية بنيويورك ان يجمع من العاملين فى مجال الالكترونيات مبلغ ۲۰۰٫۰۰۰ دولار ، بعد ظهر أحد أيام الأحد ، وكان جميع حاخامات الطائفة الكبار حاضرين ، وكذلك جميع رجال الأعمال المرموقين . ويقول بيتيش ان بعض المتبرعين قلقون من الارتباط بكاهانا ، لدرجة أنهم يرسلون له النقود عن طريق احدى البيشيفات المتعاطفة ، بدلا من تحرير الشيكات او تقديم الأموال النقدية لمنظماته . ووفقا لأقوال بيتيش ، فان احد كبار انصار كاهانا ، واحد من كبار المديرين فى البنك الوطنى الجمهورى بنيويورك ، الذى يملكه ريموند صافرا ، اليهودى السورى اللبنانى .

وتعد كاخ الدولية — وهى شركة مساهمة عامة ، تأسست فى كاليفورنيا — الاداة الاعلامية الرئيسية لكاهانا فى أمريكا . وقد تأسست اثر فوز كاهانا فى

.. بات الكنيست فى عام ١٩٨٤ . وقال كين سيدمان الذى كان مديرا لكاخ ، حتى رحيله اثر أزمة قلبية فى عيد ميلاده السابع والثلاثين يوم ٢٩ اغسطس ١٩٨٧ : « كنا نشعر بأن اسم كاخ سوف يحقق احتراما أكثر من اسم رابطة الدفاع اليهودى فى أوساط اليهود الأمريكيين » . وكانت المنظمتان تعملان معا بصورة وثيقة ، كما كان العديد من أنصار كاهانا أعضاء فى كلتيهما . وأضاف سيدمان قائلا : « ان مصالح رابطة الدفاع اليهودى تتفق بالتأكيد مع مصالحنا ». ومنذ وقت قريب ، كان كاهانا يوجه اليهود الذين يجيئون اليه يطلبون الانضمام الى رابطة الدفاع اليهودى — كان يوجههم للانضمام الى كاخ بدلا من الرابطة .

وقد تولى بريت بيكر — الذى اعتنق الديانة اليهودية ويبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاما — ادارة مكتب كاخ فى بروكلين اثر وفاة سيدمان . وكانت مهمة مواطن فلوريدا السابق والذى كان يرأس رابطة الدفاع اليهودى فى عام ١٩٧٩ ، تنفيذ حملة كاهانا المعادية للعرب فى أمريكا . وفى ٩ ديسمبر ١٩٨٧ ، تزعم بيكر مايقرب من خمسة وعشرين متظاهرا أمام القنصلية الاسرائيلية فى مانهاتن ، لمطالبة اسرائيل بأن تطرد « سكانها العرب .. الاشرار الذين يزدادون عددا » ومنذ ذلك الحين ، استقال بيكر من منصبه .

وفى ١١ مايو ١٩٨٨ ، أقامت كاخ الدولية مأدبة لجمع التبرعات من اجل اعادة انتخاب كاهانا ، فى فندق بيفرلى هيلتون الفاخر فى لوس انجيلوس . وحضرها ما يزيد عن خمسمائة شخص . وكان الطعام شهيا ، والشمبانيا وفيرة ، وكانت أمسية سوف يتذكرها الجميع ، وفقا لما قالته مادلين ابراهام احدى المسئولات بمكتب كاخ فى واشنطون العاصمة ، والتى رافقت كاهانا اثناء جولة جمع التبرعات بالساحل الغربى .

وفى الوقت الحاضر ، يشارك معهد الفكرة اليهودية الصحيحة — الذى يعد الأداة الكبرى لجمع التبرعات لكاهانا فى الولايات المتحدة — يشارك شركة كاخ الدولية فى مكتب وصندوق بريدى واحد فى حى بروكلين . وكان معهد الفكرة اليهودية قد تم تأسيسه فى عام ١٩٧٩ ، اثر حل سلفه مركز الهوية اليهودية الذى خلف وراء مديونية للبنوك تبلغ ٢٥٠٠٠ دولار ، ودعوى قضائية معلقة . ووفقا لمستندات التأسيس المحفوظة فى مكتب المدعى العام بولاية نيويورك ، أقيم معهد الفكرة اليهودية من أجل تعليم وتثقيف أعضاء الطائفة ، حتى يكونوا على دراية أكبر بالمشاكل العالمية ، ومدى تأثيرها على الديانة اليهودية والطائفة اليهودية . وكان على معهد الفكرة اليهودية أن يحقق هذا الهدف بصورة أساسية ، بالعمل على ترويج كتب كاهانا الاثنى عشر ، ومقالاته العديدة وشرائط (الكاسيت) المسجلة له ، بالاضافة الى تنظيم جولاته الخطابية فى الولايات المتحدة

ومعهد الفكرة اليهودية مقيد حاليا فى قوائم مصلحة الضرائب الامريكية ، بصفته مؤسسة خيرية معفاة من الضرائب ، تستطيع جمع تبرعات تخصم من الضرائب . ووفقا لقانون الضرائب ، لا يجوز استغلال التبرعات المخصومة من الضرائب ، فى تمويل الحملات السياسية ، أو التأثير او التدخل فيها . كما يحد القانون بشدة من المناورات السياسية ونشر الدعاية . غير انه وفقا لاقوال العديد من المتبرعين لكاخ ، والمصادر الاخرى العليمة بأساليب كاهانا فى جمع التبرعات ، كان كاهانا فى سعيه لجمع المساعدات لمعهد الفكرة اليهودية ، يعلن بلا خجل أن تلك الاموال سوف تساعد فى تمويل حركته السياسية فى اسرائيل . ويقول احد المصادر ممن يعملون على تنفيذ القانون ، ويعلم بالتحقيقات التى تجريها المحكمة العليا الفيدرالية حول انشطة رابطة الدفاع اليهودى أنه صريح فى هذا الخصوص . فهو يذهب الى جامعى التبرعات ويقول لهم : « اعطونى الاموال لدعم مصالحى السياسية فى اسرائيل » ، واثر ذلك يحررون له الشيكات ويحصلون على الاعفاء من الضريبة .

ويقول اد سولومون ، رئيس فرع رابطة الدفاع اليهودى فى فيلادلفيا ، واحد اعضاء حزب كاخ النشيطين : تذهب تبرعات الطائفة اليهودية (لكاهانا) الى معهد الفكرة اليهودية ، ومنه ترسل الى الحاخام فى اسرائيل ... حيث تذهب الى حزب كاخ ، لاغراض سياسية . ويقول سولومون ان حملة تبرعات قريبة من اجل كاهانا فى مدينة فيلادلفيا حضرها الحامون اليهود المتشددون ، حصلت على شيكات تبلغ قيمتها ٥٠٫٠٠٠ دولار لمعهد الفكرة اليهودية . وساهم احد كبار انصار كاهانا ، من مدينة تاكسون باكثر من ١٠٫٠٠٠ دولار ، حرر بها شيكات لمعهد الفكرة اليهودية ، وقال : اننى سوف اعطى له كل ما املك . انها تخصم من الضرائب ، والاموال تذهب اليه فى اسرائيل .

وقد اعترف العديد من المسئولين فى معهد الفكرة اليهودية بأن الاموال التى تحصل عليها المنظمة ، ترسل الى كاهانا فى اسرائيل ، ولكنهم قالوا انها تستخدم هناك فى اغراض تعليمية .

واثناء حملة كاهانا الانتخابية الناجحة فى عام ١٩٨٤ ، ارسل معهد الفكرة اليهودية نشرات بالبريد الى المساهمين المرموقين ، تطلب منهم ارسال شيكات الى معهد الفكرة اليهودية ، كى يقوم بمساعدة حزب كاخ وكاهانا للوصول الى السلطة فى اسرائيل . وفى حفل عشاء اقيم من اجل جمع التبرعات لكاهانا فى خريف عام ١٩٨٧ ، بمعبد ميدان لينكولن المرموق فى مانهاتن ، قيل للمتبرعين أن تبرعاتهم لمعهد الفكرة اليهودية ، المعفاة من الضرائب ، سوف تساعد كاهانا فى الحصول على عشرة مقاعد فى الكنيست فى

الانتخــابات القادمة ، وفقا لاقوال مال ليبوفيتز ، احــد اعضاء حــزب كاخ النشيطين ، والذى كان ضــمن اعضــاء اللجنــة المنظمة للحفــل . ويقــول ريتشارد بروبيس ، امين صندوق شركة كاخ الدولية ، ان كاهانا جمع ٤٠٫٠٠٠ دولار خــلال الحفــل .

وتوضح مذكرة خاصة اعدها كاهانا وتم توزيعهــا على انصــاره ، كيفية استغلال معهد الفكرة اليهودية ما أتيح له من اعفاءات من الضريبة ، للحصــول على الاموال اللازمة لحملته الانتخابية .

ويشرح كاهانا فى خمس خطوات سهلة ، كيفية تنظيم حفــل بالبيت لجمع التبرعات ، حتى انه صاغ الحديث الذى يلقيه المضيف اثر القــاء كاهانا خطابه ، وتبدأ الدعــوة لتلقى الامــوال ــ وفقــا لمــا جــاء بالمذكــرة ــ بأن يقول المضيف :

ــ اننى واثق من أننا تأثرنا تماما بكلمات الحاخام كاهانا . ولكن تأثرنا لن يســاعده على أن يساعدنا ... واذا كان للحاخام كاهانا ان يصــل لليهود بالخطب والمقالات والانشطة ، واذا كان له أن يصــل الى الكنيســت ، فانه يجب علينا أن نعطيه الاموال التى يحتاجهــا . وقــد اسس الحاخام كاهانا منظمة معفاة من الضرائب تدعى معهد الفكرة اليهودية ، وجميع الشيكات التى تمنح لهــا تخصــم من الضرائب . وقــد دعوتكم الى منزلى كى تستمعوا الى الحاخام كاهانا ، وانا شخصيا اناشدكم أن تعطوا بسخاء .... والآن اطلب منكم جميعا أن تحــذوا حذوى وتفعلوا ما تمليه عليكم ضمائركم . وســوف يقوم الحاخام كاهانا بالرد على جميع الاسئلة فى عدة دقائق ، ولكن يجب علينا أولا أن نعطى للرجــل الذى أعطى الكثير . فمن سيكون المتبرع التالى ؟

ونجحت الخطة بشكل ملحوظ فى حفل جمع التبرعات لكاهانا عام ١٩٨٩ فى منزل بارى فريدمان الفخم بنيويورك . ويعــد فريدمان من السماسرة الاغنياء فى مجــال تجارة النفط فى بورصــة نيويورك . وهو يجتمع بصــفة دائمــة من أجــل الحــوار ، مع جمــاعة تتكون من المهنيين الناجحين ، الذين اعتنقوا مثله فى الآونــة الاخيرة المفاهيم اليهودية المتشــددة . ويقول هوارد ســروتا ، المحامى الذى حضر الاجتمــاع من باب حب الاستطلاع ، ان كاهانا ابدى بعض التصريحات ، التى يعتبرها « عنصرية وفاشية » ، وذلك فى كلمة موجــزة . ثــم طلب كاهانا التبرعات ، وحصــل على حوالى ٥٫٠٠٠ دولار من ضيوف فريدمان . ويضيف ســيروتا : كان امرا غــير معقــول تماما من جانب هؤلاء المتعصبين ــ الذين حضروا فى سياراتهم الجاجوار الفارهة من منازلهم الفخمة ــ ان يقوموا بتمويل رجل يسعى الى طرد شعب من أرضه .. لقــد شــعرت بالاشــمئزاز .

وتعد جنوب فلوريدا — التى تضم جالية يهودية كبيرة وثرية — من أفضل المواقع الخصبة التى يقتنص منها كاهانا الاموال . ويقول أحد أعضاء معهد الفكرة اليهودية النشيطين ، والذى نظم العديد من حملات جمع التبرعات لكاهانا فى تلك المنطقة ، ان كاهانا حصل على ما يزيد عن ١٠٠٫٠٠٠ دولار من جنوب فلوريدا فى عام ١٩٨٨ . ويقول المصدر الذى طلب أن يظل مجهولا : انه كان يغادر قاعات الاجتماعات ، وجيوبه مليئة بالشيكات . ويضيف قائلا : ان الذين يرغبون فى الحصول على خصم من الضرائب ، ولكنهم يخافون من تحرير الشيكات لصالح معهد الفكرة اليهودية ، كان كاهانا يشير عليهم بتحريرها لصالح « بيت شاباد » ، التابع لطائفة يهودية متزمتة لها فروع فى الولايات المتحدة وأوروبا واسرائيل ، والذى يتمتع بالاعفاء من الضريبة بوصفه جمعية خيرية ، ومن ثم كان يقوم بارسال التبرعات المخصومة من الضرائب الى كاهانا فى اسرائيل . ولا تستطيع أجهزة الضرائب أن تفعل شيئا حيال تلك « الوسيلة الاحتيالية » لان الحكومة تستنكف التدقيق مع المؤسسات الدينية .

وقد حصل معهد الفكرة اليهودية على مبلغ ٧٨٨ر١١٥ دولار فى صورة تبرعات فى الفترة من عام ١٩٨٠ حتى ٣٠ يونيو ١٩٨٦ ، وفقا لبيانات ضرائب الدخل . كما حصل أيضا على ما يقرب من ١٠٫٠٠٠ دولار سنويا من رابطة الدفاع اليهودى ، بوصفه مؤسسة تابعة لها .

وفى ١٩ يناير ١٩٨٧ ، أرسلت اديلا ليفى ، مديرة معهد الفكرة اليهودية خطابات الى المؤيدين تخبرهم بأن الجماعة كونت منظمة جديدة تتمتع بالخصم من الضريبة ، وتدعى « النظرة اليهودية الشاملة » ، تقبل من الآن فصاعدا جميع الشيكات المخصومة من الضرائب ، من اجل « نضال » الحاخام كاهانا . وكتبت فى خطاباتها للبدء فى السنة الضريبية الجديدة بالطريقة اليهودية الصحيحة ، اذا لم تكونوا قد أرسلتم مبلغ المائة الدولار الذى تحتاج اليه من كل فرد مؤيد للحاخام كاهانا ، فلماذا لا تحررون شيكات بها الآن ، (للنظرة اليهوديه الشاملة) ؟ واذا كنتم قد أعطيتم بالفعل ، فمن يقول أنه من المحظور اعطاء المزيد ؟ وأين النص الذى يقرر أن الحد الأقصى هو مائة دولار فقط ؟ .

ولتحقيق رؤيته السياسية ، اخذ كاهانا يسعى للحصول على التمويل ، حتى من المبشرين المسيحيين اليمينيين الامريكيين (الانجيليين) الذين يؤمنون مثله ، بأن اليهود هم الشعب المختار ، وأن مجىء المسيح مرتبط بعودة اليهود الى اسرائيل ، وطرد أعداء اسرائيل — العرب — ويقبل كاهانا رعاية المسيحيين ، لأنه يؤمن بأن المخلص سوف يكون يهوديا . وربما كان التحالف بين المتشددين اليهود والمسيحيين ، ناجما عن اعتقاد كلتا الجماعتين الراسخ ، بأن توحدهما سوف يؤدى الى مجىء المسيح ، مع ايمان كل منهما ، بانه سوف يكون مسيحه المنتظر .

وعلى سبيل المثال ، سافر كاهانا الى دالاس بصحبة جيمى دى يونج ، المسيحى المتشدد ، الذى كان فى ذلك الحين نائب الرئيس والمدير العام لمحطة الاذاعة الدينية فى نيويورك ، (دبليو.ان.واى.ام) . وظهر الاثنان فى حوار تليفزيونى ، ثم حضرا عدة حفلات (كوكتيل) ، حيث اخذ كاهانا يستجدى الاموال من الاصوليين المسيحيين من اجل حملته الانتخابية فى عام ١٩٨٤ .

ويعتبر ستانلى جولد فوت ، احد حلقات الاتصال الرئيسية بين حزب كاخ الكاهانى فى اسرائيل ، وبين المسيحيين التبشيريين (الانجيليين). ويتباهى جولد فوت ــ ذلك الداهية المولود فى جنوب أفريقيا ، والعضو السابق بعصابة شتيرن ــ يتباهى باشتراكه فى اغتيال الكونت برنادوت ، وسيط الامم المتحدة فى عام ١٩٤٨ ، وفى حادث نسف فندق الملك داوود ، مقر البريطانيين فى فلسطين اثناء فترة الانتداب . وقال لى فى منزله الفاخر بالقدس ، انه لا يوجد احد اشجع واقدر على معرفة الدين اليهودى من كاهانا ، كما قال جولد فوت : اننى شديد الاعجاب به وبحركته . ان آراءه غاية فى الصواب، واعتقد انه السياسى الاسرائيلى الوحيد الذى يملك الشجاعة الحقيقية .

وبايعاز من كاهانا ، كون جولد فوت مؤسسة معبد القدس ، بالاشتراك مع دوجلاس كريجر ، الواعظ البروتستانتى من كاليفورنيا ، وتيرى روزينهوفر ، احد مليونيرات النفط فى أوكلاهوما . (وقد ادين روزينهوفر فى الآونة الاخيرة ، وحكم عليه بالسجن أربع سنوات ، لبيعه عقود ايجار باطلة للتنقيب عن البترول فى اماكن نائية من الاسكا ، والاحتيال على ٣٠٠٠ مستثمر ، حصل منهم على ما يقرب من ٢٥ مليون دولار . ولم يدن كريجر ، مساعد نائب رئيس شركة روزينهوفر) . وفى أواسط الثمانينيات ، نشرت جريدة حزب العمل الاسرائيلى « المحترمة دافار »، ان جماعة جولد فوت ، جمعت عشرة ملايين دولار ، تزمع التبرع بها لمستوطنات الضفة الغربية ، وشراء عقارات العرب فى القطاع الاسلامى من القدس الشرقية ، بغرض تحويل المدينة القديمة الى السلطة اليهودية كمقدمة ، كما تعتقد الجماعة ، لعصر خلاص البشرية .

وبالرغم من ازدراء معظم اليهود الامريكيين لرؤية كاهانا لاسرائيل، وللاساليب التى يتبعها ، يحظى كاهانا بعدد كبير من الموالين له ، ممن يتيحون له ــ من خلال المساعدات ــ الاحتفاظ بمكانة مؤثرة فى الحياة العامة الاسرائيلية . ويقول الحاخام ابراهام هيكت من بروكلين ، واحد حاخامات الطائفة اليهودية السورية المرموقين فى مدينة نيويورك ، ويؤيد بحماس العديد من آراء كاهانا ، يقول ابراهام هيكت : اننا واثقون من استقامته ، ونؤمن بأن برنامجه مستمد من التوراة ، مما يتيح له فرصة كبيرة للنجاح فى اسرائيل . وفى حين نعتقد أن بعض مواعظه راديكالية للغاية ، نجدها لا تتناقض مع المعتقدات التى ينبغى على اليهودى المتدين أن يؤمن بها .

الفصـــل الرابـــع عشر

نهـــاية رابطة الدفاع اليهوديـــة

يعول فيكتور فانسيير ، ذلك الشاب المتهور ، الفظ ، البـــالغ من العمر سبعة وعشرين عاما ، والذى عينه كاهانا رئيسا لرابطة الدفاع اليهودى فى نيويورك فى نوفمبر ١٩٨٤ ، بعد فترة قصيرة من فوزه فى الكنيست : ان اليهود فى حاجة الى رمز مجنون فى هذه الأونة . ولعل أحد أسباب اضطهاد النازيين لليهود ، انهم كانوا اهدافا سهلة . وبصراحة ، يعيش اليهود المجانين حياة أطول .

واخبرنى فانسيير ــ وهـــو رجل قصـــير القامة ، نحيف الجسم ، ذو سمات صبيانية ، ويحمل فى يده كشافا معدنيا اسود طوله ثلاثة أقدام ، يستعمله كهراوة ــ أثنـــاء مقابلة لى معه فى أحد مقاهى مانهاتن ، أن « الجنون » يساعد اليهود فى عدة نواح . ويعرف فانسيير ، الذى قاد بونى بيشـــتر الى حافـــة الانهيار العصـــبى ، الكثير عن الجنون ، اذ قال : اذا أصبح السوفييت يخافون من اغتيال دبلوماسييهم فى الولايات المتحدة ، ومن نسف مقارهم ، وأننا سوف نتخذ اجراءات اخرى تدمر العلاقات السوفيتية الامريكية ، فحينئـــذ ســـوف يدركون أن من الافضل اطلاق سراح اليهود .

وقال فانسيير ، الذى كان يرتدى بنطلون جينز وقميصا قطنيا باهتـــا ، وحذاء أزرق قديما وقذرا : ان رابطة الدفاع اليهودى المجنونة سوف تقضى أيضـــا على النازيين الجدد ، والعرب الامريكيين المؤيدين لمنظمـــة التحريـــر الفلسطينية ، الذين يطلق عليهم « انصار المحرقة والابادة الجدد » . وتحـــدث أيضـــا عن تصفية ادوارد سعيد ، الفلسطينى المولد ، الامريكى الجنسية ، وأستاذ الادب الانجليزى المرموق فى جامعة كولومبيا ، ومن كبار مؤيدى منظمة التحرير الفلســـطينية ، وقال وهو يقهقه عاليا : اننى اعتقد أن الرجل متوحش ، وهذا يعنى ان كل شيء جائز . كما أومن بأن العرب هم النازيون الجدد ، خلفاء الرايخ الثالث ، وانا لا أريد منه ان يقول اقل شيء .

وعلى أية حال ، لم يكن ادوارد سعيد يضحك . اذ قبل عدة اشهر من مقابلتى مع فانسيير ، كان قد تم نهب مكتب ادوارد سعيد ، واقتحام مسكنه ، بواسطة عصابة من الشبان اليهود السفاحين . وقال فانسيير متباهيا أنه لا يعـــرف الذين حرضـــوا على عمليـــات الاقتحام ، ولكنه أطلق عليهم « اليهود الوطنيين » .

وكانت رابطة الدفاع اليهودى ذاتها ــ والتى تقوم على مبدأ اليأس ، الذى يخـــوف اليهود الامريكيين من انهـــم ســـيكونون عرضـــة لمحرقة ثانيـــة

(هولوكوست) — على وشك الانقراض حينما تولى فانسيير أمورها . وقال لى أروين بلوك ، رئيس ربطة الدفاع اليهودى فى جنوب فلوريدا ، أثناء مقابلة لى معه فى عام ١٩٨٦ « لقد ذهب أفضل أبنائنا الى اسرائيل كى يكونوا مع الحاخام . وجميع من بقى هنا من كبار السن » والواقع أن عدد أعضاء رابطة الدفاع اليهودى انخفض الى أقل من الف عضو مع نهاية عام ١٩٨٥ ، وكان يوجد فى خزينتها العامة أقل من ٣٠٠٠ دولار . وفى ديسمبر ١٩٨٥ ، أغلق فيرن روزينبلات ، الذى كان يشغل منصب المدير التنفيذى لرابطة الدفاع اليهودى ، مكتب المنظمة الرئيسى الكائن على طريق كينجز السريع فى بروكلين ، وذلك لافتقارها للأموال اللازمة .

ولم تكن رابطة الدفاع اليهودى مفلسة فقط ، ولكنها كانت تعانى أيضا من الفوضى التامة . اذ أدى غياب كاهانا لفترات طويلة عن أمريكا ونزاعاته المتكررة ، الى خلق فراغ أدى مع مرور السنين الى نمو الجماعات اليمينية المتنافسة التى تضم محبى الاقتتال ، الذين لا تجمع بينهم سوى مفاهيم كاهانا الداعية للعنف والقـوة اليهودية ، مما حول رابطة الدفاع اليهودى الى حركة يســــودها الاقتتال الداخلى ، ويمضى أعضاؤها وقتا فى التآمر ضد بعضهم ، أكبر من الوقت الذى يمضونه فى العمل ضد أعدائهم الغرباء . وانقسمت رابطة الدفاع اليهودى بصورة حادة ، حتى أنها أصبحت فى ديسمبر ١٩٨٥ — بعد فترة وجيزة من تعيين كاهانا لفانسيير رئيسا رابطة الدفاع اليهودى فى الساحل الشرقى ، أثناء مؤتمر تم عقده فى فندق بنتا بمانهاتن — أصبحت الرابطة يسودها الاضطراب . اذ استولى والتر بيركوفيتز — أمين صندوق الرابطة ، والبالغ من العمر خمسة وستين عاما ، والمعارض لفانسيير — استولى على دفتر حسابات المنظمة فى البنوك ، وعلى قائمة العضوية ، وسلمها الى ياكوف ، ابن فاى لويد — وهــو شاب متهور من كوينز يطمح أن يكون كاهانا آخر . وأعلن بيركوفيتز ، وياكوف أنهما أصبحا رؤساء رابطة الدفاع اليهودى الجديدة ، رغم أن ياكوف أخبرنى أنه لم ينضم اليهما فرد واحد . وفى ديسمبر ١٩٨٥ ، انفجرت شحنة ناسفة أسفل سيارة بيركوفيتز ، مما أدى الى تحطيم النوافذ فى حى كوينز الهادىء . وفى فبراير ١٩٨٦ ، دمرت شحنة ناسفة أخرى سيارة بيركوفيتز تماما .

وفى داخل هذا العالم المعقد للنضال اليهودى — حيث تقاس الفضيلة بكمية الاموال التى يدفعها المرء من أجل قضايا اليمين فى اسرائيل — كان هناك العديد من المدعين لخلافة عرش كاهانا .

وقد جاءت اكثر التحديات خطورة لسيطرة كاهانا على رابطة الدفاع اليهودى — وبالتالى الطائفة اليهودية اليمينية المناضلة فى امريكا — جاءت أكثر التحديات خطورة ، من موراى ويلسون ، فى أواسط الثمانينيات . وكان ويلسون ، البالغ من العمر ثمانية واربعين عاما ، يهوديا من برونكس ، وله نشاط ملحوظ فى أندية القمار بلاس فيجاس ، وعصابات المافيا ، والسياسات الراديكاليـــة

اليمنيه اليهودية . ويقول ويلسون انه ساهم بما يزيد عن ٢٥٠,٠٠٠ دولار ، فى صورة اموال سائلة ومعدات ، لرابطة الدفاع اليهودى بالرغم من انفصاله عن كاهانا لعدة سنوات فى أوائل السبعينيات ، بعد أن استولى الحاخام على الاموال المخصصة لمدرسة رابطة الدفاع اليهودى فى فندق صهيون . وانشق ويلسون عن كاهانا مرة اخرى ، بصورة علنية فى اغسطس ١٩٨٤ ، بعد أن نشر الحاخام مقالا فى صحيفة الجيش بريس ، يدعو فيه الى تصفية اليهود « الهيلينيين المرضى نفسيا » من الليبراليين « الذين يهددون وجود اليهودية » .

وقد اخبرنى ويلسون أن شتائم كاهانا اللاذعة لليهود الذين يعارضهم ، الى جانب اهماله لرابطة الدفاع اليهودى ، من أجل تعزيز مكانته السياسية فى اسرائيل ، اديا فى النهاية الى انقلابه ضد الحاخام . وقال ويلسون ، وهو يجلس فى جناحه بالدور العاشر بمبنى الامبايو ستيت ، حيث يشاهد العديد من مقار انشطته التجارية ، ومنها شركة للاستيراد والتصدير ، ومطعم متوقف حاليا يقدم الوجبات اليهودية (الكوشر) ، فى وسط حى مانهاتن ، يدعى لو دفرانش — قال ويلسون : انه لا يهتم بالمرة باليهود الامريكيين ، فهو يهتم بنفسه فقط . بمائير كاهانا . ولو كان يهتم باليهود الامريكيين لما ذهب الى اسرائيل . والآن حيث أنه أصبح هناك ، فليبق هناك .

وكانت كراهية ويلسون لكاهانا عميقة ، لدرجة انه أستاجر بعض المخبرين الخصوصيين من اجل تعقب الحاخام أثناء جمعه للتبرعات فى نيويورك . واخبرنى ويلسون ، أنهم تبعوا كاهانا ذات ليلة الى منزل مأمون بأحد الاحياء الايرلندية فى كوينز ، والذى كان قد استأجره باسم مستعار . وحينما استغرق الحاخام فى النوم ، قام الرجال باقتحام سيارة كاهانا ، وسرقوا حقيبة أوراقه . وبعد عدة أيام ،تم اقتحام سيارة كاهانا مرة اخرى ، وفى تلك المرة سرقوا ملابسه وكتبه الدينية . وجلس برترام زوييون ومعه اثنان من المشاغبين ، كانا فى الماضى يتبعان رابطة الدفاع اليهودى ، ينتظرون فى احدى السيارات ، اثناء قيام ويلسون بدهان سيارة كاهانا الهيرتز المستأجرة ، بشعار يقول « اخرج من امريكا ايها الزنجى » .

وفى نفس الاسبوع ، تم اقتحام مكتب رابطة الدفاع اليهودى فى بروكلين ، وسرقت ملفات الرابطة . وفى يوم ٤ نوفمبر ، تم اعتقال أربعة رجال ، كانوا يحملون أسلحة خارج معبد فورت لى بنيوجيرسى ، حيث كان كاهانا يلقى خطابا . وتم الافراج عن الرجال الاربعة بعد أن قام ويلسون بدفع الكفالات المقررة عليهم وكتب كاهانا بعد ذلك ، خطابا الى مكتب التحقيقات الفيدرالى ، يشكو فيه من أن ويلسون يعد مسئولا عن سرقة مكتب رابطة الدفاع اليهودى . كما اتهم ويلسون بمحاولة اغتياله — وهى تهمة ينكرها ويلسون تماما

وفى اكتوبر ١٩٨٦ ، جمع ويلســون عددا من اليهـود المناضلين لبحث « تشكيل جبهة يهودية نضالية موحدة » ، تستطيع السيطرة على رابطة الدفاع اليهودى ، وانتزاعها من هيمنة كاهانا . وكان يجلس معه على مائدة بأحد اركان مطعم لو سيجل للاطعمة اليهودية (الكوشر) ، والكائن بأحد أحياء مانهاتن : برترام زوبيون ، الذى انتظر لمدة عشر سنوات كى يتساوى مع كاهانا ، وحاييم شتيرن ، صاحب مصنع للأثاث فى كوينز ، الذى كان كاهانا وباجلين قد أرسلا اليه صندوقا مليئا بالاسلحة عقب مذبحة الدورة الاوليمبية فى ميونيخ ، وموردخاى ليفى ، رئيس منظمة الدفاع اليهودية ، احدى الفروع الصغيرة لرابطة الدفاع اليهودى ، وسامى واتينشتين ، الرئيس لسابق لتشكيل « التشايا » التابع لرابطة الدفاع اليهودى ، وايرف روبين ، رئيس فرع رابطة الدفاع اليهودى فى لوس انجيلوس، والذى اختاره كاهانا فى أغسطس ١٩٨٥ مديرا قوميا للرابطة .

وقال لى ويلسـون : اتفقنا على تقسيم الولايات المتحـــدة ، بأن يتولى روبين أنشطة الساحل الغربى (حيث يوجد له حوالى ستين من الاتبـــاع الاشداء) ، وأن يتولى ليفى الساحل الشرقى وأن يكون لأحد ممثلى رابطـــة الدفاع اليهودى منصب فى مكتب ليفى فى نيويورك ، ويكون لأحـــد ممثلى منظمة الدفاع اليهويدة منصب فى مكتب روبين بلوس انجيلوس .

وقال روبين أنه وافق على هذه الترتيبات لأن كاهانا كان يســتغل رابطة الدفاع اليهودى . كما قال : بعد كل تلك السنين من تدعيم الكاهانيـــة كان لابد ان نفعل شيئا . فقد كان كاهانا يحصل على كل الاموال والشهـــرة فى حين لم نكن نحصل على الاموال الكافية للانتقال الى مدينــــة كانساس ، لقتــــال فراخــان .

وترجع اهمية الاجتماع الذى تم عقده فى مطعم لوج. سيجل ، الى أنـــه جمع روبين وليفى سويا ، بعد أن كانا عدوين لدودين . وكان ليفى فى المـــاضى ينتمى لفرع رابطة الدفاع اليهودى فى لوس أنجيلوس ، ولكن وفقـــا لما يقوله روبين كان ليفى قد أعتاد ممارسة اعمال العنف بصورة مستقلة دون مشـــورة أحد . ويزعم روبين انه فى النهاية ، قام بضرب ليفى ضربا مبرحا حتى انه مكث فى المستشفى لمدة اسبوعين .

وفى نفس الوقت ، كما يقول ليفى نفسه كان ليفى يعيش معظم بداية فترة الثمانينيات حياة مزدوجة . ففى لوس انجيلوس ، كان عضوا نشطا فى رابطـــة الدفاع اليهودى . وأثناء تلك الفترة ذاتها ، كان يظهر فى نيويورك أحيانـــا مجسدا شخصية العميل للجماعة المتآمرة المعادية للسامية ، والتى يراســـها ليندون لاروش ، الذى قال عن ليفى ذات مرة : اننى اعتبره بمثابة ابنى . . غير

ان ليفى يزعم أنه لم ينضم الى لاروش ، ولكنه تسلل الى الجماعة ، وكان يخبر رابطة مكافحة التشهير التابعة لبناى بريث والمنظمات اليهودية الاخرى بما يعرفه . وقال اروين سول‌عضو رابطة مكافحة التشهير لجريدة الواشنطون بوست : لقد كان دوره غامضا ، وكنت حريصا تماما على عدم اعطائه ايـة معلومات قد تكون مفيدة لجماعة لاروش ، لانني كنت اعتقد انه يلعب لعبة خطيرة .. واصبح ليفى فيما بعد بالاحتيال . وفى عام ١٩٨٤ ، تبدلت اتجاهات ليفى مرة اخرى حينما شكل منظمة الدفاع اليهودية — التى كرست جهودها ، مثل رابطة الدفاع اليهودى ، للقيام بأعمال العنف ضد أعدائها .

وسرعان ما علم كاهانا فى اسرائيل بخبر الاجتماع الذى تم فى مطعم لو سيجل . واخبرنى روبين ، فيما بعد ، بأن كاهانا فزع حينما علم بالامر ، واعتقد أننى انضممت الى المعسكر المعادى . وبعد اسابيع قليلة ، ارسل كاهانا خطاب تهديد ، مكتوبا على ورقة من اوراق الكنيست ، الى روبين جاء فيه : عزيزى ايرف ، لقد أحزننى سماع تورطك فى تهريب المخدرات من المكسيك . أرجو ارسال تحياتى الى موراى وبيرت . كما يرسل بوبماننج ايضا تحياته ... وسوف أقرر ما سأفعله معك ، حينما أراك فى لوس انجيلوس .

وتحدث روبين مع ويلسون تليفونيا وهو فى غاية الفزع . لان كاهانا كان يهدد بتشويه سمعة روبين باتهامات لا اساس لها من الصحة ، ولان (بوب ماننج) كان بطلا سابقا فى الملاكمة لوزن المتوسط فى الجيش الامريكى ، وكان واحدا من اتباع كاهانا المرعبين .

وقال روبين لويلسون : ان كاهانا اذا مات غدا ، فسوف أكون سعيدا ، ولن أذهب للعزاء .

واجاب ويلسون قائلا : الآن عرفت نوعية القذارة التى تتعامل معها ، ولم تتركنى افعل ما كنت اريده .

وقال روبين : « موراى ، افعل كل ما تريده » .. غير ان كاهانا ، المتمرس على المناورة ، استطاع اخماد التمرد . فقد ترك روبين يحتفظ بفرع رابطة الدفاع اليهودى بالساحل الغربى ، كاقطاعية خاصة به ، بالاضافة الى لقب المدير القومى لرابطة الدفاع اليهودى ، فى مقابل تعهد روبين بالابتعاد عن ويلسون وعبر عن سخريته قائلا : « لقد هدد كاهانا بتجريد ايرف من مناصبه فى رابطة الدفاع اليهودى اذا لم يحسن السلوك » ، وذلك بعد أن خفت حدة عداء ويلسون لكاهانا ، اثر مبادرة اجهزة مكافحة

الجريمة المنظمة فى لاس فيجاس ، التابعة لوزارة العدل ، باجراء تحريات حول الاتهامات الموجهة لويلسون بممارسة الأنشطة الهدامة* .

ومنذ ذلك الحين ، تصالح روبين مع كاهانا (لقد أرسل لى مجرد رسالة تقول بأننى أقوم بعمل طيب) ، بالرغم من أنه مازال يطلق الصرخات سعيا للابتعاد عن معلمه السابق · ويقول روبين : ان هدفى هو الابتعاد عن السياسات الاسرائيلية واقامة رابطة دفاع يهودية فعالة ومستقلة ، لا تعوقها الاعباء السلبية المحيطة بكاهانا . ذلك أنه اذا أصبح كاهانا رئيسا للوزراء فسوف تنشب حرب أهلية فى اسرائيل ، وسوف يموت اليهود ، وذلك ما يفزعنى كثيرا · أننى لم أنضم الى رابطة الدفاع اليهودى من أجل محاربة اليهود ·

وبروح من الوفاق ، تحالف روبين مع فانسيير رئيس فرع رابطة الدفاع اليهودى فى نيويورك · وعقد فانسيير بالتالى هدنة غير مستقرة مع ليفى بالرغم من تنافسهما حول الأموال والاعضاء الجدد · وفى الوقت ذاته ، سعى فانسيير لاعادة تكوين رابطة الدفاع اليهودى بالساحل الشرقى ·

وكان فانسيير ـ ذلك الرجل الذى يشبه المتشددين ويتحدث بفأفأة مخنثة بسيطة مثل كاهانا ـ مصمما على ترك رابطة الدفاع اليهودى · ففى ديسمبر ١٩٨٥ ، أرسل مجموعات مسلحة من أعضاء رابطة الدفاع اليهودى يحملون مدافع (ستن) الرشاش لمهاجمة أعضاء جماعة دينية تدعى « اليهود من أجل يسوع » ، كانت تدعو لمبادئها فى شوارع مانهاتن · ويقول فانسيير متباهيا « لقد أجليناهم عن الشوارع فى ظرف أسبوع واحد وفى الشهر

---

* فى يوم ٣٠ يونيو ١٩٨٩ ، أدانت المحكمة الفيدرالية فى لاس فيجاس ، ويلسون ومساعده سامى واتينشتاين ، بسبب التآمر والنصب على فندق وكازينو دونز ، للاستيلاء على عدة ملايين من الدولارات فى عملية نصب كبرى. وادعت الحكومة بأن ويلسون احضر عشرات اليهود الروس من نيويورك ، حيث حصلوا على قروض من الكازينو من أجل المقامرة ، وهو يعلم أنهم لن يردوا هذه القروض . وكان شاهد الحكومة الاول ضد ويلسون ، هو زفى هاجار ، العضو السابق برابطة الدفاع اليهودى ، الذى شهد بأنه ساعد ويلسون فى الحصول على مئات الآلاف من الدولارات ، التى اقترضها الروس الذين أحضرهم ويلسون الى الفندق . ووفقا لشهادة المحكمة ، انقلب هاجار ، وهو ابن أحد الحاخامات المتزمتين المرموقين فى كروان هايتس بنيويورك ، انقلب هاجار ضد ويلسون واتينشتاين بعد أن أخذاه الى مخزن مهجور فى سيكو كاس بنيوجيرسى ، حيث جرداه من ملابسه وضرباه ضربا مبرحا ، بعد أن اتهماه بسرقة بعض الاموال من مكتبهما .

ذاته ، ألقت رابطة الدفاع اليهودى ، قنابل ذات رائحة كريهة في اجتماع بمناسبة يوم التضامن الفلسطينى ، كان منعقدا فى حرم جامعة كوينز وفى يناير ١٩٨٦ حاصر اربعون عضوا من رابطة الدفاع اليهودى مبنى شركة طيران (بان امريكان) فى (مانهاتن) احتجاجا على تعيين الشركة لبعض « النازيين الجدد » فى المناصب الادارية العليا بالشركة . وفى ابريل ١٩٨٦ تم اقتحام وتخريب كنيستين فى نورث بنيوجيرسى ، كانتا تعملان على تنصير اليهود ٠ كما تم طلاء الجدران بعبارات تقول : « هذه المرة نحن نكتب ، والمرة القادمة سوف ننسف » ٠

وفى ظل رئاسة فانسيير ، نظمت رابطة الدفاع اليهودى ، التى كان لها فروع متفرقة فى منظمة مانهاتن بنيويورك ، دروسا للتدريب على الملاكمة بالمعابد الكائنة بقسم شيلس بمانهاتن ، وفى كيو جاردنز بكوينز ٠ وكان لفانسيير ايضا برنامج تليفزيونى أسبوعى مدته ثلاثون دقيقة ، على شبكة تليفزيون مانهاتن يدعى « رابطة الدفاع اليهودى تتحدث » ٠ وكان فانسيير يصف البرنامج قائلا : انه مجرد نصف ساعة مخصصة لى وانا أهذى .

ولكن فانسيير كرس كثيرا من جهوده فى البحث عن يهود نشيطين أكفاء للانضمام لرابطة الدفاع اليهودى ٠ وفى أحد أيام شهر يناير ١٩٨٦ شديدة البرودة ، قدمنى فانسيير الى خمسة رجال ، أسماهم « بالموجة الجديدة » فى رابطة الدفاع اليهودى - من المحترفين الذين ينتمون الى عائلات كانت موالية لرابطة الدفاع اليهودى ، وتركتها للتفرغ لبعض الاعمال الناجحة ثم انضمت اليها مرة اخرى وقد وافق الرجال ، الذين يمثلون فروع رابطة الدفاع اليهود فى قرية جرينويتش ، وجزيرة ستاتن وفلاتبوش وشاطىء برايتون - وافق الرجال على مقابلتى فى أحد حانات شيلس ، طالما ظلت شخصياتهم فى طى الكتمان ٠

وكان رونى - ذو النبرة الهادئة واللحية الطويلة ، والوالد لطفلين - يدير شركة استشارية فى نيوجيرسى . وكان قد انتقل الى اسرائيل فى اواسط السبعينيات ، ولكنه وجد الأحوال الاقتصادية قاسية ، ومن ثم عاد الى نيويورك مرة أخرى . والآن ، لديه دخل مناسب وشركة تعاونية فى قرية جرينويتش ٠

وقد أخبرنى رونى أنه قبل أن نلتقى بأربعة أشهر ، ساعد رابطة الدفاع اليهودى فى الدخول الى عصر الكمبيوتر ٠ فقد قام ومعه أحد الاصدقاء ، بتجهيز شبكة كمبيوتر لرابطة الدفاع اليهودى تغطى البلاد بأسرها ، وذلك باستئجار خطوط اتصال من احدى شركات شيكاغو الكبرى العاملة فى مجال الاتصالات . وقال رونى يستطيع ايرف روبين فى لوس انجيلوس من خلال أجهزة الكمبيوتر المنزلية الاتصال بكين سيدمان (الذى كان فى ذلك الحين ، رئيسا محليا لرابطة الدفاع اليهودى وكاخ) فى بوسطون بمجرد

الضغط على مفاتيح لوحة الجهاز . ويمكن أن تتم المحادثات بشفرة خاصة لا يستطيع مكتب التحقيقات الفيدرالى ذاته أن يفهمها ، الا اذا عرف مفتاح الشفرة المستخدمة .

وقال رونى ان ذلك النظام ، يمكن استخدامه أيضا فى ارسال النشرات بطريقة الكترونية ، مما يتيح معرفة أخبار المظاهرات التى تنظمها رابطة الدفاع اليهودى ، أو آخر بيانات كاهانا السياسية . وقال ان حوالى سبعين عضوا برابطة الدفاع اليهودى فى كافة أرجاء البلاد ، يتصلون معا من خلال تلك الشبكة .

وزعم رونى أن عناصر رابطة الدفاع اليهودى استخدموا ذلك النظام فى اختراق شبكة مماثلة ، اقامتها جماعة من النازيين الجدد فى كارولينا الشمالية . وقال ان رابطة الدفاع اليهودى ، سربت رسائل تهديد الى لوحة نشرات هؤلاء النازيين ، كما انها تسعى الى سرقة قوائم عضوية الجماعة ، بالوسائل الالكترونية .

وسألت رونى عما اذا كان يوافق على أعمال العنف التى يمارسها اليهود المتطرفون الذين يقتلون انصار منظمة التحرير الفلسطينية من الامريكيين العرب ، والنازيين المزعومين .

وقال : انه سؤال صعب ، وكنت فى بعض الأحيان أفكر فيما اذا كان باستطاعتى قتل احد النازيين أو العرب المؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية . ولا ادرى اذا كنت أستطيع ذلك . ولكنى أعرف أنه لا يوجد فرق بين هتلر وعرفات ، وبين النازى فى المانيا ، والعربى فى أمريكا الذى يؤيد منظمة التحرير الفلسطينية .

وقال مارتى ، الذى يبدو فى أواخر الاربعينيات ، ويزعم انه يعمل فى مدينة نيويورك ، ان العنف ضد النازيين والعرب الامريكيين أمر ضرورى ، ولكن فقط كوسيلة دفاعية . كما قال : لا يوجد مستقبل لليهود فى أمريكا ، ولا يوجد لى حساب شخصى مخصص للتقاعد . ولدى جواز سفر سارى المفعول . كما أن اموالى سائلة بقدر المستطاع ، وأنا أناشد جميع اليهود أن يفعلوا مثلى .

وقال اليكساى ــ المهاجر حديثا من أوديسا ، والذى يرأس فرع رابطة الدفاع اليهودى فى برايتون وهو فرع يتكون من خمسة عشر عضوا جميعهم من الروس ــ قال : ان أعمال العنف التى يمارسها اليهود فى الخفاء ، تعد أمرا مقبولا لمقاومة المعاداة للسامية ، وأضاف : لا يؤرقنى قتل النازيين أو العرب الامريكيين المؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فهم مسئولون عن مقتل العديد من الناس .

وزعم اليكساى أن جماعته ، وبعض أفرادهـــا كانوا جنودا فى الجيش الأحمر ، تتدرب فى بعض الاحيان على الأسلحة الآلية فى كاتسكيل . وتوجـد جماعات سرية بورتوريكية ، وجماعات سرية كوبية ، فلماذا لا توجد جماعات سرية يهودية ، اذا كانت تساعد قضيتنا .

وقال اليكساى ، وهو مهندس ، أنه سمع عن كاهانا لأول مرة حينما كان فى أوديسا ، وكانت وسائل الاعلام السوفيتية تدينه يوميا بوصفه عربيـــدا صهيونيا . بالرغم من أن اليكساى يؤمن بأن كاهانا مسئول عن احضار عشرات الآلاف من اليهود السوفييت الى أمريكا ، لم يكن كاهـــانا ورابطة الدفـــاع اليهودى ، يحظيان بالتأييـــد فى شـــاطىء برايتون ببروكلين ، حيث يقيم معظم اليهود الروس — كما قال — والآن حيث أصبح كاهانا عضوا فى الكنيســـت ، فالأمر يختلف . وفى العام الماضى حينما جاء الى شاطىء برايتون ، تحدث الى جموع محتشدة . وأنا لن أكذب وأقول ان غالبية طائفتنا تؤيد كاهانا . فأغلبية اليهود الروس بالولايات المتحدة لا يهتمون بالسياسة . ولكن هنـــاك أقلية متزايدة تؤيد كاهانا والعمل السرى اليهودى .

وأخيرا انتهى نشـــاط فانسيير فى نوفمبر ١٩٨٦ ، حينما اعتقـله مكتب التحقيقات الفيدرالى أمام فندق بنتا بمانهاتن ، فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، أثناء حمله قنبلة حارقة . وخلال بضعة أيام ، تم اعتقال أربعة من زملاء فانسيير ، واتهامهم بتفجير عدة قنابل حارقة فى مدينة نيويورك فى الفترة من عام ١٩٨٤ حتى عام ١٩٨٦ ، وكذلك بالقاء قنابل مسيلة للدموع أثناء العرض الأول لفرقة موسييف للرقص فى دار أوبرا متربوليتان حيث أصيب عشرون شخصا . وأثناء انتظار فانسيير موعد محاكمته ، عمل ضمن فريق مكتب دوف هيكيند نائب نيويورك فى الكونجرس ، كباحث فى شئون اليهود السوفييت . وكان فانسيير يشارك هيكيند فى زعامة جماعة (سوبل) التى أنشأها كاهانا للاحتجـــاج على مبادرات السلام للحكومة الاسرائيلية ، التى يمكن أن تعوق اقامة اسرائيـــل الكبرى . وفى ٢٦ اكتوبر ١٩٨٦ ، حكمت المحكمـــة على فانسيير بالسجن عشر سنوات . وقال القاضى ليوجلاسر أثناء نطقـــه بالحكم : « انك لا تقوم بنسف الناس الابرياء من أجل اثبات أمر ما . فذلك سلوك مرفوض فى المجتمعـــات المتحضرة » . وقبل محاكمة فانسيير بفترة وجـيزة ، توفى أحد شركائه ، وهو حاى كوهين ، اثر تعاطيه جرعة زائدة من أحد العقاقير ، أثناء اقامته بفندق فى كاتسكيلز . ويقول أحـــد المحققين فى شرطة نيويورك ، ان كوهين أقـــدم على الانتحار لأنه لم يستطع تحمل الذهاب الى السجن . وتحدث كاهانا فى جنـــازة كوهين ووصف المناضل الشاب بأنه بطل . ومع جنازة كوهين ، انتهى عمر رابطة الدفاع اليهودى فى نيويورك ، بعد أن ظلت تزاول نشاطها لعدة سنوات . ومنذ ذلك الحين كان كاهانا يطلب من اليهود الامريكيين الراغبين فى الانضمـــام لرابطة الدفاع اليهودى ، أن ينضموا الى منظمة كاخ الدولية بدلا منها .

الفصل الخامس عشر

من قتل اليكس عودة ؟

فى الوقت الذى كان فيه أنصار كاهانا فى أمريكا منهمكين فى الصراعات السائدة بينهم ، كان الحاخام مشغولا فى اقامة قاعدة جماعة للعمل السرى الارهابى فى الولايات المتحدة ، يقول مكتب التحقيقات الفيدرالى انها قامت بسلسلة من عمليات النسف فى عام ١٩٨٥ ، ادت الى مقتل شخصين ، أحدهما اليكس عودة ، البالغ من العمر واحدا واربعين عاما والمدير الاقليمى الغربى للجنة مكافحة التشهير الامريكية — العربية . وقد تم نسفه بواسطة قنبلة وضعت على باب مكتبه . وكان كاهانا يحلم منذ مدة طويلة ، بتشكيل جماعة ارهابية يهودية تنشر الرعب بين صفوف أعدائه وتحطم اعصابهم . والآن ، وبعد عام من فوزه فى الكنيست ، أصبح لديه قتلة محترفون يجوبون أنحاء أمريكا . ومما لا يثير الدهشة ، اكتشاف مكتب التحقيقات الفيدرالى ، أن آثار الارهابيين تقود الى مستوطنة كيريات أربع الوطنية المتطرفة ، والتى تصفها احدى الوثائق السرية لوزارة العدل التى حصلت عليها ، بأنها (مأوى للمتطرفين اليهود اليمينيين) .

وبالنسبة لآندى جرين ، وهو رجل ضخم الجثة ، ذو لحية خفيفة وابتسامة خبيثة ، كانت بداية الطريق الى كيريات أربع وبالتالى ، كما يقول مكتب التحقيقات الفيدرالى ، الى باب مكتب اليكس عودة ، فى حى برونكس حيث انضم الى رابطة الدفاع اليهودى . ومثل العديد من الصبية اليهود فى نيويورك فى أوائل السبعينيات نشأ آندى فى حى مؤقت تسكنه الطبقة المتوسطة ، حيث كان محاطا بمن كان يعتبرهم عصابات من البورتوريكيين والسود الاقوياء والعدوانيين . وكان طالبا مهملا ، يتسم بالقليل من الاعتداد بالنفس ، ولذا استخدم آندى رابطة الدفاع اليهودى ، كوسيلة للفرار من بوتقة الانصهار فى الامكانيات المحدودة المتاحة له .

ويقول جارى موسكوفيتش ، أحد رجال شرطة مدينة نيويورك ، والذى كان مدرب الكاراتيه فى معسكر تدريب رابطة الدفاع اليهودى فى كاتسكيل .. كان آندى مثل العديد من الصبية الذين انضموا الى رابطة الدفاع اليهودى ، ويعانون الكثير من المشاكل ، وينشدون التوجيه . وكان الصبية الذين ينتمون الى عائلات طيبة من الطبقة المتوسطة ينضمون الى رابطة الدفاع اليهودى ، حيث يقضون بها بعض الوقت ، ثم يلتحقون بالكليات . أما الشبان من أمثال آندى ، الذين لم يتح لهم سوى التعليم المتوسط وفرص العمل المحدودة ، فقد كانوا يسعون لبناء مستقبل افضل لهم من خلال الانشطة اليهودية .

وقد رحل جرين الى اسرائيل فى يونيو ١٩٧٥ ، بعد يوم واحد من تخرجه من المدرسة العليا . واقتنع كاهانا آندى ، بأن الضفة الغربية هى موقع النشاط اليهودى — وأنه فى اسرائيل ، يعد الشبان الذين يقتلون العرب ابطالا . واخبرنى آندى ان كاهانا قال لــه : لقد زرع ديفيد رازيل زعيم عصابة الارجون قنبلة فى احد الاسواق العربية فى عام ١٩٣٩ ، ادت الى مقتل خمسة عشر أو عشرين عربيا . فهل تعرف كم عدد الشوارع فى اسرائيل التى تحمل اسم رازيل ؟ واذا كان الامر مناسبا بالنسبة له ، فلماذا لا يكون مناسبا بالنسبة لنا ؟

وانضم جرين الى مستوطنة ايلون موريه بالضفة الغربية ، بالقرب من مدينة نابلس العربية المتطرفة فى قوميتها . وقد اقيمت هذه المستوطنة بالرغم من معارضة الحكومة الاسرائيلية ، الى ان اقرت شرعيتها حكومة اسحق رابين بعد عامين من الضغوط المكثفة ، والمصادمات العنيفة التى جرت بين قوات الجيش الاسرائيلى والمستوطنين . وقد فتح انتصار المستوطنين ، الطريق لمصادرة الاراضى والاستيطان اليهودى فى قلب السامرة العربية .

وحينما وصل آندى الى ايلون موريه ، يذكر انه كان يوجد بها سبع أو ثمانى عائلات تعيش فى الخيام على قمة تل يطل على معسكر للجيش . وكانت الاحوال فى غاية السوء . فعلى جانبنا كانت توجد مدينة قدوم العربية ، موطن فاروق قدومى (رئيس الدائرة السياسية بمنظمة التحرير الفلسطينية) . ولم تكن المدينة مرحبة بنا بالمرة .

وكان المستوطنون خليطا متضاربا من اعضاء جوش ايمونيم وجماعة صغيرة من الوافدين الجدد ، من المهاجرين الروس والامريكيين المؤيدين لكاهانا . وكانت الجماعتان تتصادمان باستمرار ، حول كيفية معاملة العرب المحليين .

ويقول جرين : كانت جوش ايمونيم تشعر بأن باستطاعتنا شراء سكوت العرب بصورة ما من خلال تحسين احوالهم الاقتصادية فى ظل الحكم الاسرائيلى حتى يتعايشوا معنا . وكنت أشعر أن كاخ تحترم العرب أكثر من ذلك . اذ لا اعتقد انه من الممكن شراء الآمال الوطنية العربية .

— أن العرب ليس لهم حق فى الارض . انها ارضنا ، كما تقول التوراة . وذلك امر لا جدال فيه . ولذلك لا ارى داعيا للجلوس مع العرب ومناقشتهم حول ادعاءاتهم . والاقوى سوف يحصل على الارض .

وسرعان ما تكيف جرين مع صرامة حياة الرواد الاوائل . وانضم الى الجيش الاسرائيلى فى عام ١٩٧٦ ، وغير اسمه من آندى جرين ليصبح باروخ جرين ، ثم باروخ بار يوسف . ويقول : كانت هناك دائما اشياء كثيرة

تحـــدث فى تدوم . وكانت هناك اضطرابات وقلاقل عربية . وكنا نذهـــب الى تدوم ونوضح لاهلها أننا لن نأخذها بسهولة .

وقبل انضمام جرين الى الجيش الاسرائيلى بفترة وجيزة بدأ كاهانا فى اقامة قاعدة جماعة ارهابية سرية معادية للعرب ، أطلق عليها اسم (ت.ن.ت) ـــ الارهاب ضـــد الارهاب ـــ وهى نسخة كاهانية من فرقة اعـــدام يمينية فى أمريكا اللاتينية . وكان معظم أعضائها من الشبان اليهود الذين كانوا ينتمون لرابطـــة الدفاع اليهـــودى فى نيويورك . وتقـــول مصادر الشرطـــة الاسرائيلية أن كاهانا كان فى غايـــة الحـــرص على عـــدم التـــورط بشـــكل مبـــاشر فى تخطيط أو تنفيذ أى عمل ارهابى . ويقول احد مسئولى الشرطة الاسرائيلية انه خلق المناخ الذى يعمل أنصاره من خـــلاله : وفى مايو ١٩٧٥ ، وجهـــت جمـــاعة (ت.ن.ت) أولى ضرباتها بنســـف حافلة عربية خالية من الركاب بالقدس الشرقية . وبعد شهر ، تم القبض على أربعة من أعضـــاء كاخ أثناء القائهم القنابل الحارقة على أحـــد مساجد القدس الشرقية . وفى الســـنوات القليلة التالية ، وفقا لمصادر الشرطة الاسرائيلية ، قامت جماعة (ت.ن.ت) بمئات من عمليات النســـف والضربات الارهابية وكذلك بالعـــديد من جـــرائم القتـــل .

وقـــد شـــارك جـــرين بحمـــاس فى مذابح جمـــاعة (ت.ن.ت) ضـــد العرب . وتم القبض عليه فى يناير ١٩٧٨ ، اثر نسف الجماعة لحافلة عربية فى القدس الشرقية ، أصيب من جرائه ثلاثة من العرب باصابات بالغة . وأنكر جرين التهمة . وبعد أقل من شـــهر ، تم اعتقـــال جرين بتهمة التآمـــر لنسف اتحـــاد الطلاب العرب فى القدس الشرقية . وتغى خمسة واربعين يوما فى ثكنـــة عسكرية ، بسبب امداده المتآمرين الآخـــرين بقنابل يدوية من الجيش .

واثر الافراج عن جرين ، تم ترحيله الى احدى الوحـــدات العســـكرية بالضفة الغربية . ولكن حينما علم قائد الوحدة ، بأن جرين يخطط لسرقة احدى الدبابات ، لتدمير مدينة اريحا فى الضفة الغربية ، طرد جرين من الوحدة .

وبينما كان الجيش يبحث فى الاجراء الذى سيتخذه مع جرين ، تم السماح له بأجـــازة مفتوحة . وبدأ العمـــل طوال الوقت ، كمســـاعد أول لكاهانا . وكان هناك الكثير مما يجب عمله . فقد كان مناحيم بيجين رئيس الوزراء على وشك السفر الى كامب ديفيد ، وكان من المقرر وصول الرئيس جيمى كارتر الى اسرائيل ، للتعجيل بمفاوضات السلام بين مصر واسرائيل . وقبل وصول كارتر بفترة وجيزة ، تم اعتقـــال جرين وكاهانا وعشرات من مثيرى الشغب اليمينيين وحجزهم ، الى أن رحل كارتر بسلام من البلاد . وحينما خرج جرين من السجن ، تم نفيـــه الى احدى الوحدات فى شرم الشيخ ، فى أقصى جنوب سيناء . ويقول جرين : كان الجيش يريد ابعادى عن كاهانا .

ومع نهـــاية حقبة السبعينيات ازدادت هجمات جماعـــة (ت.ن.ت) ، واصبحت اكثر خطورة ، حتى انها كانت تقـــوم بنسف سيارات المسئولين فى السفارة الأمريكية باسرائيل ، وذلك وفقـــا للوثائق المتاحة من الخدمة السرية فى ظل قانون حرية المعلومات . واصدر بيجين اوامره الى جهاز الأمن الداخلى (الشين بيت) بمضاعفة الرقابة على حركة كاخ . ولكن الصبية القادمين من نيويورك والذين يشكلون القوة الرئيسية للجماعة ، كانوا حذرين من الغرباء . ويقول جرين : كلما حاول شخص غير أمريكى الاشتراك ، كنا نشتبه فى انه عميل للشين بيت .

وبالرغم من ضغوط حكومة بيجين ، استمر جرين ورفاقه فى كاخ ، فى العمل دون عقاب يذكر ، الى أن قام العرب فى أحد الأيام بالرد بضربة عنيفة لم تصب كاخ فقط بالدوار ولكن اسرائيل باكملها . ففى يوم ٢ مايو ١٩٨٠ ، انهمر سيل من نيران البنادق الآلية والقنابل على ستة من المستوطنين ، أثناء خروجهم من أحد المعابد الكائنة فى قلب مدينة الخليل بعد ادائهم صلوات ليلة الجمعة ، مما أدى الى مقتلهم جميعا . وكان أحد الضحايا جيمس ايلى ماهون الصغير ، البالغ من العمر اثنين وثلاثين عاما ، ومن المسيحيين الأمريكيين الذين اعتنقوا الديانة اليهودية وكان جيمس افضل اصدقاء آندى فضلا عن كونه أمهر القتـــلة التابعين لكاهانا .

بدات رحلة جيمس ايلى ماهون الصغير الى الضفة الغربية ، من قواعد الولايات المتحدة العسكرية فى نيويورك والمانيا الغربية ، وبنسلفانيا والفلبين ، حيث نشأ على الاعتقاد بأن الايمان الراسخ بالرب والوطن هو وحده الذى يمكن أن ينقذ العالم من الشيوعية . وكانت أمه سونى ، شديدة الايمان بالمسيحية والانجيل ، وحاولت تقديم ثلاثة من الرؤســاء الامريكيين للمحاكمة . وكان والده ، جيمس الكبير ، عميلا فى مخابرات السلاح الجوى ، وتعلم اجادة الحديث باللغة الروسية بمعهد دراسـات اللغة الروسية فى جامعة كولومبيا ، وكرس كل حياته لمحاربة « الخطر الأحمـــر » .

والهمت مفاهيم والديه الوطنية جيمس الصـــغير ، العمل فى خدمـــة بلاده . وكان فى فيتنام ، أول افراد الوحدة التى كانت تزحف فى انفاق قوات الفييت كونج بحثا عن الاسرى الامريكيين . وقد أحب هذا العمل بدرجة كبيرة حتى انه جدد تطوعه مرتين للقيام بهذا الواجب . وتم ترحيله الى امريكا مرتين بعد أن أصيب باصابات بالغة . وقد حصل على نجمة فضية ، ونجمة برونزية ، وصليب الشجاعة ، ورشح للحصول على وسام الشرف .

وبعد عودته الى امريكا فى عام ١٩٦٩ ، اختاره مكتب التحقيقات الفيدرالى لاختراق صفوف جماعة ويزرمان السرية الراديكالية . وقد تعرض للاعتقـــال

احدى عشرة مرة فى أربعة ولايات أثناء عمله مع مكتب التحقيقات الفيدرالى بسبب جرائم تشمل اطلاق الرصاص على أحد أعضاء ناد للدراجات البخارية بواشنطن يسمى نادى « الافاعى السامة » ، مما ادى الى قتله . وأخبرنى والده أن اطلاق الرصاص كان جزءا من عمل ابنه . وقال الكولونيل ماهون : من أجل اتقان الدور ، كان عليه الاختلاط بعالم الجريمة فى واشنطن العاصمة . ولكى يظل هناك ، كان عليه أن يفعل ما يبدو أنها امور طبيعية . وتطور الامر حينما اضطر الى قتل احد الاشخاص الذين يعمل معهم . وتم اسقاط الاتهامات الموجهة لجيمس الا أن مكتب التحقيقات الفيدرالى ، كما قال الكولونيل ماهون ، ترك ابنه يتلوى ببطء مع العاصفة . فقد تركه وحده ليواجه الخزى والعار — من خلال الحملات الاعلامية — مثلما حدث مع الكولونيل نورث (بطل فضيحة ايران والكونترا — المترجم) . ومن ثم ترك منطقة واشنطن العاصمة فى أوائل السبعينات ، وهو يشعر بالمرارة الشديدة .

واستمر الكولونيل ماهون فى حديثه قائلا : لقد كان شابا مثاليا للغاية ، يبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما . وكان الهدفان اللذان يهديان طريقه هما خدمة الرب والوطن ، وقد خانه وطنه . كذلك لم يعد يقويه ايمانه بالمسيحية ، كما يقول والده .

وادت حاجة جيمس الصغير الملحة للعمل ، الى توجهه الى اسرائيل اثر نشوب حرب يوم الغفران عام ١٩٧٣ ، بغرض محاربة العرب . وأخيرا انضم الى احدى الوحدات الخاصة بالجيش الاسرائيلى التى اشتهرت بعمليات الاغارة والتسلل خلف خطوط العدو . وبعد ارتباطه بالجيش الاسرائيلى ، حيث قام بالعديد من العمليات الفدائية داخل لبنان ، تزوج من امرأة اسرائيلية ، واعتنق اليهودية ، وانضم الى كاخ ، وغير اسمه الى ايلى هآزيف — الذئب .

وسرعان ما أصبح الذئب رئيسا لاحدى فرق الاغتيال المتجولة التابعة لكاخ . وفى كثير من الاحيان ، حينما كان يختفى أحد العرب فى ظروف غامضة ، كانت الاصابع تشير الى الذئب . وقال احد المستوطنين فى الضفة الغربية ، وهو أمريكى المولد ، لديفيد شيبلر مراسل النيويورك تايمز ، بعد فترة قصيرة من مقتل الذئب : لقد كان شخصا مريضا نفسيا ، وكان مرتبطا بمجموعة من المرضى النفسانيين . ومن الناحية الجسمانية كان يذكرنى براعى غنم المانى — كان مثل كلب حراسة فى منتهى اليقظة . فقد كان اذا دخل حجرة ، تنظر عيناه فى كل مكان . ولم يكن يجلس كثيرا ، فقد كان دائما يتجول بحثا عن فريسة . فهو شخص يفعل أغرب الاشياء . وقد اعتاد ان يأتى الينا بصفة منتظمة ، وكان ذلك أمرا مؤلما فى الحقيقة ، لانه كان يفزع الجميع . وكنا نجلس جميعا ندخن ونستمع للموسيقى ونستريح ، بينما يظل هو يتجول فى كل مكان .

— وفى احدى المرات أخذ اثنين من الافراد الى الخارج ، واوضح لهم كيفية قتل الاشخاص بيديه بدون سلاح ، بكسر الانف ، أو خرق العيون والآذان بالاصابع ، مثلما يفعل الهندى حينما يصاب بالجنون .

وفى عام ١٩٧٩ ، اعتقلت قوات الامن الاسرائيلية الذئب فى مصار بن جوريون ، لاعتزامه القيام باغتيال أحد المسئولين بمنظمة التحرير الفلسطينية ، اثناء قيامه بجولة بالجامعات الامريكية ووجدت الشرطة الاسرائيلية فى حقيبته وسائل متنوعة للتخفى ، منها غطاء عربى للرأس . وبعد أن قضى فى السجن عشرين يوما ، انتقل من القدس الى كيريات أربع ، تلك المستوطنة الممتدة على تلال يهودا ، أعلى مدينة الخليل ، والتى تعد موطنا لآلاف المتعصبين من حزب كاخ وحركة جوش ايمونيم . وفى يوم ٢٦ مايو عام ١٩٧٩ ، حكم عليه بالسجن لمدة عشرة شهور ، لاقتحامه منازل القرويين العرب ، واتلافه مفروشاتهم ، وايذائهم بدنيا . وادين ايضا مع الذئب افيجدور اسكين ، اليهودى الروسى الذى ترجم كتاب كاهانا « لن يحدث مرة اخرى » الى اللغة الروسية ، قبل هجرته الى اسرائيل . وبعد الافراج عن الذئب بثلاثة أسابيع ، تم اغتيال الذئب بواسطة المسلحين العرب .

وعلم كاهانا بنبأ مقتل الذئب ، اثناء قضائه فترة عقوبة بالسجن ، بسبب تحريضه على قيام مظاهرة فى مدينة رام الله بالضفة الغربية ، حيث قاد عدة مئات من المتظاهرين فى مسيرة احتجاج ضد اعتقال اربعة أعضاء من كاخ ، قاموا بتحطيم عشرات النوافذ بالمدينة بالمطارق .

وتم الافراج عن كاهانا للاشتراك فى جنازة الذئب . وأثناء مرور موكب الجنازة فى شوارع مدينة الخليل ، وقف كاهانا فوق احدى السيارات يحرض المستوطنين على أعمال العنف . وقال لى الكولونيل ماهون : لقد توسلت أرملة ابنى لكاهانا ، كى لا يبدأ مشاجرة أخرى . وتضرعت اليه قائلة دعنا نواصل الجنازة ، أرجوك الا تثير الجمهور . ولكن كاهانا رفض ، واستمر فى خطابه . وبعد أن القى خطابا بجوار القبر بالمدافن اليهودية القديمة فى مدينة الخليل ، قام بعض اتباعه ، كما اخبرنى كاهانا فيما بعد ، بمسيرة صاخبة ، قاموا اثناءها بالقاء الحجارة على منازل العرب . وقال آندى جرين : أخذنا نطوف انحاء المدينة ، ونحن ثائرون وعلى استعداد لنضرب ، وكان لايزال متحمسا وهو يتذكر العرب وهم قابعون خلف نوافذ منازلهم .

وبعد عدة ايام من الاضطرابات التى وقعت فى المدافن ، قدم شايكا جروسمان ، عضو الكنيست عن حزب المابام ، مشروع قرار ينص على عدم شرعية حزب كاخ . واستمر النقاش الحاد طوال اليوم ، ولكن لم يصدر قرار بعدم شرعية كاخ .

وفى نفس الوقت ، أصر كل من كاهانا وجرين على الانتقام لمصرع رفيقهما . وخططا لنسف مسجد قبة الصخرة فى القدس . ويعد المسجد القائم على الموقع الذى كانت توجد فوقه المعابد اليهودية التى بناهـــا سليمان وهيرود ، ثالث الأماكن المقدسة فى الاسلام . ولكن جهاز الأمن الداخلى (الشين بيت) اكتشف المؤامرة . وفى يوم ١٢ مايو ١٩٨٠ ، وفى اجراء لم يسبق له مثيل ، أصدر عيزرا وايزمان — وزير الدفاع فى ذلك الحين — أمرا باعتقال كاهـــانا وجرين لمدة ستة أشهر ، وفقا لقانون الطوارىء لعـــام ١٩٤٥ ، والتى كانت قـــد أصـــدرته سلطات الانتـــداب البريطانى فى فلســـطين . وكان القانون قـــد طبقته اسرائيل مرارا ضد الارهابيين العرب ، ولكن لم تطبقه ضد اليهود منذ بداية قيام الدولة .

وكتب كاهانا فى السجن ، كتابه العنصرى المعادى للعرب « يجب أن يرحلوا » أما جرين فقد اخذ يتدرب على رفع الأثقال . وكانا معا يشكلان صورة كاريكاتورية لمفاهيم كاهانا ، القائلة بأن العقل اليهودى يجب أن يقترن بالقبضة اليهـــودية .

ويتذكر الحاخام شلومو كاهانا من نيويورك ذهابه مع ســـونيا لزيارة ابن عمه مائير فى السجن ، وفى ذلـــك اليوم تظاهر النزلاء العـــرب للحيلولة دون السماح لهما برؤيته . وقد وقفا فى فناء السجن وتحدثا اليه من خـــلال قضبان النافذة . ويقول شلومو : لقد كانت المرة الأولى التى أراه فيها ملتحيا . وكان يبدو مريعا مثل قرد فى قفص وقالت سونيا : لقـــد أصابنى الخزى ، وسررت لأن تشارلز لم يكن موجودا ليرى ذلك المشهد . وذهبت خلف احدى الســـيارات واخذت ابكى . ولكن مائير كان يضحك ، واخذ يتحدث عن الخطب السياسية التى سيلقيها حينما يخرج من السجن . وقلت فى نفسى انه اذا كان يضحك ويبدو سعيدا فلاداعى لمزيد من البكاء .

وبعد الافراج عن آندى من السجن ، بدأ فى التنقل بين أمريكا واسرائيل فى رحلات مكوكية ، لقضاء مهام للحاخام كاهانا . وفى اغسطس ١٩٨٥ ، عاد جرين مرة أخرى الى نيويورك ، بصحبة زوجته المغربية المولد واطفاله الثلاثة . وقال لى : كنت أشعر بالتوتر الشديد فى اسرائيل . وكنت اشعر اننى اذا مكثت بها ، فسوف افعل شيئا جنونيا . وكان جهاز الأمن الداخلى (الشين بيت ، بأكمله يراقبنى .

وعين كاهانا جرين لرئاسة فرع كاخ فى نيويورك ، والذى كان يحل بالتدريج محل رابطة الدفاع اليهودى . ولكن لأن الحاخام كان يدير منظمة تعتمد على نفسها تماما اضطر جرين الى مزاولة عمل بعيد عن الأنشطة اليهودية . ويفضل معرفته ببعض الأمور الخاصة بأساليب المراقبة أثناء سنوات عمله مع كاهانا فى اسرائيل ، قام جرين بالاشتراك مع روبرت ماننج ، احد المقيمين فى كريـــات

ـيج ، والذى كان من مواطنى لوس انجيلوس وأصبح ، وفقا لتقارير مكتب التحقيقات الفيدرالى ، خليفة للذئب فى صناعة القنابل لكاهانا ومساعده القوى — قام جرين بالاشتراك مع روبرتماننج بافتتاح مكتب للتحريات الخاصة فى مدينة نيويورك ، بدون ترخيص .

وكان أول عمل يشترك فيه جرين مع ماننج ، هو قضية حضانة أطفال ، حيث قاما باختطاف ثلاثة أطفال من تكساس وأخذاهم ليعيشوا مع أبيهم فى اسرائيل . ويقول جرين : كان الأطفال مواطنين اسرائيليين ولم تكن أمهم تستطيع أن تفعل أى شىء ، لأنها تشترك مع الوالد فى الوصاية على الأطفال ، وحينما اشتهرنا ، بدأنا فى القيام بعمليات تغيير الفكر .

وسرعان ما أخذ جرين وماننج فى انتزاع الشباب من مختلف الطوائف الدينية فى أمريكا. وبعد عملية تغيير فكرهم بالاكراه، كان أفراد كاخ يبتزون مبالغ كبيرة من الأموال كفدية من آبائهم الذين كانوا فى غاية الامتنان لاستعادة أطفالهم، حتى أنهم نادرا ما كانوا يبلغون السلطات ، وذلك طبقا لما ذكرته مصادر تنفيذ القانون وبجانب اختطاف الأطفال مقابل مبالغ باهظة ، وجد جرين وماننج عملا مربحا آخر ، هو : اختطاف رجال الطائفة الحسيدية الذين يرفضون منح الطلاق لزوجاتهم ، والاحتفاظ بهم كرهائن الى أن يوافقوا على اجراءات الطلاق. ووفقا للقانون اليهودى الأصولى ، لا تستطيع المرأة الحصول على الطلاق ، دون موافقة الزوج .

وقد أخبرنى جرين أن كاهانا هو الذى علمه أهمية تهذيب النفوس اليهودية بعيدا عن « المعتقدات المجنونة » وبالرغم من أن جرين كان ينقاد لكاهانا كالأعمى ، الا أنه لم يكن يدرك بالمرة ، خضوعه وعبادته هو نفسه لزعيم كاخ .

وفى ٢٠ فبراير ١٩٨٥ ، اعتقلت الشرطة جرين وماننج خارج مستودع سيارات (سويس شاليه) فى حى وارويك فى رودايلاند وقد كانا يستخدمانه كقاعدة لعمليات تغيير الفكر ، منذ أكتوبر ١٩٨٤ . وأثناء تفتيش السيارة التى كان يستأجرانها ، وجدت الشرطة معدات تصنت معقدة حديثة وبعض مطبوعات كاخ ورابطة الدفاع اليهودى ، وبيانا تفصيليا عن تحركات الزعيم الاسود المعروف جيسى جاكسون . وكانت حجرات الفندق الصغير التى يستعملها جرين وماننج مؤجرة الى ليونارد ليتز ، أحد أعضاء مجلس ادارة كاخ الدولية . وكان ليتنر قد تم اعتقاله فى الماضى فى توتون بماساشوستس ، بتهمة استعمال سلاح قاتل وحيازة كوكايين . وترجح السلطات الفيدرالية أن الكوكايين كان يستخدم فى تسهيل عمليات تغيير الفكر ، وربما كمصدر للدخل لأفراد كاخ .

واشتبه المسئولون الفيدراليون ايضا ، فى أن بعض الاموال التى جمعها جرين ومانتج من عمليات تغيير الفكر ، كانت تستخدم فى تمويل انشطتهما لصالح جماعة كاهانا المسماة « اليهود ضد جاكسون » ، والتى كانت تقود — وفقا للتقارير الصحفية ووثائق الخدمة السرية التى تم الحصول عليها طبقا لقانون حرية المعلومات — حملة من المضايقات العنيفة ، بهدف افساد حملة جاكسون فى الانتخابات الرئاسية عام ١٩٨٤ . ففى مؤتمر صحفى عقد فى مانهاتن فى نفس العام ، وصف كاهانا جاكسون بأنه محتال شرير وعدو لليهود ، ووصمة للحزب الديمقراطى .. وأعلن انه شكل « جماعات الحق » من أجل مضايقة جاكسون وأثناء حملة انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٨ قامت جماعة اليهود ضد جاكسون » بمظاهرات صاخبة حينما كان جاكسون يتحدث فى لوس انجيلوس ، ونيويورك والمدن الاخرى .

وكان يبدو أن جرين ومانتج يدور فى ذهنهما ما هو اكثر من مجرد مضايقة جاكسون ، ومزاولة عمليات تغيير الفكر . فخلال خمسة أشهر من عام ١٩٨٥ ، كما تقول السلطات الفيدرالية ، قام الرجلان بما يقرب من سبع عمليات نسف ارهابية* . وقد اتضح مدى خطورة جيش كاهانا السرى مما حدث يوم ١٥ أغسطس ١٩٨٥ . ففى الساعة الرابعة وتسعة وعشرين دقيقة من فجر هذا اليوم ، تم اغتيال تشيريم — وبزوكوف ، الذى كان عضوا فى البوليس السرى النازى ، بواسطة قنبلة ناسفة حينما فتح باب مسكنه فى حى باترسون بنيوجيرسى ، بعد أن أيقظه احد جيرانه واخبره بان سيارته مشتعلة بالنيران . وأصيب جارسويزكوف باصابات طفيفة . وكان اسم سوبزكوف ضمن قوائم اغتيالات كل من رابطة الدفاع اليهودى ومنظمة الدفاع اليهودية . وبالاضافة الى ذلك ، توعد رئيس منظمة الدفاع اليهودية ، موردخاى ليفى ، توعد سوبزوكوف فى خطاب القاه يوم ٧ اغسطس أمام خمسين شخصا باحد معابد نيوجيرسى . وقال ليفى عن عملية النسف فيما بعد « أيا كان من فعل ذلك ، فقد قام بالعمل الصحيح » . وقال الحاخام كاهانا ، الذى كان فى مدينة نيويورك اثناء الانفجار : « اننى اصدق استحسانا لمثل هذا العمل » .

---

* جاء فى تقرير لوزارة العدل بشأن عمليات الارهاب الداخلية ، تم نشره فى يناير ١٩٨٦ .

« ينادى كاهانا ويشجع استعمال العنف — وفى ذلك استعمال القنابل والمواد الحارقة — ضد الجماعات والافراد الذين تعتبرهم رابطة الدفاع اليهودى من المعادين للسامية أو المؤيدين علنا للمساعى العربية التى تخالف مصلحة دولة اسرائيل . وقد توفى شخصان على الاقل من جراء تلك الهجمات فى عام ١٩٨٥ . ويعد حزب كاخ ... تجسيدا لمبادئه (مبادىء كاهانا) النضالية والارهابية » .

وقد كان سوبزوكوف يعمل لحساب وكالة المخابرات المركزية فى الشرق الاوسط ، قبل أن تساعده الوكالة فى الدخول الى امريكا بوثائق مزورة .

وفى يوم ٦ سبتمبر ١٩٨٥ ، وفى حوالى الساعة الرابعة والنصف صباحا ، اصيب المارس سبروجيس فى حى برينتوود بنيويورك — وهو يبلغ من العمر تسعة وستين عاما ، وكان يعمل فى الماضى فى شرطة لاتفيا ، وكانت قد أعلنت براءته من تهمة مساعدة النازيين على قتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية — وقد أصيب المارس سبروجيس من جراء انفجار قنبلة تم وضعها على درجات سلم منزله .ومزق الانفجار رجلى روبرت سيفريد ، عازف الطبول بفرقة موسيقى الروك آندرول ، والذى حاول اطفاء النيران التى شبت فى شرفة منزل سبروجيس ، والتى كان من الواضح تعمد اشعالها لاستدراج سبروجيس الى الخارج . وبعد حوالى عشرين دقيقة من الانفجار ، تلقت جريدة نيوزداى التى تصدرفى لونج ايلاند بنيويورك ، مكالمة هاتفية تتضمن رسالة على شريط مسجل تقول « اسمعوا جيدا . رابطة الدفاع اليهودى . مجرم الحرب النازى . قنبلة ليس مرة اخرى ! » . وقد وصف مسئول رابطة الدفاع اليهودى فيرن روزينبلات حادث نسف سبروجيس « بأنه عمل شجاع ونبيل » .

وفى يوم ١١ أكتوبر ١٩٨٥ ، تم اغتيال مسئول لجنة مكافحة التشهير الأمريكية (اليكس عودة) فى سانتا آنا بكاليفورنيا ، بواسطة قنبلة وضعت داخل مكتبه ، وكانت متصلة بسلك بباب المكتب . وقد أصيب سبعة أشخاص على الاقل من جراء شظايا الانفجار المتطايرة . وفى الليلة السابقة ، وفى خضم حادث السفينة أشيلى لورو ، كان عودة قد ظهر فى برنامج تليفزيونى محلى ، وأنكر اية علاقة لعرفات بحادث اختطاف السفينة أو بقتل ليون كلينجهوفر ، احد ركاب السفينة اليهود . وقال ايرف روبين فيما بعد بصدد مقتل عوده . لقد جفت الدموع فى عينى ، فقد انخرطت كثيرا فى البكاء على ضحايا عوده* .

---

* اثناء تلك الفترة ، سادت موجة من الهجمات الاخرى على العرب الامريكيين ، مما حدا برئيس مكتب التحقيقات الفيدرالى حينذاك وليم ويبستر ، الى التحذير بأن العرب الامريكيين « معرضون للاخطار ، وأصبحوا أهدافا أولى للجماعات المتطرفة اليهودية » . وعلى سبيل = المثال ، فى اليوم التالى لنسف سوبزوكوف ، انفجرت قنبلة تم وضعها أمام مكتب لجنة مكافحة التشهير الامريكية فى بوسطن ، وأصابت وجهى اثنين من خبراء ابطال مفعول المتفجرات ، أحدهما أصيب باصابات بالغة . وقد تلقى رجال لجنة مكافحة التشهير الامريكية عددا لا يحصى من المكالمات التليفونية والبرقيات التهديدية من منظمة الدفاع اليهودية ورابطة الدفاع اليهودى . وجاء فى احدى هذه البرقيات « لدينا رجلا بسام الشكعة » ، فى

وفي خلال ساعات من نسف عودة ، امتلأ مكتب لجنة مكافحة التشهير الامريكية المحترق ، برجال مكتب التحقيقات الفيدرالى ووزارة العدل ، وأفراد فرقة مكافحة الارهاب فى لوس انجيلوس ، وادارة شرطة سانتا آنا . ويقول أحد مسئولى الشرطة ، طلب اخفاء اسمه ذكرت أسماء عضو رابطة الدفاع اليهودى كيك فوخس واندى جرين وبوبماننج على انهم واضعو القنبلة ، بينما كنا لا نزال أمام المبنى الذى تم نسفه ٠

وفقا لمصادر شرطة كاليفورنيا ، المختصة بمباشرة التحقيقات . تعقب المسئولون الفيدراليون خطى جرين ، وفوخس (كان فوخس يسافر ببطاقة ماننج الشخصية ، من نيويورك حتى سانت بول فى مبنيسوتا) حيث انتقلا الى طائرة أخرى متجهة الى لوس أنجيلوس ، وذلك فى يوم ١٠ أكتوبر ١٩٨٥ ٠ وشوهد الرجلان وهما يغادران الطائرة فى لوس انجيلوس حيث فقد المسئولون الفيدراليون أثرهما ٠ وقد تأكدت مغادرة أحدهما لوس انجيلوس فى تمام الساعة السابعة من صباح اليوم التالى ، قبل ساعتين من اغتيال عودة . ويقول مسئول الشرطة « كانت المعلومات التى تفيد وصول جرين وفوخس الى لوسس انجيلوس ببطاقة ماننج الائتمانية . متاحة منذ اليوم الأول ٠

وقد دهش رجال مكتب التحقيقات الفيدرالى من النوعية المعقدة للقنبلة التى قتلت عودة ، ويقول مسئول الشرطة : كان يتصل بالقنبلة جهاز توقيت يتيح للارهابيين دقيقة واحدة لاعداد جهاز التفجير للعمل واغلاق باب المكتب ٠٠ ووفقا لمكتب التحقيقات الفيدرالى ، تمت عملية نسف عوده وسبروجيس وسوبزوكوف بأساليب متماثلة ٠ ويقول مسئول مكتب التحقيقات الفيدرالى السابق توماس ٠ ل ٠ شير ، الذى كان يراس مجموعة مكتب

اشارة لعمدة احدى مدن الضفة الغربية الذى اصيب اصابات شديدة فى عام ١٩٨ . بواسطة قنبلة زرعتها الجماعات الارهابية فى اسرائيل .

وكان مكتب لجنة مكافحة التشهير الامريكية فى واشنطن ايضا مسرحا للمظاهرات الصاخبة التى كان يقودها الحاخام كاهانا ومورردخاى ليفى ٠ وفى يوم ٧ يناير ١٩٨٦ ، أجبرت سيارة كان يستقلها اثنان من أعضاء لجنة مكافحة التشهير الامريكية على الخروج عن الطريق أثناء عودة راكبيها الى منزليهما بعد العمل ، وأسرعت السيارة الاخرى هاربة وفى يوم ٣٠ يونية ١٩٨٥ ، قام رجلان بضرب واغتصاب فتاة تبلغ من العمر تسعة عشر عاما ، وذلك فى أحد مواقف السيارات بضاحية تاكسون ، ثم قاما بحفر نجمة داوود على صدرها بسكين ، وفقا لما جاء فى جريدة أريزونا ديلى ستار ٠ وكانت الفتاة تلتقى باستمرار بأحد الطلاب الفلسطينيين الجامعيين ، ، من المعروفين بتأييدهم لمنظمة التحرير الفلسطينية ٠ ولم يتم القبض على أحد ٠

التحقيقات الفيدرالي وادارة شرطة نيويورك المشتركة ، والخاصة بمكافحة الارهاب (تشير السمات الاخرى المتماثلة فى الانفجارات الثلاثة ، الى أن صناع القنابل كان يدربهم شخص واحد ، أو أن الذى قام بها شخص واحد أو جماعة واحدة) . ويضيف موضحا : كان لكل قنبلة توقيع . هل تذكر كيفية ثنى الارهابى السلك داخل القنبلة بطريقة معينة فى فيلم الفتاة الصغيرة عازفة الطبول ؟ لقد كان ذلك توقيعه ، وتلك القنابل كانت بها توقيعات ايضا .

واسرع مكتب التحقيقات الفيدرالى بتشكيل قوة خاصة بأنشطة رابطة الدفاع اليهودى فى كاليفورنيا ونيويورك ، للتحقيق فى الانفجارات . وكان يرأسها لارى واك ، وهو من الرجال الذين لا يتمسكون بالأساليب التقليدية ، فى تلك المهنة المحافظة الصارمة . وكان قد عمل فى عدة قضايا ارهابية دولية حساسة ، منها البحث عن قتلة أورلاندو ليتيلير ، سفير شيلى السابق فى امريكا ، الذى مزقته قنبلة وضعت فى سيارته ، يوم ٢١ سبتمبر ١٩٧٦ ، فى واشنطون العاصمة . (وفى عام ١٩٧٦ ايضا ، واجه واك لأول مرة نشاط رابطة الدفاع اليهودى ، حينما تم تكليفه بمراقبة مكالمات ستيفن رومبوم التليفونية ، والذى كان يبلغ من العمر سبعة عشر عاما ، ويرأس احدى الجماعات الارهابية التابعة لرابطة الدفاع اليهودى ، تدعى « المقاومة المسلحة اليهودية » . وأدت الملاحظات التى ابداها رومبوم أثناء تسجيل محادثاته ، الى اعتقال جماعة المقاومة المسلحة اليهودية باكملها) .

وسرعان ما عرف واك ، ان المشتبه فيهم الآخرين فى انفجارات عام ١٩٨٥ ، مثل آندى جرين ، لم يكونوا مجهولين لتحريات الشرطة ، ومنهم روبرت ستيفن ماننج ، البالغ من العمر ستة وثلاثين عاما ، وممن لم يكملوا تعليمهم العالى ، وموطنه لوس انجيلوس . وكان قد تم تسريحه من خدمة الجيش الامريكى بسبب توتره العاطفى أثناء تدريبه كى يكون خبيرا فى المتفجرات ، واشتراكه فى عمليات الانفجارات الارهابية التى قامت بها رابطة الدفاع اليهودى . وأدين ماننج ، وفيل زوايج ، الذى يعمل حاليا فى علاج مرضى العمود الفقرى بلوس أنجيلوس - أدينا فى عام ١٩٧٣ لعلاقتهما بحادث نسف منزل المحاسب محمد شعث ، وهو مهاجر فلسطينى فى الولايات المتحدة ، زعمت رابطة الدفاع اليهودى بأنه كان من أعضاء جماعة ايلول الأسود الارهابية الفلسطينية . وكادت الشظايا المتطايرة من القنبلة تصيب ابنته المستغرقة فى النوم ، والتى كانت تبلغ من العمر سنتين . وحكم على ماننج بغرامة بسيطة وبالسجن ثلاث سنوات مع ايقاف التنفيذ ، بعد أن تنصل من رابطة الدفاع اليهودى فى المحكمة . ويعتقد مكتب التحقيقات الفيدرالى أن ماننج رحل الى كريات أربع فى وقت ما فى أوائل الثمانينيات. وقبيل رحيله ، سادت جنوب كاليفورنيا موجة من الانفجارات

مماثلة ، لما تقوم بها رابطة الدفاع اليهودى ضد المؤسسات والسيارات والمساكن التى يملكها العرب الأمريكيون ، وكذلك هجمات ضد النازيين المزعومين ، وفقا لما جاء فى وثائق الخدمة السرية التى حصلت عليها فى ظل قانون حرية المعلومات .

ويقول اليكس شتيرنبرج ، الحارس الشخصى السابق لكاهانا ، والذى يملك حاليا مدرسة لتعليم الكاراتيه فى فرويست هيلز — يقول اليكس شتير برج . « قبل انضمام مانتج لرابطة الدفاع اليهودى ، كان شخصية تتسم بالعدوانية ، وكان يعمل (فتوة) فى احدى صالات المراهنات و (بنطجى) لا يصلح لأىعمل، حينما انخرط فى صفوف رابطة الدفاع اليهودى ، واستغل « القضية » لارضاء نزعته العدوانية . والواقع انها اعطته تصريحا لضرب الناس . فهو شخص ضخم وشرس ، ينفذ الأوامر ويرعب الناس » .

والقصة التى يحب شتيرنبرج أن يرويها ، هى واقعة انقاذ مانتج احدى السيدات من اعتداء بعض السكارى عليها امام احدى صالات المراهنات فى لوس انجيلوس . ويقول شتيرنبرج : لقد اقتحم صفوف تلك الزمرة ، وحمل المرأة على كتفيه بعيدا عنهم . ثم أمسك بعصا بلياردو وهو يزمجر ، وكسرها نصفين فى مواجهة المعتدين . لقد كان يرهب الناس ، وكان كاهانا يبحث عن مثل هؤلاء الأشخاص .

وكان كيث فوخس ، ثالث المشبوهين فى حوادث الانفجارات التى قامت ا رابطة الدفاع اليهودى ، أصغر سنا من جرين ومانتج ، ولكنه ليس اقل منهما تعصبا . وكان ملتحيا ويضع طاقية على شعره الأحمر الغزير . وكان قد حكم على فوخس ، الامريكى المولد ، بالسجن لمدة تسعة وثلاثين شهرا فى أحد السجون الاسرائيلية فى عام ١٩٨٣ ، لوقوفه فى منتصف أحد الطرق السريعة بالضفة الغربية ، واطلاق النار من بندقيته الروسية الصنع أ . ك . ٤٧٠ على احدى السيارات العربية المارة بالطريق .وقال فوخس فيما بعد أنه قام بعمل « يتسم بالرحمة » (توفا) ، حيث أنه لم يقتل السائق العربى . وتم جمع الأموال من اجل الدفاع القانونى عن فوخس ، بواسطة رئاسة مجلس مدينة كريات اربع ، وكذلك العديد من كبار حاخامات جوش ايمونيم ، منهم موشيه ليفنجر واليعازر والدمان ، حد اعضاء الكنيست من حزب تحيا . ويوم ٢٧ ديسمبر ١٩٨٤ ، افرج عن فوخس قبل أن يمضى مدة العقوبة ، وأخذ الى مطار بن جوريون مقيد اليدين ، ووضع على متن طائرة نفاثة متجهة الى نيويورك . وقررت المحكمة العليا ، الا يعود فوخس الى اسرائيل قبل انقضاء المدة المحكوم بها عليه .

وقد أخبرنى صمويل أ . عبادى — وهو محام من نيويورك ، موكل للدفاع عن المتهمين الثلاثة فى الانفجارات التى قامت بها رابطة الدفاع اليهودى —

بأن مكتب التحقيقات الفيدرالى كان يطـــارد أعضاء رابطة الدفاع اليهودى ، لا « كان يعارض مفاهيم الرابطة السياسية . ويقول عبادى : يعتقد كاهانا بأن . كتب التحقيقات الفيدرالى يطـــارد أنصــاره بسبب فلســفته ومفاهيمه .. ويضيف عبادي قائلا : انـــه لـم تتم ادانـــة أى شخص فى تلك الانفجــارات لأن الحكومة ليس لديها دليل .

ولكن فى يوم ٩ أغسطس ١٩٨٧ ، كتب واك رســالة الى مانتنج فى كيريات أربع ، يحذره من أن مكتب التحقيقات الفيدرالى لديه دليل قوى للغاية ، ضـــده وضد زملائه . ويبدو أن رسالته الى مانتج ، قد كتبت للضغط على رجــال كاخ من اجل التعــاون مع مكتب التحقيقات الفيدرالى . وقد جــاء فى الرسالة : لقد كشفت تحرياتنا ، العديد من الامور المتعلقة بفرض قوانين الدولة والقوانين الفيدرالية على الســـواء ، والخاصة بالانشـــطة التى تمارســـها ويمارســـها شركاؤك . فبالاضافة الى الاتهامات بالنسف والقتــل ، ومحــاولة القتــل ، والانفجارات بصفة عامة ، توجــد الآن الاتهامات والأدلة التى تكشف عن نمط من النشاط الهدام ، الذى يقع تحت طائلة القوانين الفيدرالية ، التى تفرض العقوبات الصارمة ضد أى شخص تتم ادانته بانتهاكها .

وأبدى واك اعتزازه بجسارة القوة المشتركة الخاصة بمكافحة الارهاب ، قائلا : « كان لها سجل حافل للغاية ، فى مجــال منع انشــطة الجمــاعات الارهابية الداخلية » ، مؤكــدا لمانتج أن مكتب التحقيقات الفيدرالى « لا يسعى لارســـال الابرياء الى السجن ، أو فى تلك الحالة الى حبل المشنقة » ، الا أنه حــذر من أن « حقيقة لجوء المتطرفين اليهود لعمليات الاغتيال فى عام ١٩٨٥ بتلك البــلاد ، قد أدت الى تكثيف التحقيقات . واننى اتســاءل عما ستقونه الطائفة اليهودية ، حينمــا تتضــح فى النهــاية الحقيقة المتعلقة بأنشــطة (الوطنيين) المنتمين اليها ؟

وربما كان واك يعبر عن احباطه بقدر ما كان يحــاول أن يخيف مانتج . فوفقــا للمذكرات الداخلية لمكتب التحقيقات الفيدرالى التى حصلت عليها ، باءت جهود مكتب التحقيقات الفيدرالى الرامية لمحاكمة رابطة الدفاع اليهــودى بالفشل ، بسبب امتناع السلطات الاسرائيلية عن مساعدة الولايات المتحــدة فى متابعة أدلة التحقيقــات المتعلقة بانشـــطة كاهانا وانصـــاره فى اسرائيـــل والاراضى المحتلة . وتؤكد احدى الوثائق المحـــررة فى أغسطس ١٩٨٧ ، أن ردود الحكومة الاسرائيلية على مطالب مكتب التحقيقات الفيدرالى المتكررة بشـــأن المعلومات الخاصة بأعضاء رابطة الدفاع اليهـــودى ، المتهمين بالاشتراك فى عمليات الاغتيال ، والمقيمين فى اسرائيل فى ذلك الحـــين . تؤكـــد الوثائق أن ردود الحــكومة الاسرائيليـــة (كانت متأخـــرة ، وغـــير كاملة ، وفى بعض الحالات ، لم يكن يأتى الرد) ، وفقا لمـــا كتبه فلويد كلارك المدير المساعد لمكتب التحقيقات الفيدرالى الى رئيسه أوليفر ريفيل المـــدير التنفيذى المساعد .

وجاء فى وثيقة وزارة العـدل ما يلى : « قدمت الأدلة العديدة من خلال رئاســة مكتب التحقيقات الفيدرالى الى مسئولى جهاز المخـابرات السريــة الاسرائيلية فى واشنطون العاصمة . . والاجابة على تلك الأدلة أمر حيوى لكشف غموض الحوادث الارهابية الخمسة والعشرين ، والأنشطة الاجرامية الأخرى التى تقوم بها رابطة الدفاع اليهودى . وكانت الأدلة تتعلق بالمعلومات الخاصة بالاشتراكات التليفونية ، والسوابق الجنائية ، وملفات الاعتقالات ، والاتصالات التى تمت بالسجون ، والمساعدين ، والاقامة ووثائق السفر . . وقد عقدت الشعبة الخاصة بالارهاب ، العديد من الاجتماعات مع ممثلى جهاز المخابرات السريةالاسرائيلية فى واشنطون العاصمة ، حيث أثيرت المسائل المتعلقة بتلبية مطالبنا . وبالرغم من أن تلك المناقشات أسفرت فى بعض الأحيان عن اهتمامات مؤقتة نشطة من جانبهم ، لم يتحقق تحسن دائم فى مسألة توفير المعلومات » .

وقد اتهم المسئولون بوزارة العدل الذين تحدثت اليهم ، الحكومة الاسرائيلية بتعمد توفير الحماية لكاهانا واتباعه . ويقول احـد مصادر وزارة العدل ، ممن يعلمون بالخـلاف القائم بين اسرائيل والولايات المتحـدة : اننا نعرف أن كاهـ يلقى تأييدا من أعلى المستويات فى اسرائيل . ومن المهم معرفة ما اذا كانت تلك الصـلات قدوصلت الى هنا . وهل توجـد عناصر للسيطرة ؟ وهل امتد ذراع الحكومة الاسرائيلية حتى برينتوود ؟ اننا لا نعرف . ان هنــاك جمــاعة سرية تعمل من كيريات اربع بأوراق مزورة . والفجـوة فى المعلومات واســعة كالمحيـط .

وتوجـد بصـفة عامــة ، علاقــات وثيقــة بين الــولايات المتحــدة واسرائيل فى مجـال جمـع المعلومات ، والاشـتراك فى أنشطة الاستخبارات المضــادة . على سـبيل المثــال ، اعتقـلت سـلطات الامن فى كاراكاس منذ فترة وجيزة ، المواطن الامريكى محمود محمود عطا ، بزعم تجنيده الارهابيين للانضمام لجماعة أبو نضال داخل الولايات المتحدة . وعطا محتجز فى الوقت فى أحد مراكز الاعتقال الفيدرالية فى نيويورك ، ويناضل من أجل عـــدم تسليمه لاسرائيل ، حيث أنه مطلوب القبض عليه لعلاقاته بحادث اطـــلاق الرصاص على حافلة مدنية . ووفقا لما نشرته جريدة وول ستريت جورنال عملت المخابرات الاسرائيلية ومكتب التحقيقات الفيدرالى معا ، من أجـــل اصطياد عطا . (وقد حكم أحد القضاة الفيدراليين فى يونيو ١٩٨٨ بأنه توجد بعض الأدلة الكافية لادانة عطا ، ورغم ذلك لا يجوز تسليمه لاسرائيل لان الجريمة لها طابع سياسى) .

وتروج اسرائيل ــ التى تتلقى معونات أمريكية أكثر من أية دولة أخرى فى العالم ــ تروج اسرائيل عن نفسها بأنها حصن ضد الارهاب بالشرق الاوسط وتلقى باللوم على أمريكا فى كثير من الاحيان ، بزعم عـدم مكافحتها للارهاب

العربى بصورة كافية • ولكن القصور الواضح فى التعاون مع مكتب التحقيقات الفيدرالى فى التحقيقات المتعلقة برابطة الدفاع اليهودى يثير التساؤل حول مدى صدقها فى شن الحرب ضد الارهاب ، بينما ينطلق الارهاب من اسرائيل ذاتها • وقد رفض المتحدث الرسمى باسم وزارة العدل الاسرائيلية فى القدس التعليق على اتهامات الحكومة الامريكية بشأن عدم التعاون . وظهرت الشكاوى ايضا من عدم التعاون الاسرائيلى فى تحقيق جنائى آخر ، فى قضية جوناثان جاى بولارد ، أحد الباحثين بمخابرات البحرية الامريكية ، والذى أدين بالتجسس لحساب اسرائيل ، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة .

وتذكر مصادر الحكومة الامريكية ، والمحللون الاسرائيليون عدة أسباب لامتناع الحكومة الاسرائيلية عن المساعدة فى التحقيقات الخاصة برابطة الدفاع اليهودى . وبايجاز ، يعتبر العديد من الاسرائيليين أن اليهود الذين يقتلون النازيين وأنصار منظمة التحرير الفلسطينية ، من الابطال ، وليسوا مجرمين . وخلال الفترات التى تزداد فيها التوترات بين الاسرائيليين والفلسطينيين فى الاراضى المحتلة ، تسود موجة من التعاطف مع اليهود — حتى الذين يرتبطون بكاهانا — الذين يقتلون النازيين والمتعاطفين مع منظمة التحرير الفلسطينية ، حيث يعتبرهم العديد من الاسرائيليين بمثابة كيان واحد . ويقول دانى روبينشتين ، المراسل الضليع فى الشئون العربية بجريدة دافار اليومية .سوف يكون أمرا مثيرا لكثير من الجدل هنا ، تسليم الشبان اليهود الامريكيين بسبب قتل النازيين . ويذكر روبينشتين ، أنه بعد الحرب العالمية الثانية ، شكلت الهاجاناه وهاشومير هاتزائير فرقا ضاربة لاغتيال ضباط الجستابو وقوات العاصفة فى اوروبا . وهؤلاء الرجال والنساء، (من الفرق الضاربة) يعدون ابطالا فى اسرائيل .

ويذكر روبينشتين ايضا ، أنه بعد محاكمة أعضاء جوش ايمونيم الارهابيين الثمانية والعشرين ، الذين كانوا يقومون بعمليات ارهابية ضد العرب بالضفة الغربية خلال الثمانينيات ، فرضت الحملة الاعلامية الهائلة التى وجهها المعسكر « القومى » الاسرائيلى ، الذى يضم أعضاء الكنيست المرموقين من كتلة الليكود وحزب تحيا والأحزاب الدينية ، فرضت تلك الحملة الضغوط على الحكومة من أجل الافراج عن المعتقلين . وتم الافراج عن المتهمين الثمانية والعشرين تقريبا ، ممن تمت محاكمتهم وادانتهم وسجنهم فى ابريل ١٩٨٥ ، كما شغل العديد منهم مناصب عامة مرموقة . ويبذل أحدهم الجهود فى الوقت الحاضر ، من أجل توطين اليهود فىمدينة الخليل .

بل ان ويليام ناكاش ، اليهودى المولود فى باريس ، والذى يعمل فى عالم الاجرام وادين بتهمة قتل أحد العرب فى فرنسا قبل هربه الى اسرائيل ، حيث استطاع لمدة عامين مقاومة تسليمه للسلطات الفرنسية ، ان وليام ناكاش هذا

وكان يبـــدو لكثير من الصهاينة ان السبب لا يكاد يذكر لبقاء العرب . « فأمامهم شبه الجزيرة العربية كلها والتى يبلغ اتساعها مليون ميل مربع — ناهيك عن المنطقة الجديدة الشاسعة التى تحررت من الاتراك والواقعة بين سوريا وبلاد الرافدين — فى حــين أن اسرائيل لا تمتلك شبرا مربعا » مثلما تساءل زانجــويل فى عــام ١٩١٧ ، « فليس هنــاك سبب معين يدعو العرب الى التمسك ببضعة كيلو مترات » . « ان طى الخيــام » ، و « الرحيــل فى صمت هى عادتهم المشهورة : فليما رسوها الآن(٢) » .

وكانت فكرة انه بوسع العرب افساح المجــال لدولة يهودية ، فكــرة اساسية بالنسبة للصهيونية ، وظلت مستمرة منذ ذلك الحين . ففى عــام ١٩٢٩ ، كتب بن جوريون يقول : « ان عــرب فلسطين لا يشكلون ســوى قطرة صغيرة فى محيط الشعب العربى ، وفلسطين ليست سوى جزء ضئيل من الأراضى الشاسعة التى يقطنها العــرب(٣) . وفى عــام ١٩٥٨ ، قــال ابا ايبــان :

« لقد حققت الأمة العربية طموحات فاقت أكثر التوقعات افراطا فى الاعوام الأخــيرة . فهل يطلب الكثير فى واقع الامر اذا ما طلب من هــذه الامبراطورية الشاسعة أن تعيش فى سلام وانسجام مع دولة صــغيرة ، فى مهدها ، توفــر اسباب حياتها فى اضيق مساحة من الأرض حيث يمكنها تحقيق أهدافها القومية دائما ؟ ان العيش فى سلام مع اسرائيل ، كما هى اليوم ، لا يفرض أية تضحيات ولا يلحق اى ضرر ولا يجلب اية مشاكل للشعب العربى فى هذا العصر الذهبى من تحــرره(٤) .

وكتب مؤخرا يقول « ان كافة مكاسب القومية العربية فى عشرين دولة خارج فلسطين اصبحت أمرا مسلما به كما لو كان ليس لها اى تأثير على ميزان المساواة بين حقوق العرب واليهود فى الاستقلال(٥) .

وقد كان الصهاينة فى الاعــوام الأولى يتعمدون المراوغــة مع الحكومة العثمانية والزعماء العرب فى فلسطين على حــد سواء فيما يتعلق بنواياهم . وكان قد تقرر فى المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى بــال فى عــام ١٨٩٧ « اقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يحميه القانون العــام » . وكان اعضاء المؤتمــر يضعون فى اعتبارهم بهــذا القــرار اقامة دولــة يهــودية بصفة نهائية رغم حرصهم على استخدام كلمة « موطن » حتى لا تتنبه السلطات العثمانية الى نواياهم الحقيقية . وقد كتب ماكس نورد وبعد ذلك بثلاثة وعشرين عاما يقــول : « ان كلمــة « موطن » كانت كلمــة غير واضحة ، ولكننــا كنــا ندرك جميعا ما كانت تعنى ... فقد كانت تعنى بالنسبة لنــا « دولــة يهودية » وهو ما تعنيه الآن(٦) » .

بو رزق ، العضو السابق بمجلس الشيوخ الامريكي عن ولاية ساوث داكوتا ، ان مكتب التحقيقات الفيدرالى اخبره بالمؤامرة بعد احباطها . كذلك احبط مكتب التحقيقات الفيدرالى مؤامرة احد اعضـــــاء كاخ الاسرائيليين الذى حضر الى لوس انجيلوس ، بزعم تجنيد المناضلين اليهود ، من اجـــــل اختطاف اثنين من رجال الأعمال العرب الاسرائيليين الذين يعملون فى كاليفورنيا . ولتفادى محاكمة حرجة ، يمكن أن تؤدى الى الاضرار بالعلاقات الامريكية الاسرائيلية ، تم ترحيل عضو كاخ فى هدوء الى اسرائيل ، فى صـــيف عام ١٩٨٦ وفقا لمصادر تنفيذ القانـــون .

وجرى احد اكثر التطورات اثارة فى التحقيقات الخاصة برابطة الدفاع اليهودى فى يوم ٢٢ يونيو ١٩٨٨ ، حينما تم القبض على زوجة روبرت ماننج ، روشيل ، البالغة من العمر ثمانية واربعين عاما ، فى لوس انجيلوس اثناء هبوطها من طائرة قادمة من اسرائيل ، بتهمة الاشتراك فى تدبير ارسال طرد ناسف ادى الى مقتل احدى السيدات فى كاليفورنيا فى عام ١٩٨٠ . وتمت ادانة روبرت فيما بعد بارتكاب تلك الجريمة . ووفقا لمستندات المحكمة ، وجدت آثار بصمـــــات الزوجين على الصندوق الذى كان يحتوى على القنبلة ، وكان مرسلا الى بريندا كروناميل ، صاحبة مؤسسة بروويست للحاسبات الالكترونيـــة بـــ (شاطبى مانهاتن) فى كاليفورنيا . وانفجرت القنبلة التى كانت على هيئة جهاز جديد ، حينما قامت احدى السكرتيرات وتدعى باترشيا ويلكرسون بتوصيل الجهـــــاز بمصدر التيار الكهربائى بالحائط . ويقول مسئولو الشرطة الذين اجروا التحقيقات فى حادث الانفجار عام ١٩٨٠ ، انهم واثقون من أن القنبلة كانت تهدف لقتـــــل الآنسة كروناميل ، ولا يبدو انها كانت لأسباب سياسية . وفى اغسطس ١٩٨٨، اصبح ويليام روس ، وهو من كبـــار اثريـــاء لوس انجيلوس ، واحد سماسرة العقارات ، ومن انصار رابطة الدفاع اليهودى ، ثالث المتهمين فى قضية مقتـــل ويلكرسون . ويقول المسئولون الفيدراليون أن روس كان متورطا فى نزاع بشأن احد العقارات مع اروناميل ، وانه تعاقد مع الزوجين ماننج للقيام بعملية النسف. واستدعت احدى المحاكم الفيدرالية العليا بعض اعضاء رابطة الدفاع اليهودى الآخرين ، من اجل الادلاء بشهاداتهم امامها ، ومنهم ستيف سماسون ، احـــــد كبار انصار كاهانا فى مجال جمع التبرعات ، ورئيس كاخ الدولية .

وفى ٢٠ يناير ، اعلنت احدى المحاكم الفيدرالية اسقاط الدعوى ضد ماننج وروس بعد أن قرر المحلفون انهم فشلوا فى الاتفاق على ادانتهما . فبعد خمســـة ايام من المداولات ، التى قال عنها بعض المحلفين انها انقلبت الى مشادات كلامية، اعلنت المحكمة أن المحلفين انقسموا الى ستة ضد ستة بالنسبة لروس ، وعشرة لاثنين يميلون لادنة ماننج . ومن ثم اسقط المدعون العامون الدعوى ضد روس ومانتج . وقالت فيما بعد ، مساعدة المدعى العام الأمريكي نانسى ويدن ستوك ،

انها ستسعى من أجل ترحيل روبرت ماننج من اسرائيل ، لمواجهة المحاكمة على مقتل باتريشيا ويلكرسون . وقال لى المتحدث بلسان وزارة العدل « اذا أتينا به (من اسرائيل) ، فسوف تجرى بالتأكيد محاكمة جديدة » . ويقول محامى روبرت ماننج ، صمويل عبادى ، ان اعتقال روشيل ومحاكمتها ، لم يكن سوى محاولة من الحكومة لحث روبرت على المجىء للولايات المتحدة لمواجهة الاتهامات المتعلقة بالانفجارات الارهابية ، التى ينسبها مكتب التحقيقات الفيدرالى لرابطة الدفاع اليهودى .

وفى الوقت ذاته ، يبدو واك ، مسئول مكتب التحقيقات الفيدرالى ، واثقا من ان ماننج وجرين وأعوانهما من المتآمرين الآخرين ، لن يفلتوا من العدالة ، حتى وان كانت مسألة تسليمهم للولايات المتحدة ، ستثير بلا شك شيئا من البلبلة فى اسرائيل . وكتب واك لماننج فى أغسطس ١٩٨٧ يقول « ان العدالة فى حد ذاتها بطيئة . . . ولكن ارجو الا تعتقد بأن أى شخص سوف يفلت من الترحيل » .

وتقوم المحاكم العليا الفيدرالية فى نيويورك ولوس انجيلوس بالتحقيق فى الانفجارات التى قامت بها رابطة الدفاع اليهودى ، وكذلك فى انشطة الرابطة الأخرى والتى تشمل بيع المخدرات ، والابتزاز ، والعمل فى مجال الجريمة المنظمة . ولدى سؤاله عما اذا كان كاهانا نفسه يخضع للتحقيق للتواطؤ فى جرائم القتل المنسوبة لرابطة الدفاع اليهودى ، أجاب تشارلز روز ، مساعد المدعى العام الأمريكى قائلا « اننا نحقق فى جرائم رابطة الدفاع اليهودى ، وزعامة كاهانا (لرابطة الدفاع اليهودى) يجرى الاستجواب حولها ، ولك أن تستنتج من ذلك ماتراه » ووفقا لمصادر تنفيذ القوانين الفيدرالية ، شوهد كاهانا فى الولايات المتحدة مع المتهمين ، قبل فترة وجيزة من الانفجارات ، ومنها الانفجار الذى نسف عودة .

وفى نفس الوقت ، لم يعلن كاهانا فقط عن سعادته بالانفجارات المنسوبة لحركته ، ولكنه دعا كذلك الى القيام بالمزيد منها . وفى احدى المقالات الاسبوعية التى نشرها فى مايو ١٩٨٧ ، فى الجويش بريس ، تعهد بأن تقوم كاخ بتشكيل « وحدة مماثلة لوحدات الموساد » لاغتيال اعداء الشعب اليهودى ، فى أى مكان يقيمون فيه . وقال « لتعلم الجماعات النازية الموجودة فى الولايات المتحدة وكندا وفرنسا وبريطانيا وأمريكا اللاتينية ، انها الهدف المحدد للرصاصات الإسرائيلية » .

الفصـــل الســادس عشر

الصــنم الحى

فى عشـــية انتخابات الكنيست فى أول نوفمبر ١٩٨٨ ، كانت تتصـــاعد شعبية كاهانا فى استطلاعات الرأى . فقـــد أدت الانتفاضـــة التى بـــدأت فى ديسمبر ١٩٨٧ ، الى تحول آلاف الاسرائيليين تجـــاه اليمين . وأصبح حـــزب كاخ ذو الميـــول العنيفـــة المعادية للعرب ، والذى يتزعمه كاهـــانا من أكـــبر المستفيدين . وفى ٢ اكتوبر ١٩٨٨ ، تنبأ احد الكتاب الاسرائيليين المرموقين ، هـــو هانوخ سميث فى مقال على الصفحة الاولى بجريدة النيويورك تايمز ، بفوز كاهانا بثلاثة مقاعد على الاقل فى الكنيست (أى ٦٠٫٠٠٠ صوت) ، تتيـــح لـــه الامساك بميزان القوى بين حزب العمل وكتلة الليكود ، الـــلذين كانـــا متساويين فى عـــدد الاصوات فى استطلاعات الرأى .·. وقال سميث للتايمز ان كتلة الليكود اذا لم تدع كاهانا للانضمام الى ائتلافهـــا اليمينى ، فلن تستطيع تشكيل الحكومة .

وقـــال لى البروفيسور ايهودا سبرينزاك ، الخبير فى الجماعات المتطرفـــة بالجامعة العبرية ، ان كاهـــانا اذاحصـــل على اصوات خمسة أو ســـتة فى المـــائة من مجموع اصوات الناخبين (حوالى ستة مقاعد) ، كمـــا تنبأت العديد من الاستطلاعات الاسرائيلية * ، فسوف يصبح رئيســـا لثالث اكبر كتلة انتخابية اسرائيلية . وقال « وبالتأكيد سوف يعنى ذلك حصـــول كاهـــانا على منصب وزارى ، اذا شكلت الليكود الحكومة . ويرغب كاهـــانا فى تولى وزارة الدفاع ، ولن يتـــاح له ذلك بالمرة . وســـوف يعطونه وزارة الداخلية ، ويصـــبح مسئولا عـــن الحقوق المدنية وشئون الاقلية . فهل تتخيل مـــاذا يعنى ذلك » .

ولمنـــع حدوث ذلك ، حظرت اللجنـــة المركزية للانتخـــابات بالكنيست اشتراك حزب كاخ فى الانتخـــابات ، على أساس أنه حـــزب عنصرى وغـــير ديمقراطى . واستندت اللجنـــة فى قرارها عـــلى قانون مكافحة العنصرية الذى أصدره الكنيست (بموافقة ٥٧ عضوا مقابل ٢٢ ، وغيـــاب سبعة أعضـــاء) فى اغسطس ١٩٨٦ . وكان اسحق شامير من كتلة الليكود ، وجيئولا كوهين مـــن حزب تحيا ، على رأس المؤيدين لقرار الحظر ، حيث لـــم يكن لديهما الاستعداد

---

* أوضح استطلاع للرأى اجراه مودعين عزرا لصحيفة معاريف خـــلال الاسبوع الثانى من شهر سبتمبر ١٩٨٨ أن حزب كاخ سيفوز بستة مقاعـــد .

للجلوس ومشاهدة حزب كاخ وهو يصبح قوة يمينية هائلة . وقد ساهم شامير وكوهين كثيرا فى تحول كاهانا الى ظاهرة سياسية فعالة ، ورغم ذلك أصبحا لا يريدان أكثر من القضاء على طموحاته وابعاد عشرات الآلاف من انصاره .

وفى يوم ١٨ اكتوبر ١٩٨٨ ، استأنف كاهانا حكم اللجنة المركزية للانتخابات . امام المحكمة العليا الاسرائيلية ، بدعوى أنه استند فى جميع أعماله وأقواله على نصوص من التوراة والكتب الدينية اليهودية الاخرى . (والجدير بالذكر أن معظم أعضاء الكنيست من الاحزاب الدينية ، كانوا قد صوتوا ضد قانون مكافحة العنصرية ، وقد صرح الحاخام حاييم دروخمان من حزب موراشا ، بأنه فى ظل ذلك القانون ، « سوف يؤدى تمسكنا بتعاليم الهلاخا الى أن نصبح جميعا مجرمين » . ومع ذلك ، ايدت هيئة المحكمة العليا ، التى تضم خمسة قضاة ، قرار الحظر وأعلنت أن معاملة العرب بالطريقة المقترحة من كاخ ، « مماثلة بصورة مذهلة » للجرائم الفظيعة « التى عانى منها الشعب اليهودى » . وخارج مبنى المحكمة الذى امتلأ بالحاضرين ، رفع أنصار كاخ الغاضبون ، كاهانا ، على أعناقهم وهم يهتفون « كاهانا ، ملك اسرائيل » وكان العديد من سيدات كاخ ، ممن هاجرن فى الآونة الأخيرة من الولايات المتحدة يذرفن الدموع ويصفن قرار المحكمة بأنه شىء فظيع . وقالت سيدة شابة قادمة من أمريكا ، وهى تبدو منهارة وتمزق ثيابها تعبيرا عن الحزن الشديد « أنه يوم حالك السواد لاسرائيل » . وصرخ كاهانا قائلا : « اذا كان القانون الذى طرحته، والذى يحرم الزواج المختلط والعلاقات الجنسية بين اليهود وغير اليهود ، يعد قانونا عنصريا ، فلتأخذوا كتب التوراة والتلمود التى لديكم ، وتحرقوها جميعا . ان آلاف النساء اليهوديات متزوجات الآن من رجال عرب . فهل هذه ديمقراطية ! وهل تريدون ذلك ؟ » .

وقد يكون كاهانا خارج الكنيست ، ولكن من الصعب أن يكون سعيدا عن اعين الشعب . ومازالت مفاهيمه تحظى بالتأييد فى كافة ارجاء الدولة اليهودية . ففى مدينة عكا الساحلية العنيدة ، كان ديفيد باراليف مرشح الليكود لمنصب عمدة المدينة فى عام ١٩٨٨ ، يدعو علنا لترحيل العرب خارج المدينة . وفى اريبل ، وهى مستوطنة يهودية بالضفة الغربية ، تتكون من منازل فخمة تغطى تلال السامرة الصلبة ، اقترح رون نحمان عمدة المستوطنة ، قانونا فى عام ١٩٨٩ ، يطالب العمال العرب بارتداء شارة مميزة ، تعيد للذاكرة نجمة داوود الصفراء التى اجبر النازيون اليهود على ارتدائها ، أثناء الحرب العالمية الثانية . وفى كيريات اربع ، حيث تتقاسم كاخ السلطة فى مجلس المدينة ، فرض حزب كاهانا قرارا فى عام ١٩٨٦ ، يحظر على المدينة الاستعانة بالعمال العرب . وأعلن المدعى العام الاسرائيلى، أن القرار « باطل ولاغ » ووصفه بأنه « عنصرى » و «يتسم بالتمييز».

واثر مسيرة صاخبة قام بها ثلاثون من طلبة احد المعاهد الدينية اليهودية (اليشيفات) فى احدى المدن العربية بالضفة الغربية فى عام ١٩٨٩ ، وانتهت باطلاق الرصاص على فتاة فلسطينية تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما ، مما أدى الى وفاتها — اثر هذه المسيرة برر عميد المعهد الدينى (اليشيفا) ، الحاخام بيتزاك جينسبرج جريمة القتل ، قائلا أمام احدى المحاكم الاسرائيلية انه « يجب ادراك أن دم اليهودى ودم الأجنبى ، مختلفان . ويجب أن ينهض شعب اسرائيل ويعلن على الملأ ، أن اليهودى والأجنبى ، لا سمح الله ، لا يتساويان . وأية محاكمة تفترض مساواة اليهود بالأجانب ، تعد انتهاكا للعدالة » .

وفى أور يهودا (نور يهودا) ، وهى ضاحية لتل أبيب ، تسكنها الطبقة العاملة ، كان الرد على الانتفاضة الفلسطينية ، بالحد واستخدام البنزين . ففى خريف عام ١٩٨٨ ، سكبت مجموعة من المراهقين الاسرائيليين ، البنزين على كوخ خشبى كان ينام فيه بعض الفلسطينيين ، واشعلوا فيه النيران وولوا هاربين . واحترق على الفور اثنان من الفلسطينيين النائمين ، وجرى فلسطينى آخر الى خارج الكوخ ، وهو مشتعل بالنيران . ووفقا لتقارير الصحافة اليهودية ، رفض المارة اخماد النار ، مما أدى الى احتراق العربى . وسال شوقى خليف ، وهو صبى اسرائيلى يبلغ من العمر ستة عشر عاما ، وصديق اليهود الذين دبرا الحريق ، أحد المراسلين الاسرائيليين « ماذا يهم اذا احترق أحد العرب ؟ ، وما قيمة العربى على أية حال انه ليس انسانا ، ولا يهمنى اذا احترق مايزيد عن الفين آخرين » .

وأضاف صديقه رويفين الاييف « اننى اتمنى أن أحرق خمسة آلاف عربى آخرين » .

ويرى بعض علماء الدين اليهود أن القضاء على « المشكلة العربية » عن طريق الابادة ، ليس خطيئة . ففى عام ١٩٨٤ ، كتب الحاخام موشى سيجال ، الذى كان يعمل قبل انشاء الدولة فى صفوف الارجون ، رسالة يمتدح فيها احدى اللجان القائمة بجمع الأموال لأنشطة حركة جوش ايمونيم الارهابية السرية ، وشبه فى رسالته السكان العرب فى الأراضى المحتلة ، بقبيلة العماليق ، التى قضى عليها العبرانيون القدماء . وجاء فى الرسالة « ينبغى أن يكون المرء رحيما بجميع المخلوقات ... لكن معاملة العماليق تختلف . ومعاملة من يحاولون سرقة بلدنا تختلف » . وكتب سيجال ، موردا نص ماجاء فى اصحاح ٣٣ ، سفر العدد « يجب عليكم أن تطردوا جميع سكان الأرض اثناء تقدمكم .. وتسكنوا فيها ، لأننى وهبتكم تلك الأرض ، لتمتلكوها ... ولكنكم اذا لم تطردوا سكان تلك الأرض اثناء تقدمكم ، فجميع من تسمحون لهم بالبقاء ، سيظلون بمثابة اشواك شائكة فى اعينكم وجوانبكم . وسوف يظلون ينازعونكم فى ملكية الأرض التى تعيشون فيها . والذى كنت أعتزم أن افعله بهم ، سوف افعله بكم » .

وانتقد الليبراليون الاسرائيليون ، رسالة سيجال ، باعتبارها مساوية للدعوة الى الابادة . ولكن سيجال ليس حالة منفردة . ففى الآونة الأخيرة ، نشر الحاخام اسرائيل هيس ، العالم المعروف بجامعة بارعيلان ، مقالا فى مجلة الجامعة الرسمية ، تحت عنوان « حكم الابادة فى التوراة » ، شبه فيه أيضا الفلسطينيين بالعماليق الذين حكمت التوراة بابادتهم .

ومع تفشى المشاعر المعادية للعرب فى مدن وقرى اسرائيل ، اتاحت الانتفاضة الأولوية لمفاهيم كاهانا الرامية لطرد العرب من البلاد . ووفقا لما جاء فى جريدة يديعوت أحرونت ، قال بنيامين نيتانياهو نائب وزير الخارجية الاسرائيلية للدارسين بجامعة بارعيلان فى نوفمبر ١٩٨٩ « كان يجب على اسرائيل انتهاز فرصة قمع المظاهرات فى الصين ، حينما كان العالم مشغولا بتلك الأحداث ، بأن تقوم بالترحال الجماعى للعرب من الأراضى المحتلة . ولسوء الحظ ، لم يحظ هذا الاقتراح بالتأييد ، ولكنى مازلت اقترح اتخاذ هذا الاجراء » .

ومازال كاهانا ، الذى يحضر فى أحيان كثيرة جنازات الاسرائيليين الذين يقتلون على أيدى الارهابيين العرب بحثا عن أنصار جدد ـ ما زال كاهانا ينادى بأن الطرد أمر مقدس . وقد صرح كاهانا فى اجتماع فى وسط مدينة القدس ، بعد يوم من الهجوم الذى قام به أحد الفلسطينيين ، حينما أمسك بعجلة قيادة حافلة اسرائيلية ، وهوى بها الى واد ضيق ، مما ادى الى مقتل ستة عشر اسرائيليا « أعطونى السلطة كى اتولى أمرهم (العرب) بصورة نهائية . وكان المئات من أنصار كاهانا يصرخون ويهتفون بوحشية « الموت للعرب ولاصدقائهم اليساريين (اليهود) » . وتبعت موجة عارمة من الغضب والكراهية ، أصيب من جرائها العشرات من العرب الابرياء فى كافة أنحاء اسرائيل والاراضى المحتلة . وجاء فى نشرة لحركة كاخ تم توزيعها فى القدس « ان ربنا رب الانتقام ، ومن الهراء الاعتقاد بأن الانتقام ليس عقيدة يهودية » .

واثر حادث الهجوم على الحافلة ، أخذ كاهانا وأنصاره يصبون غضبهم المتزايد على اليهود . ويشاهد المرء فى كافة ارجاء اسرائيل شعارات تدعو الى موت مختلف السياسيين الليبراليين ، وتحتها شعار كاخ ـ قبضة يد منطلقة من نجمة داوود السوداء . ويهاجم مشاغبو حركة كاخ دعاة السلام ويضربون الشواذ جنسيا وكذلك النساء اليهوديات ممن لهم أو لهن علاقات من العرب ، ويهددون السياسيين اليساريين والفنانيين والصحفيين . وقد قام أفراد جماعة سرية تدعى « سيكاريم » ، باشعال الحرائق فى منازل عدد من السياسيين اليساريين الاسرائيليين بل انهم احرقوا منزل احد الباحثين لاجرائه استطلاعا للرأى ، يفيد بأن أغلبية قليلة من الاسرائيليين ، ترى أن تتنازل اسرائيل عن الارض (المحتلة) مقابل السلام مع العرب . واثر هجوم

متعمد على منزل دوف تافورى عمدة بتاح تكفا ، تلقت جريدة يديعوت أحرنوت العبرية اليومية الخطاب التالى « نحن ، السيكاريم ، مسئولون عن اشعال الحريق فى منزل وسيارة عمدة بتاح تكفا . ونحن ننتمى لحركة كاخ » .

وفى يوم ١٤ يوليو ، ألقى كاهانا ، فى مقال نشرته صحيفة الجويش بريس ، اللوم على مواطنيه اليهود بسبب الهجوم الفلسطينى المروع على الحافلة ، والذى حدث فى بداية الشهر . وتساءل كاهانا فى مقاله ، مشيرا الى مقتل اليهود الستة عشر فى الحادث الارهابى ، قائلا : « من الذين قتلوهم من هم الشركاء والمتواطئون فى مقتل هؤلاء اليهود ؟ من الذين تلطخت أيديهم بدمائهم ؟ من سوف تشفى أرواحهم بذنب وخطيئة وجريمة قتل اليهود ؟ » .

والاجابة ، كما جاء فى مقال كاهانا « انهم جميع اليهود الذين يتعبدون فى محراب الثقافة الوثنية والهيلينية الاجنبية . جميع اليهود الذين يتشدقون بالحديث عن العنصرية والفاشية ، والذين يشبهون بلا خجل ، الدعوة لطرد العرب ، الذين يقتلون ويذبحون ويقضون على اليهود ، بأفعال النازيين . انهم جميع اليهود الذين يقولون بأن كاهانا « نازى » .. انهم أعضاء المؤسسة اليهودية الامريكية بادانتهم لكاهانا ... والليبراليون الامريكيون واليساريون اليهود ، الذين يعانون من وباء مايكل ليرنو محرر التيكون .. ومنظمة الوكالة اليهودية المتحدة .. وحاخامات ..... ووسائل الاعلام الامريكية اليهودية .. ويهود الصمت .. واليمينيون والقوميون الاسرائيليون الذين شاركوا فى ادانة كاهانا » .

بل ان كاهانا نادى فى احدى مقالاته بالجويش بريس بالتخلص من اليهود الذين يرى أن آراءهم ضارة . وكتب يوم ٣١ أغسطس ١٩٨٤ ، يقول : « من أجل انقاذ اسرائيل ، تدعو التوراة الى اخراج الشر من بين أظهرنا . والواقع أن حاخامات التلمود يوردون النص (وأنت سوف تحب أخاك اليهودى كما تحب نفسك) ، من أجل تفسير المبررات التى تفرض علينا قتل اليهودى الذى يستحق القتل بطريقة انسانية » .

– « هل نحب اليهود ؟ بالطبع . ونضحى من أجلهم بكل الوسائل . ولكن حينما يسعى اليهود الى تحدى مطالب الرب ، واليهودية واسرائيل ، يجب أيقافه . والحقيقة أن العقاب الذى ننزله باليهودى المخطىء ، هو الطريق الطويل والضرورى للغفران فى العالم الآخر » .

ذكر كاهانا أسماء بعض اليهود ، ممن يعتقد بضرورة ايقافهم .

اذا سعى بوسى صريد ، وشولاميت آلونى (عضوا حزب حركة حقوق المواطنين فى الكنيست) ، وأعضاء المابام (حزب العمل اليسارى) ، ومائير

فسنر (السكرتير العام للحزب الشيوعي الجديد ، وعضو الكنيست) ، وجميع الهيلينيين ، المرضى نفسيا ، الى تهديد وجود اليهودية والشعب اليهودى واسرائيل — فليس من الاخلاق التسامح فى ذلك . بل على العكس ، يعد ذلك أكثر الاشياء شرا وفسقا . ذلك أن شرورها تهدد كل يهودى ، وخطاياها سوف تغرق السفينة اليهودية التى تحمل كافة اليهود . واذا سعى (اليكسندر) شيندلر (زعيم الطائفة العبرية الامريكية) وحركة الاصلاح اليهودى . الى تقسيم اليهود الى معسكرين منفصلين ، وهددا (الهوية) اليسارية ذاتها ، بغطرستهم وجهلهم ، فهل نكون متسامحين و معتدلين ؟

ان حب اليهود يتطلب قوة كبيرة ، حتى يقاتل المرء من أجلهم . وقد يتطلب حب اليهود قوة أكبر ، حتى يقاتل المرء اليهود الذين يسعون الى تدمير أخوانهم . والمؤسف أنهم لا يحبون ولا يكرهون الى حد مقبول ، وانما يظلون يسعون بلا مبالاة وبلا اكتراث الى الابتعاد عن المسئولية . ولكن تبقى الحقيقة المتمثلة فى حاجتنا الى اليهود الاقوياء القادرين على الحب والكراهية والمتصفين بالحكمة الكافية بحيث يعرفون متى يفعلون ما يريدون . « ان كل عالم غير قوى كالحديد ، لا يعد عالما ، فأين العلماء ؟ وأين القوة ؟ » .

ويرى البروفيسور سبرينزاك أن حركة كاخ تذكر بالفاشيين الاوروبيين فى العشرينيات والثلاثينيات ، قبل تولى النازيين السلطة : « فهم يمارسون العنف، علنا ، ويفخرون بعنفهم . ومن سوء الحظ ، أنه (كاهانا) ليس منعزلا عن عالم الهلاخا » . ويقول سبرينزاك ان احد كبار مؤيدى كاهانا ، هو كبير حاخامات اليهود الشرقيين (السفارديين) فى اسرائيل ، موردخاى الياهو ، الذى كان عضوا فى جماعة دينية يمينية متطرفة صغيرة ، سحقها جهاز الأمن الداخلى (الشين بيت) فى أوائل الخمسينيات . ويضيف سبرينزاك » انه حاخام راديكالى للغاية ، وهو الحاخام الخاص لكاهانا ، والذى يوافقه فى تفسيراته الهلاخية لكل شىء » .

ويؤمن سول مارجوليز ، المحامى فى روكفيل بمريلاند ، بان كاهانا واحد من اعظم الشخصيات فى عالم اليهود المعاصر . ويقول مارجوليز ، امين الصندوق السابق لمنظمة النداء اليهودى بواشنطن الكبرى ، والذى اصبح فى الآونة الأخيرة رئيسا لكاخ الدولية ، لقد قرات كتاب كاهانا « لماذا تكون يهوديا ؟ » ، وقد كان موضوعه فى الصميم . وحينما رايته ، تاثرت به كثيرا . وكان محاطا بأشخاص أذكياء مرموقين . . . ويتناول كاهانا قضايا مؤلمة لا يرغب الناس فى سماعها ، لانها تمثل مرآة تعكس أحوالهم ، الا أن أى شخص يستمع اليه باهتمام ، سوف تثيره التجربة . وفى اثناء حفل محدود اقيم تكريما لكاهانا بمنزل مارجوليز فى فبراير ١٩٨٩ ، وحضره سبعون شخصا - جمع زعيم كاخ نحو ١٥٫٠٠٠ دولار ، وفقا لما جاء فى جريدة

« الواشنطون جويش ويك . وقال لـى عضـو الكونجرس بنيويورك واحـد انصار كاخ ، دوف هيكيند فى مايو ١٩٨٩ « ان لدى كاهانا فى الولايات المتحدة ، من الانصـار اكثر مما يصدقه أى شخص » . كما قال هيكيند ان زعمـاء الطائفة اليهودية يدينـون كاهانا « لانهم غيورون » .

ان لدى كاهانا أسبابا قوية تدعـو لتفاؤله بالنسـبة للمستقبل . اذ لم يؤد طرده من الكنيست الى اختفاء انصـاره . وفى الماضى ، كانـت تزداد سلطته وقـوته ، مـع ازدياد اتجـاهات الاستقطاب السياسية والاجتماعية والعرقية فى المجتمع الاسرائيلى . وفى آخـر لقاء لى معه فى نوفمبر ١٩٨٤ ، حينما كان لا يزال منتشيا بانتصـاره فى انتخـابات الكنيست فى أوائـل ذلك العـام ، تنبـأ بأنه سيكون فى القريب زعيما لثانى اكبر حزب سـياسى فى اسرائيل . وقال لى كاهانا : كنت أعلم دائما أننى سـوف أحصـل على مقعد (بالكنيست) . واذا اجـروا انتخـابات أخرى خلال عام ، سـوف نحصل على عدد اكبر من المقاعد . واذا ارتفع معـدل البطالة خلال عام ، كما نتوقع ، واذا ازداد التضخم ، واذا ضغط رونالد ريجـان ــ الذى يعـد بالطبع كارثة للشعب اليهودى ــ على الحـكومة الاسرائيلية من اجـل مقايضـة الارض بالسـلام ، واذا ازدادت الهجمات العربية على اليهود ــ فمن المتوقع تمـاما حصـولنا على ثمانية او عشرة مقاعد ... وكلما ازدادت احـوال اسرائيل سـوءا ، كان ذلك افضـل بالنسبة لى .

وفى الوقت الحاضر ، اصبحت احـوال اسرائيل السياسية والاقتصـادية اكثر سـوءا مما كان يتخيل كاهانا . فالانتفاضـة اندلعت منذ عام ١٩٨٧ ، وتجـرى الولايات المتحدة حـوارا مع منظمة التحرير الفلسطينية مما يثـير الفزع فى نفوس دعـاة « اسرائيل الكبرى » . ومع استمرار الازمة فى اسرائيل ، التى تضعف من المؤسسات الديمقراطية فى البلاد ، سـوف يحاول زعمـاء الدهمـاء من اليمين ، بلا ريب ، الاسـتيلاء على الحـكم . وبفضل عـداء اصدقائه السابقين من اليمين ، لن يستطيع كاهانا بالمـرة تولى حكم اسرائيل . الا أنه سـوف يشعل نيران الكراهية والدمار ــ ممهدا الطريق لاحـد الرجال الاقـوياء ، مثل آرييل شـارون ، لان يبادر بترتيب أمور البيت .

وفى الحقيقة ، يرجع غضب اليمين الاسرائيلى من كاهانا ، الى أنـه يقول ما يدور بخلدهم ، وهو : أنه يجب على الدولة اليهـودية أن تضم الاراضى المحتلة ، وأن تطـرد جميع عرب اسرائيل العنيدين . واعـلان ذلك صراحة ، لا يعـد سياسة حكيمة . ان كاهانا ليس صنما صنعته ظروف الشـتات الاليمة ــ كما يريدنا رجـال الدعاية اليمينيون أن نعتقد ، وانما هو ، الى حد كـبير ، من خلق اليمين الاسرائيلى (العلمانى) « المحترم » . وبالرغم من

اختلافاتهم معه ، الا ان كاهانا يعبر عن وجهات نظر شـــامير وجيئولا كوهــين القومية المتشـــددة .

وبالطبع ، يعد كاهانا اكثر من مجرد صورة متشـــددة من شامير وكوهين . فهو أيضـــا صوت الديانة اليهــودية التقليدية التى اصبحت معقلا للتعصب الدينى . وقد ســـاعد دمج كاهانا الفريد للصهيونية العلمانية اليمينية ، التى تعطى قيمة كبرى لمفاهيم الامة والارض والجنس ، بالقومية الدينية النضالية ، التى تسترشد بالبحث عن الخلاص ، الى خلق شـــكل خبيث من العنصرية ، آخـــذ فى الانتشـــار فى كافة أرجـــاء اسرائيل .

ومع كل ادعاءاته الدينية ، يعد كاهانا رجـــلا مخادعا . وقد ظهر احتقاره الشـــديد لاخوانه اليهود منذ الصغر ، حينما كان يقف فى المعبد الذى يشرف عليه والده ، ويلعن المصلين لعدم كونهم « يهودا » بالدرجـــة التى ترضيه . وكان سعيه الدءوب لامتلاك المـــال والسلطة واضحا منذ كان صبيا مراهقا ، يســـعى للحصول على الاموال من منظمة بيطـــار . وتتضح انتهازيته تماما ، من السهولة التى حـــول بهـــا كراهيته من الامريكيين الســـود الى عـــرب اسرائيل ، دون اهتمام بالجهة التى تقف وراءه ، ســـواء كانت وكالة المخابرات المركزية أو مكتب التحقيقات الفيدرالى أو الموســـاد أو الرعاع . وبالرغم من سعيه لسن قانون فى اسرائيل ، يقضى بسجن اليهود الذين يقيمـــون علاقات جنسية مع الغرباء ، كان كاهانا قد دفـــع باحـــدى عشيقاته الاجنبيـــات الى الانتحـــار . وحتى الآن ، حينما يكون فى نيويورك فى جـــولاته لجمع التبرعات ، يكون لديه منزل يستغله لمضاجعة الفتيات من أنصـــاره ، حيث يقف أعضـــاء كاخ لحراسته ، وفقا لاقوال العديد ممن كانوا يقفـــون خارج حجـــرة نومـــه للحراســـة .

وقد عانى الشعب اليهودى من العديد من مدعى النبوة ، طوال تاريخـــه الطـــويل والمضطرب . واذا كان بمقـــدور كاهانا أن يرجـــع جـــذور مفاهيمه السياسية لجابوتنسكى والعهد القديم ، فان جذوره الرئيسية تنتهى مباشرة الى شبتاى زيفى ، الذى ولد فى سميرنا بتركيا فى عام ١٦٢٦، لاحـــدى العائلات الثرية ، وادعى أنه سمع صـــوت الرب ، الذى طلب منه تخليص اسرائيل . وأعلن شبتاى ، القبلانى ، أنه المخلص ، وسرعان ما تبعـــه مئات الألوف من من المغرب حتى اوكرانيا . وقبض السلطان التركى على شبتاى بعد فترة وجيزة من رحيله الى فلسطين حيث اختفى به اليهود بوصفه مخلصهم الذى انتظروه طويلا . وحينما عرض عليه الاختيار بين اعتناق الاسلام أو الضرب بالسيف ، ارتدى العمامة واصبح من حراس ماخور السلطان . وادت انباء اعتناق شبتاى الاسلام ، الى اضطراب فى العالم اليهودى . وقد ظلت جماعة دينية متعصبة من اليهود المتطرفين ترعى حركة تسمى الشبتاين حتى أوائل القرن التاسع عشر .

ومن غير المتوقع أن تقوم حركة دينية حول كاهانا حينما يبتعد عن مسرح الأحداث . ذلك أن حركة كاخ ليست سوى مظهر لفرد واحد ، وسوف تموت مع كاهانا . ولكنه سيخلف وراءه ارثا من الكراهية والعنف ، سوف يثير المتاعب لليهود الاسرائيليين والامريكيين لبعض الوقت . ففى كلمات كاهانا ، يستطيع المرء سماع صدى شرور النازية . ودعوته الى الترحيل دعوة للابادة .

وللأسف ، يحظى كاهانا بالفعل بمكانة بارزة فى الثقافة الشعبية الاسرائيلية . وتنتشر فى أنحاء البلاد حاليا لعبة (كومبيوتر) جديدة مستوحاة من مفاهيم كاهانا ، تسمى « الانتفاضة » . وقد اخترعها عالم الاكترونيات مايكل ميدفيد ، وهو يهودى سوفيتى وعضو سابق برابطة الدفاع اليهودى ببروكلين قبل رحيله الى اسرائيل . وتبدأ اللعبة بلاعب واقف فى احدى قرى الضفة الغربية ، ومحاط بالعرب الذين يرتدون الكوفيات ويقذفون بالحجارة . وأمام اللاعب الفرصة لاستعمال الغازات المسيلة للدموع ، أو الطلقات المطاطية أو البلاستيكية ، أو الذخيرة الحية من أجل قمع العرب « المتعنتين » . وتحسب النتيجة بعدد الفلسطينيين الذين يصابون ، أو يقتلون أو ينقلون للمستشفيات . واذا قتل اللاعب ، تظهر على شاشة الكومبيوتر جملة تقول « انك ضحية اخرى للارهاب العربى » . واذا قتل أحد العرب ، تظهر على الشاشة عبارة تقول : «ان الدولة تشكرك ! استمر فى عملك الطيب ! » وحينما يسجل اللاعب أعلى نتيجة ممكنة ، يغطى الشاشة وجه الحاخام مائير كاهانا الباسم ، وعبارة تقول ان زعيم حركة كاف قد تم تعيينه وزيرا لدفاع اسرائيل . وقد لا تكون جائزة الكومبيوتر هى التى كانت تدور فى مخيلة كاهانا حينما كان طفلا فى فلاتبوش ، يحلم بأن يصبح رئيسا لوزراء اسرائيل . ولكنها تشهد بصورة مؤكدة على تأثيره المستمر فى الحياة العامة بالدولة اليهودية .

الخاتمـــــة

أرث كاهـــــانا

كان موردخاي ليفى رئيس منظمـــة الدفـــاع اليهودى يمثل كارثة وشيكة الوقوع . فوفقا لأقواله ، قضى الرجل الأعزب البدين ، البالغ من العمر سبعة وعشرين عاما ، أكثر من عشرة أعوام متنقلا داخل وخارج عـــالم الجماعات الراديكالية المتسم بالعنف ، يقدم المعلومات لأجهزة المخابرات والمنظمات اليهودية على السواء ، وفى ذلك مكتب التحقيقات الفيدرالى ، ورابطة مكافحة التشهير . ولكن خلال صيف عام ١٩٨٩ ، لم يكن يشغل بال ليفى أكثر من خلافه المرير مع اثنين من منافسيه اليهود المناضلين — همـــا ايرف روبين رئيس فرع رابطة الدفاع اليهودى بالســـاحل الغربى ، وستيفن رومبوم ، أحد أعضـــاء رابطة الدفاع اليهودى المدانين بالارهاب . وحينما ذهب الاثنان — ومعهما آلان كلبياتوف ، الملتحى ، الضخم الجثة ، البالغ من العمر سبعة وعشرين عاما ، والذى كان يعمل فى صفوف الجيش الاسرائيلى فى حيفا — الى مقر منظمة الدفاع اليهودى المشابه للحصن فى قرية جرينويتش لاعطاء ليفى أوراق المحكمة المتعلقة بقضية تشهير ، تفجر شىء ما داخل ليفى الذى كان يتميز غيظا .

وأخـــذ المناضلون يصيحون بأصوات ساخرة ، وصفها شهود العيـــان بأنها كانت مماثلة لمـــا حدث فى فيلم « كابوس فى شارع الدردار » ، « موردى ، موردى لدينـــا شىء لك » . وحينئذ اسرع ليفى ، الذى كان يمتـــلك ترسانة من الاسلحة المرخصـــة فى مكتبه ، الى سطح المقر وراح يمطر الشـــارع بطلقات نارية من بندقيـــة نصف آليـــة ، مما أدى الى اصابة أحد رجال صيانة اجهزة التكييف المتقاعدين ، أثنـــاء جلوسه فى سيارته . وقال رجل الصيانة دومينيك سبينيللى ، الذى نقلوه الى غرفة العمليـــات بمستشفى سانت فينسنت فى مانهاتن « لقد كانوا فى الحقيقة يستفزون الرجل » ، كما قال سبينيللى أيضا ، » ان الرجال الثـــلاثة طرقوا باب ليفى ، وحينما لـــم يتلقوا جوابا ، بداوا يقذفون النوافذ بالحجارة ويصرخون : اخرج الينـــا يا مورد خاى ، فنحن نعلم انـــك بالداخل ، واعتقد أن الرجل أصابه الهلع وبدأ يطلق النيران » .

وفى حوالى منتصف ليلة يوم الاربعاء ٩ اغسطس ١٩٨٩ ، وقبل اثنتى عشرة ساعة فقط من اطلاق النيران فى قرية جرينويتش ، تلقيت مكالمة تليفونية من ليفى ، الذى كنت أتناقش معـــه حول أنشطة النضال اليهودى عبر السنين . وقال بلهفة عبر جهاز الرد عـــلى التليفون : اننى آسف لمكالمتك فى هذا الوقت المتأخر ، ولكن الامر عاجل . ان روبين فى نيويورك ومعـــه رومبوم ، وهمـــا

يبحثان عنــك بصورة جدية . وقال ليفى ، الذى كان يبــدو متعجلا اكـثر من العادة ، ان الرجلين أخــذا يبحثان فى مكاتب « صوت القرية » ، حيث كنت أعمل فى بعض الاحيــان ، وهما ينتظران الفرصة لاعطائى درسا لاننى كتبت كتابا عن مآثر كاهانا ، كانا واثقين من عــدم رضائهما عنه . وحذرنى ليفى قائلا : ان رومبوم يحمل ســلاحا ، وهما يبحثان عنك ، وعليك أن تحدثنى فى أى وقت ، سواء ليــلا أو نهارا .

وأخبرنى كلا من رومبوم وروبين فيما بعد ، أن مكالمــة ليفى الليلية كانت وهما آخر ناتجا من عقليــة مريضة للغاية . وقالا انهما لــم يوجها أية تهديدات لليفى حينما اطلق عليهما النار من احدى البنادق اللوجر عيار ١٤ .

وبعد لحظات من اطــلاق النار ، كان شارع بليكر ، حيث يعيش ليفى ويعمل ، يبدو كميدان قتــال . اذ امتلأ بعشرات مــن رجال الشرطة ، تساندهم حاملة جنود مصفحة وجهاز لكشف المتفجرات ، وأخــذوا يحاصرون الحى ، بينما كان رئيس منظمة الدفاع اليهودية فى مكتبه يتحدث الى أصدقائه هاتفيــا طلبا للنصيحة . واستطاع لارى واك ، المسئول بمكتب التحقيقات الفيدرالى ، فى النهاية ، اقناعه بالاستسلام .

وبينما كان ليفى ، الذى كان يبدو حزينــا وفى غاية الخوف مقتادا ، والقيود فى يديه الى احــدى سيارات الشرطة ، قال للصحفيين . انهــم كانوا يحاولون قتلى .. وذلك كان يبدو أمرا مريعا ، الا أن ليفى لــم يكن وحــده فى هــذا الاعتقاد . فقــد قال أحد اليهود المناضلين المعروفين فى نيويورك : أعتقد أن روبين ورومبوم ذهبا الى ليفى للقضاء عليه .

الا أن مصادر مكتب التحقيقات الفيدرالى التى حققت فى حادث اطــلاق النــار ، كانت أكثر حيرة . فقــد قال أحد مسئولى مكتب التحقيقات الفيدرالى : ان هؤلاء الاشخاص يصيحون كالذئاب ، حتى أنك لا تعرف ما يحدث حقيقة . انظر ماذا كان يمكن أن يحدث ، كان من الممكن أن يغادر رومبوم وروبين شارع بليكر فى حقيبة الجثث .

وينتظر ليفى المحاكمة فى الوقت الحاضر ، بتهمة الشروع فى قتل روبين ورومبوم . ومما لا يثــير الدهشة أن برترام زويبون ، احــد مؤسسى رابطة الدفاع اليهودى ، واحد أعــداء كاهانا الالداء الحاليين ، يتولى مهمة الدفاع عن ليفى . واذا كان حادث اطلاق النار فى شارع بليكر ، يحمل طابــع المسرحيات الهزلية ، فانه مجرد مثــال آخر لارث كاهانا البغيض . فبعد أن تأسست رابطة الدفاع اليهودى ظاهريا للدفاع عن اليهود ، انحدرت الى ما يشبه مؤسسة للعنف تضــم مجموعة من الاوغاد المتشاحنين الشرسين الذين يتخذون مــن

معاداة السامية ذريعة لاثارة الفزع فى صفوف الطائفة اليهودية ، وجمع الاموال لانفسهم .

وبعد عدة أسابيع من حالة السعار التى أصابت موردخاى ليفى ، حصلت على شواهد أخرى تؤكد نفوذ كاهانا فى الاوساط السياسية لمدينة نيويورك . ففى احدى ليالى الصيف ، التقيت بالممثل الكوميدى جاكى ماسون ، المدير الفخرى لحملة رودلف جوليانى ، المرشح الجمهورى لمنصب عمدة نيويورك . وكنت قد قابلت ماسون فى عام ١٩٨٧ لكتابة مقال لجريدة الواشنطون بوست حول اعجابه بالحاخام مائير كاهانا الذى كان ماسون متحمسا بشدة لدعوته لطرد العرب من اسرائيل . والآن أصبح ماسون مؤيدا لترشيح جوليانى لمنصب العمدة ، لمدينة شهدت حوادث مروعة اتسمت بالنزعة العنصرية . وكنت اعتقد انهما يشكلان ثنائيا غير متجانس : ماسون ، الممثل الكوميدى اليهودى الصرف ، الذى تتناقل الالسنة نكاته العنصرية اللاذعة ، جوليانى الصارم ، شاحب الوجه ، الذى عمل فى الماضى مدعيا عاما ، وكان يسعى بحماس للحصول على تأييد وسائل الاعلام ، مثلما يسعى للحصول على تأييد الدهماء . ولكن عندما بدأ جوليانى يتعثر فى استطلاعات الراى ، بعد البداية القوية التى ظهر بها ، دفع الاعلامى الناجح روجر ايلز ، الذى ادى أجل الخدمات لجورج بوش ، بماسون فى العديد من الفقرات الدعائية المؤيدة لجوليانى ، والتى كانت تسخر من اد كوخ وتصفه بالعمدة المشاكس وأضفى ماسون شيئا من الحيوية على الحملة الانتخابية التى قضى عليها رفاق جوليانى من المحامين غير المتمرسين ذوى الياقات المنشاة .

الا ان ايلز وجوليانى حصلا على أكثر مما كانا يسعيان اليه . فمن المحتمل انهما لم يكونا يعلمان — أو يهتمان — بأن ماسون كان من انصار رابطة الدفاع اليهودى منذ بداية تكوينها ، حينما كانت مجرد حركة احتجاج ضد السود ، لا تهتم سوى بالوقوف ضد مطالب السود للحصول على وظائف افضل ، ومساكن لائقة . ففى عام ١٩٦٩ ، جعلت رابطة الدفاع اليهودى العلاقات بين السود واليهود ، من القضايا الخلافية المريرة اثناء الحملة الانتخابية لشغل منصب العمدة ، مما ادى الى سقوط جون ليندساى ، لأنه من وجهة نظر كاهانا كان متعاطفا كثيرا مع السود . والآن ، وبعد حوالى عشرين سنة ، انتقلت سياسات التحريض العنصرى لرابطة الدفاع اليهودى ، الى معركة انتخابات عمدة المدينة بقيادة جاكى ماسون الممثل الهزلى . (وظهر شبح آخر من انتخابات عام ١٩٦٩ لمطاردة المرشح الديمقراطى لمنصب العمدة فى عام ١٩٨٩ ، ديفيد دينكينز . فقد استقال ليسلى كامبل ، والذى يسمى نفسه حاليا ، جيتووسى من منصب نائب رئيس اتحاد الأمريكيين الأفارقة المؤيد لديفيد دينكينز ، اثر كشف رابطة مكافحة التشهير ، عن قراءة ودى لقصيدة على موجات احدى الاذاعات فى عام ١٩٦٩ ، تقول بدايتها: أيها الفتى اليهودى ، الذى يضع الطاقية السوداء على رأسه . ايها الفتى اليهودى

شاحب الوجه ــ اتمنى لو انك كنت ميتا . وادت القصيدة التى قرئت اثناء قمة التوترات السائدة من جراء اضراب معلمى نيويورك ، الى اندلاع احدى مظاهرات رابطة الدفاع اليهودى الأولى) .

بيد أنه لم يكن هناك ما يثير الضحك فيما قاله ماسون حينما أجريت مقابلة معه لمحطة « صوت القرية » بشأن المنافس الديمقراطى لجولياني ، ديفيد دينكينز ، الأمريكى الأسود . وقد ردد الاتهامات التى أثارها كاهانا لأول مرة فى انتخابات منصب العمدة عام ١٩٦٩ . وقال ماسون ان اليهود ، وخاصة فى ضواحى نيويورك ، يظلون يقظين طوال الليل خوفا من الجرائم التى يقترفها السود . ومن وجهة نظر ماسون ، لم يكن دينكينز يصلح لتولى مسئولية ايقاف اخوانه السود الهائجين . وقال ماسون مشيرا لموجة الجرائم المتزايدة فى نيويورك ، والتى قال عنها انها تدمر المدينة : « حينما تندلع الحرب ، فأنت تحتاج الى قائد ، ولا تحتاج الى شخص مثل دينكينز ، الذى يمضى حياته فى ارتداء الثياب الأنيقة ، وفى تصفيف شعره . ان دينكينز يبدو مثل عارض أزياء اسود عاطل عن العمل » .

ويمضى ماسون يقول انه اذا هزم دينكينز ، جولياني ، فذلك لأن اليهود الليبراليين ، الذين سئموا عقد الذنب ، سيكونون قد أعطوا أصواتهم بصورة انعكاسية الى رجل أسود . ٢٠

وقال ماسون : ان هناك مشكلة يهودية مرضية تتمثل بالتصويت لصالح رجل أسود بصرف النظر عن عدم ملائمته للمنصب . فكل ما عليك هو أن تكون اسود والا تلعن اليهود بصورة مباشرة ، وحينئذ سوف يعطى اليهودى صوته للأسود فى خلال ثانية واحدة . فاليهود سئموا من العقد . وهم يشعرون بالذنب تجاه محنة السود وكأنما هم سببها . وكثيرا ماتظاهر اليهود من أجل السود . وقد عاون اليهود دائما مستشفياتهم وقضاياهم . كما أن نسبة كبيرة من الأموال التى تجمعها منظمة النداء اليهودى الموحد ، تذهب الى الصندوق العام ، المسئول مباشرة عن تمويل مؤسسات السود المتعددة الأغراض ، مثل المراكز العلاجية لمكافحة المخدرات ، والخمور ، ومراكز توزيع الأغذية . ويعطى اليهود على الدوام ملايين الدولارات للسود . فهل سمعت عن شخص أسود أعطى ربع دولار الى احد اليهود ؟ اننى لم اسمع أبدا احد السود يقول يجب علينا ان نساعد فقراء اليهود. ويوجد العديد من اليهود الفقراء فى أنحاء العالم ... وأنا لا اقول ان السود يجب أن يعطوا لليهود ، ولكن اليهود غير مدينين بأى شىء للسود .

واثناء العاصفة المدوية التى تلت نشر تصريحات ماسون ، استبعد جولياني الممثل الهزلى من الحملة الانتخابية . وقد صاح ايرا سيلفرمان عضو اللجنة الأمريكية اليهودية ، معبرا عن احدى الاستنكارات العديدة للمؤسسة اليهودية: ان ماسون هو المشكلة اليهودية المرضية .. ولكن بعد عدة أيام قليلة من لقاء ماسون ، نشر جولياني اعلانا مثيرا للخلافات الطائفية ، فى احدى الجرائد

اليهودية بمانهاتن ، يؤكد على علاقة دينكينز بجيسي جاكسون ، الذى نادى علنــا باقامة دولة للعرب الفلسطينيين بالضفة الغربية وقطاع غزة ، بجوار اسرائيل . ومثلما حدث ازاء تصريحات ماسون ، استنكر الليبراليون اليهود ماجاء بالاعلان .

والحقيقة أنه لا يبدو اختلاف كبير بين نقد ماسون اللاذع لليهود الليبراليين وآراء كاهانا فى هذا الصدد . ففى احدى المقالات الصحفية فى عام ١٩٨٤ ، هاجم كاهانا الليبراليين « الذين ولدوا يهودا بمحض الصدفة ويمزقهم انفصام الشخصية حول (هويتهم) ، وتتملكهم كراهية النفس والرغبة فى التدمير الذاتى » . وفى نفس المقال ، ذهب كاهانا أبعد كثيرا من ماسون ، حينما نادى بقتل هؤلاء اليهود ، ولكن « بطريقة انسانية » .

والآن ، ومثلما كان يحدث منذ عشرين عاما ، يمكن قراءة شتائم كاهانا فى « الجويش بريس * » ، حيث يسيء للحوار السياسى ، ويزيــد من التوترات العرقية . وحتى بالنسبة لكاهانا ، بلغ التعصب الطائفى ابعادا جديدة من افتقاد المسئولية اثناء الانتفاضة . ففى مقال بجريدة الجويش بريس يوم ٢٥ اغسطس ١٩٨٩ ، نادى كاهانا علنا بالثورة فى اسرائيل ، لان الحكومة الاسرائيلية « غــير قادرة ، أو غير راغبة فى توفير الحماية القصوى ، وكل طريقة ممكنة ، لأرواح مواطنيها » . وحيث أن الطريقة الوحيدة ، من وجهة نظر كاهانا ، لتوفير الحماية القصوى لليهود الاسرائيليين من حجارة الانتفاضة ، تقتضى طرد اى عربى ، بــل كل العرب ــ الأمر الذى لم تستعد له بعد او لا ترغب فيه الحكومة الاسرائيلية ــ فان كاهانا يقول ان الحكومة « تفتقد كل حق شرعى ومعنوى فى تولى الحكم . . » وبكل شهامة ، يعرض على الزعماء الاسرائيليين خيارين : الاستفتاء أو الثورة . وفى حالة فشل الاستفتاء يوجد بديل واحد آخر : هو ثورة اليهود المستائين الذين أصابهم الاحباط ، والذين يعلمون ماسوف يفعله العرب حينما يستطيعون . . اننى أحث هذه الحكومة على أن تختار الاستفتاء . دعوا الشعب يقرر ما يريد ، لأن البديل هو الثورة المريرة .

كيف أفلت كاهانا بحملته الشريرة الرامية للتحريض على الجريمة ، وبدعوته للثورة ، وممارساته الطائفية المثيرة للشقاق ، وعنفه الارهابى ؟ انه لو كان كاهانا احد المناضلين السود فى أمريكا ، لكان مما لاشك فيه فى اعتقادى ، قد تعرض للاتهام والادانة ، جزاء جرائمة المتعددة ، ولحكم عليه بالسجن لمدة طويلة . ولو

---

* كان اد كوخ ، عمدة نيويورك السابق ، يكتب ايضا بصفة دائمــة فى الجويش بريس حينما كان يشغل منصب العمدة . وفى بعض الأحيان كانت صورته تلاصق صورة كاهانا . وذات مرة وصف كوخ ، المعروف بانه ليس من انصــار كاهانا ، الحاخام بأنه (نفاية) . ورد كاهانا « بأن كوخ ليس رجلا سعيدا . انه رجل خليع ، ولكنه ليس سعيدا » .

كان عربيا فى اسرائيل ونادى بالثورة ، لكانت الحكومة قد وضعته على أول سيارة أجرة تعبر جسر اللنبى الى الأردن .

ومن الواضح أن كاهانا يحظى بتأييد خفى كبير فى اسرائيل وأمريكا ، ليس فقط من اشخاص مثل جاكى ماسون وموردخاى ليفى ولكن ايضا من اشخاص مثل دوف هيكيند وبارى سلوتنيك ، ومن الحاخامات المتزمتين الطاعنين فى السن ، ومن جميع اليهود الخائفين والغاضبين الآخرين الذين يرون فى كاهانا فرصة لنقل مخاوفهم الى اعدائهم المعروضين وكأنما يمثل كاهانا، بصورة ما، ترياقا للقصور فى مشاعرهم ، أو ربما تعبيرا عن جنون العظمة ، والأحلام المتعلقة بالخلاص واعادة بناء المعابد والامبراطوريات اليهودية .

وفيما عدا ذلك ، يظل كاهانا فى كثير من الأحيان اداة مفيدة لعدد من وكالات المخابرات ، التى اصبحت الآن مسئولة عن مراقبة أنشطته . فقد بعث مكتب التحقيقات الفيدرالى الحياة فى رابطة الدفاع اليهودى ، حينما استعمل كاهانا فى برنامج الاستخبارات المضادة ضد الفهود السود . والآن تشكو تلك الوكالة ذاتها ، والتى تحاول اجراء تحقيقات حول انشطة كاهانا الارهابية السرية ، تشكو من أن المخابرات الاسرائيلية ــ التى وظفت كاهانا فى أواخر الستينيات واوائل السبعينيات من اجل ابراز قضية اليهود السوفييت ــ تعوق مهمتها . (ومما يدعو للسخرية ، أنه بعد أن اصبح متاحا لمئات الآلاف من اليهود السوفييت ، الفرصة لاستيطان الضفة الغربية ، مثلما خطط اسحق شامير وجيئولا كوهين ، يفضل العديد منهم الاقامة فى شاطىء برايتون القريب من بروكلين) .

ويتساءل المرء عما اذا كانت تلك الأجهزة الامنية والاستخبارية ، التى عملت فى الماضى مع كاهانا عن قرب ،لا ترغب أو لا تستطيع كبح جماح الحاخام المتطرف . وربما من الأصعب فهم سبب عدم اجراء جهاز الايرادات المحلية ــ وهو اقوى جهاز حكومى فى أمريكا ــ اية تحريات حول انشطة كاهانا . ويقول برترام زويبون لو كانت وكالة الايرادات المحلية قد فحصت انشطة كاهانا أو رابطة الدفاع اليهودى أو اية جماعة اخرى أخرى من جماعاتنا ، لكان قد انتهى أمرنا . واخبرنى اثنان من مسئولى رابطة الدفاع اليهودى السابقين ، أن كاهانا كان له صديق حميم ، يعمل فى منصب كبير فى وكالة الايرادات المحلية ، وهو اتهام كان من المستحيل أن أتحقق منه .

وطوال اربعة اعوام ، كتبت الى الوكالات الحكومية ، من أجل الحصول على معلومات تتعلق برابطة الدفاع اليهودى وكاهانا . وطوال عدة اعوام ، كانت تتذرع بأسباب بيروقراطية . وعلى سبيل المثال ، كتبت يوم ٢٥ يوليو ١٩٨٧ طلبا ، وفقا لقانون حرية المعلومات ، لوكالة المخابرات المركزية (التى كان كاهانا متعاقدا معها أثناء فترة حرب فيتنام) ، كتب طلبا للحصول على معلومات بشأن المؤسسات اليهودية المختلفة ، والأفراد اليهود المتصلين بكاهانا . وفى يوم ٥؛

سبتمبر ١٩٨٩ ، حينما كنت على وشك اتمام كتابى هذا ، رفضت وكالة المخابرات المركزية طلبى ، وقررت فى خطابها أن المستندات التى طلبتها قد حفظت لأن الكشف عنها يمكن أن يؤدى الى الاضرار بالأمن القومى . ولا عجب أن يضحك كاهانا من المؤسسات الحكومية فهى تتيح لها الحماية ، فى حين يسعى هو للاطاحة بهـا .

ويقول النقاد ان كاهانا شخصية هامشية ، وأن جماعته صغيرة ، وتأثيره محدود . ولكن الكاهانية ليس لها تأثير محدود فى اسرائيل ، حيث تناضل الحكومة بكل قوة لتجريم نشاطها . وبالرغم من ابعاد كاهانا عن الكنيست ، كانت أفكاره قد توطدت وأصبحت « محترمة » . ويجلس الآن فى الكنيست على راس حزب موليديت اليمينى ، راهافام زئيفى ، الجنرال المتقاعد والعضو السابق فى حزب العمل ، ولا تشغله سوى قضية واحدة ، هى « الترحيل » . ومع استمرار الانتفاضة ، سـوف يصـبح « الترحيل » ، الحل المفضل لأعداد متزايدة من الاسرائيليين ، مما قد يعطى لنشاط كاهانا دفعة أخرى من دفعاته المتكررة .

ويميل اليهود الأمريكيون بصفة خاصة ، ومنهم الليبراليون اليساريون ، الى اعتبار كاهانا شخصا منحرفا. ولكن كاهانا خرج من صفوف القاعدة العريضة لليمين اليهودى المتزمت . ويحتمل أن يكون كاهانا شخصا مضطربا عاطفيا ، ولكنه — رغم ذلك — تعلم فلسفته تحت رعاية والده . وهى فلسفة نابعة من مفاهيم بيجين وجابوتنسكى بمفاهيم الهلاخا ، المثيرة للجدل والعنصرية .

ما الذى يريده الحاخام مائير كاهانا حقيقة لشعبه وللانسانية وللكرة الارضية ؟ لقد ذكر لى كاهانا ذات مرة ، وعيناه السوداوان تتميزان غضبا تحت حاجبيه الغليظتين المقوسين « سوف تحدث حرب عالمية مروعة ، وسوف يموت عشرات الملايين من الناس . وسوف تتحقق النبوءة . وسـوف يعاقبنا الرب لاننا خالفناه . ولكن يجب أن نكون مؤمنين . وسـوف يأتى المخلص وسوف يبعث الموتى — وستحدث كل الأمور التى كان يؤمن بها اليهـود فى الماضى قبل أن تصيبهم العقد الملعونة . وسوف تكون المعاناة التى سنتحملها بقدر ما نفعله منذ الآن ، وحتى ذلك الحين . وهذا يتوقف علينا — وليس على الرب » .

وفيما بين الوقت الحاضر والنبؤة التى يستطيع كاهانا تحقيقها ، يجب أن يدرك يهود العالم مدى القوة التى أصبح عليها المتطرفون اليهود أمثـال كاهانا . وأن يفعلوا شيئا لايقافهم قبل أن يدمروا اسرائيـل ، ويسمموا مستقبل الشعب اليهودى . وذلك أيضا يتوقف علينا .

كلمة شـــكر

تلقيت عونا كبيرا أثناء كتابة هذا الكتـــــاب من الجماعات اليهودية ، والأفراد من كافة الاوساط السياسية ، وكذلك من العرب الامريكيين المرموقين · ولعل من الامـــور القليلة التى يتفق عليها الكثير من اليهود والعرب ، كراهيتهم لكاهانا ·

وحصلت على التشجيع والتأييد والنصيحة الادبية القيمة من العديد من الناس · وأود أن أعرب عن شكرى الخاص لكل من : ميكا سيفرى وفيكتور نافاسكى المحرزين بمجلة « ذى نيشين » (الامة) وبوب سيلفرز المحرر بالنيويورك ريفيو أوف بوكس ، وهوراى بولنر بمجلة بريزنت تينس ، وديفيد ايجناتيوس ولارى ماير بجـــريدة الواشنطون بوست ، وستيف ليوفيتز نائب مـــدير المكتب الصحفى السابق للحكومة الاسرائيلية بالقدس ، ودانى روبينشتاين بجريدة دافار ويهودا ليتانى بجـــريدة الجيروزاليم بوست ، وناحور بادنى بجريدة يديعوت أحرانوت ، والبروفيسور ادوارد سعيد ، والبروفيسور ديفيد جارو ، والبروفيسور كنيث أوريلى ، والسناتور جيمس أبو رزق ، ولارى كوهلر ، وجيم زغبى ، وفيليب وايس ، ومارك فرونز والحاخام ابراهام زوروف ، وفيكتور كوفنر ورامزى كلارك ·

وقد وجدت مادة قيمة فى مؤلفات الكتاب والصحفيين ، شلومو روس ، وسول شتيرن ومايكل كوفمان الكاتب بالنيويورك تايمز ·

وقد قدمت المؤسسات التالية مساعداتها لى أثناء اعداد هـــذا الكتاب : مؤسسة اليسيا باترسون ، وصندوق صحافة التحقيقات ، ورابطة مكافحة التشهير بمنظمة بناى بريت ، واللجنـــة الامريكية العربية لمكافحة التمييز ، والامريكيون المهتمون بفهم الشرق الاوسط واللجنة الامريكية اليهودية ،ومؤسسة سلام الشرق الاوسط ورئيسها ميرل ثورب الصغير ، ومركز الحقوق الدستورية وخاصة مايكل راتنر ومارجريت راتنر ، وآن مارى بويتراجو ، وفرانك ديل ·

وأشكر بصفة خاصة برترام زويبون لاتاحته لى مقتطفات من وثائق رابطة الدفاع اليهودى فى الفترة من عام ١٩٦٨ حتى عـــام ١٩٧٤ . وبالرغم من اختلاف وجهات نظرنا السياسية ، احتـــرم التزامه بمفاهيمه السياسية ·

وأخيرا أود ان أشكر عائلتى وخاصة زوجتى كريستين دوجاس الصحفية المتـــــازة ، ووالدتى بدون حبهما ومساعداتهما لم أكن لاستطيع اتمام كتابى هذا ٠

وكلمة أخيرة تتعلق بالحاخام مائير كاهانا ، فقد تقابلت معـه أول مرة بالقدس فى عام ١٩٧٩ ، لاجراء حديث لمجلة بريزنت تينس وجريدة لوس انجيلوس تايمز ٠ وكان آخر لقـــاء لى مع كاهانا فى نوفمبر ١٩٨٤ بمدينة نيويورك ٠ وبعد ذلك مباشرة ، امتنع كاهانا عن الحديث معى ، لأن تقاريرى الخاصة بأنشطته ، كما قال ، كانت انتقادية للغاية ٠

مراجعة مطبعية : على كامل دسوقى

فهـــرس

الموضـــوع	صفحـــة

مطابع
الهيئة العامة للاستعلامات



١٩٩٢



مطابع الهيئة العامة للاستعلامات